صحيح البخاري

تفسير أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

تأليف

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي

المجلد ٧

دار الفكر للطباعة



www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مرآة العقول المجلد 7

اشارة

سرشناسه : مجلسی، محمدباقربن محمدتقی، ۱۰۳۷ - ۱۱۱۱ق.
عنوان قراردادی : الکافی .شرح
عنوان و نام پدیدآور : مرآه‌العقول فی شرح اخبار آل‌الرسول علیهم‌السلام/ محمدباقر المجلسی. مع بیانات نافعه لاحادیث‌الکافی من‌الوافی/ محسن الفیض‌الکاشانی؛ التحقیق بهراد الجعفری.
مشخصات نشر : تهران: دارالکتب‌الاسلامیه، ۱۳۸۹-
مشخصات ظاهری : ج.
شابک : ۱۰۰۰۰۰ ریال: دوره978-964-440-476-4 :
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتابنامه.
موضوع : کلینی، محمدبن یعقوب - ۳۲۹ق. . الکافی -- نقد و تفسیر
موضوع : احادیث شیعه -- قرن ۴ق.
موضوع : احادیث شیعه -- قرن ۱۱ق.
شناسه افزوده : فیض کاشانی، محمد بن شاه مرتضی، ۱۰۰۶- ۱۰۹۱ق.
شناسه افزوده : جعفری، بهراد، ۱۳۴۵-
شناسه افزوده : کلینی، محمدبن یعقوب - ۳۲۹ق. . الکافی. شرح
رده بندی کنگره : BP۱۲۹/ک۸ک۷ ۲۱۷ ۲۰ ۱۳۸۹
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۲
شماره کتابشناسی ملی : ۲۰ ۸۳۷۳۹
ص:1

اشارة

كتاب الإيمان و الكفر بَابُ طِينَةِ الْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ

1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ النَّبِيِّينَ مِنْ طِينَةِ

كتاب الإيمان و الكفر

اشارة

الحمد لوليه و الصلاة على خير البرايا محمد و عترته، و بعد: فهذا هو المجلد الرابع من كتاب مرآة العقول لبيان ما فى الكافى من أخبار آل الرسول مما ألفه أفقر العباد إلى غفران ربه الغنى: محمد باقر بن محمد تقى عفا الله عن جرائمهما.

قال قدس الله روحه أو بعض رواة كتابه: كتاب الإيمان و الكفر من كتاب الكافى تصنيف الشيخ أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى رضى الله عنه و أرضاه.

أقول: تلك الفقرات لم تكن فى بعض النسخ، و الظاهر أنه من كلام رواة الكافى و قدم الإيمان على الكفر لأنه الأصل و الأهم أو لأنه وجودى كما قيل، و فى القاموس كلين كأمير قرية بالرى منها محمد بن يعقوب الكلينى من فقهاء الشيعة، انتهى.

و قد يقال: كلين كزبير أيضا قرية بالرى، و محمد بن يعقوب منها، كذا سمعت بعض المشايخ يذكر عن أهل الرى.

" باب طينة المؤمن و الكافر"

الحديث الأول

: مرسل.

عِلِّيِّينَ قُلُوبَهُمْ وَ أَبْدَانَهُمْ وَ خَلَقَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تِلْکَ الطِّينَةِ وَ جَعَلَ خَلْقَ أَبْدَانِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دُونِ ذَلِکَ وَ خَلَقَ الْكُفَّارَ مِنْ طِينَةِ سِجِّينٍ قُلُوبَهُمْ وَ أَبْدَانَهُمْ فَخَلَطَ بَيْنَ الطِّينَتَيْنِ- فَمِنْ هَذَا يَلِدُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَ يَلِدُ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ وَ مِنْ هَاهُنَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنُ السَّيِّئَةَ وَ مِنْ هَاهُنَا يُصِيبُ الْكَافِرُ الْحَسَنَةَ فَقُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ تَحِنُّ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ

قوله: خلق النبيين، الخلق يكون بمعنى التكوين و بمعنى التقدير، و فى النهاية: طين عليه أى جبل و يقال: طانه الله على طينته، أى خلقه على جبلته و طينة الرجل خلقه و أصله، و قال: عليون اسم للسماء السابعة و قيل: اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد، و قيل: أراد أعلى الأمكنة و أشرف المراتب و أقربها من الله تعالى فى الدار الآخرة و تعرب بالحروف و الحركات كقنسرين و أشباهها على أنه جمع أو واحد، انتهى.

و إضافة الطينة إما بتقدير اللام أو من أو فى" قلوبهم و أبدانهم" بدل النبيين.

و يحتمل أن يراد بالقلب هنا العضو المعروف الذى يتعلق الروح أولا بالبخار المنبعث منه، فلا ينافى ما مر فى باب خلق أبدان الأئمة عليه السلام من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عليين و أرواحهم مخلوقة من فوق ذلک على أنه لو أريد به الروح أمكن الجمع بجعل الطينة مبدءا لها مجازا باعتبار القرب و التعلق، أو بتخصيص النبيين بغيره صلى الله عليه و آله.

و يؤيده خبر ابن مروان، و فى القاموس: سجين كسكين موضع فيه كتاب الفجار و واد فى جهنم أو حجر فى الأرض السابعة، و فى النهاية اسم علم للنار. فعيل من السجن.

قوله: فخلط بين الطينتين، أى فى بدن آدم عليه السلام فلذا حصل فى ذريته قابلية المرتبتين و استعداد الدرجتين" و من ههنا يصيب المؤمن السيئة" لخلط طينته بطينة الكافر، و كذا العكس" فقلوب المؤمنين تحن" أى تميل و تشتاق، قال الجوهرى: الحنين الشوق و توقان النفس" إلى ما خلقوا منه" أى إلى الأعمال المناسبة لما خلقوا منه

وَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ تَحِنُّ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ

المؤدية إليها أو إلى الأنبياء و الأوصياء المخلوقين من الطينة التى خلق منها قلوبهم، و كذا الفقرة الثانية تحتمل الوجهين.
و قال بعضهم فى تأويل الخبر: المراد بعليين أشرف المراتب و أقربها من الله تعالى، و له درجات كما يدل عليه ما ورد فى بعض الأخبار الآتية من قولهم أعلى عليين و كما وقع التنبيه عليه فى هذا الخبر بنسبة خلق القلوب و الأبدان كليهما إليه مع اختلافهما فى الرتبة، فيشبه أن يراد به عالم الجبروت و الملكوت جميعا اللذين فوق عالم الملک أعنى عالم العقل و النفس، و خلق قلوب النبيين من الجبروت معلوم، لأنهم المقربون و أما خلق أبدانهم من الملكوت فذلک لأن أبدانهم الحقيقية هى التى لهم فى باطن هذه الجلود المدبرة لهذه الأبدان، و إنما أبدانهم العنصرية أبدان أبدانهم لا علاقة لهم بها فكأنهم و هم فى جلابيب من هذه الأبدان، قد نفضوها و تجردوا عنها لعدم ركونهم إليها و شدة شوقهم إلى النشأة الأخرى، و لهذا نعموا بالوصول إلى الآخرة و مفارقة هذا الأدنى، و من هنا ورد فى الحديث: الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر، و إنما نسب خلق أبدان المؤمنين إلى ما دون ذلک لأنها مركبة من هذه و من هذه لتعلقهم بهذه الأبدان العنصرية أيضا ما داموا فيها، و سجين أخس المراتب و أبعدها من الله سبحانه فيشبه أن يراد به حقيقة الدنيا و باطنها التى هى مخبوءة تحت عالم الملک أعنى هذا العالم العنصرى، فإن الأرواح مسجونة فيه، و لهذا ورد فى الحديث: المسجون من سجنته الدنيا عن الآخرة، و خلق أبدان الكفار من هذا العالم ظاهر.
و إنما نسب خلق قلوبهم إليه لشدة ركونهم إليه و إخلادهم إلى الأرض، و تثاقلهم إليها، فكأنه ليس لهم من الملكوت نصيب لاستغراقهم فى الملک، و الخلط بين الطينتين إشارة إلى تعلق الأرواح الملكوتية بالأبدان العنصرية، بل نشوها منها شيئا فشيئا فكل من النشأتين غلبت عليه صار من أهلها، فيصير مؤمنا حقيقيا أو كافرا حقيقيا

ص: 4
2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ عَبْدِ الْغَفَّارِ الْجَازِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنَ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَ خَلَقَ الْكَافِرَ مِنْ طِينَةِ النَّارِ وَ قَالَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً طَيَّبَ رُوحَهُ وَ جَسَدَهُ فَلَا يَسْمَعُ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا عَرَفَهُ وَ لَا يَسْمَعُ شَيْئاً مِنَ الْمُنْكَرِ إِلَّا أَنْكَرَهُ قَالَ وَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ الطِّينَاتُ ثَلَاثٌ طِينَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُؤْمِنُ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ إِلَّا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ هُمْ مِنْ صَفْوَتِهَا هُمُ الْأَصْلُ وَ لَهُمْ فَضْلُهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ الْفَرْعُ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ كَذَلِكَ لَا يُفَرِّقُ

أو بين الأمرين على حسب تدارک مراتب الإيمان و الكفر، انتهى.
و قال آخرون: إن الله تعالى لما علم فى الأزل الأرواح التى تختار الإيمان باختيارها و التى تختار المعصية باختيارها، سواء خلقوا من طينة عليين، أو من طينة سجين فلما علم ذلک أعطى أبدان الأرواح التى علم أنهم يختارون الإيمان كيفية عليين للمناسبة و أعطى أبدان الأرواح التى علم أنها تختار الكفر باختيارها كيفية السجين من غير أن يكون للأمرين مدخل فى اختيارهم الإيمان و الكفر، و خلط بين الطينتين من غير أن يكون لذلک الخلط مدخل فى اختيار الحسنة و السيئة، فمن فى قوله:
من هذا و من هيهنا، للعلية المجازية.

الحديث الثانى

: مجهول.
" من طينة الجنة" أى من طينة يعلم حين خلقه منها أنه يصير إلى الجنة أو من طينة مرجحة لإعمال تصير سببا لدخول الجنة لا على سبيل الإلجاء" إذا أراد الله بعبد خيرا" أى حسن عاقبة و سعادة" طيب روحه" بالهدايات الخاصة و الألطاف المرجحة، و ذلک بعد حسن اختياره و ما يعود إليه من الأسباب، قوله تعالى:" مِنْ طِينٍ لازِبٍ" قال البيضاوى: هو الحاصل من ضرب الجزء المائى إلى الجزء الأرضى و فى القاموس: اللزوب اللصوق و الثبوت، و لزب ككرم لزبا و لزوبا دخل بعضه فى بعض و الطين لزق و صلب، انتهى

اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ شِيعَتِهِمْ وَ قَالَ طِينَةُ النَّاصِبِ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ* وَ أَمَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ فَ مِنْ تُرابٍ* لَا يَتَحَوَّلُ مُؤْمِنٌ عَنْ إِيمَانِهِ وَ لَا نَاصِبٌ عَنْ نَصْبِهِ وَ لِلَّهِ الْمَشِيئَةُ فِيهِمْ

أقول: و يمكن أن يكون على هذا التأويل للآية الكريمة المراد باللزوب لصوقهم بالأئمة عليه السلام و ملازمتهم لهم، فقوله: كذلک لا يفرق الله، إلخ. و فى بعض النسخ لذلک، أى للزوبهم و لصوقهم بأئمتهم و لصوق طينتهم بطينتهم، لا يفرق الله بينهم و بينهم.
أو لكونهم من فرع تلک الطينة لا يفرق الله بينهما فى الدنيا و الآخرة، لأن الفرع ملحق بالأصل و تابع له.
قوله عليه السلام: من حمأ مسنون، إشارة إلى قوله تعالى:" وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ" و الصلصال الطين اليابس تسمع له عند النقر صلصلة أى صوت، و قيل: طين صلب يخالطه الكثيب، و قيل: منتن، و الحمأ: الطين الأسود، و المسنون المتغير المنتن، و قيل: أى مصبوب كأنه أفرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب و الفضة، و قيل: أنه الرطب، و قيل: مصور عن سيبويه، قال: أخذ منه سنة الوجه، و الحمأ المسنون: طين سجين.
قوله: فمن تراب، أى خلقوا من تراب غير ممزوج بماء عذب زلال كما مزجت به طينة الأنبياء و المؤمنين، و لا بماء آسن أجاج كما مزجت به طينة الكافرين، فلا يكونون من هؤلاء و لا من هؤلاء، و لعل هذا وجه جمع بين الآيات الكريمة، فإن ما دل على أنه خلق من حمأ مسنون فهو فى الناصب، و ما دل على أنه خلق من طين لازب فهو فى الشيعة، و ما دل على أنه خلق من تراب فهو فى المستضعفين، فيحتمل حينئذ أن يكون المراد إدخال تلک الطينات جميعا فى بدن آدم لتحصيل قابلية جميع تلک الأمور و الأقسام فى أولاده و أن يكون المراد خلق كل صنف من تلک الطينة بإدخال ذلک الطين فى النطفة أو بحصول تلک النطفة من هذه الطينة.
و الأوسط أظهر لما رواه الشيخ فى مجالسه بإسناده عن عبيد بن يحيى عن يحيى

ابن عبد الله بن الحسن عن جده الحسن بن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:
إن فى الفردوس لعينا أحلى من الشهد و ألين من الزبد و أبرد من الثلج و أطيب من المسک، فيها طينة خلقنا الله عز و جل منها، و خلق شيعتنا منها فمن لم يكن من تلک الطينة فليس منا و لا من شيعتنا و هى الميثاق الذى أخذ الله عز و جل على ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب، قال عبيد: فذكرت لمحمد بن الحسين هذا الحديث فقال: صدقک يحيى بن عبد الله هكذا أخبرنى أبى عن جدى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه و آله قال عبيد: قلت: أشتهى أن تفسره لنا إن كان عندک تفسير؟ قال: نعم أخبرنى أبى عن جدى رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: إن لله ملكا رأسه تحت العرش و قدماه فى تخوم الأرض السابعة السفلى، بين عينيه راحة أحدكم فإذا أراد الله عز و جل أن يخلق خلقا على ولاية على بن أبى طالب عليه السلام أمر ذلک الملک فأخذ من تلک الطينة فرمى بها فى النطفة حتى تصير إلى الرحم، منها يخلق و هى الميثاق.
قوله: و لله المشيئة فيهم، أى فى المستضعفين و التعميم بعيد.
و قال بعضهم: فى قوله عليه السلام: و المؤمنون الفرع من طين لازب، لأن الجبروت صفوة الملكوت و أصله، و الملكوت فرع الجبروت، و اللازب اللازم للشىء اللاصق به، و إنما كانت طينتهم لازبة للزوبها لطينة أئمتهم و لصوقها بها لخلطها بها و تركبها من العالمين جميعا، أ لا ترى إلى شوقهم إلى أئمتهم و حنينهم إليهم، و كما أن الأمر كذلک كذلک لا يفرق الله بين أئمتهم و بينهم، و الحمأ الطين الأسود و هو كناية عن باطن الدنيا و حقيقة تلک العجوزة الشوهاء، و أما خلق المستضعفين من التراب أعنى ماله قبول الأشكال المختلفة و حفظها، فذلک لعدم لزومهم لطريقة أهل الإيمان، و لا لطريقة أهل الكفر و عدم تقيدهم بعقيدة لا حق و لا باطل، ليس لهم نور الملكوت و لا ظلمة باطن الملک، بل لهم قبول كل من الأمرين بخلاف الآخرين فإنهما لا يتحولان عما خلقوا له، و أما قوله: و لله المشيئة فيهم، فهو رد لتوهم الإيجاب فى

3 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع جُعِلْتُ فِدَاکَ مِنْ أَیِّ شَیْ‌ءٍ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ طِینَةَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ مِنْ طِینَةِ الْأَنْبِیَاءِ فَلَمْ تَنْجَسْ أَبَداً

4 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی وَ غَیْرُهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَ غَیْرِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ عَنْ أَبِی نَهْشَلٍ قَالَ حَدَّثَنِی مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِیلَ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ الثُّمَالِیِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع یَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَ عَزَّ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَی عِلِّیِّینَ وَ خَلَقَ قُلُوبَ شِیعَتِنَا مِمَّا خَلَقَنَا مِنْهُ وَ خَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِکَ وَ قُلُوبُهُمْ تَهْوِی إِلَیْنَا لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقْنَا مِنْهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآیَةَ کَلَّا إِنَّ کِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّیِّینَ وَ ما أَدْراکَ ما عِلِّیُّونَ کِتابٌ

فعله سبحانه، و فیه إشارة إلی قوله عز و جل:" وَ لَوْ شاءَ لَهَداکُمْ أَجْمَعِینَ".

لحديث الثالث

: ضعيف.
" فلن تنجس أبدا" بنجاسة الشرک و الكفر و إن نجست بالمعاصى فتطهر بالتوبة و الشفاعة، و قيل: لن يتعلق بالدنيا تعلق ركون و إخلاد يذهله عن الآخرة.

: مجهول.
و قد مر بعينه فى باب خلق أبدان الأئمة عليه السلام و قال بعض أرباب التأويل: كل ما يدركه الإنسان بحواسه يرتفع منه أثر إلى روحه، و يجتمع فى صحيفة ذاته و خزانة مدركاته، و كذلک كل مثقال ذرة من خير أو شر يعمله يرى أثره مكتوبا ثمة، و لا سيما ما رسخت بسبب الهيئات، و تأكدت به الصفات و صار خلقا و ملكة، فالأفاعيل المتكررة و العقائد الراسخة فى النفوس هي بمنزلة النقوش الكتابية فى الألواح، كما قال الله تعالى:" أُولئِکَ كَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ" و هذه الألواح النفسية يقال لها صحائف الأعمال، و إليه الإشارة بقوله سبحانه:" وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ" و قوله

مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ وَ خَلَقَ عَدُوَّنَا مِنْ سِجِّينٍ وَ خَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِهِمْ مِمَّا خَلَقَهُمْ مِنْهُ وَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِکَ فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِی إِلَيْهِمْ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقُوا مِنْهُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ- كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِی سِجِّينٍ وَ ما أَدْراکَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

عز و جل:" وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً" فيقال له:" لَقَدْ كُنْتَ فِی غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"" هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" فمن كان من أهل السعادة و أصحاب اليمين و كانت معلوماته أمورا قدسية و أخلاقه زكية و أعماله صالحة فقد أوتی كتابه بيمينه أعنی من الجانب الأقوی الروحانی، و هو جهة عليين و ذلک لأن كتابه من جنس الألواح العالية و الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة بأيدی سفرة كرام بررة يشهده المقربون، و من كان من الأشقياء المردودين و كانت معلوماته مقصورة علی الجرميات و أخلاقه سيئة و أعماله خبيثة فقد أوتی كتابه بشماله أعنی من جانبه الأضعف الجسمانی و هو جهة سجين، و ذلک لأن كتابه من جنس الأوراق السفلية و الصحائف الحسية القابلة للاحتراق فلا جرم يعذب بالنار و إنما عود الأرواح إلی ما خلقت منه كما قال سبحانه:" كَما بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ" كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ" فما خلق من عليين فكتابه فی عليين، و ما خلق من سجين فكتابه فی سجين.

5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ غَيْرِ وَاحِدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ جَمِيعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَوْرَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنِی عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ أَنَا مَوْلَاکَ- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ أَمَّا النَّسَبُ فَأَعْرِفُهُ وَ أَمَّا أَنْتَ فَلَسْتُ أَعْرِفُکَ قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنِّی وُلِدْتُ بِالْجَبَلِ وَ نَشَأْتُ فِی أَرْضِ فَارِسَ وَ إِنَّنِی أُخَالِطُ النَّاسَ فِی التِّجَارَاتِ وَ غَيْرِ ذَلِکَ فَأُخَالِطُ الرَّجُلَ فَأَرَی لَهُ حُسْنَ السَّمْتِ وَ حُسْنَ الْخُلُقِ وَ كَثْرَةَ أَمَانَةٍ ثُمَّ أُفَتِّشُهُ فَأَتَبَيَّنُهُ عَنْ عَدَاوَتِکُمْ وَ أُخَالِطُ الرَّجُلَ فَأَرَی مِنْهُ سُوءَ الْخُلُقِ وَ قِلَّةَ أَمَانَةٍ وَ زَعَارَّةً ثُمَّ أُفَتِّشُهُ فَأَتَبَيَّنُهُ عَنْ وَلَايَتِکُمْ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِکَ فَقَالَ لِی أَ مَا عَلِمْتَ يَا ابْنَ كَيْسَانَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَخَذَ طِينَةً مِنَ الْجَنَّةِ وَ طِينَةً مِنَ النَّارِ فَخَلَطَهُمَا جَمِيعاً ثُمَّ نَزَعَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ وَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ فَمَا رَأَيْتَ مِنْ أُولَئِکَ مِنَ الْأَمَانَةِ وَ حُسْنِ الْخُلُقِ وَ حُسْنِ السَّمْتِ فَمِمَّا مَسَّتْهُمْ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَ هُمْ يَعُودُونَ إِلَی مَا خُلِقُوا مِنْهُ وَ مَا رَأَيْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ قِلَّةِ الْأَمَانَةِ وَ سُوءِ الْخُلُقِ وَ الزَّعَارَّةِ فَمِمَّا مَسَّتْهُمْ مِنْ

: ضعيف.
" فلست أعرفک" أی بالتشيع" فأفتشه عن عداوتكم" التعدية بعن لتضمين معنى الكشف، و السمت: الطريق و هيئة أهل الخير، و زعارة بالزاء و الراء المشددة و قد يخفف الشراسة و سوء الخلق، و فی بعض النسخ بالدال و العين و الراء المهملات و هو الفساد و الفسق و الخبث." فخلطهما جميعا" أی فی صلب آدم إلى أن يخرجوا من أصلاب أولاده، و هو المراد بقوله: ثم نزع هذه من هذه إذ يخرج المؤمن من صلب الكافر، و الكافر من صلب المؤمن و حمل الخلط على الخلطة فی عالم الأجساد و اكتساب بعضهم الأخلاق من بعض بعيد جدا.
و قال بعضهم: ثم نزع هذه- إلى آخره- معناه أنه نزع طينة الجنة من طينة النار، و طينة النار من طينة الجنة بعد ما مست إحداهما الأخرى، ثم خلق أهل الجنة من طينة الجنة، و خلق أهل النار من طينة النار، و أولئک إشارة إلى الأعداء

ص: 10
طِينَةِ النَّارِ وَ هُمْ يَعُودُونَ إِلَى مَا خُلِقُوا مِنْهُ
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع- الْمُؤْمِنُونَ مِنْ طِينَةِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ نَعَمْ
7 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِی حَمَّادٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیِّ بْنِ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ ع بَعَثَ جَبْرَئِيلَ ع فِی أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً بَلَغَتْ قَبْضَتُهُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَ أَخَذَ مِنْ

و هؤلاء إلى الأولياء، و ما خلقوا منه فى الأول طينة النار و فى الثانى طينة الجنة.

: ضعيف. و المراد فضل طينتهم.

الحديث السابع

اشارة

: ضعيف.
قوله: فى أول ساعة" إلخ" قيل: لما كان خلق آدم عليه السلام بعد خلق السماوات و الأرض ضرورة تقدم البسيط على المركب، و كان خلق السماوات و الأرض و أقواتها فى ستة أيام من الأسبوع و قد جمعت جميعا فى الجمعة صار بدو خلق الإنسان فيه، و المراد بكلمته جبرئيل لأنه حامل كلمته أو لاهتداء الناس به كاهتدائهم بكلام الله أو لكونه مخلوقا بكلمة كن بلا مادة، و قيل: المراد بالسماوات درجات الجنة و بالأرضين دركات سجين ليطابق الأخبار الأخر، و يحتمل أخذها منهما معا، و قيل: كان المراد بالتربة ما له مدخل فى تهيئة المادة القابلة لأن يخلق منها شىء فيشمل الطينة بمعنى الجبلة و آثار القوى السماوية المربية للنطفة، و بالجملة ما له مدخل فى السبب القابلى، انتهى.
و قيل: إطلاق التربة على ما أخذ من السماوات من قبيل مجاز المشارفة أى ما يصير تربة و ينقلب إليها، و القصوى مؤنث الأقصى أى الأبعد، و يدل على أن الأرض سبع طبقات كالسماوات كما قال تعالى:" اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ

ص: 11
كُلِّ سَمَاءٍ تُرْبَةً وَ قَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْقُصْوَى فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ كَلِمَتَهُ فَأَمْسَكَ الْقَبْضَةَ الْأُولَى بِيَمِينِهِ وَ الْقَبْضَةَ الْأُخْرَى بِشِمَالِهِ فَفَلَقَ الطِّينَ فِلْقَتَيْنِ فَذَرَا مِنَ الْأَرْضِ ذَرْواً وَ مِنَ السَّمَاوَاتِ ذَرْواً فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ مِنْكَ الرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْأَوْصِيَاءُ وَ الصِّدِّيقُونَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ السُّعَدَاءُ وَ مَنْ أُرِيدُ كَرَامَتَهُ فَوَجَبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ وَ قَالَ لِلَّذِي بِشِمَالِهِ مِنْكَ الْجَبَّارُونَ

مِثْلَهُنَّ".
قوله عليه السلام: ففلق الطين فلقتين، ضمير فلق إما راجع إلى الله أو إلى جبرئيل، و كذا قوله: فذرأ، و فى القاموس فلقه يفلقه شقه كفلقه و فالق الحب خالقه أو شاقه بإخراج الورق منه، و قال: ذرت الريح الشىء ذروا و أذرته و ذرته أطارته و أذهبته و ذرأ هو بنفسه.
أقول: الكلام يحتمل وجوها" الأول" أن يكون قوله: ففلق تفريعا و تأكيدا لما مضى، أى فصار يقبض بعض الطين باليمين و بعضه بالشمال الطين صنفين، ففرق من الأرض أى ما كان فى يده من طين الأرض، و كذا الثانى فقال الله أو جبرئيل للذى بيمينه قبل الذر أو للذى كان بيمينه بعده.
الثانى: أن يكون المعنى ففلق كل طين من الطينين فلقة أى جعل كلا منهما حصتين ففرق من كل طين حصة ليكون طينة للمستضعفين و الأطفال و المجانين، و قال لما بقى فى اليمين: منك الرسل" إلخ" و لما بقى فى الشمال: منك الجبارون" إلخ" و على هذا لعل إرجاع الضمائر إلى الله تعالى أولى، فيقرأ أريد فى الموضعين بصيغة المتكلم، و على الوجه الآخر يقرأ بصيغة الغائب المجهول.
الثالث: ما ذكره بعض الأفاضل حيث قال: كان الفلق كناية عن إفراز ما يصلح من المادتين لخلق الإنسان، و إنما ذرأ من كل منهما ما ذرأ لأنه كان فيهما ما ليس له مدخل فى خلق الإنسان و إنما كان مادة لسائر الأكوان خاصة.

وَ الْمُشْرِكُونَ وَ الْكَافِرُونَ وَ الطَّوَاغِيتُ وَ مَنْ أُرِيدُ هَوَانَهُ وَ شِقْوَتَهُ فَوَجَبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ ثُمَّ إِنَّ الطِّينَتَيْنِ خُلِطَتَا جَمِيعاً وَ ذَلِکَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى فَالْحَبُّ طِينَةُ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِی أَلْقَی اللَّهُ عَلَيْهَا مَحَبَّتَهُ وَ النَّوَى طِينَةُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ نَأَوْا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَ إِنَّمَا سُمِّیَ النَّوَى مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ نَأَى عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَ تَبَاعَدَ عَنْهُ وَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَیِ

قوله عليه السلام: ثم إن الطينتين خلطتا، أی ما كان فی اليدين أو جميع الطينتين المذروء منهما و غير المذروء، و قوله عليه السلام: فالحب طينة المؤمنين، هذا بطن من بطون الآية و على هذا التأويل المراد بالفلق شق كل منهما و إخراج الآخر منه أو شق كل منهما عن صاحبه أو خلقهما" من أجل أنه نأى" كان مناسبة نأى و نوى من جهة الاشتقاق الكبير المبنى على توافق بعض حروف الكلمتين فإن الأول مهموز الوسط و الثانى من المعتل، و يحتمل أن يكون أصل المهموز من المعتل أو بالعكس و يؤيد أن صاحب المصباح المنير و الراغب فی المفردات ذكرا نأى فی باب النون مع الواو، أو يقال ليس الغرض بيان الاشتقاق بل بيان أن النوى بمعنى البعد، و ذكر نأى لتناسب اللفظين فإن الواوی أيضا يطلق بهذا المعنى، قال فی القاموس: النية الوجه الذی يذهب فيه و البعد كالنوی فيهما" انتهى".
و الآية فی سورة الأنعام هكذا:" إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى" قال فی مجمع البيان: أی شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منه النبات و شاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل و الشجر، و قيل: معناه خالق الحب و النوی و منشإهما و مبدئهما، و قيل: المراد به ما فی الحبة و النواة من الشق، و هو من عجيب قدرة الله تعالى فی استوائه.
" يُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَیِّ" أی يخرج النبات الغض

فَالْحَىُّ الْمُؤْمِنُ الَّذِى تَخْرُجُ طِينَتُهُ مِنْ طِينَةِ الْكَافِرِ وَ الْمَيِّتُ الَّذِى يَخْرُجُ مِنَ الْحَىِّ هُوَ الْكَافِرُ الَّذِى يَخْرُجُ مِنْ طِينَةِ الْمُؤْمِنِ فَالْحَىُّ الْمُؤْمِنُ وَ الْمَيِّتُ الْكَافِرُ وَ ذَلِکَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ- أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ فَكَانَ مَوْتُهُ اخْتِلَاطَ طِينَتِهِ مَعَ طِينَةِ الْكَافِرِ

الطرى الخضر من الحب اليابس، و يخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى عن الزجاج و العرب تسمى الشجرة ما دام غضا قائما بأنه حى، فإذا يبس أو قطع أو قلع سموه ميتا.

و قيل: معناه يخلق الحى من النطفة و هى موات، و يخلق النطفة و هى موات من الحى عن الحسن و غيره، و هذا أصح، و قيل: معناه يخرج الطير من البيض و البيض من الطير عن الجبائى، و قيل: يخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن.

ثم قال سبحانه فى هذه السورة أيضا:" أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها".

قال الطبرسى: أ و من كان ميتا أى كافرا فأحييناه بأن هديناه إلى الإيمان عن ابن عباس و غيره، شبه سبحانه الكفر بالموت و الإيمان بالحياة، و قيل: معناه من كان نطفة فأحييناه و جعلنا له نورا، المراد بالنور العلم و الحكمة أو القرآن أو الإيمان، و بالظلمات ظلمات الكفر، و إنما سمى الله الكافر ميتا كأنه لا ينتفع بحياته و لا ينتفع غيره بحياته فهو أسوأ حالا من الميت إذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه، و لا يتضرر غيره به، و سمى المؤمن حيا لأنه له و لغيره المصلحة و المنفعة فى حياته و كذلک سمى الكافر ميتا و المؤمن حيا فى عدة مواضع، مثل قوله:" إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى*" و" لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا" و قوله:" وَ ما يَسْتَوِى الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ"

ص: 14
وَ كَانَ حَيَاتُهُ حِينَ فَرَّقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بَيْنَهُمَا بِكَلِمَتِهِ كَذَلِکَ يُخْرِجُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُؤْمِنَ فِی الْمِيلَادِ مِنَ الظُّلْمَةِ بَعْدَ دُخُولِهِ فِيهَا إِلَی النُّورِ وَ يُخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلْمَةِ

و سمی القرآن و العلم و الإيمان نورا لأن الناس يبصرون بذلک، و يهتدون به من ظلمات الكفر و حيرة الضلالة، كما يهتدی بسائر الأنوار، و سمی الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدی بهداه و لا يبصر أمر رشده" انتهی".
و أقول: علی التأويل المذكور فی الخبر و أكثر التفاسير المذكورة قوله تعالی:
" يُخْرِجُ الْحَیَّ" بيان لقوله" فالِقُ الْحَبِّ".
قوله: حين فرق الله بينهما بكلمته، أی بقدرته أو بأمر كن، أو بجبرئيل، و التفريق فی الميلاد أو فی الطينة، و الأول أظهر، فقوله: كذلک، تشبيه الإخراج من الظلمات إلی النور و بالعكس بإخراج الحی من الميت و بالعكس، فی أن المراد فيهما إخراج طينة المؤمن من طينة الكافر و بالعكس، و ليس المراد تأويل تتمة تلک الآية أعنی قوله سبحانه:" أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً"" إلخ" فإنه لم يذكر فيها إخراج الكافر من النور إلی الظلمة، بل فيها أنه فی الظلمات ليس بخارج منها بل هو إشارة إلی قوله تعالی:" اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ" الآية، و لا ينافيه قوله عليه السلام: و يخرج الكافر، مع أن فی الآية نسب الإخراج إلی الطاغوت لأن لخذلانه سبحانه مدخلا فی ذلک، مع أنه يمكن أن يقرأ علی بناء المجرد المعلوم، أو علی بناء المجهول، و ما قيل: من أنه يظهر من هذا الحديث أن إخراج المؤمن من الكافر و بالعكس فی وقتين تفريق الطين و وقت الولادة فليس بظاهر كما عرفت.
ثم استشهد عليه السلام لإطلاق الحياة علی الإيمان أو كونه من طينة مقربة له بقوله سبحانه:" لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا" أی كان من طينة الجنة علی تأويله عليه السلام، قال الطبرسی: أی أنزلناه ليخوف به من معاصی الله من كان مؤمنا لأن الكافر كالميت بل أقل من الميت أو من كان عاقلا كما روی عن علی عليه السلام و قيل: من كان حی القلب

ص: 15
بَعْدَ دُخُولِهِ إِلَى النُّورِ- وَ ذَلِکَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ- لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ

حى البصر" وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ" أى يجب الوعيد و العذاب على الكافرين بكفرهم.
و أقول: على تأويله عليه السلام يحتمل أن يكون المراد بالقول ما مر من قوله سبحانه: منک الجبارون و المشركون و الكافرون" إلخ".

فذلكة

اعلم أن ما ذكر فى هذا الباب و فى بعض الأبواب الآتية من متشابهات الأخبار و معضلات الآثار، و مما يوهم الجبر و نفى الاختيار و لأصحابنا رضوان الله عليهم فيها مسالک:
الأول: ما ذهب إليه الأخباريون و هو أنا نؤمن بها مجملا و نعترف بالجهل عن حقيقة معناها و عن أنها من أى جهة صدرت و نرد علمه إليهم عليه السلام.
الثانى: أنها محمولة على التقية لموافقتها لروايات العامة و مذاهب الأشاعرة الجبرية و هم جلهم.
الثالث: أنه كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون فإنه سبحانه لما خلقهم و كان عند خلقهم عالما بما يصيرون إليه فكأنه خلقهم من طينات مختلفة.
الرابع: أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم و قابلياتهم و هذا أمر بين لا يمكن إنكاره، فإنه لا يريب عاقل فى أن النبى صلى الله عليه و آله و أبا جهل ليسا فى درجة واحدة من الاستعداد و القابلية، و هذا لا يستلزم سقوط التكليف فإن الله تعالى كلف النبى صلى الله عليه و آله بقدر ما أعطاه من الاستعداد و القابلية لتحصيل الكمالات و كلفه ما لم يكلف أحدا مثله، و كلف أبا جهل ما فى وسعه و طاقته، و لم يجبره على شىء من الشر و الفساد.
الخامس: أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولا فى الذر و أخذ ميثاقهم فاختاروا الخير و الشر باختيارهم فى ذلک الوقت، و تفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دلت عليه بعض الأخبار فلا فساد فى ذلک.

ص: 16
بَابٌ آخَرُ مِنْهُ وَ فِيهِ زِيَادَةُ وُقُوعِ التَّكْلِيفِ الْأَوَّلِ
1 أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ مَا اخْتَلَفَ اثْنَانِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ كُنْ مَاءً

باب آخر منه و فيه زيادة وقوع التكليف الأول

اشارة

أقول: إنما أفرد لتلک الأخبار بابا لاشتمالها على أمر زائد لم يكن فى الأخبار السابقة رعاية لضبط العنوان بحسب الإمكان.

: موثق كالصحيح.
" لما اختلف اثنان" أى فى مسألة الاستطاعة و الاختيار و الجبر، أو لما تنازع اثنان فى أمر من أمور الدين لاختلاف إفهامهم و قابلياتهم و طينهم، و لما بالغوا فى هداية الخلق" كن ماءا عذابا" أمر تكوينى أو استعارة تمثيلية لبيان علمه تعالى باختلاف مواد الخلق و استعداداتهم و ما هم إليه صائرون و فى القاموس: ماء أجاج ملح مر، و قال أديم النهار عامته أو بياضه، و من الضحى أوله و من السماء و الأرض ما ظهر و قال: عركه دلكه و حكه حتى عفاه و قال: الذر صغار النمل و مائة منها زنة حبة شعير، الواحدة ذرة، و قال: دب يدب دبا و دبيبا: مشى على هنيئة، و قال: أقلته فسخته، و استقالة: طلب إليه أن يقيله، و قال: هابه يهابه هيبا و مهابة: خافه.
و قال السيد رضى الله عنه فى نهج البلاغة: روى اليمانى عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالک بن دحية قال: كنا عند أمير المؤمنين على عليه السلام و قد ذكر عنده اختلاف الناس، قال: إنما فرق بينهم مبادئ طينهم، و ذلک أنهم قد كانوا فلقة من سبخ أرض و عذبها و حزن تربة و سهلها فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون،

ص: 17
عَذْباً أَخْلُقْ مِنْکَ جَنَّتِی وَ أَهْلَ طَاعَتِی وَ کُنْ مِلْحاً أُجَاجاً أَخْلُقْ مِنْکَ نَارِی وَ أَهْلَ مَعْصِیَتِی ثُمَّ أَمَرَهُمَا فَامْتَزَجَا فَمِنْ ذَلِکَ صَارَ یَلِدُ الْمُؤْمِنُ الْکَافِرَ وَ الْکَافِرُ الْمُؤْمِنَ ثُمَّ أَخَذَ طِیناً

و على قدر اختلافها يتفاوتون، فتام الرواء ناقص العقل و ماد القامة قصير الهمة و زاكى العمل قبيح المنظر و قريب القعر بعيد السبر و معروف الضريبة منكر الجليبة و تائه القلب متفرق اللب و طليق اللسان حديد الجنان.

و قال ابن ميثم فى قوله عليه السلام: إنما فرق بينهم" إلخ" أى تقاربهم فى الصور و الأخلاق تابع لتقارب طينهم و تقارب مباديه و هى السهل و الحزن، و السبخ و العذب و تفاوتهم فيها لتفاوت طينهم و مباديه المذكورة و قال أهل التأويل: الإضافة بمعنى اللام أى المبادئ لطينهم كناية عن الأجزاء العنصرية التى هى مبادئ المركبات ذوات الأمزجة، أو السبخ كناية عن الحار اليابس و العذب عن الحار الرطب و السهل عن البارد الرطب، و الحزن عن البارد اليابس، انتهى.

و أقول: لا يبعد أن يكون الماء العذب كناية عما خلق الله فى الإنسان من الدواعى إلى الخير و الصلاح كالعقل و النفس الملكوتى، و الماء الأجاج عما ينافى و يعارض ذلک و يدعو إلى الشهوات الدنية و اللذات الجسمانية من البدن و ما ركب فيه من الدواعى إلى الشهوات، و يكون مزجهما كناية عن تركيبهما فى الإنسان، فقوله: أخلق منک، أى من أجلک جنتى و أهل طاعتى، إذ لو لا ما فى الإنسان من جهة الخير لم يكن لخلق الجنة فائدة و لم يكن يستحقها أحد، و لم يصر أحد مطيعا له تعالى، و كذا قوله:

أخلق منک نارى إذا لو لا ما فى الإنسان من دواعى الشرور لم يكن يعصى الله أحد، و لم يحتج إلى خلق النار للزجر عن الشرور ثم لإظهار إحاطة علمه بما سيقع من كل فرد من أفراد البشر للملائكة لطفا لهم و لبنى آدم أيضا بعد إخبار الرسل بذلک جعلهم كالذر، و ميز من علم منهم الإيمان ممن علم منهم خلافه، و كلفهم بدخول النار ليعلموا قبل التكليف فى عالم الأجساد أن ما علم منهم مطابق للواقع" فثم ثبتت الطاعة و المعصية" و علم الملائكة من يطيع بعد ذلک و من يعصى و أثبت ذلک فى الألواح مطابقا لعلمه تعالى.

مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرْكاً شَدِيداً فَإِذَا هُمْ كَالذَّرِّ يَدِبُّونَ فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ وَ قَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ وَ لَا أُبَالِي ثُمَّ أَمَرَ نَاراً فَأَسْعِرَتْ فَقَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ ادْخُلُوهَا فَهَابُوهَا فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ادْخُلُوهَا فَدَخَلُوهَا فَقَالَ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً فَكَانَتْ بَرْداً وَ سَلَاماً فَقَالَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ يَا رَبِّ أَقِلْنَا- فَقَالَ قَدْ أَقَلْتُكُمْ فَادْخُلُوهَا فَذَهَبُوا فَهَابُوهَا فَتَمَّ ثَبَتَتِ الطَّاعَةُ وَ الْمَعْصِيَةُ- فَلَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ

و قوله: فمن ذلک صار يلد المؤمن الكافر، أى لأجل ما قرر فى الإنسان من جهتى الخير و الشر ترى الأب يصير تابعا للعقل و مقويا لدواعى الخير و زاجرا للشهوات فيصير من الأخيار، و الابن يتبع الهوى و الشهوات و يسلطها على العقل فيصير من الأشرار مع نهاية الارتباط بينهما.
و قوله: و لا يستطيع هؤلاء، أى لا يتخلف ما علم الله تعالى منهم، لكن لا يختارونها إلا باختيارهم و إرادتهم و استطاعتهم.
هذا ما خطر بالبال على وجه الاحتمال و الله يعلم غوامض أسرارهم عليه السلام.
و قال بعض أهل التأويل عبر عن المادة تارة بالماء و أخرى بالتربة لاشتراكهما فى قبول الأشكال، و لاجتماعهما فى طينة الإنسان و تركيب خلقته، و أديم الأرض وجهها و كأنه كناية عما ينبت منها مما يصلح أن يصير غذاء الإنسان و يحصل منه النطفة أو تتربى به، و العرک: الدلک و كأنه كناية عن مزجه بحيث يحصل منه المزاج و يستعد للحياة، و الذر: النمل الصغار و وجه الشبه الحس و الحركة و كونهم محل الشعور مع صغر الجثة و الخفاء، و هذا الخطاب إنما كان فى عالم الأمر و لشدة ارتباط الملک بالملكوت و قوامه به جاز إسناد مادته إليه و إن كان عالم الأمر مجردا عن المادة و اجتماعهم فى الوجود عند الله تعالى إنما هو لاجتماع الأجسام الزمانية عنده تعالى دفعة واحدة فى عالم الأمر و إن كانت متفرقة مبسوطة متدرجة فى عالم الخلق و وجودهم فى عالم الأمر وجود ملكوتى ظلى ينبعث من حقيقة هذا الوجود الخلقى الجسمانى و هو صورة علمه سبحانه بها و عبر عنه بالظلال فى حديث آخر، و أمره تعالى إياهم

أَنْ يَكُونُوا مِنْ هَؤُلَاءِ وَ لَا هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ
2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ زُرَارَةَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ- وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

إلى الجنة و النار هدايته إياهم إلى سبيلهما، ثم توفيقه أو خذلانه، و لعل المراد بالنار المسعرة بعد ذلک التكاليف الشرعية و تحصيل المعرفة المحرقة للقلوب لصعوبة الخروج عن عهدتها و استقالة أصحاب الشمال كناية عن تمنيهم الإطاعة و عدم قدرتهم التامة عليها لغلبة الشقوة عليهم، و كونهم مسخرة تحت سلطان الهوى كما قالوا" رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ" انتهى.
و الاجتراء على تلک التأويلات فى الأخبار جرأة على الله و رسوله و الأئمة الأخيار إلا أن يكون على سبيل الاحتمال، لكن بعد ثبوت ما بنوا عليه الكلام من المقدمات التى لم تثبت بالبرهان و اليقين بل بعضها مناف لما ثبت فى الدين المبين.

: حسن كالصحيح.
و ظاهر الحديث أن السؤال عن الباقر عليه السلام كان فى زمن أبيه و هو حاضر، و فيه أنه لم يعهد إدراک زرارة على بن الحسين عليه السلام فيحتمل أن يكون روى ذلک عن الرجل السائل و لم يكن زرارة حاضرا عند السؤال، مع أنه يمكن إدراكه زمان السجاد عليه السلام و عدم روايته عنه و لذا لم يعد من أصحابه، و فى تفسير العياشى هكذا عن زرارة أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام إلى آخر الخبر، و هو أصوب.
" وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ" قال البيضاوى: أى أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن، و من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض، و قرأ نافع و أبو عمرو و ابن عامر و يعقوب ذرياتهم" وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ" أى نصب لهم دلائل ربوبيته و ركب فى عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار

فَقَالَ وَ أَبُوهُ يَسْمَعُ ع حَدَّثَنِی أَبِی أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ التُّرْبَةِ الَّتِی خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ ع فَصَبَّ عَلَيْهَا الْمَاءَ الْعَذْبَ الْفُرَاتَ ثُمَّ تَرَكَهَا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهَا الْمَاءَ الْمَالِحَ الْأُجَاجَ فَتَرَكَهَا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَلَمَّا اخْتَمَرَتِ الطِّينَةُ أَخَذَهَا فَعَرَكَهَا عَرْكاً شَدِيداً فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ مِنْ يَمِينِهِ وَ شِمَالِهِ وَ أَمَرَهُمْ جَمِيعاً أَنْ يَقَعُوا فِی النَّارِ فَدَخَلَ

بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم: أ لست بربكم؟ قالوا بلى، فنزل تمكينهم من العلم بها و تمكنهم منه منزلة الإشهاد و الإعتراف على طريقة التمثيل، و يدل عليه قوله:" قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ" أى كراهة أن تقولوا" إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ" لم ننبه عليه بدليل" أَوْ تَقُولُوا" عطف على أن تقولوا" إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ" فاقتدينا بهم لأن التقليد عند قيام الدليل و التمكن مع العلم به لا يصلح عذرا" أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ" يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرک، و قيل: لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر و أحياهم، و جعل لهم العقل و النطق و ألهمهم ذلک، لحديث رواه عمر، انتهى.
و قال بعض المحققين لعل معنى إشهاد ذرية بنى آدم على أنفسهم بالتوحيد استنطاق حقائقهم بالسنة قابليات جواهرها و ألسن استعدادات ذواتها، و أن تصديقهم به كان بلسان طباع الإمكان قبل نصب الدلائل لهم أو بعد نصب الدلائل، أو أنه نزل تمكينهم من العلم و تمكينهم منه بمنزلة الإشهاد و الاعتراف على طريقة التمثيل نظير ذلک قوله عز و جل:" إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ" إلخ، و قوله عز و علا:" فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ" و معلوم أنه لا قول ثمة و إنما هو تمثيل و تصوير للمعنى، و يحتمل أن يكون ذلک النطق باللسان الملكوتى الذى به يسبح كل شىء بحمد ربه، و ذلک لأنهم مفطورون على التوحيد.
قوله عليه السلام: من تراب، التربة هذا من قبيل إضافة الجزء إلى الكل، قوله

ص: 21
أَصْحَابُ الْيَمِينِ فَصَارَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَ سَلَاماً وَ أَبَى أَصْحَابُ الشِّمَالِ أَنْ يَدْخُلُوهَا
3 عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ ع أَرْسَلَ الْمَاءَ عَلَى الطِّينِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً فَعَرَكَهَا ثُمَّ فَرَّقَهَا فِرْقَتَيْنِ بِيَدِهِ ثُمَّ ذَرَأَهُمْ فَإِذَا هُمْ يَدِبُّونَ ثُمَّ رَفَعَ لَهُمْ نَاراً فَأَمَرَ أَهْلَ الشِّمَالِ أَنْ يَدْخُلُوهَا فَذَهَبُوا إِلَيْهَا فَهَابُوهَا فَلَمْ يَدْخُلُوهَا ثُمَّ أَمَرَ أَهْلَ الْيَمِينِ أَنْ يَدْخُلُوهَا فَذَهَبُوا فَدَخَلُوهَا فَأَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَ عَزَّ النَّارَ فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَ سَلَاماً فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ الشِّمَالِ قَالُوا رَبَّنَا أَقِلْنَا فَأَقَالَهُمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ ادْخُلُوهَا فَذَهَبُوا فَقَامُوا عَلَيْهَا وَ لَمْ يَدْخُلُوهَا فَأَعَادَهُمْ طِيناً وَ خَلَقَ مِنْهَا آدَمَ ع وَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع فَلَنْ يَسْتَطِيعَ هَؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هَؤُلَاءِ وَ لَا هَؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هَؤُلَاءِ قَالَ فَيَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ تِلْكَ النَّارَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَ عَزَّ- قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا

من يمينه و شماله، الضميران راجعان إلى الملك المأمور بهذا الأمر كجبرئيل أو العرش أو إلى التراب فاستعار اليمين للجهة التى فيها اليمن و البركة، و الشمال للأخرى، أو اليمين لصفة الرحمانية و الشمال لصفة القهارية، فالضميران راجعان إلى الله تعالى كما فى الدعاء: الخير فى يديک، أى كلما يصدر منک من خير أو شر أو نفع أو ضر فهو خير، و مشتمل على المصالح الجليلة.

الحديث الثالث

: حسن موثق كالصحيح.
قوله: فيرون، أى أهل البيت عليه السلام" قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ" الآية، قيل فى تفسير الآية وجوه:
" الأول" فإنا أول العابدين منكم، فإن النبى يكون أعلم بالله و بما يصح له و بما لا يصح له، و أولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه، و من حق تعظيم الوالد تعظيم ولده، و لا يلزم من ذلک صحة كينونة الولد و عبادته له، فإن المحال قد يستلزم

أَوَّلُ الْعابِدِينَ
بَابٌ آخَرُ مِنْهُ
1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ دَاوُدَ الْعِجْلِيِّ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ حُمْرَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْباً وَ مَاءً مَالِحاً أُجَاجاً فَامْتَزَجَ الْمَاءَانِ فَأَخَذَ طِيناً مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرْكاً شَدِيداً فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَ هُمْ كَالذَّرِّ يَدِبُّونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ وَ قَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ وَ لَا أُبَالِي ثُمَّ قَالَ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا

المحال، بل المراد نفيهما.
و الثانى: أن معناه إن كان له ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له.
الثالث: أن المعنى إن كان له ولد فأنا أول الآنفين منه أو من أن يكون له ولد، من عبد يعبد إذا اشتد أنفه.
الرابع: أن كلمة إن نافية أى ما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة.
أقول: و بناء الخبر على التفسير الأول، إذ يظهر منه أنه صلى الله عليه و آله كان مبادرا إلى كل خير و سعادة و إطاعة، فلا بد أن يكون مبادرا فى دخول النار عند الأمر به.

باب آخر منه

الحديث الأول

: مجهول.
" فأخذ طينا" أى مزجه بالمائين ليحصل فيه استعداد الخير و الشر معا فيصح التكليف" إلى الجنة" أى امضوا إلى الجنة سالمين من العذاب و النكال، أو إلى ما يوجب الجنة سالمين من شبه الشياطين و وساوسهم" أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ" يعنى فعل ذلك كراهة أن تقولوا، و فى أكثر النسخ أن تقولوا بصيغة الخطاب كما فى القراءات

بَلی شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِینَ ثُمَّ أَخَذَ الْمِیثَاقَ عَلَی النَّبِیِّینَ فَقَالَ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ وَ أَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولِی وَ أَنَّ هَذَا عَلِیٌّ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ قالُوا بَلی فَثَبَتَتْ لَهُمُ النُّبُوَّةُ وَ أَخَذَ الْمِیثَاقَ عَلَی أُولِی الْعَزْمِ أَنِّی رَبُّکُمْ وَ مُحَمَّدٌ رَسُولِی وَ عَلِیٌّ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ وَ أَوْصِیَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وُلَاةُ أَمْرِی وَ خُزَّانُ عِلْمِی وَ أَنَّ الْمَهْدِیَّ أَنْتَصِرُ بِهِ لِدِینِی وَ أُظْهِرُ بِهِ دَوْلَتِی وَ أَنْتَقِمُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِی وَ أُعْبَدُ بِهِ طَوْعاً وَ کَرْهاً قَالُوا أَقْرَرْنَا یَا رَبِّ وَ شَهِدْنَا وَ لَمْ یَجْحَدْ آدَمُ وَ لَمْ یُقِرَّ فَثَبَتَتِ الْعَزِیمَةُ لِهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ فِی الْمَهْدِیِّ وَ لَمْ یَکُنْ لِآدَمَ عَزْمٌ عَلَی الْإِقْرَارِ بِهِ وَ هُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً قَالَ إِنَّمَا هُوَ فَتَرَکَ ثُمَّ أَمَرَ ناراً فَأُجِّجَتْ

المشهورة، فیکون ذکر تتمة الآیة استطرادا، و الأصوب هنا أن یقولوا بصیغة الغیبة موافقا لقراءة أبی عمرو فی الآیة.

قوله علیه السلام: ثم أخذ، لعل کلمة ثم هنا و فیما سیأتی للتراخی الرتبی لا الزمانی، لما بین المیثاقین من التفاوت، و إلا فالظاهر تقدم أخذ المیثاق علی النبیین علی غیرهم، و کذا أخذ المیثاق علی أولی العزم و غیرهم لما سیأتی، و أرید بأولی العزم نوح و إبراهیم و موسی و عیسی و محمد صلی الله علیه و آله و لا ینافی دخول الإقرار بنبوة نبینا صلی الله علیه و آله فیما عهد إلیهم دخوله صلی الله علیه و آله فی المعهود إلیهم، قیل: و لما کانوا معهودین معلومین جاز أن یشار إلیهم بهؤلاء الخمسة مع عدم ذکرهم مفصلا، و إنما زاد فی أخذ المیثاق علی من زاد فی رتبته و شرفه لأن التکلیف إنما یکون بقدر الفهم و الاستعداد، فکلما زاد زاد، و إنما یعرف مراتب الوجود من له حظ منها و بقدر حظه منها، و أما آدم فلما لم یعزم علی الإقرار بالمهدی لم یعد من أولی العزم، و إن عزم علی الإقرار بغیره من الأوصیاء.

" إنما هو فترک" یعنی معنی فنسی هیهنا لیس إلا فترک، و لعل السر فی عدم عزم آدم علی الإقرار بالمهدی استبعاده أن یکون لهذا النوع الإنسانی اتفاق علی أمر

فَقَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ ادْخُلُوهَا فَهَابُوهَا وَ قَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ادْخُلُوهَا فَدَخَلُوهَا فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْداً وَ سَلَاماً فَقَالَ أَصْحَابُ الشِّمَالِ يَا رَبِّ أَقِلْنَا فَقَالَ قَدْ أَقَلْتُكُمُ اذْهَبُوا فَادْخُلُوا فَهَابُوهَا فَثَمَّ ثَبَتَتِ الطَّاعَةُ وَ الْوَلَايَةُ وَ الْمَعْصِيَةُ

2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ حَبِيبٍ السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ ع مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَ بِالنُّبُوَّةِ لِكُلِّ نَبِيٍّ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لَهُ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِنُبُوَّتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ص ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِآدَمَ انْظُرْ مَا ذَا تَرَى قَالَ فَنَظَرَ آدَمُ ع إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَ هُمْ ذَرٌّ قَدْ مَلَئُوا السَّمَاءَ قَالَ آدَمُ ع يَا رَبِّ مَا أَكْثَرَ ذُرِّيَّتِي وَ لِأَمْرٍ مَا خَلَقْتَهُمْ فَمَا تُرِيدُ مِنْهُمْ بِأَخْذِكَ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ

واحد، انتهى.

و أقول: الظاهر أن المراد بعدم العزم عدم الاهتمام به و تذكره، أو عدم التصديق اللسانى حيث لم يكن ذلک واجبا لا عدم التصديق به مطلقا، فإنه لا يناسب منصب النبوة، بل ما هو أدون منه.

و قوله: إنما هو فترک، أى معنى النسيان هنا الترک، لأن النسيان غير مجوز على الأنبياء عليه السلام، أو كان فى قراءتهم عليه السلام" فترک" مكان" فنسى" أو المعنى أن العزم إنما كان ما ذكر، أى العزم على الإقرار المذكور، فترک آدم عليه السلام أو كان المطلوب الإقرار التام و لم يأت به، أو عزم أولا ثم ترک و الأول أظهر.

و فى القاموس الأجيج تلهب النار كالتأجج، و أججتها تأجيجا فتأججت.

الحديث الثانى

: حسن.
قوله: فكان، و ثم قال، و فنظر، الكل معطوف على أخرج، و قوله: قال آدم، جواب لما، و" لأمر ما" أى لأمر عظيم قوله: يعبدوننى، أى أريد منهم أن يعبدوننى، و قوله: لا يشركون بى شيئا، حال أو استئناف بيانى قوله: و كذلک

بِی شَیْئاً وَ یُؤْمِنُونَ بِرُسُلِی وَ یَتَّبِعُونَهُمْ قَالَ آدَمُ ع یَا رَبِّ فَمَا لِی أَرَی بَعْضَ الذَّرِّ أَعْظَمَ مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضَهُمْ لَهُ نُورٌ کَثِیرٌ وَ بَعْضَهُمْ لَهُ نُورٌ قَلِیلٌ وَ بَعْضَهُمْ لَیْسَ لَهُ نُورٌ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ کَذَلِکَ خَلَقْتُهُمْ لِأَبْلُوَهُمْ فِی کُلِّ حَالاتِهِمْ قَالَ آدَمُ ع یَا رَبِّ فَتَأْذَنُ لِی فِی الْکَلَامِ فَأَتَکَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ تَکَلَّمْ فَإِنَّ رُوحَکَ مِنْ رُوحِی وَ طَبِیعَتَکَ [مِنْ] خِلَافِ کَیْنُونَتِی قَالَ آدَمُ یَا رَبِّ فَلَوْ کُنْتَ خَلَقْتَهُمْ عَلَی مِثَالٍ وَاحِدٍ وَ قَدْرٍ وَاحِدٍ وَ طَبِیعَةٍ وَاحِدَةٍ وَ جِبِلَّةٍ وَاحِدَةً وَ أَلْوَانٍ وَاحِدَةٍ وَ أَعْمَارٍ وَاحِدَةٍ وَ أَرْزَاقٍ سَوَاءٍ لَمْ یَبْغِ بَعْضُهُمْ عَلَی بَعْضٍ وَ لَمْ یَکُنْ بَیْنَهُمْ تَحَاسُدٌ وَ لَا تَبَاغُضٌ وَ لَا اخْتِلَافٌ فِی شَیْءٍ مِنَ الْأَشْیَاءِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ یَا آدَمُ بِرُوحِی نَطَقْتَ وَ بِضَعْفِ طَبِیعَتِکَ تَکَلَّفْتَ مَا لَا عِلْمَ لَکَ بِهِ وَ أَنَا الْخَالِقُ

خلقتهم، فی بعض النسخ لذلک أی لأجل الاختلاف، کما قال سبحانه:" وَ لا یَزالُونَ مُخْتَلِفِینَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَ لِذلِکَ خَلَقَهُمْ" علی بعض التفاسیر، أو لأن یعبدونی و لا یشرکوا بی شیئا.

" مِنْ رُوحِی*" أی من روح اصطفیته و اخترته، أو من عالم المجردات بناء علی تجرد النفس، و قیل: الروح الأول النفس، و الثانی جبرئیل، و لا یخفی ما فیه" و طبیعتک" أی خلقتک الجسمانیة البدنیة أو صفاتها التابعة لها" خلاف کینونتی" أی وجودی فإنها من عالم الماذیات، و لا تناسب عالم المجردات أو الخطأ و الوهم ناش منها، و قیل: الکینونة هنا مصدر کان الناقصة و الإضافة أیضا للتشریف، أی صفاتک البدنیة مخالفة للآداب المرضیة لی- ککونک صابرا و قانعا و راضیا بقضائه تعالی، و الجبلة بکسر الجیم و الباء و تشدید اللام: الخلقة، و قوله: و بضعف طبیعتک تکلفت ما لا علم لک به، فی بعض النسخ و بضعف قوتک تکلمت، و الحاصل أن حکمک بأنهم إذا کانوا علی صفات واحدة کان أقرب إلی الحکمة و الصواب إنما نشأ من الأوهام التابعة للقوی البدنیة فإنهم لو کانوا کذلک لم یتیسر التکلیف المعرض لهم لأرفع الدرجات، و لم تبق نظام النوع، و لم یرتکبوا الصناعات الشاقة التی بها بقاء نوعهم

الْعَالِمُ بِعِلْمِی خَالَفْتُ بَیْنَ خَلْقِهِمْ وَ بِمَشِیئَتِی یَمْضِی فِیهِمْ أَمْرِی وَ إِلَی تَدْبِیرِی وَ تَقْدِیرِی صَائِرُونَ لَا تَبْدِیلَ لِخَلْقِی إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ لِیَعْبُدُونِ وَ خَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِی وَ عَبَدَنِی مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ رُسُلِی وَ لَا أُبَالِی وَ خَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ کَفَرَ بِی وَ عَصَانِی

إلی غیر ذلک من الحکم و المصالح.
" بعلمی خالفت بین خلقهم" إذ علمت أن فی مخالفة خلقتهم صلاحهم و بقاء نوعهم" و بمشیتی" أی إرادتی التابعة لحکمتی" یمضی فیهم أمری" أی الأمر التکوینی أو التکلیفی أو الأعم" لا تبدیل لخلقی" أی لتقدیری، أو لما قررت فیهم من القابلیات و الاستعدادات، و قیل: أی من حسنت أحواله فی ذلک الوقت حسنت أحواله فی الدنیا، و من حسنت أحواله فی الدنیا حسنت أحواله فی الآخرة، و من قبحت أحواله فی ذلک الوقت قبحت أحواله فی الموطنین الآخرین لا یتبدل هؤلاء إلی هؤلاء و لا هؤلاء إلی هؤلاء.
أقول: و سیأتی الکلام فی تفسیر قوله تعالی:" لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" و کان هذا إشارة إلیه" إنما خلقت الجن و الإنس لیعبدون" إشارة إلی قوله تعالی:" وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ" و أورد علی ظاهر الآیة أن بعض الجن و الإنس لا یعبدون أصلا إما لکفر أو جنون أو موت قبل البلوغ أو نحو ذلک، و عدم ترتب العلة الغائیة علی فعل الحکیم ممتنع، و أجیب بوجوه أربعة:
الأول: أنه أراد سبحانه بالجن و الإنس الذین بلغوا حد التکلیف قبل الممات و التعلیل المفهوم من اللام أعم من العلة الغائیة، کما روی الصدوق فی التوحید عن أبی الحسن الأول علیه السلام أنه قال معنی قول النبی صلی الله علیه و آله: اعملوا فکل میسر لما خلق له، أن الله عز و جل خلق الجن و الإنس لیعبدوه و لم یخلقهم لیعصوه، و ذلک قوله عز و جل:" وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ" فیسر کلاما لما خلق له، فالویل لمن استحب العمی علی الهدی.

وَ لَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِی وَ لَا أُبَالِی وَ خَلَقْتُکَ وَ خَلَقْتُ ذُرِّیَّتَکَ مِنْ غَیْرِ فَاقَةٍ بِی إِلَیْکَ وَ إِلَیْهِمْ وَ إِنَّمَا خَلَقْتُکَ وَ خَلَقْتُهُمْ لِأَبْلُوَکَ وَ أَبْلُوَهُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا* فِی دَارِ الدُّنْیَا فِی حَیَاتِکُمْ

الثانی: أنه إن سلمنا أن المراد بالجن و الإنس ما هو أعم من المکلفین و أن اللام للعلة الغائیة، لا نسلم العموم فی ضمیر الجمع فی قوله: لیعبدون، إذ لعل المراد عبادة بعض الجن و الإنس.

الثالث: إن سلمنا عموم ضمیر یعبدون أیضا فلا نسلم رجوع الضمیر إلی الجن و الإنس إذ یمکن عوده إلی المؤمنین المذکورین قبل هذه الآیة فی قوله تعالی:" وَ ذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْری تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِینَ" فتدل علی أن خلق غیر المؤمنین لأجل المؤمنین کما یومئ إلیه قوله علیه السلام فی هذا الخبر: و ینظر المؤمن إلی الکافر فیحمدونی و لذلک خلقتهم" إلخ".

الرابع: لو سلمنا جمیع ذلک نقول: ترتب الغایة علی فعل الحکیم و وجوبه إنما هو فیما هو غایة بالذات، و الغایة بالذات هنا إنما هی التکلیف بالعبادة، و العبادة غایة بالعرض، و التکلیف شامل لجمیع أفراد الجن و الإنس للروایات الدالة علی أن الأطفال و المجانین یکلفون فی القیامة کما سیأتی فی کتاب الجنائز.

قوله: و قبل مماتکم، کان تخصیص قبل الممات بالذکر و إن کان داخلا فی الحیاة للتنبیه علی أن المدار علی العاقبة فی السعادة و الشقاوة،" لأبلوک و أبلوهم" أی لأعاملک و إیاهم معاملة المختبر" أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" مفعول ثان للبلوی بتضمین معنی العلم.

وَ قَبْلَ مَمَاتِكُمْ فَلِذَلِکَ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ وَ الْحَيَاةَ وَ الْمَوْتَ وَ الطَّاعَةَ وَ الْمَعْصِيَةَ وَ الْجَنَّةَ وَ النَّارَ وَ كَذَلِکَ أَرَدْتُ فِی تَقْدِيرِی وَ تَدْبِيرِی وَ بِعِلْمِیَ النَّافِذِ فِيهِمْ خَالَفْتُ بَيْنَ صُوَرِهِمْ وَ أَجْسَامِهِمْ وَ أَلْوَانِهِمْ وَ أَعْمَارِهِمْ وَ أَرْزَاقِهِمْ وَ طَاعَتِهِمْ وَ مَعْصِيَتِهِمْ فَجَعَلْتُ مِنْهُمُ الشَّقِیَّ وَ السَّعِيدَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْأَعْمَی وَ الْقَصِيرَ وَ الطَّوِيلَ وَ الْجَمِيلَ وَ الدَّمِيمَ وَ الْعَالِمَ وَ الْجَاهِلَ وَ الْغَنِیَّ وَ الْفَقِيرَ وَ الْمُطِيعَ وَ الْعَاصِیَ وَ الصَّحِيحَ وَ السَّقِيمَ وَ مَنْ بِهِ الزَّمَانَةُ وَ مَنْ لَا عَاهَةَ بِهِ فَيَنْظُرُ الصَّحِيحُ إِلَی الَّذِی بِهِ الْعَاهَةُ فَيَحْمَدُنِی عَلَی عَافِيَتِهِ وَ يَنْظُرُ الَّذِی بِهِ الْعَاهَةُ إِلَی الصَّحِيحِ فَيَدْعُونِی وَ يَسْأَلُنِی أَنْ أُعَافِيَهُ وَ يَصْبِرُ عَلَی بَلَائِی فَأُثِيبُهُ جَزِيلَ عَطَائِی وَ يَنْظُرُ الْغَنِیُّ إِلَی الْفَقِيرِ فَيَحْمَدُنِی وَ يَشْكُرُنِی وَ يَنْظُرُ الْفَقِيرُ إِلَی الْغَنِیِّ فَيَدْعُونِی وَ يَسْأَلُنِی وَ يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَی الْكَافِرِ فَيَحْمَدُنِی عَلَی مَا هَدَيْتُهُ فَلِذَلِکَ خَلَقْتُهُمْ لِأَبْلُوَهُمْ فِی السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ فِيمَا أُعَافِيهِمْ وَ فِيمَا أَبْتَلِيهِمْ وَ فِيمَا أُعْطِيهِمْ

قوله: و الطاعة و المعصية إسناد خلقهما إليه سبحانه إسناد إلى العلة البعيدة، أو المراد به جعل المعصية معصية، و الطاعة طاعة، أو المراد بالخلق التقدير على عموم المجاز أو الاشتراک، و ظاهره أن الجنة و النار مخلوقتان كما هو مذهب أكثر الإمامية بل كلهم، و أكثر العامة، و ذهب جماعة من المعتزلة إلى أنهما غير مخلوقتين الآن، و ستخلقان.

" و بعلمی النافذ فيهم" أی المتعلق بكنه ذواتهم و صفاتهم و أعمالهم، كأنه نفذ فی أعماقهم أو الجاری أثره فيهم" فجعلت منهم الشقی و السعيد" أی من كنت أعلم عند خلقه أنه يصير شقيا، أو المادة القابلة للشقاوة و إن لم يكن مجبورا عليها، و كذا السعيد" و البصير" أی بصرا أو بصيرة، و كذا الأعمى و" الذميم" فی أكثر النسخ بالذال المعجمة، أی المذموم الخلقة، فی القاموس: ذمه ذما و مذمة فهو مذموم و ذميم و بئر ذميم و ذميمة قليلة الماء، غزيرة ضد، و به ذميمة أی زمانة تمنعه الخروج، و كأمير بثر يعلو الوجوه من حر أو جرب، و فی بعض النسخ بالدال المهملة، فی القاموس: و الدمة بالكسر الرجل القصير الحقير، و أدم أقبح أو ولد له ولد قبيح

وَ فِيمَا أَمْنَعُهُمْ وَ أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ الْقَادِرُ وَ لِی أَنْ أَمْضِیَ جَمِيعَ مَا قَدَّرْتُ عَلَی مَا دَبَّرْتُ وَ لِی أَنْ أُغَيِّرَ مِنْ ذَلِکَ مَا شِئْتُ إِلَی مَا شِئْتُ وَ أُقَدِّمَ مِنْ ذَلِکَ مَا أَخَّرْتُ وَ أُؤَخِّرَ مِنْ ذَلِکَ مَا قَدَّمْتُ وَ أَنَا اللَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا أُرِيدُ لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَ أَنَا أُسْأَلُ خَلْقِی عَمَّا

دميم، و قال: الزمانة العاهة و قوله: لأبلوهم بدل لقوله لذلک خلقتهم.
قوله: و لی أن أغير إشارة إلی أن الطينات المختلفة و الخلق منها، و تقدير الأمور المذكورة فيهم ليس مما ينفی اختيار الخير و الشر أو من الأمور الحتمية التی لا تقبل البداء" لا أسأل عما أفعل" إنما لا يسأل لأنه سبحانه الكامل بالذات العادل فی كل ما أراد، العالم بالحكم و المصالح الخفية التی لا تصل إليها عقول الخلق، بخلاف غيره فإنهم مسئولون عن أعمالهم و أحوالهم لأن فيها الحسن و القبيح و الإيمان و الكفر، لا بالمعنی التی تذهب إليه الأشاعرة أنه يجوز أن يدخل الأنبياء عليه السلام النار و الكفار الجنة، و لا يجب عليه شیء، و قيل: إن هذا إشارة إلی عدم الوجوب السابق و جواز تخلف المعلول عن العلة التامة كما اختاره هذا القائل.
و قال بعض أرباب التأويل فی شرح هذا الخبر: إنما ملأوا السماء لأن الملكوت إنما هو فی باطن السماء و قد ملأها، و كانوا يومئذ ملكوتين، و السر فی تفاوت الخلائق فی الخيرات و الشرور و اختلافهم فی السعادة و الشقاوة و اختلاف استعداداتهم و تنوع حقائقهم لتباين المواد السفلية فی اللطافة و الكثافة و اختلاف أمزجتهم فی القرب و البعد من الاعتدال الحقيقی و اختلاف الأرواح التی بإزائها فی الصفاء و الكدورة و القوة و الضعف و ترتب درجاتهم فی القرب من الله سبحانه و البعد عنه كما أشير إليه فی الحديث:
الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة خيارهم فی الجاهلية خيارهم فی الإسلام.
و أما سر هذا السر أعنی سر اختلاف الاستعدادات و تنوع الحقائق فهو تقابل صفات الله سبحانه و أسمائه الحسنی التی هی من أوصاف الكمال و نعوت الجلال، و ضرورة تباين مظاهرها التی بها يظهر أثر تلک الأسماء، فكل من الأسماء يوجب تعلق إرادته سبحانه و قدرته إلی إيجاد مخلوق يدل عليه من حيث اتصافه بتلک الصفة

هُمْ فَاعِلُونَ
3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيِّ وَ عُقْبَةَ جَمِيعاً عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ مَنْ أَحَبَّ مِمَّا أَحَبَّ وَ كَانَ مَا أَحَبَّ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَ خَلَقَ مَنْ أَبْغَضَ مِمَّا أَبْغَضَ وَ كَانَ مِمَّا أَبْغَضَ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظِّلَالِ فَقُلْتُ وَ أَيُّ شَيْءٍ الظِّلَالُ فَقَالَ أَ لَمْ تَرَ إِلَى ظِلِّكَ فِي الشَّمْسِ شَيْئاً وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ثُمَ

فلا بد من إيجاد المخلوقات كلها على اختلافها و تباين أنواعها لتكون مظاهر لأسمائه الحسنى جميعا، و مجالى لصفاته العليا قاطبة، كما أشير إلى لمعة منه فى هذا الحديث، انتهى.
و أقول: هذه الكلمات مبنية على خرافات الصوفية و إنما نورد أمثالها لتطلع على مسالک القوم فى ذلک و آرائهم.

الحديث الثالث

: ضعيف، و قد مضى هذا الخبر بأدنى تغيير فى المتن و السند فى باب فيه نتف و جوامع من الرواية فى الولاية، و قد شرحناه هناک، و قيل:" ما" فى قوله:" ما أحب"" و ما أبغض" مصدرية و قد مضى تأويله بالعلم أو باختلاف الاستعدادات، و المراد بالظل إما عالم الأرواح أو عالم المثال، فعلى الأول شبه الروح المجرد على القول به أو الجسم اللطيف بالظل للطافته و عدم كثافته، أو لكونه تابعا لعالم الأجساد الأصلية، و على الثانى ظاهر، و قوله: شيئا بتقدير تحسبه أو الرؤية بمعنى العلم لكن ينافيه تعديتها بإلى، و الأظهر شىء كما كان فيما مضى.
و قيل: أراد بقوله و ليس بشىء أن الحياة و التكليف فى ذلک الوقت لا يصيران سببا للثواب و العقاب كأفعال النائم و لا يبقى، بل مثال و حكاية عن الحياة و التكليف فى الأبدان و لذا يسمى الوجود الذهنى بالوجود الظلى، لعدم كونه منشأ للآثار و مبدءا للأحكام، و قيل: يمكن أن يراد به عالم الذر المبائن لعالم الأجسام الكثيفة و هو يحكى عن هذا العالم و يشبهه و ليس منه فهو ظل بالنسبة إليه، أو عالم الأرواح

ص: 31
بَعَثَ مِنْهُمُ النَّبِيِّينَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ثُمَّ دَعَوْهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالنَّبِيِّينَ فَأَقَرَّ بَعْضُهُمْ وَ أَنْكَرَ بَعْضٌ ثُمَّ دَعَوْهُمْ إِلَى وَلَايَتِنَا فَأَقَرَّ بِهَا وَ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ وَ أَنْكَرَهَا مَنْ أَبْغَضَ وَ هُوَ قَوْلُهُ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع كَانَ التَّكْذِيبُ ثَمَ

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض خطبه: ألا إن الذرية أفنان أنا شجرتها، و دوحة أنا ساقتها، و إنى من أحمد بمنزلة الضوء، من الضوء، كما إظلالا تحت العرش قبل البشر و قبل خلق الطينة التى كان منها البشر أشباحا حالية لا أجساما نامية.
" لَيَقُولُنَّ اللَّهُ" أى خلقنا الله أو الله خلقنا على اختلاف فى تقديم المحذوف و تأخيره، و المشهور الأول، و الغرض أن اضطرارهم إلى هذا الجواب بمقتضى العهد و الميثاق، قوله فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا
، الآية فى سورة الأعراف هكذا:" تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ" و قال البيضاوى: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بالمعجزات، بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ، أى بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب، أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل و لم يؤثر قط فيهم دعوتهم المتطاولة و الآيات المتتابعة، و اللام لتأكيد النفى و الدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم فى التصميم على الكفر و الطبع على قلوبهم.

بَابُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَوَّلُ مَنْ أَجَابَ وَ أَقَرَّ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص بِأَيِّ شَيْءٍ سَبَقْتَ الْأَنْبِيَاءَ- وَ أَنْتَ بُعِثْتَ آخِرَهُمْ وَ خَاتَمَهُمْ فَقَالَ إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَبِّي وَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ حَيْثُ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَكُنْتُ

باب أن رسول الله (ص) أول من أجاب و أقر لله تعالى بالربوبية

: ضعيف و قد مر فى باب مولد النبى صلى الله عليه و آله.
قوله: سبقت الأنبياء، أى رتبة و فضلا و آخرهم منصوب بالظرفية و خاتمهم مرفوع بالعطف على بعثت، و على طريقة أصحاب التأويل يمكن أن يراد بسبقه صلى الله عليه و آله إلى الإقرار كونه أكثر قابلية و استعدادا لقبول الحق و إدراک المعارف الربانية، و قوله صلى الله عليه و آله حيث أخذ الله، يمكن تعلقه بالجملتين معا و بالأخيرة فقط، كما هو الظاهر، فعلى الأخير يمكن أن يكون سبق الإيمان إشارة إلى سبق خلق روحه على خلق سائر الأرواح و قد آمن عند وجوده، فزمان إيمانه و إقراره أكثر من زمان إيمان الجميع، و يمكن أن يكون المراد الإيمان فى عالم الأجساد أى عند تعلق الروح بالبدن كان معرفتى و إيمانى قبل سائر الأنبياء فإنه صلى الله عليه و آله كان متكلما بالتوحيد فى بطن أمه و هو بعيد، و قيل فى علة تأخيره صلى الله عليه و آله فى الوجود البدنى و البعثة وجوه:" منها" تعظيمه لأن سائر الأنبياء مقدمة له مخبرة بوجوده و بعثته كالمقدمة للسلطان، و منها: تكميله للأديان السابقة كما قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، و منها: تعظيم دينه من جهة نسخه للشرائع السابقة و عدم نسخ شرع آخر، و منها:
أن يكون شاهدا لتبليغ جميع الأنبياء، و أيضا مقتضى الترتيب الترقى من الأدنى

أَنَا أَوَّلَ نَبِیٍّ قَالَ بَلی فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ
2 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع جُعِلْتُ فِدَاکَ إِنِّی لَأَرَی بَعْضَ أَصْحَابِنَا یَعْتَرِیهِ النَّزَقُ وَ الْحِدَّةُ وَ الطَّیْشُ فَأَغْتَمُّ لِذَلِکَ غَمّاً شَدِیداً وَ أَرَی مَنْ خَالَفَنَا فَأَرَاهُ حَسَنَ السَّمْتِ قَالَ لَا تَقُلْ حَسَنَ السَّمْتِ فَإِنَّ السَّمْتَ سَمْتُ الطَّرِیقِ وَ لَکِنْ قُلْ حَسَنَ السِّیمَاءِ- فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ یَقُولُ سِیماهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ قَالَ قُلْتُ فَأَرَاهُ حَسَنَ

إلی الأعلی، و لو جیء بالأدون بعد الأفضل لا تظهر رتبتهما و فضلهما کما لا یخفی.

: مرسل.
و يقال: عراه و اعتراه أى غشيه و أتاه، و النزق بالفتح و التحريک الخفة عند الغضب، و الحدة و الطيش قريبان منه، و قال الجوهرى: السمت الطريق و سمت يسمت بالضم أى قصد، و السمت هيئة أهل الخير، يقال: ما أحسن سمته أى هديه، و قال: السيما مقصور من الواو، قال تعالى:" سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" و قد يجىء السيماء و السيمياء ممدودين، و قال الفيروزآبادى: السمت الطريق و هيئة أهل الخير، و السير على الطريق بالظن و حسن النحو و قصد الشىء، و قال: السيما و السيماء و السيمياء بكسرهن: العلامة، و قال الجزرى: السمت: الهيئة الحسنة، و منه فينظرون إلى سمته و هديه أى حسن هيئته و منظره فى الدين، و ليس من الحسن و الجمال.
و قيل: هو من السمت: الطريق، يقال: ألزم هذا السمت، و فلان حسن السمت أى حسن القصد، و قال الزمخشرى: السمت أخذ النهج و لزوم المحجة يقال:
ما أحسن سمته أى طريقتها أى طريقتها التى ينتهجها فى تحرى الخير و التزيى بزى الصالحين، و فى المصباح: السمت الطريق و القصد و السكينة و الوقار و الهيئة انتهى.

ص: 34
السِّيمَاءِ وَ لَهُ وَقَارٌ فَأَغْتَمُّ لِذَلِکَ قَالَ لَا تَغْتَمَّ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ نَزَقِ أَصْحَابِکَ وَ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ حُسْنِ سِيمَاءِ مَنْ خَالَفَکَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ خَلَقَ تِلْکَ الطِّينَتَيْنِ ثُمَّ فَرَّقَهُمَا فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ کُونُوا خَلْقاً بِإِذْنِی فَکَانُوا خَلْقاً بِمَنْزِلَةِ الذَّرِّ يَسْعَى وَ قَالَ لِأَهْلِ الشِّمَالِ کُونُوا خَلْقاً بِإِذْنِی فَکَانُوا خَلْقاً بِمَنْزِلَةِ الذَّرِّ يَدْرُجُ ثُمَّ رَفَعَ لَهُمْ نَاراً فَقَالَ ادْخُلُوهَا بِإِذْنِی فَکَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَهَا- مُحَمَّدٌ ص ثُمَّ اتَّبَعَهُ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ أَوْصِيَاؤُهُمْ وَ أَتْبَاعُهُمْ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ ادْخُلُوهَا بِإِذْنِی فَقَالُوا رَبَّنَا خَلَقْتَنَا لِتُحْرِقَنَا فَعَصَوْا فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ اخْرُجُوا

و لعل منعه عليه السلام عن إطلاق السمت لأن السمت يكون بمعنى سمت الطريق فيوهم أن طريقهم و مذهبهم حسن فعبر عليه السلام بعبارة أخرى لا يوهم ذلک، أو لما لم يكن السمت بمعنى هيئة أهل الخير فصيحا أمر بعبارة أخرى أفصح منه، أو أنه عليه السلام علم أنه أراد بالسمت السيماء لا هيئة أهل الخير و الطريقة الحسنة و الأفعال المحمودة فلذا نبهه عليه السلام بأن السمت لم يأت بالمعنى الذى أردت و هذا قريب من الأول، و الوقار الاطمئنان و السكينة البدنية" لأصحاب اليمين" أى للذين كانوا فى يمين الملک الذى أمره بتفريقها أو للذين كانوا فى يمين العرش أو للذين علم أنهم سيصيرون من المؤمنين الذين يقفون فى القيامة عن يمين العرش" كونوا خلقا" أى مخلوقين ذوى أرواح، و قيل: أى كونوا أرواحا بمنزلة الذر أى النمل الصغار" يسعى" و إطلاق السعى هنا و الدرج فيما سيأتى إما لمحض التفنن فى العبارة، أو المراد بالسعى سرعة السير، و بالدرج المشى الضعيف كما يقال: درج الصبى إذا مشى أول مشيه فيكون إشارة إلى مسارعة الأولين إلى الخيرات و بطوء الآخرين عنها، و قيل: المراد سعى الأولين إلى العلو و الآخرين إلى السفل، و لا دلالة فى اللفظ عليهما.

" ثم اتبعه أولوا العزم" أى سائرهم عليه السلام، و الكلم: الجرح و الفعل كضرب، و قد يبنى على التفعيل، و فى القاموس: وهج النار تهج وهجا و وهجانا اتقدت، و الاسم الوهج محركة.

بِإِذْنِی مِنَ النَّارِ لَمْ تَكْلِمِ النَّارُ مِنْهُمْ كَلْماً وَ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِمْ أَثَراً فَلَمَّا رَآهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ قَالُوا رَبَّنَا نَرَى أَصْحَابَنَا قَدْ سَلِمُوا فَأَقِلْنَا وَ مُرْنَا بِالدُّخُولِ قَالَ قَدْ أَقَلْتُكُمْ فَادْخُلُوهَا فَلَمَّا دَنَوْا وَ أَصَابَهُمُ الْوَهَجُ رَجَعُوا فَقَالُوا يَا رَبَّنَا لَا صَبْرَ لَنَا عَلَى الِاحْتِرَاقِ فَعَصَوْا فَأَمَرَهُمْ بِالدُّخُولِ ثَلَاثاً كُلَّ ذَلِكَ يَعْصُونَ وَ يَرْجِعُونَ وَ أَمَرَ أُولَئِكَ ثَلَاثاً كُلَّ ذَلِكَ يُطِيعُونَ وَ يَخْرُجُونَ فَقَالَ لَهُمْ كُونُوا طِيناً بِإِذْنِی فَخَلَقَ مِنْهُ آدَمَ قَالَ

و أقول: ما عرفت من التأويلات فی الأخبار السابقة يمكن إجراء أكثرها فی هذا الخبر كان يقال: لما كان من علم الله منهم السعادة تابعين للعقل و المقتضيات للنفس المقدس فكأنها طينتهم، و من علم الله منهم الشقاوة تابعين للشهوات البدنية و دواعی النفس الأمارة فكأنها طينتهم، و لما مزج الله بينهما فی عالم الشهود جری فی غالب الناس الطاعة و المعصية، و الصفات القدسية و الملكات الرديئة، فما كان من الخيرات فهو من جهة العقل و النفس و هما طينة أصحاب اليمين و إن كان فی أصحاب الشمال، و ما كان من الشرور و المعاصی فهو من الأجزاء البدنية التی هی طينة أصحاب الشمال و إن كان فی أصحاب اليمين، و يمكن أيضا أن يقال: المعنی أن الله تعالی لما قرر فی خلقة آدم عليه السلام و طينته دواعی الخير و الشر و علم أنه يكون فی ذريته السعداء و الأشقياء و خلق آدم عليه السلام مع علمه بذلک فكأنه خلط بين الطينتين، و لما كان أولاد آدم مدنيين بالطبع لا بد لهم فی نشأة الدنيا من المخالطة و المصاحبة، فالسعداء يكتسبون الصفات الذميمة من مخالطة الأشقياء و بالعكس.

فلعل قوله: من لطخ أصحاب الشمال و من لطخ أصحاب اليمين إشارة إلى هذا المعنی، و لما كان السبب الأقوی فی اكتساب السعداء صفات الأشقياء، استيلاء أئمة الجور و أتباعهم علی أئمة الحق و أتباعهم، و علم الله أن المؤمنين إنما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم و عدم تولی أئمة الحق لسياستهم فيعذرهم بذلک، و يعفو عنهم و يعذب أئمة الجور و أتباعهم بتسببهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم.

فَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَكُونُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَ مَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَكُونُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَ مَا رَأَيْتَ مِنْ نَزَقِ أَصْحَابِکَ وَ خُلُقِهِمْ فَمِمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ لَطْخِ أَصْحَابِ الشِّمَالِ وَ مَا رَأَيْتَ مِنْ حُسْنِ سِيمَاءِ مَنْ خَالَفَکُمْ وَ وَقَارِهِمْ فَمِمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ لَطْخِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ سَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ص بِأَیِّ شَیْءٍ سَبَقْتَ وُلْدَ آدَمَ قَالَ إِنِّی أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِرَبِّی إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِیثَاقَ النَّبِیِّینَ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی فَکُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ

بَابُ کَیْفَ أَجَابُوا وَ هُمْ ذَرٌّ

1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع کَیْفَ أَجَابُوا وَ هُمْ ذَرٌّ قَالَ جَعَلَ فِیهِمْ مَا

کما ورد فی بعض الأخبار: أن الله تعالی یلحق الأعمال السیئة التی اقترفها المؤمنون بالنواصب لأنها من طینتهم، و الأعمال الحسنة التی اکتسبها النواصب بالمؤمنین لأنها من طینتهم، و قد أوردنا الأخبار فی ذلک فی کتابنا الکبیر، و هذا باب غامض تعجز العقول عن إدراکها و الإقرار بالجهل و العجز فی مثله أولی.

الحديث الثالث

: ضعيف و شرحه ظاهر مما مر.

باب كيف أجابوا و هم ذر

الحديث الأول

اشارة

: حسن.
" ما إذا سألهم" كلمة" ما" موصولة و العائد محذوف أى أجابوه به، أى جعل

إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ يَعْنِی فِی الْمِيثَاقِ

فی کل ذرة العقل و آلة السمع و آلة النطق، و من حمل الآية علی الاستعارة و التمثيل بحمل الخبر علی أن المراد به أن ذلک کناية عن أنه جعلهم بحيث إذا سئلوا فی عالم الأبدان أجابوا بلسان المقال و هو بعيد، و روی العياشی فی تفسيره بإسناده عن الأصبغ بن نباتة عن علی عليه السلام قال: أتاه ابن الکواء فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنی عن الله تعالی هل کلم أحدا من ولد آدم قبل موسی عليه السلام؟ فقال علی عليه السلام: قد کلم الله جميع خلقه برهم و فاجرهم و ردوا عليه الجواب، فثقل ذلک علی ابن الکواء و لم يعرفه، فقال له: کيف کان ذلک يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ کتاب الله إذ يقول لنبيه:" وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی" فأسمعهم کلامه و ردوا عليه الجواب کما تسمع فی قوله الله يا ابن الکواء:" قالُوا بَلی" فقال لهم: إنی أنا الله لا إله إلا أنا و أنا الرحمن، فأقروا له بالطاعة و الربوبية و ميز الرسل و الأنبياء و الأوصياء، و أمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلک فی الميثاق، فقالت الملائکة: شهدنا عليکم يا بنی آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا کنا عن هذا غافلين.

ثم قال العياشی: قال أبو بصير: قلت لأبی عبد الله عليه السلام أخبرنی عن الذر حيث أشهدهم علی أنفسهم أ لست بربکم قالوا بلی و أسر بعضهم خلاف ما أظهر کيف علموا القول حيث قيل لهم أ لست بربکم؟ قال: إن الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه و روی أيضا عن أبی بصير عن أبی عبد الله عليه السلام فی قول الله:" أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی" قلت: قالوا بألسنتهم؟ قال: نعم، و قالوا بقلوبهم، قلت: و أی شیء کانوا يومئذ؟ قال: صنع فيهم ما اکتفی به.

تذييل نفعه جليل

اعلم أن آيات الميثاق و الأخبار الواردة فى ذلک مما يقصر عنه عقول أكثر

الخلق، و للناس فيها مسالک:
الأول: طريقة المحدثين و المتورعين فإنهم يقولون نؤمن بظاهرها و لا نخوض فيها و لا نطرق فيها التوجيه و التأويل.
و الثانى: حملها على الاستعارة و المجاز و التمثيل.
و الثالث: حملها على أخذ الميثاق فى عالم التكليف بعد إكمال العقل بالبرهان و الدليل.
فلنذكر هنا بعض ما ذكره أصحابنا و المخالفون فى ذلک.
فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد (ره) فى جواب المسائل السروية حيث سئل:
ما قوله أدام الله تأييده فى معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية عليه السلام فى الأشباح و خلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفى عام و إخراج الذرية من صلبه على صور الذر، و معنى قول رسول الله صلى الله عليه و آله: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف؟
الجواب و بالله التوفيق أن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها و تتباين معانيها، و قد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة و صنفوا فيها كتبا لغوا فيها و هزوا فيما أثبتوه منه فى معانيها، و أضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحق و تخرصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سموه كتاب الأشباح و الأظلة نسبوه فى تأليفه إلى محمد بن سنان و لسنا نعلم صحة ما ذكروه فى هذا الباب عنه و إن كان صحيحا، فإن ابن سنان قد طعن عليه و هو متهم بالغلو، فإن صدقوا فى إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضال عن الحق، و إن كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلک، و الصحيح من حديث الأشباح الرواية التى جاءت عن الثقات بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحا يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله و أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و فاطمة صلوات الله عليهم، و أعلمه أنه لو لا الأشباح

التى رآها ما خلقه و لا خلق سماء و لا أرضا و الوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح و الصور لآدم أن دله على تعظيمهم و تبجيلهم، و جعل ذلک إجلالا لهم و مقدمة لما يفترضه من طاعتهم و دليلا على أن مصالح الدين و الدنيا لا يتم إلا بهم، و لم يكونوا فى تلک الحال صورا مجيبة و لا أرواحا ناطقة لكنها كانت على مثل صورهم فى البشرية يدل على ما يكونون عليه فى المستقبل فى الهيئة و النور الذى جعله عليهم يدل على نور الدين بهم و ضياء الحق بحججهم، و قد روى أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاک على العرش و أن آدم لما تاب إلى الله عز و جل و ناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه و محلهم عنده فأجابه، و هذا غير منكر فى العقول و لا مضاد للشرع المنقول و قد رواه الصالحون الثقات المأمونون و سلم لروايته طائفة الحق و لا طريق إلى إنكاره و الله ولى التوفيق.

" فصل"

و مثل ما بشر الله به آدم عليه السلام من تأهيله بنبيه عليه و آله السلام لما أهله له، و تأهيل أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليه السلام لما أهلهم له، و فرض عليه تعظيمهم و إجلالهم كما بشر به فى الكتب الأولى من بعثته لنبينا صلى الله عليه و آله فقال فى محكم كتابه:" النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" و قوله تعالى مخبرا عن المسيح عليه السلام:" وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ" و قوله سبحانه:" وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ" يعنى رسول الله صلى الله عليه و آله فحصلت البشائر به من الأنبياء

و أممهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود، و إنما أراد جل اسمه بذلک إجلاله و إعظامه و أن يأخذ العهد على الأنبياء و الأمم كلها، فلذلک أظهر لآدم عليه السلام صورة شخصه و أشخاص أهل بيته عليه السلام، و أثبت أسماءهم له ليخبره بعاقبتهم و بين له عن محلهم عنده و منزلتهم لديه، و لم يكونوا فى تلک الحال أحياء ناطقين و لا أرواحا مكلفين، و إنما كانت أشباحهم دالة عليهم حسب ما ذكرناه.

" فصل"

و قد بشر الله عز و جل بالنبى و الأئمة عليه السلام فى الكتب الأولى فقال فى بعض كتبه التى أنزلها على أنبيائه عليه السلام و أهل الكتب يقرءونه، و اليهود يعرفونه أنه ناجى إبراهيم الخليل فى مناجاته: إنى قد عظمتک و باركت عليک و على إسماعيل و جعلت منه اثنى عشر عظيما و كبرتهم جدا جدا و جعلت منهم شعبا عظيما لأمة عظيمة و أشباه ذلک كثيرة فى كتب الله تعالى الأولى.

" فصل"

فأما الحديث فى إخراج الذرية من صلب آدم عليه السلام على صورة الذر فقد جاء الحديث بذلک على اختلاف ألفاظه و معانيه، و الصحيح أنه إخراج الذرية من ظهره كالذر فملأ بهم الأفق، و جعل على بعضهم نورا لا يشوبه ظلمة، و على بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، و على بعضهم نورا و ظلمة، فلما رآهم آدم عليه السلام عجب من كثرتهم و ما عليهم من النور و الظلمة، فقال: يا رب ما هؤلاء؟ قال الله عز و جل له:
هؤلاء ذريتک، يريد تعريفه كثرتهم، و امتلاء الآفاق بهم، و أن نسله يكون فى الكثرة كالذر الذى رآه ليعرفه قدرته، و يبشره باتصال نسله و كثرتهم، فقال آدم عليه السلام: يا رب ما لى أرى على بعضهم نورا لا ظلمة فيه، و على بعضهم ظلمة لا يشوبها نور، و على بعضهم ظلمة و نورا؟ فقال تبارک و تعالى: أما الذى عليهم النور منهم بلا ظلمة فهم أصفيائى من ولدک الذين يطيعونى و لا يعصونى فى شىء من أمرى، فأولئک سكان الجنة، و أما الذين عليهم ظلمة و لا يشوبها نور فهم الكفار من ولدک الذين يعصونى و لا يطيعونى، فأما الذين عليهم نور و ظلمه فأولئک الذين يطيعونى من ولدک

و يعصونى، فيخلطون أعمالهم السيئة بأعمال حسنة، فهؤلاء أمرهم إلى إن شئت عذبتهم فبعدلى، و إن شئت عفوت عنهم فبفضلى، فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده و شبههم بالذر الذى أخرجهم من ظهره، و جعله علامة على كثرة ولده، و يحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره و جعل أجسام ذريته دون أرواحهم، و إنما فعل الله تعالى ذلک ليدل آدم عليه السلام على العاقبة منه، و يظهر له من قدرته و سلطانه و عجائب صنعته، و أعلمه بالكائن قبل كونه، و ليزداد آدم عليه السلام به يقينا بربه، و يدعوه ذلک إلى التوفر على طاعته، و التمسک بأوامره، و الاجتناب لزواجره.
فأما الأخبار التى جاءت بأن ذرية آدم عليه السلام استنطقوا فى الذر فنطقوا فأخذ عليهم العهد فأقروا فهى من أخبار التناسخية و قد خلطوا فيها و مزجوا الحق بالباطل و المعتمد من إخراج الذرية ما ذكرناه دون ما عداه مما استمر القول به على الأدلة العقلية و الحجج السمعية، و إنما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه.

" فصل"

فإن تعلق بقوله تبارک إسمه:" وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ" فظن بظاهر هذا القول تحقق ما رواه أهل التناسخ و الحشوية و العامة فی إنطاق الذرية و خطابهم و أنهم کانوا أحياء ناطقين؟ فالجواب عنه: أن لهذه الآية من المجاز فی اللغة کنظائرها مما هو مجاز و استعارة، و المعنی فيها أن الله تبارک و تعالی أخذ من کل مکلف يخرج من ظهر آدم و ظهور ذريته العهد عليه بربوبيته من حيث أکمل عقله و دله بآثار الصنعة علی حدثه، و أن له محدثا أحدثه لا يشبهه، يستحق العبادة منه بنعمة عليه، فذلک هو أخذ العهد منهم و آثار الصنعة فيهم و الإشهاد لهم علی أنفسهم بأن الله تعالی ربهم

و قوله تعالى:" قالُوا بَلى" يريد به أنهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم، و دلائل حدثهم اللازمة لهم، و حجة العقل عليهم فى إثبات صانعهم، فكأنه سبحانه لما ألزمهم الحجة بعقولهم على حدثهم و وجود محدثهم قال لهم أ لست بربكم فلما لم يقدروا على الامتناع من لزوم دلائل الحدث لهم كانوا كقائلين بَلى شَهِدْنا، و قوله تعالى أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، أ لا ترى أنه احتج عليهم بما لا يقدرون يوم القيامة أن يتأولوا فى إنكاره، و لا يستطيعون و قد قال سبحانه:
" وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ" و لم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر فى الصلاة، و إنما أراد به غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع لله و هو معبر عنه بالساجد قال الشاعر:
بجمع تظل البلق فى حجراته ترى الأكم فيها سجدا للحوافر
يريد أن الحوافر تدل الأكم بوطئها عليها، و قوله تعالى:" ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ" و هو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام، و لا السماء قالت قولا مسموعا، و إنما أراد أنه عمد إلى السماء فخلقها و لم يتعذر عليه صنعتها، فكأنه لما خلقها قال لها و للأرض ائتيا طوعا أو كرها، فلما تعلقتا بقدرته كانتا كالقائل أتينا طائعين، و كمثل قوله تعالى:" يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" و الله تعالى يجل عن خطاب النار و هو مما لا يعقل و لا يتكلم، و إنما الخبر عن سعتها و أنها لا تضيق بمن يحلها من المعاقبين، و ذلک كله على مذهب أهل اللغة و عادتهم فى المجاز، أ لا

ترى إلى قول الشاعر:
و قالت له العينان سمعا و طاعة و أسبلتا كالدر ما لم يثقب
و العينان لم تقل قولا مسموعا و لكنه أراد منها البكاء، فكانتا كما أراد من غير تعذر عليه، و مثله قول عنترة:
فازود من وقع القنا بلبانه و شكا إلى بعبرة و تحمحم
و الفرس لا يشتكى قولا لكنه ظهر منه علامة الخوف و الجزع، فسمى ذلک قولا، و منه قول الآخر:" و شكا إلى جملى طول السرى" و الجمل لا يتكلم لكنه لما ظهر منه النصب و الوصب لطول السرى عبر عن هذه العلامة بالشكوى التى يكون كالنطق و الكلام، و منه قولهم أيضا:
امتلاء الحوض و قال قطنى حسبک منى قد ملأت بطنى
و الحوض لم يقل قطنى لكنه لما امتلاء بالماء عبر عنه بأنه قال: حسبى، و لذلک أمثال كثيرة فى منثور كلام العرب و منظومة، و هو من الشواهد على ما ذكرناه فى تأويل الآية، و الله تعالى نسأل التوفيق.

" فصل"

فأما الخبر بأن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام فهو من أخبار الآحاد، و قد روته العامة كما روته الخاصة، و ليس هو مع ذلک مما يقطع على الله بصحته، و إنما نقله رواته لحسن الظن به، و إن ثبت القول فالمعنى فيه أن الله تعالى قدر الأرواح فى علمه قبل اختراع الأجساد و اخترع الأجساد و اخترع لها الأرواح، فالخلق للأرواح قبل الأجساد خلق تقدير فى العلم كما قدمناه، و ليس بخلق لذواتها كما وصفناه، و الخلق لها بالإحداث و الاختراع بعد خلق الأجساد و الصور التى تدبرها الأرواح، و لو لا أن ذلک كذلک لكانت الأرواح يقوم بأنفسها و لا تحتاج إلى آلات تعتملها، و لكنا نعرف ما سلف لنا من الأحوال قبل خلق الأجساد كما نعلم أحوالنا بعد خلق الأجساد، و هذا محال لإخفاء بفساده.

و أما الحديث بأن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف، فالمعنى فيه أن الأرواح التى هى الجواهر البسائط تتناصر بالجنس، و تتخاذل بالعوارض، فما تعارف منها باتفاق الرأى و الهوى ائتلف، و ما تناكر منها بمباينة فى الرأى و الهوى اختلف، و هذا موجود حسا و مشاهد، و ليس المراد بذلک أن ما تعارف منها فى الذر ائتلف كما يذهب إليه الحشوية كما بيناه من أنه لا علم للإنسان بحال كان عليها قبل ظهوره فى هذا العالم، و لو ذكر بكل شىء ما ذكر بذلک فوضح بما ذكرناه أن المراد بالخبر ما شرحناه و الله الموفق للصواب، انتهى.

و أقول: طرح ظواهر الآيات و الأخبار المستفيضة بأمثال تلک الدلائل الضعيفة و الوجوه السخيفة جرأة على الله و على أئمة الدين، و لو تأملت فيما يدعوهم إلى ذلک من دلائلهم و ما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أن بأمثالها لا يمكن الاجتراء على طرح خبر واحد فكيف يمكن طرح تلک الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها و بأمثالها، و قد أوردنا الأخبار الدالة على تقدم خلق الأرواح على الأجساد فى كتاب السماء و العالم من كتابنا الكبير و تكلمنا عليها هناک.

و منها: ما ذكره السيد المرتضى رضى الله عنه فى قوله تعالى:" وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ" الآية، حيث قال: و قد ظن بعض من لا بصيرة له و لا فطنة عنده، أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى سبحانه استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته و هم فى خلق الذر، فقررهم بمعرفته و أشهدهم على أنفسهم، و هذا التأويل مع أن العقل يبطله و يحيله، مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه، لأن الله تعالى قال وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ، و لم يقل من آدم، و قال مِنْ ظُهُورِهِمْ، و لم يقل: من ظهره، و قال ذُرِّيَّتَهُمْ، و لم يقل: ذريته، ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلک لئلا يقولوا يوم القيامة إنهم كانوا عن ذلک غافلين، أو يعتذروا بشرک آبائهم و أنهم نشأوا على دينهم و سنتهم، و هذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لصلبه، و أنها إنما

تناولت من كانت له آباء مشركون، و هذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية بنى آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم.
فأما شهادة العقول فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التى استخرجت من ظهر آدم عليه السلام و خوطبت و قررت من أن تكون كاملة العقول، مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كذلک، فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم و إنشائهم و إكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلک الحال، و ما قرروا به و استشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى و إن بعد العهد و طال الزمان و لهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا فى بلد من البلدان و هو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم و سائر أحواله.
و ليس أيضا لتخلل الموت بين الحالين تأثير، لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم و السكر و الجنون و الإغماء بين أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم، لأن سائر ما عددناه مما نفى العلوم يجرى مجرى الموت فى هذا الباب، و ليس لهم أن يقولوا إذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفولية جاز ما ذكرنا، و ذلک أنا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم و هم كاملو العقل، و لو كانوا بصفة الأطفال فى تلک الحال لم توجب عليهم ما أوجبناه، على أن تجويز النسيان عليهم ينقض الفرض فى الآية، و ذلک أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قررهم و أشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلک و سقوط الحجة عنهم فيه، و إذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجة عنهم و زوالها، و إن كانوا على صفة الثانية من فقد العلم و شرائط التكليف قبح خطابهم و تقريرهم و إشهادهم، و صار ذلک عبثا قبيحا يتعالى الله عنه.
فإن قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم؟
قلنا: فى الآية وجهان" أحدهما" أن يكون تعالى إنما عنى بها جماعة من ذرية

بنى آدم خلقهم و بلغهم و أكمل عقولهم و قررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته و ما يجب من طاعته، فأقروا بذلک و أشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرک آبائهم، و إنما أتى من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن الذرية لا يقع إلا على من لم يكن كاملا عاقلا و ليس الأمر كما ظن لأنا نسمى جميع البشر بأنهم ذرية آدم و إن دخل فيهم العقلاء الكاملون و قد قال الله تعالى:" رَبَّنا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِی وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَ أَزْواجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ" و لفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملا عاقلا فإن استبعدوا تأويلنا و حملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم. الجواب الثانى: أنه تعالى لما خلقهم و ركبهم تركيبا يدل على معرفته و يشهد بقدرته و وجوب عبادته و أراهم العبر و الآيات و الدلائل فى غيرهم و فى أنفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم و كانوا فى مشاهدة ذلک و معرفته و ظهوره فيهم على الوجه الذى أراده الله تعالى و تعذر امتناعهم منه و انفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف و إن لم يكن هناک إشهاد و لا اعتراف على الحقيقة، و يجرى ذلک مجرى قوله تعالى" ثُمَّ اِسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ" و إن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة و لا منهما جواب، و مثله قوله تعالى:" شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ" و نحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم و أنهم لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به، و مثل هذا قولهم: جوارحى تشهد بنعمتک و حالى معترفة بإحسانک، و ما روى عن بعض الحكماء: سل الأرض من شق أنهارک و غرس أشجارک و جنى ثمارک فإن لم تجبک حوارا إجابتک اعتبارا، و هذا باب كبير و له نظائر كثيرة فى النظم و النثر يغنى

عن ذكر جميعها القدر الذى ذكرناه منها.
و منها: ما ذكره الرازى فى تفسير تلک الآية حيث قال: فى تفسير تلک الآية قولان مشهوران" الأول" و هو مذهب المفسرين و أهل الأثر: ما روى مسلم بن يسار الجهنى أن عمر سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله سئل عنها؟ فقال:
إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة، و إذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار، و عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته إلى يوم القيامة، و قال مقاتل: إن الله مسح ظهر آدم اليمنى فخرج منه ذرية بيضاء كهيأة الذر تتحرک ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيأة الذر فقال: يا آدم هؤلاء ذريتک ثم قال لهم: أ لست بربكم قالوا بلى فقال للبيض: هؤلاء فى الجنة برحمتى و هم أصحاب اليمين و قال للسود: هؤلاء فى النار و لا أبالى و هم أصحاب الشمال و أصحاب المشيمة ثم أعادهم جميعا فى صلب آدم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال و أرحام النساء، و قال تعالى فيمن نقض العهد الأول:" وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ" و هذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب و سعيد بن جبير و الضحاک و عكرمة و الكلبى.
و أما المعتزلة فقد أطبقوا على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه

و احتجوا على فساد هذا القول بوجوه:" الأولى": أنه قال من بنى آدم، من ظهورهم فقوله: من ظهورهم بدل من قوله: بنى آدم، فلم يذكر الله أنه أخذ من ظهر آدم شيئا.
الثانية: أنه لو كان كذلک لما قال: من ظهورهم، و لا من ذرياتهم بل قال: من ظهره و ذريته.
الثالثة: أنه تعالى حكى عن أولئک الذرية أنهم قالوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ، و هذا الكلام لا يليق بأولاد آدم لأنه عليه السلام ما كان مشركا.
الرابعة: أن أخذ الميثاق لا يمكن إلا من العاقل فلو أخذ الله الميثاق من أولئک لكانوا عقلاء، و لو كانوا عقلاء و أعطوا ذلک الميثاق حال عقلهم لوجب أن يتذكروا فى هذا الوقت أنهم أعطوا الميثاق قبل دخولهم فى هذا العالم لأن الإنسان إذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فإنه لا يجوز مع كونه عاقلا أن ينساها نسيانا كليا لا يتذكر منها شيئا لا بالقليل و لا بالكثير و بهذا الدليل يبطل القول بالتناسخ، فإنا نقول لو كانت أرواحنا قد حصلت قبل هذه الأجساد فى أجساد أخرى لوجب أن نتذكر الآن أنا كنا قبل هذا الجسد فى أجساد أخرى، و حيث لم نتذكر ذلک كان القول بالتناسخ باطلا، فإذا كان اعتمادنا فى إبطال التناسخ ليس إلا على هذا الدليل و هذا الدليل بعينه قائم فى هذه المسألة وجب القول بمقتضاه.
الخامسة أن جميع الخلق الذين خلقهم الله من أولاد آدم عليه السلام عدد عظيم و كثرة كثيرة فالمجموع الحاصل من تلک الذرات تبلغ مبلغا عظيما فى الحجمية و المقدار، و صلب آدم على صغره يبعد أن يتسع لهذا المجموع.
السادسة: أن البنية شرط لحصول الحياة و العقل و الفهم، إذ لو لم يكن كذلک لم يبعد فى كل ذرة من الذرات الهباء أن تكون عاقلا فاهما مصنفا للتصانيف الكثيرة فى العلوم الدقيقة، و فتح هذا الباب يفضى إلى التزام الجهالات، و إذا ثبت أن البنية شرط لحصول الحياة فكل واحد من تلک الذرات لا يمكن أن يكون فاهما عاقلا

إلا إذا حصلت له قدرة من البنية و الجثة، و إذا كان كذلک فمجموع تلک الأشخاص الذين خرجوا إلى الوجود من أول تخليق آدم عليه السلام إلى آخر فناء الدنيا لا تحويهم عرصة الدنيا فكيف يمكن أن يقال إنهم بأسرهم حصلوا دفعة واحدة فى صلب آدم عليه السلام.

السابعة: قالوا هذا الميثاق إما أن يكون قد أخذ الله منهم فى ذلک الوقت ليصير حجة عليهم فى ذلک الوقت أو ليصير حجة عليهم عند دخولهم فى دار الدنيا، و الأول باطل لانعقاد الإجماع على أن بسبب ذلک القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للثواب و العقاب و المدح و الذم، و لا يجوز أن يكون المطلوب منه أن يصير ذلک حجة عليهم عند دخولهم فى دار الدنيا، لأنهم لما لم يذكروا ذلک الميثاق فى الدنيا فكيف يصير حجة عليهم فى التمسک بالإيمان.

الثامنة: قال الكعبى إن حال أولئک الذرية لا يكون أعلى فى الفهم و العلم من حال الأطفال، فلما لم يمكن توجيه التكليف على الطفل فكيف يمكن توجيهه على أولئک الذر؟ و أجاب الزجاج عنه و قال: لما لم يبعد أن يؤتى الله النمل كما قال:" قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ" و أن يعطى الجبل الفهم حتى يسبح كما قال:

" وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ" و كما أعطى الله العقل للبعير حتى سجد للرسول صلى الله عليه و آله، و للنخلة حتى سمعت و انقادت حين دعيت فكذا هنا.

التاسعة: أن أولئک الذر فى ذلک الوقت إما أن يكونوا كاملى العقول و القدر أو ما كانوا كذلک، فإن كان الأول كانوا مكلفين لا محالة، و إنما يبقون مكلفين إذا عرفوا الله بالاستدلال، و لو كانوا كذلک لما امتازت أحوالهم فى ذلک الوقت عن أحوالهم فى هذه الحياة الدنيا، فلو افتقر التكليف فى الدنيا إلى سبق ذلک الميثاق

لافتقر التكليف فى سبق ذلک الميثاق إلى سبق ميثاق آخر و لزم التسلسل و هو محال، و أما الثانى و هو أن يقال: إنهم فى وقت ذلک الميثاق ما كانوا كاملى العقول، و لا كاملى القدر، فحينئذ يمتنع توجيه الخطاب و التكليف عليهم.

العاشرة: قوله تعالى:" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ" و لو كانت تلک الذرات عقلاء فاهمين كاملين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق و لا معنى للإنسان إلا ذلک الشىء، فحينئذ لا يكون الإنسان مخلوقا من الماء الدافق و ذلک رد لنص القرآن، فإن قالوا: لم لا يجوز أن يقال: أنه تعالى خلقه كامل العقل و الفهم و القدرة عند الميثاق ثم أزال عقله و فهمه و قدرته، ثم إنه خلقه مرة أخرى إلى رحم الأم و أخرجه إلى هذه الحياة الدنيا؟ قلنا: هذا باطل لأنه لو كان الأمر كذلک لما كان خلقه من النطفة خلقا على سبيل الابتداء بل كان تجب أن يكون خلقا على سبيل الإعادة، و أجمع المسلمون على أن خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ فدل هذا على أن ما ذكرتموه باطل.

الحادية عشر: هى أن تلک الذرات إما أن يقال أنه عين هؤلاء الناس أو غيرهم، و القول الثانى باطل بالإجماع فى القول الأول، فنقول: إما أن يقال إنهم بقوا فهماء عقلاء قادرين حال ما كانوا نطفة و علقة و مضغة، أو ما بقوا كذلک و الأول باطل ببديهة العقل، و الثانى يقتضى أن يقال الإنسان حصل له الحياة أربع مرات، أولها وقت الميثاق، و ثانيها فى الدنيا، و ثالثها فى القبر، و رابعها فى القيامة و أنه حصل له الموت ثلاث مرات موت بعد الحياة الحاصلة فى الميثاق الأول، و موت فى الدنيا و موت فى القبر، و هذا العدد مخالف للعدد المذكور فى قوله تعالى:" رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ

وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ".
الثانية عشر: قوله تعالى:" وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ" فلو كان القول بهذا الذر صحيحا لكان ذلک الذر هو الإنسان لأنه هو المكلف المخاطب المثاب المعاقب، و ذلک باطل لأن الذر غير مخلوق من النطفة و العلقة و المضغة، و نص الكتاب دليل على أن الإنسان مخلوق من النطفة و العلقة و المضغة، و هو قوله:
" وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ" و قوله:" قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ".
فهذه جملة الوجوه المذكورة فى بيان أن هذا القول ضعيف.
و القول الثانى فى تفسير هذه الآية قول أصحاب النظر و أرباب المعقولات أنه أخرج الذر و هم الأولاد من أصلاب آبائهم، و ذلک الإخراج أنهم كانوا نطفة، فأخرجها الله تعالى فى أرحام الأمهات و جعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا و خلقا كاملا، ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته و عجائب خلقه و غرائب صنعه، فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى، و إن لم يكن هناک قول باللسان، و لذلک نظائر منها قوله تعالى:" فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ" و منها قوله تعالى:" إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" و قول العرب: قال الجدار للوتد لم تشقنى؟ قال: سل من يدقنى فإن الذى ورائى ما خلانى ورائى و قال الشاعر:" امتلاء الحوض و قال قطنى".
و هذا النوع من المجاز و الاستعارة مشهورة فى الكلام، فوجب حمل الكلام عليه فهذا هو الكلام فى تقرير هذين القولين، و هذا القول الثانى لا طعن فيه البتة، و بتقدير أن يصح هذا القول لم يكن ذلک منافيا لصحة القول الأول، إنما الكلام فى

أن القول الأول هل يصح أم لا.
فإن قال قائل: فما المختار عندكم فيه؟ قلنا: هيهنا مقامان:" أحدهما" أنه هل يصح القول بأخذ الميثاق عن الذر؟ و الثانى أن بتقدير أن يصح القول به فهل يمكن جعله تفسيرا لألفاظ هذه الآية؟
أما المقام الأول فالمنكرون له قد تمسكوا بالدلائل العقلية التى ذكرناها و قررناها، و يمكن الجواب عن كل واحد منها بوجه مقنع:
أما الوجه الأول من الوجوه العقلية المذكورة و هو أنه لو صح القول بأخذ هذه الميثاق لوجب أن نتذكره الآن؟ قلنا: خالق العلم بحصول الأحوال الماضية هو الله تعالى لأن هذه العلوم عقلية ضرورية، و العلوم الضرورية خالقها هو الله تعالى، و إذا كان كذلک صح منه تعالى أن يخلقها، فإن قالوا: فإذا جوزتم هذا فجوزوا أن يقال أن قبل هذا البدن كنا فى أبدان أخرى على سبيل التناسخ و إن كنا لا نتذكر الآن أحوال تلک الأبدان؟ قلنا: الفرق بين الأمرين ظاهر، و ذلک لأنا إذا كنا فى أبدان أخرى و بقينا فيها سنين و دهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها أما أخذ هذا الميثاق إنما حصل فى أسرع زمان و أقل وقت فلم يبعد حصول النسيان و الفرق الظاهر حاكم بصحة هذا الفرق لأن الإنسان إذا بقى على العمل الواحد سنين كثيرة يمتنع أن ينساها، أما إذا مارس العمل الواحد لحظة واحدة فقد ينساها فظهر الفرق.
و أما الوجه الثانى و هو أن يقال: مجموع تلک الذرات يمتنع حصولها بأسرها فى ظهر آدم عليه السلام؟ قلنا: عندنا البنية ليست شرطا لحصول الحياة و الجوهر الفرد و الجزء الذى لا يتجزى قابل للحياة و العقل، فإذا جعلنا كل واحد من تلک الذرات جوهرا فردا فلم قلتم أن ظهر آدم لا يتسع لمجموعها، إلا أن هذا الجواب لا يتم إلا إذا قلنا: الإنسان جوهر فرد و جزء لا يتجزى فى البدن، على ما هو مذهب

بعض القدماء، و أما إذا قلنا الإنسان هو النفس الناطقة و أنه جوهر غير متحيز و لا حال فى متحيز فالسؤال زائل.
و أما الوجه الثالث و هو قوله: فائدة أخذ الميثاق هى أن تكون حجة فى ذلک الوقت أو فى الحياة الدنيا، فجوابنا أن نقول: يفعل الله ما يشاء و يحكم ما يريد، و أيضا أ ليس أن من المعتزلة إذا أرادوا تصحيح القول بوزن الأعمال و إنطاق الجوارح قالوا: لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين فى إسماع هذه الأشياء لطف، فكذا هيهنا لا يبعد أن يكون لبعض الملائكة من تميز السعداء من الأشقياء فى وقت أخذ الميثاق لطف، و قيل: أيضا إن الله تعالى يذكرهم ذلک الميثاق يوم القيامة.
و بقية الوجوه ضعيفة و الكلام عليها سهل هين. و أما المقام الثانى و هو أن بتقدير أن يصح القول بأخذ الميثاق من الذر فهل يمكن جعله تفسيرا لألفاظ هذه الآية فنقول: الوجوه الثلاثة المذكورة أولا دافعة لذلک، لأن قوله: أخذ ربک من بنى آدم، من ظهورهم، ذريتهم، فقد بينا أن المراد منه و إذ أخذ ربک من ظهور بنى آدم، و أيضا لو كانت هذه الذرية مأخوذة من ظهر آدم يقال من ظهره، ذريته، و لم يقل من ظهورهم، ذريتهم، أجاب الناصرون لذلک القول بأنه صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه فسر هذه الآية بهذا الوجه، و الطعن فى تفسير رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم غير ممكن؟ فنقول: ظاهر الآية تدل على أنه تعالى أخرج ذرا من ظهور بنى آدم فيحمل ذلک على أنه تعالى يعلم أن الشخص الفلانى يتولد منه فلان، و من ذلک الفلان فلان آخر، فعلى الترتيب الذى علم دخولهم فى الوجود يخرجهم و يميز بعضهم من بعض، و أما أنه تعالى يخرج كل تلک الذرية من صلب آدم فليس فى لفظ الآية ما يدل على ثبوته، و ليس فى الآية أيضا ما يدل على بطلانه إلا أن الخبر قد دل عليه، فثبت إخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر، و على هذا التقدير فلا منافاة بين الأمرين و لا مدافعة فوجب

ص: 54
بَابُ فِطْرَةِ الْخَلْقِ عَلَى التَّوْحِيدِ
1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها قَالَ التَّوْحِيدُ

المصير إليهما معا صونا للآية و الخبر عن الطعن بقدر الإمكان، فهذا منتهى الكلام فى تقرير هذا المقام، انتهى.
و لنكتف بنقل ما نقلنا من غير تعرض لجرح و تعديل فإن من له بصيرة نافذة إذا أحاط بما نقلنا من الأخبار و كلام من تكلم فى ذلک يتضح له طريق الوصول إلى ما هو الحق فى ذلک بفضله تعالى.

باب فطرة الخلق على التوحيد

: حسن.
" فِطْرَتَ اللَّهِ" إشارة إلى قوله سبحانه فى سورة الروم:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً" قال البيضاوى أى فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه، و هو تمثيل للإقبال و الاستقامة عليه و به" فِطْرَتَ اللَّهِ" خلقته، نصب على الإغراء أو المصدر بما دل عليه ما بعدها" الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها" خلقهم عليها و هى قبولهم للحق و تمكنهم من إدراكه، أو لملة الإسلام فإنهم لو خلوا و ما خلقوا عليه أدى بهم إليها، و قيل:
العهد المأخوذ من آدم و ذريته" لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغى أن يغيره" ذلِكَ" إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة" وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ" استقامته لعدم تدبرهم، انتهى.

و قال فى النهاية: فيه: كل مولود يولد على الفطرة، الفطر الابتداء و الاختراع و الفطرة منه الحالة كالجلسة و الركبة، و المعنى أنه يولد على نوع من الجبلة و الطبع المتهيّئ لقبول الدين، فلو ترک عليها لاستمر على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها، و إنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر و التقليد، ثم تمثل بأولاد اليهود و النصارى فى اتباعهم لآبائهم، و الميل إلى أديانهم من مقتضى الفطرة السليمة، و قيل:
معناه كل مولود يولد على معرفة الله و الإقرار به، فلا تجد أحدا إلا و هو يقر بأن الله صانعه و إن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره، و منه حديث حذيفة: على غير فطرة محمد، أراد دين الإسلام الذى هو منسوب إليه، انتهى.
و قيل: الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الإيجاد و هو إيجاد الإنسان على نوع مخصوص من الكمال و هو التوحيد و معرفة الربوبية مأخوذا عليهم ميثاق العبودية و الاستقامة على سنن العدل، و قال بعض العامة: الفطرة ما سبق من سعادة أو شقاوة، فمن علم الله سعادته ولد على فطرة الإسلام، و من علم شقاوته ولد على فطرة الكفر، تعلق بقوله تعالى:" لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" و بحديث الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام طبع يوم طبع كافرا فإنه يمنع من كون تولده على فطرة الإسلام، و أجيب عن الأول بأن معنى لا تبديل: لا تغيير يعنى لا يكون بعضهم على فطرة الكفر و بعضهم على فطرة الإسلام، و يؤيده قوله صلى الله عليه و آله كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه فإن المراد بهذه الفطرة فطرة الإسلام.
و عن الثانى بأن المراد بالطبع حالة ثانية طرأت و هى التهيؤ للكفر عن الفطرة التى ولد عليها.
و قال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقا قابلا للهداية و متهيئا لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها، لأن فطرة الإسلام و صوابها موضوع فى العقول، و إنما يدفع العقول عن إدراكها تغيير الأبوين أو غيرهما.

ص: 56

2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها مَا تِلْكَ الْفِطْرَةُ قَالَ هِيَ الْإِسْلَامُ فَطَرَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ قَالَ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَ فِيهِ الْمُؤْمِنُ وَ الْكَافِرُ

و أجيب عنه بأن حمل الفطرة على الإسلام لا يأباه العقل، و ظاهر الروايات من طريق الأمة يدل عليه، و حملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوى.

: صحيح.
و قال فى المصباح المنير: فطر الله الخلق فطرأ من باب قتل خلقهم، و الاسم الفطرة بالكسر، قال الله تعالى:" فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها" و قوله عليه السلام:
كل مولود يولد على الفطرة قيل: معناه الفطرة الإسلامية و الدين الحق و إنما أبواه يهودانه و ينصرانه، أى ينقلانه إلى دينهما و هذا التفسير مشكل إن حمل اللفظ على حقيقته فقط، لأنه يلزم منه أن لا يتوارث المشركون مع أولادهم الصغار قبل أن يهودوهم و ينصروهم و اللازم منتف، بل الوجه حمله على الحقيقة و المجاز معا، أما حمله على مجازه فعلى ما قبل البلوغ، و ذلک أن إقامة الأبوين على دينهما سبب لجعل الولد تابعا لهما، فلما كانت الإقامة سببا جعلت تهويدا و تنصيرا مجازا، ثم أسند إلى الأبوين توبيخا و تقبيحا عليهما كأنه قال: أبواه بإقامتهما على الشرک يجعلانه مشركا، و يفهم من هذا أنه لم أقام أحدهما على الشرک و أسلم الآخر لا يكون مشركا بل مسلما، و قد جعل البيهقى هذا معنى الحديث فقال: فقد جعل رسول الله صلى الله عليه و آله حكم الأولاد قبل أن يختاروا لأنفسهم حكم الآباء فيما يتعلق بأحكام الدنيا، و أما حمله على الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجوه الكفر من الأولاد انتهى.
و قوله: على التوحيد متعلق بفطر و أخذ على التنازع.

ص: 57

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها قَالَ فَطَرَهُمْ جَمِیعاً عَلَی التَّوْحِیدِ

4 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَیْنَةَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- حُنَفاءَ لِلَّهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ قَالَ الْحَنِیفِیَّةُ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِی فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَیْها لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ- قَالَ

الحديث الثالث

: صحيح و قد مر شرحه.

: حسن.
قوله: حنفاء الله، إشارة إلى قوله سبحانه فى سورة الحج:" فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ" أى اجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان كما يجتنب الأنجاس و كل افتراء، و عن الصادق عليه السلام الرجس من الأوثان الشطرنج، و قول الزور الغناء و قال الطبرسى (ره): حنفاء لله، أى مستقيمى الطريقة على ما أمر الله مائلين عن سائر الأديان" غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ" أى حجاجا مخلصين و هم مسلمون موحدون لا يشركون فى تلبية الحج به أحدا، و قال فى النهاية فيه: خلقت عبادى حنفاء، أى طاهرى الأعضاء من المعاصى لا أنه خلقهم كلهم مسلمين لقوله تعالى:" هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ" و قيل: أنه أراد خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق أ لست بربكم قالوا بلى، فلا يوجد أحد إلا و هو مقر بأن له ربا و إن أشرک به و اختلفوا فيه، و الحنفاء جمع حنيف و هو المائل إلى الإسلام الثابت عليه، و الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم، و أصل الحنف الميل و منه الحديث: بعثت بالحنيفة السمحة السهلة، انتهى.
" لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" أى بأن يكون كلهم أو بعضهم عند الخلق مشركين بل

فَطَرَهُمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِهِ قَالَ زُرَارَةُ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلی أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قالُوا بَلی الْآیَةَ قَالَ أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّیَّتَهُ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَةِ فَخَرَجُوا کَالذَّرِّ فَعَرَّفَهُمْ وَ أَرَاهُمْ نَفْسَهُ وَ لَوْ لَا ذَلِکَ لَمْ یَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ وَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص کُلُّ مَوْلُودٍ یُولَدُ عَلَی الْفِطْرَةِ یَعْنِی الْمَعْرِفَةَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَالِقُهُ کَذَلِکَ قَوْلُهُ وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللَّهُ

کان کلهم مسلمین مقرین به أو قائلین للمعرفة و أراهم نفسه بالرؤیة العقلیة الشبیهة بالرؤیة العینیة فی الظهور لیرسخ فیهم معرفته، و یعرفوه فی دار التکلیف، و لو لا تلک المعرفة المیثاقیة لم یحصل لهم تلک القابلیة و فسر علیه السلام الفطرة فی الحدیث بالمجبولیة علی معرفة الصانع و الإذعان به" کذلک قوله" أی هذه الآیة أیضا محمولة علی هذا المعنی:" وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ" أی کفار مکة کما ذکره المفسرون أو الأعم کما هو أظهر من الخبر" لَیَقُولُنَّ اللَّهُ" لفطرتهم علی المعرفة.
و قال البیضاوی: لوضوح الدلیل المانع من إسناد الخلق إلی غیره بحیث اضطروا إلی إذعانه، انتهی.
و المشهور أنه مبنی علی أن کفار قریش لم یکونوا ینکرون أن الصانع هو الله، بل کانوا یعبدون الأصنام لزعمهم أنها شفعاء عند الله، و ظاهر الخبر أن کل کافر لو خلی و طبعه و ترک العصبیة و متابعة الأهواء و تقلید الأسلاف و الآباء لأقر بذلک، کما ورد ذلک فی الأخبار الکثیرة.
قال بعض المحققین: الدلیل علی ذلک ما نری أن الناس یتوکلون بحسب الجبلة علی الله، و یتوجهون توجها غریزیا إلی مسبب الأسباب و مسهل الأمور الصعاب، و إن لم یتفطنوا لذلک، و یشهد لهذا قول الله عز و جل:" قُلْ أَ رَأَیْتَکُمْ إِنْ أَتاکُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْکُمُ السَّاعَةُ أَ غَیْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ، بَلْ إِیَّاهُ تَدْعُونَ

فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ".
و فی تفسیر مولانا العسکری علیه السلام أنه سئل مولانا الصادق علیه السلام عن الله؟
فقال للسائل: یا أبا عبد الله هل رکبت سفینة قط؟ قال: بلی، قال: فهل کسرت بک حیث لا سفینة تنجیک و لا سباحة تغنیک؟ قال: بلی، فهل تعلق قلبک هناک أن شیئا من الأشیاء قادر علی أن یخلصک من ورطتک؟ قال: بلی، قال الصادق علیه السلام فذلک الشیء هو الله القادر علی الإنجاء حین لا منجی، و علی الإغاثة حین لا مغیث.
و لهذا جعلت الناس معذورین فی ترکهم اکتساب المعرفة بالله عز و جل، متروکین علی ما فطروا علیه، مرضیا عنهم بمجرد الإقرار بالقول، و لم یکلفوا الاستدلالات العلمیة فی ذلک، و إنما التعمق لزیادة البصیرة و لطائفة مخصوصة، و أما الاستدلال فللرد علی أهل الضلال.
ثم أن أفهام الناس و عقولهم متفاوتة فی قبول مراتب العرفان و تحصیل الاطمئنان کما و کیفا، شدة و ضعفا، سرعة و بطأ، حالا و علما، و کشفا و عیانا، و إن کان أصل المعرفة فطریا إما ضروری أو یهتدی إلیه بأدنی تنبیه، فلکل طریقة هداه الله عز و جل إلیها إن کان من أهل الهدایة، و الطرق إلی الله بعدد أنفاس الخلائق، و هم درجات عند الله، یرفع الله الذین آمنوا و الذین أوتوا العلم درجات.
قال بعض المنسوبین إلی العلم: اعلم أن أظهر الموجودات و أجلاها هو الله عز و جل، فکان هذا یقتضی أن یکون معرفته أول المعارف و أسبقها إلی الأفهام و أسهلها علی العقول و نری الأمر بالضد من ذلک، فلا بد من بیان السبب فیه، و إنما قلنا:
إن أظهر الموجودات و أجلاها هو الله تعالی لمعنی لا نفهمه إلا بمثال هو أنا إذا رأینا إنسانا یکتب أو یخیط مثلا کان کونه حیا من أظهر الموجودات فحیاته و علمه و قدرته للخیاطة أجلی عندنا من سائر صفاته الظاهرة و الباطنة، إذ صفاته الباطنة

كشهوته و غضبه و خلقه و صحته و مرضه و كل ذلک لا نعرفه، و صفاته الظاهرة لا نعرف بعضها و بعضها نشک فيه كمقدار طوله و اختلاف لون بشرته و غير ذلک من صفاته، أما حياته و قدرته و إرادته و علمه و كونه حيوانا فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته و قدرته و إرادته، فإن هذه الصفات لا تحس بشىء من الحواس الخمس، ثم لا يمكن أن يعرف حياته و قدرته و إرادته إلا بخياطته و حركته، فلو نظرنا إلى كل ما فى العالم سواه لم نعرف به صفاته، فما عليه إلا دليل واحد و هو مع ذلک جلى واضح.

و وجود الله و علمه و قدرته و سائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده و ندركه بالحواس الظاهرة و الباطنة من حجر و مدر و نبات و شجر و حيوان و سماء و أرض و كوكب و بر و بحر و نار و هواء و جوهر و عرض، بل أول شاهد عليه أنفسنا و أجسامنا و أصنافنا و تقلب أحوالنا و تغير قلوبنا، و جميع أطوارنا فى حركاتنا و سكناتنا و أظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس، ثم مدركاتنا و سكناتنا بالبصيرة و العقل و كل واحد من هذه المدركات له مدرک واحد و شاهد واحد و دليل واحد، و جميع ما فى العالم شواهد ناطقة و أدلة شاهدة بوجود خالقها و مدبرها و مصرفها و محركها و دالة على علمه و قدرته و لطفه و حكمته، و الموجودات المدركة لا حصر لها.

فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا و ليس يشهد له إلا شاهد واحد و هو ما أحسنا من حركة يده، فكيف لا يظهر عندنا من لا يتصور فى الوجود شىء داخل نفوسنا و خارجها إلا و هو شاهد عليه و على عظمته و جلاله، إذ كل ذرة فإنها تنادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها و لا حركتها بذاتها و إنما يحتاج إلى موجد و محرک لها، يشهد بذلک أولا تركيب أعضائنا و ائتلاف عظامنا و لحومنا و أعصابنا و نبات شعورنا و تشكل أطرافنا و سائر أجزائنا الظاهرة و الباطنة، فإنا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها، كما نعلم أن يد الكاتب لم يتحرک بنفسها، و لكن لما لم يبق فى الوجود

مدرک و محسوس و معقول و حاضر و غائب إلا هو، و شاهد و معرف عظم ظهوره، فانبهرت العقول و دهشت عن إدراکه. فإذا ما یقصر عن فهمه عقولنا له سببان: أحدهما خفاؤه فی نفسه و غموضه و ذلک لا یخفی مثاله، و الآخر ما یتناهی وضوحه و هذا کما أن الخفاش یبصر باللیل و لا یبصر بالنهار لا لخفاء النهار و استتاره و لکن لشدة ظهوره، فإن بصر الخفاش ضعیف یبهره نور الشمس إذا أشرق، فیکون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببان لامتناع إبصاره فلا یری شیئا إلا إذا امتزج الظلام بالضوء و ضعف ظهوره فکذلک عقولنا ضعیفة و جمال الحضرة الإلهیة فی نهایة الإشراق و الاستنارة، و فی غایة الاستغراق و الشمول حتی لا یشذ عن ظهوره ذرة من ملکوت السماوات و الأرض فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره و اختفی عن البصائر و الأبصار بظهوره، و لا تتعجب من اختفاء ذلک بسبب الظهور، فإن الأشیاء تستبان بأضدادها و ما عم وجوده حتی لا ضد له عسر إدراکه، فلو اختلف الأشیاء فدل بعضها دون البعض أدرکت التفرقة علی قرب، و لما اشترکت فی الدلالة علی نسق واحد أشکل الأمر.
و مثاله نور الشمس المشرق علی الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الإعراض یحدث فی الأرض و یزول عند غیبة الشمس، فلو کانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها لکنا نظن أن لا هیئة فی الأجسام إلا ألوانها و هی السواد و البیاض و غیرها، فإنا لا نشاهد فی الأسود إلا السواد، و فی الأبیض إلا البیاض، و أما الضوء فلا ندرکه وحده لکن لما غابت الشمس و أظلمت المواضع أدرکنا تفرقة بین الحالتین، فعلمنا أن الأجسام کانت قد استضاءت بضوء و اتصفت بصفة فارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه، و ما کنا نطلع علیه لو لا عدمه إلا بعسر شدید، و ذلک لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غیر مختلفة فی الظلام و النور.
هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به یدرک سائر المحسوسات، فما هو

ظاهر فی نفسه و هو مظهر لغیره، انظر کیف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لو لا طریان ضده، فإذا الرب تعالی هو أظهر الأمور و به ظهرت الأشیاء کلها، و لو کان له عدم أو غیبة أو تغیر لانهدمت السماوات و الأرض و بطل الملک و الملکوت، و لأدرکت التفرقة بین الحالتین، و لو کان بعض الأشیاء موجودا به و بعضها موجودا بغیره لأدرکت التفرقة بین الشیئین فی الدلالة، و لکن دلالته عامة فی الأشیاء علی نسق واحد، و وجوده دائم فی الأحوال یستحیل خلافه، فلا جرم أورث شدة الظهور خفاء.

فهذا هو السبب فی قصور الأفهام، و أما من قویت بصیرته و لم یضعف منته فإنه فی حال اعتدال أمره لا یری إلا الله و أفعاله، و أفعاله أثر من آثار قدرته، فهی تابعة له فلا وجود لها بالحقیقة، و إنما الوجود للواحد الحق الذی به وجود الأفعال کلها، و من هذا حاله فلا ینظر فی شیء من الأفعال إلا و یری فیه الفاعل، و یذهل عن الفعل من حیث أنه سماء و أرض و حیوان و شجر، بل ینظر فیه من حیث أنه صنع، فلا یکون نظره مجاوزا له إلی غیره کمن نظر فی شعر إنسان أو خطه أو تصنیفه، و رأی فیه الشاعر و المصنف و رأی آثاره من حیث هی آثاره لا من حیث إنها حبر و عفص و زاج مرقوم علی بیاض، فلا یکون قد نظر إلی غیر المصنف.

فکل العالم تصنیف الله تعالی فمن نظر إلیها من حیث إنها فعل الله، و عرفها من حیث إنها فعل الله، و أحبها من حیث إنها فعل الله لم یکن ناظرا إلا فی الله، و لا عارفا إلا بالله و لا محبا إلا لله، و کان هو الموحد الحق الذی لا یری إلا الله، بل لا ینظر إلی نفسه من حیث نفسه، بل من حیث هو عبد الله.

فهذا هو الذی یقال فیه أنه فنی فی التوحید و أنه فنی من نفسه، و إلیه الإشارة بقول من قال: کنا بنا ففنینا عنا فبقینا بلا نحن، فهذه أمور معلومة عند ذوی البصائر أشکلت لضعف الأفهام عن درکها و قصور قدرة العلماء عن إیضاحها و بیانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلی الأفهام، لاشتغالهم بأنفسهم و اعتقادهم أن بیان ذلک لغیرهم مما

لا يغنيهم، فهذا هو السبب فى قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى.
و انضم إليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان فى الصبى عند فقد العقل قليلا قليلا و هو مستغرق الهم بشهواته، و قد أنس بمدركاته و محسوساته ألفها، فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس.
و لذلک إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو فعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال: سبحان الله و هو يرى طول النهار نفسه و أعضاءه و سائر الحيوانات المألوفة و كلها شواهد قاطعة و لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها و لو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن عينه فامتد بصره إلى السماء و الأرض و الأشجار و النبات و الحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة يخاف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها.
و هذا و أمثاله من الأسباب مع الانهماک فى الشهوات و هى التى سدت على الخلق سبيل الاستضائة بأنوار المعرفة و السباحة فى بحارها الواسعة، و الجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاضة فهذا سد الأمر، فليتحقق و لذلک قيل:

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا و كيف يعرف من بالعرف استترا

أقول: و فى كلام سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين على جده و أبيه و أمه و أخيه و عليه و بنيه سلام الله، ما يرشدک إلى هذا العيان، بل يغنيک عن هذا البيان حيث قال فى دعاء عرفة: كيف يستدل عليک بما هو فى وجوده مفتقر إليک أ يكون لغيرک من الظهور ما ليس لک حتى يكون هو المظهر لک، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليک، و متى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليک، عميت عين لا تراک و لا تزال عليها رقيبا، و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبک نصيبا.
و قال أيضا: تعرفت لكل شىء، فما جهلک شىء.

عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ ابْنِ أَبِی جَمِیلَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ الْحَلَبِیِّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا قَالَ فَطَرَهُمْ عَلَی التَّوْحِیدِ

بَابُ کَوْنِ الْمُؤْمِنِ فِی صُلْبِ الْکَافِرِ

1 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ عَلِیِّ بْنِ مَیْسَرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ نُطْفَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَکُونُ فِی صُلْبِ الْمُشْرِکِ فَلَا یُصِیبُهُ مِنَ الشَّرِّ شَیْءٌ حَتَّی إِذَا صَارَ فِی رَحِمِ الْمُشْرِکَةِ لَمْ یُصِبْهَا مِنَ الشَّرِّ شَیْءٌ حَتَّی تَضَعَهُ فَإِذَا وَضَعَتْهُ لَمْ یُصِبْهُ مِنَ الشَّرِّ شَیْءٌ حَتَّی یَجْرِیَ عَلَیْهِ الْقَلَمُ

2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ یَقْطِینٍ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ مُوسَی ع قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنِّی قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ دَعْوَةِ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع

و قال: تعرفت إلی فی کل شیء فرأیتک ظاهرا فی کل شیء فأنت الظاهر لکل شیء.

الحديث الخامس

: ضعيف.

باب كون المؤمن فى صلب الكافر

الحديث الأول

: ضعيف على المشهور.
" فلا يصيبه من الشر" و فى بعض النسخ من الشرک، أى يحفظه الله من أن يصيبه من شرک الأبوين أو شركهما شىء، بحيث يضره واقعا و الحكم عليه بالكفر و النجاسة بالتبعية قبل البلوغ نظرا إلى الظاهر لا ينافى إيمانه الواقعى فى علم الله.

: حسن كالصحيح.
و كان يقطين بن موسى من دعاة العباسية فى ابتداء دولتهم و كان له اختصاص بهم، قال الشيخ فى الفهرست: على بن يقطين (ره) ثقة جليل القدر له منزلة عظيمة

عَلَى يَقْطِينٍ وَ مَا وَلَدَ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ فِي صُلْبِ الْكَافِرِ بِمَنْزِلَةِ الْحَصَاةِ فِي اللَّبِنَةِ يَجِيءُ الْمَطَرُ فَيَغْسِلُ اللَّبِنَةَ وَ لَا يَضُرُّ الْحَصَاةَ شَيْئاً

عند أبى الحسن موسى عليه السلام، عظيم المكان فى الطائفة، و كان يقطين من وجوه الدعاة و طلبه مروان فهرب، و ابنه على بن يقطين هذا ولد بالكوفة سنة أربع و عشرين و مائة و هربت أم على به و بأخيه عبيد بن يقطين إلى المدينة، فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين و عادت أم على بعلى و عبيد فلم يزل يقطين فى خدمة أبى العباس و أبى جعفر المنصور، و مع ذلک كان يتشيع و يقول بالإمامة، و كذلک ولده يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد عليه السلام و نمى خبره إلى المنصور و المهدى فصرف الله عنه كيدهما، انتهى.

و أقول: هذا الخبر و ما تقدم فى باب كراهية التوقيت يدلان على أن يقطين لم يكن مشكورا و كان منحرفا عن هذه الناحية، و هذا الخبر يدل على أن الصادق عليه السلام كان دعا على يقطين و ولده و لعنهم و كان على مشفقا خائفا من أن يصيبه أثر تلک الدعوة و اللعنة، فأجاب عليه السلام بأن اللعنة و سائر الشرار لا تصيب المؤمن الذى فى صلب الكافر، و شبه ذلک بالحصاة فى اللبنة، فإنه لا يضر الحصاة ما تقع على اللبنة من المطر و غيره، فعلى هذا شبه عليه السلام اللعنة بالمطر لأن المطر يفتت اللبنة و يفرقها و يبطلها، فكذا اللعنة تبطل من تصيبه و تفتته و تفرقه.

و يحتمل أن يكون شبه عليه السلام الرحمة و الألطاف التى تشمل من الله تعالى المؤمن بالمطر، و يكون الغرض أن ألطافه سبحانه و رحماته التى تحفظ طينة المؤمن تغسله و تظهره من لوث الكفر و ما يلزمه و ما يتبعه من اللعنات و العقوبات كما يغسل المطر لوث الطين من الحصاة و لعله أظهر.

و حاصل الكلام على الوجهين أن دعاؤه عليه السلام كان مشروطا بعدم إيمانهم و لم يكن مطلقا، و كان غرضه عليه السلام اللعن على من يشبهه من أولاده.

قوله عليه السلام شيئا، أى من الضرر، و فى بعض النسخ شىء أى من الآفات و اللعنات و الشرور.

بَابُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْمُؤْمِنَ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُسْلِمٍ الْحُلْوَانِيِّ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الصَّيْقَلِ الرَّازِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً تُسَمَّى الْمُزْنَ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مُؤْمِناً أَقْطَرَ مِنْهَا قَطْرَةً فَلَا تُصِيبُ

باب إذا أراد الله أن يخلق المؤمن

: مجهول.
و فى المصباح حلوان بالضم بلد مشهور من سواد العراق و هى آخر مدن العراق و بينها و بين بغداد نحو خمس مراحل، قيل: سميت باسم بانيها و هو حلوان بن عمران ابن الحارث بن قضاعة، و فى القاموس: المزن بالضم السحاب أو أبيضه أو ذو الماء، انتهى.
و كان التسمية هنا على التشبيه، قيل: هذا الحديث كما يناسب ما قيل من أن المراد بالطينة الأصول الممتزجات المنقلة فى أطوار الخلقة كالنطفة و ما قبلها من موادها مثل النبات و الغذاء و ما بعدها من العلقة و المضغة و المزاج الإنسانى القابل للنفس الناطقة المدبرة، كذلک يناسب ما ذكر من أن المراد بالطينة طينة الجنة لأن طينة الجنة اختمارها و تربيتها بهذه القطرة كما أنه بماء العذب الفرات المذكور سابقا، و بالجملة خلقه من طينة الجنة و مزجها بماء الفرات أولا و تربيتها بماء المزن ثانيا لطف منه تعالى بالنسبة إلى المؤمن ليحصل له الوصول إلى أعلى مراتب القرب، انتهى.
و قال بعض المحققين من أهل التأويل: الجنة تشمل جنان الجبروت و الملكوت، و المزن الحساب و هو أيضا يعم سحاب ماء الرحمة و الجود و الكرم

بَقْلَةً وَ لَا ثَمَرَةً أَكَلَ مِنْهَا مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ إِلَّا أَخْرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ صُلْبِهِ مُؤْمِناً

و سحاب ماء المطر و الخصب و الديم، و كما أن لكل قطرة من ماء المطر صورة و سحابا انفصلت منه فى عالم الملک كذلک له صورة و سحاب انفصلت منه فى عالمى الملكوت و الجبروت، و كما أن البقلة و الثمرة تتربى بصورتها الملكوتية كذلک تتربى بصورتيها الملكوتية و الجبروتية المخلوقتين من ذكر الله تعالى اللتين من شجرة المزن الجنانى و كما أنهما تتربيان بها قبل الأكل كذلک تتربيان بها بعد الأكل فى بدن الآكل، فإنها ما لم تستحل إلى صورة العضو فهى بعد فى التربية، فالإنسان إذا أكل بقلة أو ثمرة ذكر الله عز و جل عندها و شكر الله عليها، و صرف قوتها فى طاعة الله سبحانه و الأفكار الإيمانية و الخيالات الروحانية فقد تربت تلک البقلة أو الثمرة فى جسده بماء المزن الجنانى، فإذا فضلت من مادتها فضلة منوية فهى من شجرة المزن التى أصلها فى الجنة و إذا أكلها على غفلة من الله سبحانه، و لم يشكر الله عليها و صرف قوتها فى معصية الله تعالى و الأفكار المموهة الدنيوية و الخيالات الشهوانية، فقد تربت تلک البقلة أو الثمرة فى جسده بماء آخر غير صالح لخلق المؤمن إلا أن يكون قد تحقق تربيتها بماء المزن الجنانى قبل الأكل، و أما مأكولة الكافر التى يخلق منها المؤمن فإنما يتحقق تربيتها بذلک الماء قبل أكله لها غالبا، و لذكر الله عند زرعها أو غرسها مدخل فى تلک التربية، و كذلک لحل ثمنها و تقوى زارعها أو غارسها إلى غير ذلک من الأسباب.

ص: 68
بَابٌ فِی أَنَّ الصِّبْغَةَ هِیَ الْإِسْلَامُ
1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِیعاً عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً- قَالَ الْإِسْلَامُ وَ قَالَ فِی قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَدِ

باب أن الصبغة هى الإسلام

: صحيح.
قوله صِبْغَةَ اللَّهِ
، أقول: تمام الآية و ما يتعلق بها هكذا:" وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ. مُسْلِمُونَ، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ" يعنى قالت اليهود كونوا هودا، و قالت النصارى كونوا نصارى" بَلْ مِلَّةَ" أى بل نكون أهل ملة إبراهيم، أو بل نتبع ملة إبراهيم، و الحنيف: المائل عن كل دين إلى الحق" وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" تعريض بأهل الكتابين فإنهم كانوا يدعون أتباع ملة إبراهيم، و هم مع ذلك على الشرك، و الأسباط حفدة يعقوب عليه السلام.
" صِبْغَةَ اللَّهِ" قال البيضاوى أى صبغنا الله صبغة، و هى فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، فإنها حلية الإنسان، كما أن الصبغة حلية المصبوغ، أو هدانا هدايته أو أرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره و سماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم

اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقی قَالَ هِیَ الْإِیمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِیکَ لَهُ

ظهور الصبغ على المصبوغ، و تداخل فی قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فی ماء أصفر يسمونه العمودية، و يقولون هو تطهير لهم و به تحق نصرانيتهم، و نصبها على أنه مصدر مؤكد لقوله آمنا و قيل: على الإغراء، أی عليكم صبغة الله، و قيل: على البدل من ملة إبراهيم،" وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً" لا صبغة أحسن من صبغته" وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ" تعريض بهم أی لا نشرک به كشرككم، انتهى.

و قيل: على هذه الأخبار يحتمل أن تكون منصوبة على المصدر من مسلمون، ثم يحتمل أن يكون معناها و موردها مختصا بالخواص و الخلص المخاطبين بقولوا دون سائر أفراد بنی آدم، بل يتعين هذا المعنى إن فسر الإسلام بالخضوع و الانقياد للأوامر و النواهی كما فعلوه، و إن فسر بالمعنى العرفی فتوجيه التعميم فيه كتوجيه التعميم فی فطرة الله. و قيل صِبْغَةَ اللَّهِ إبداع الممكنات و إخراجها من العدم إلى الوجود و إعطاء كل ما يليق به من الصفات و الغايات و غيرهما.

قوله فَقَدِ اسْتَمْسَکَ

، قال تعالى" فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها" و فسر الطاغوت فی الأخبار بالشيطان و بأئمة الضلال، و الأولى التعميم ليشمل كل ما عبد من دون الله من صنم أو صاد عن سبيل الله" وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ" بالتوحيد و تصديق الرسل و أوصيائهم" فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى" أی طلب الإمساک من نفسه بالحبل الوثيق، و هی مستعار ملتمسک الحق من النظر الصحيح و الدين القويم" لَا انْفِصامَ لَها" أی لا انقطاع لها.

و ما ورد فی الخبر من تفسيره بالإيمان كان المراد به أنه تعالى شبه الإيمان الكامل بالعروة الوثقى، و على ما ورد فی كثير من الأخبار من أن المراد بالطاغوت

ص: 70
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ سِرْحَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرْقَدٍ عَنْ حُمْرَانَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً قَالَ الصِّبْغَةُ هِیَ الْإِسْلَامُ
3 حُمَیْدُ بْنُ زِیَادٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ غَیْرِ وَاحِدٍ عَنْ أَبَانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً قَالَ الصِّبْغَةُ هِیَ الْإِسْلَامُ وَ قَالَ فِی قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقی قَالَ هِیَ الْإِیمَانُ

الغاصبون للخلافة فالمعنی من رفض متابعة أئمة الضلالة و آمن بما جاء من عند الله فی علی و الأوصیاء من بعده علیه السلام فقد آمن بالله وحده لا شریک له، و إلا فهو مشرک کما روی فی معانی الأخبار عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم من أحب أن یستمسک بالعروة الوثقی التی لا انفصام لها فلیتمسک بولایة أخی و وصیی علی بن أبی طالب فإنه لا یهلک من أحبه و تولاه و لا ینجو من أبغضه و عاداه، و عن الباقر علیه السلام أن العروة الوثقی هو مودتنا أهل البیت.

الحديث الثانى

: ضعيف على المشهور.

الحديث الثالث

: مرسل كالموثق، و قال الجوهرى: صبغة الله دينه، و يقال:
أصله من صبغ النصارى أولادهم فى ماء لهم، و قال الفيروزآبادى: الصبغة بالكسر الدين و الملة، و صبغة الله فطرة الله، أو التى أمر الله تعالى بها محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و هى الختانة

ص: 71
بَابٌ فِی أَنَّ السَّکِینَةَ هِیَ الْإِیمَانُ
1 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- أَنْزَلَ السَّکِینَةَ فِی

باب أن السكينة هى الإيمان

الحديث الأول

: صحيح كما فى بعض النسخ عن أبى حمزة، و ضعيف على المشهور إن كان عن علي بن أبى حمزة كما فى بعض النسخ.
" هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ" الآية فى سورة الفتح هكذا:" هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ" و الظاهر أن المراد بالسكينة الثبات و طمأنينة النفس و شدة اليقين بحيث لا يتزلزل عند الفتن و عروض الشبهات، بل هذا إيمان موهبى يتفرع على الأعمال الصالحة و المجاهدات الدينية سوى الإيمان الحاصل بالدليل و البرهان، و لذا قال:" لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ".
و قال فى مجمع البيان: هى أن يفعل الله بهم اللطف الذى يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن إليه نفوسهم، و ذلک بكثرة ما ينصب لهم من الأدلة الدالة عليه، فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة، و أما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهة ترد عليهم إذ لا يجدون برد اليقين و روح الطمأنينة فى قلوبهم، و قيل: هى النصرة للمؤمنين لتسكن بذلک قلوبهم، و يثبتوا فى القتال، و قيل: ما أسكن قلوبهم من التعظيم لله و لرسوله ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، أى يقينا إلى يقينهم بما يرون من الفتوح و علو كلمة الإسلام على وفق ما وعدوا، و قيل: ليزدادوا تصديقا بشرائع الإسلام و هو أنهم كلما أمروا بشىء من الشرائع و الفرائض كالصلاة و الصيام و الصدقات صدقوا به، و ذلک بالسكينة التى أنزلها الله فى قلوبهم عن ابن عباس

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ هُوَ الْإِيمَانُ قَالَ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ قَالَ هُوَ الْإِيمَانُ

و المعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم، انتهى.
و الحاصل أن تفسيره عليه السلام السكينة بالإيمان إما لكون هذا اليقين هو كمال الإيمان، أو إيمان آخر موهبى ينضم إلى الإيمان الاستدلالى، و هذا مما يدل على أن اليقين يقبل الشدة و الضعف كما سيأتى تحقيقه إن شاء الله.
و أما الآية الثانية فهى فى سورة المجادلة حيث قال:" لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِکَ كَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ" قال الطبرسى (ره): كتب فى قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الألطاف فصار كالمكتوب عن الحسن، و قيل: كتب فى قلوبهم علامة الإيمان و معنى ذلک أنها سمة و علامة لمن شاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله فى الكفار: و طبع الله على قلوبهم، علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه، عن أبى على الفارسى.
" وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ" أى قواهم بنور الإيمان، و يدل عليه:" وَ كَذلِکَ أَوْحَيْنا إِلَيْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِی مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ" عن الزجاج، و قيل:
معناه و قواهم بنور الحجج و البرهان حتى اهتدوا للحق و عملوا به، و قيل: قواهم بالقرآن الذى هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع، و قيل: أيدهم بجبرئيل فى كثير من المواطن ينصرهم و يدفع عنهم، انتهى.
أقول: لعل المراد بالروح الإيمان الموهبى لأنه قال ذلک بعد قوله:" كَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ" أو المراد به قوة الإيمان و كماله، و يحتمل أن يراد به أنه سبب

ص: 73
2 عَنْهُ عَنْ أَحْمَدَ عَنْ صَفْوَانَ عَنْ أَبَانٍ عَنْ فُضَيْلٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع- أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ هَلْ لَهُمْ فِیمَا کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمْ صُنْعٌ قَالَ لَا
3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ السَّکِینَةُ الْإِیمَانُ
4 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِیِّ وَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَ غَیْرِهِمَا عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّکِینَةَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ قَالَ هُوَ الْإِیمَانُ
5 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی بْنِ عُبَیْدٍ عَنْ یُونُسَ عَنْ جَمِیلٍ قَالَ

الإیمان و قوته و کماله لما سیأتی أن الله تعالی أید المؤمن بروح یحضره فی کل.
وقت یحسن فیه و یتقی و یغیب عنه فی کل وقت یذنب فیه و یعتدی و إن أمکن تأویل تلک الأخبار بما یوافق ظاهر هذا الخبر کما سیأتی فی باب الروح الذی أید به المؤمن.

: موثق كالصحيح.
و إنما ذكر هذا مع عدم اشتماله على ما عنون به الباب لأنه كالتتمة لما ذكر فى آخر الخبر السابق لأنهما فى آية واحدة، و يدل على أن الإيمان من الله و ليس للعباد فيها صنع و اختيار، و إنما كلف العباد بعدم الجحد ظاهرا و بإخراج التعصب و الأغراض الباطلة عن النفس، أو مع السعى فى الجملة أيضا، و يمكن تخصيصه بمعرفة الصانع كما مر أو بكمال المعرفة و قد مضى تفصيل القول فى ذلک فى باب البيان و التعريف، و فى بعض النسخ صبغ بالباء الموحدة و الغين المعجمة، أى لهذه الكتابة صبغ و لون و هو تصحيف.

الحديث الثالث

: صحيح.

الحديث الرابع

: حسن كالصحيح.

الحديث الخامس

صحيح و فسر أكثر المفسرين كلمة التقوى بكلمة التوحيد :

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ- هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّکِینَةَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ قَالَ هُوَ الْإِیمَانُ قَالَ- وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ قَالَ هُوَ الْإِیمَانُ وَ عَنْ قَوْلِهِ- وَ أَلْزَمَهُمْ کَلِمَةَ التَّقْوی قَالَ هُوَ الْإِیمَانُ

بَابُ الْإِخْلَاصِ

1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْکَانَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- حَنِیفاً مُسْلِماً قَالَ خَالِصاً مُخْلِصاً لَیْسَ فِیهِ شَیْءٌ مِنْ

فإنه یتقی بها من عذاب الله و ما فسرها علیه السلام به أظهر، إذ بجمیع العقائد الإیمانیة و اجتماعها یتقی من عذاب الله لا بکلمة التوحید فقط، و فسرت فی کثیر من الأخبار بالولایة لأنها مستلزم لسائر العقائد، و فی بعضها بأمیر المؤمنین علیه السلام و فی بعضها بجمیع الأئمة علیهم السلام أی ولایتهم و الإقرار بإمامتهم کلمة التقوی، و أنهم یعبرون عن الله ما یتقی به من عذابه کما ورد فی الأخبار الکثیرة أنهم کلمات الله.

باب الإخلاص

الحديث الأول

: صحيح.
و قد مر معنى الحنيف و أنه المائل إلى الدين الحق، و هو الدين الخالص و المسلم المنقاد لله فى جميع أوامره و نواهيه، و لما قال سبحانه ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً
وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، و جعل الحنيف المسلم فى مقابلة المشرک، فلذا فسر عليه السلام الحنيف المسلم بمن كان خالصا لله مخلصا عمله من الشرک الجلى و الخفى، فالأوثان أعم من الأوثان الحقيقة و المجازية، فيشمل عبادة الشياطين فى إغوائها و عبادة النفس فى أهوائها كما قال تعالى:" أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ" و قال سبحانه:" أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ"

ص: 75
عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَ الشَّيْطَانُ وَ الْحَقُّ وَ الْبَاطِلُ وَ الْهُدَى وَ الضَّلَالَةُ وَ الرُّشْدُ وَ الْغَيُّ وَ الْعَاجِلَةُ وَ الْآجِلَةُ وَ الْعَاقِبَةُ وَ الْحَسَنَاتُ

و قال:" اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ" و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:
ملعون من عبد الدنيا و الدرهم، و فى المحاسن هكذا: خالصا مخلصا لا يشوبه شىء، من دون ذكر عبادة الأوثان.

الحديث الثانى

: مرفوع.
" إنما هو الله" الضمير راجع إلى المقصود فى العبادة أو الأعم منه و من الباعث عليها، أو الموجود فى الدنيا و المقصود فيها، و الغرض أن الحق و الهدى و الرشد و رعاية الآجلة و الحسنات منسوب إلى الله، و أضدادها منسوبة إلى الشيطان، فما كان خالصا لله فهو من الحسنات، و ما كان للشيطان فيه مدخل فهو من السيئات، ففى الكلام شبه قلب، أو المعنى أن الرب تعالى و الحق و الهدى و الرشد و الآجلة و الحسنات فى جانب، و أضدادها فى جانب آخر، فالحسنات ما يكون موافقا للحق و معلوما بهداية الله، و يكون سببا للرشد و المنظور فيه الدرجات الأخروية دون اللذات الدنيوية و قربه تعالى فهو منسوب إلى الله، و إلا فهو من خطوات الشيطان و وساوسه، و الرشد ما يوصل إلى السعادة الأبدية و الغى ما يؤدى إلى الشقاوة السرمدية، و العاقبة عطف تفسير للآجلة.
و كان المناسب للترتيب سائر الفقرات تقديم الآجلة على العاجلة، و لعله عليه السلام إنما غير الأسلوب لأن الآجلة بعد العاجلة.
قال بعض المحققين أريد بالحسنات و السيئات الأعمال الصالحة و السيئة المترتبتان على الأمور الثمانية الناشئتان منها" فما كان من حسنات" يعنى ما نشأ

وَ السَّيِّئَاتُ فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنَاتٍ فَلِلَّهِ وَ مَا كَانَ مِنْ سَيِّئَاتٍ فَلِلشَّيْطَانِ لَعَنَهُ اللَّهُ
3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا ع أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ص كَانَ يَقُولُ طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ

من الحق و الهدى و الرشد و رعاية العاقبة من الأعمال الصالحة" و ما كان من سيئات" يعنى ما نشأ من الباطل و الضلالة و الغى و رعاية العاجلة من الأعمال السيئة، فكل من عمل عملا من الخير طاعة لله آتيا فيه بالحق على هدى من ربه و رشدة من أمره، و لعاقبة أمره فهو حسنة تقبله الله بقبول حسن، و من عمل عملا من الخير أو الشر طاعة للشيطان آتيا فيه بالباطل على ضلالة من نفسه و غى من أمره و لعاجلة أمره فهو سيئة مردود إلى من عمل له، و من عمل عملا مركبا من أجزاء بعضها لله و بعضها للشيطان فما كان لله فهو لله و ما كان للشيطان فهو للشيطان، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره فإن أشرک بالله الشيطان فى عمله أو فى جزء عمله فهو مردود إليه لأن الله لا يقبل الشريک كما يأتى بيانه فى باب الرياء إنشاء الله.

و ربما يقال: إن كان الباعث الإلهى مساويا للباعث الشيطانى تقاوما و تساقطا و صار العمل لا له و لا عليه، و إن كان أحدهما غالبا على الآخر بأن يكون أصلا و سببا مستقلا و يكون الآخر تبعا غير مستقل فالحكم للغالب إلا أن ذلک مما يشتبه على الإنسان فى غالب الأمر فربما يظن أن الباعث الأقوى قصد التقرب و يكون الأغلب على سره الحظ النفسانى فلا يحصل الأمن إلا بالإخلاص، و قلما يستيقن بالإخلاص من النفس، فينبغى أن يكون العبد دائما مترددا بين الرد و القبول، خائفا من الشوائب، و الله الموفق للخير و السداد.

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور.
" طوبى" أى الجنة أو طيبها أو شجرة فيها كما سيأتى فى الخبر، أو العيش الطيب أو الخير" لمن أخلص لله العبادة و الدعاء" أى لم يعبد و لم يدع غيره تعالى

الْعِبَادَةَ وَ الدُّعَاءَ وَ لَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَا تَرَى عَيْنَاهُ وَ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ وَ لَمْ يَحْزُنْ صَدْرَهُ بِمَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ

4 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا قَالَ

أو كان غرضه من العبادة و الدعاء رضى الله سبحانه من غير رياء" بما ترى عيناه" أى من زخارف الدنيا و مشتهياتها، و الرفعة و الملک فيها" و لم ينس ذكر الله" بالقلب و اللسان" بما تسمع أذناه" من الغناء و أصوات الملاهى، و ذكر لذات الدنيا و شهواتها و الشبهات المضلة و الآراء المبتدعة، و الغيبة و البهتان، و كل ما يلهى عن الله" و لم يحزن صدره بما أعطى غيره" من أسباب العيش و حرمها، و الاتصاف بهذه الصفات العلية إنما يتيسر لمن قطع عن نفسه العلائق الدنية، و فى الخبر إشعار بأن الإخلاص فى العبادة لا يحصل إلا لمن قطع عروق حب الدنيا من قلبه، كما سيأتى تحقيقه إنشاء الله.

الحديث الرابع

: ضعيف.
قوله:" لِيَبْلُوَكُمْ" إشارة إلى قوله تعالى:"بارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
" تبارک أی تکاثر خیره من البرکة و هی کثرة الخیر، أو تزاید عن کل شیء و تعالی عنه فی صفاته و أفعاله، فإن البرکة تتضمن معنی الزیادة" الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ" أی بقبضة قدرته التصرف فی الأمور کلها" الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاةَ" أی قدرهما أو أوجدهما و فیه دلالة علی أن الموت أمر وجودی، و المراد بالموت الموت الطاری علی الحیاة أو العدم الأصلی فإنه قد یسمی موتا أیضا، کما قال تعالی:" کُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْیاکُمْ" و تقدیمه علی الأول لأنه ادعی إلی حسن العمل و أقوی فی ترک الدنیا و لذاتها،

لَيْسَ يَعْنِی أَكْثَرَ عَمَلًا وَ لَكِنْ أَصْوَبَكُمْ عَمَلًا وَ إِنَّمَا الْإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَ النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ

و علی الثانی ظاهر لتقدمه.
" لِيَبْلُوَكُمْ" أی ليعاملكم معاملة المختبر" أَيُّكُمْ" مفعول ثان لفعل البلوی باعتبار تضمينه معنی العلم، و وجه التعليل أن الموت داع إلی حسن العمل لكمال الاحتياج إليه بعده، و موجب لعدم الوثوق بالدنيا و لذاتها الفانية، و الحياة نعمة تقتضی الشكر و يقتدر بها علی الأعمال الصالحة، و إن أريد به العدم الأصلی فالمعنی أنه نقلكم منه و ألبسكم لباس الحياة لذلک الاختبار، و لما كان اتصافنا بحسن العمل يتحقق بكثرة العمل تارة و بإصابته و شدة رعاية شرائطه أخری نفی الأول، بقوله:
ليس يعنی أكثركم عملا، لأن مجرد العمل من غير خلوصه و جودته ليس أمرا يعتد به، بل هو تضييع للعمر و أثبت الثانی بقوله: و لكن أصوبكم عملا، لأن صواب العمل و جودته و خلوصه من الشوائب يوجب القرب منه تعالی، و له درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها.
و اسم ليس فی قوله:" ليس يعنی" ضمير عائد إلی الله عز و جل أو ضمير شأن، و جملة يعنی خبرها، ثم بين الإصابة و حصرها فی أمرين بقوله: إنما الإصابة خشية الله و النية الصادقة، و ذكر الخشية ثانيا لعله من الرواة أو النساخ، و ليست فی بعض النسخ و لو سحت يكون معناه خشية أن لا يقبل كما سيأتی فی الخبر، و هو غير خشية الله، أو يقال: النية الصادقة مبتدأ و الخشية معطوف عليه، و الخبر محذوف أی مقرونتان، أو الخشية منصوب ليكون مفعولا معه.
فيكون الحاصل أن مدار الإصابة علی الخشية و تلزمها النية الصادقة، و فی بعض النسخ و الحسنة أی كونه موافقا لأمره تعالی، و لا يكون فيه بدعة، و فی أسرار الصلاة للشهيد الثانی (ره): و النية الصادقة الحسنة و هو أصوب.
و الحاصل أن العمدة فی قبول العمل بعد رعاية أجزاء العبادة و شرائطها المختصة النية الخالصة و الاجتناب عن المعاصی كما قال تعالی:" فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ

وَ الْحَسَنَةُ ثُمَّ قَالَ الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ وَ الْعَمَلُ الْخَالِصُ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً" و قال سبحانه:" إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ".
قال الشيخ البهائى قدس سره: المراد بالنية الصادقة انبعاث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شىء سوى وجه الله سبحانه، لا كمن يعتق عبد مثلا ملاحظا مع القربة الخلاص من مؤنته أو سوء خلقه أو يتصدق بحضور الناس لغرض الصواب و الثناء معا بحيث لو كان منفردا لم يبعثه مجرد الثواب على الصدقة و إن كان يعلم من نفسه أنه لو لا الرغبة فى الثواب لم يبعثه مجرد الرياء على الإعطاء، و لا كمن له ورد فى الصلوات و عادة فى الصدقات و اتفق أن حضر فى وقتها جماعة فصار الفعل أخف عليه و حصل له نشاط ما بسبب مشاهدتهم، و إن كان يعلم من نفسه أنهم لو لم يحضروا لم يكن يترک العمل أو يفتر عنه البتة، فأمثال هذه الأمور مما يخل بصدق النية و بالجملة فكل عمل قصدت به القربة و انضاف إليه حظ من حظوظ الدنيا بحيث تركب الباعث عليه من دينى و نفسى، فنيتک فيه غير صادقة سواء كان الباعث الدينى أقوى من الباعث النفسى أو أضعف أو مساويا.
قال فى مجمع البيان:" لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" أى ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر و النهى فيجازى كل عامل بقدر عمله، و قيل: ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا و أحسن له استعدادا و أحسن صبرا على موته و موت غيره، و أيكم أكثر امتثالا للأوامر و اجتنابا عن النواهى فى حال حياته قال أبو قتادة: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن قوله تعالى:" أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" ما عنى به؟ فقال: يقول أيكم أحسن عقلا، ثم قال تعالى: أتمكم عقلا و أشدكم لله خوفا و أحسنكم فيما أمر الله به و نهى عنه نظرا، و إن كان أقلكم تطوعا، و عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه و آله: أنه تلا قوله:
" تَبارَکَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْکُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ" إلى قوله:" أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"

الَّذِی لَا تُرِیدُ أَنْ یَحْمَدَکَ عَلَیْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ النِّیَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ أَلَا

ثم قال: أیکم أحسن عقلا و أورع عن محارم الله و أسرع فی طاعة الله، و عن الحسن:
أیکم ازهد فی الدنیا و أترک لها، انتهی.
و فی القاموس: الصواب ضد الخطإ کالإصابة، و قال: الإصابة الإتیان بالصواب و إرادته، و البقاء علی العمل محافظته و الإشفاق علیه و حفظه عن الفساد، قال الجوهری أبقیت علی فلان إذا دعیت علیه، یقال: لا أبقی الله علیک إن أبقیت علی و الاسم البقیا، انتهی.
و الحاصل أن رعایة العمل و حفظه عند الشروع و بعده إلی الفراغ منه، و بعد الفراغ إلی الخروج من الدنیا حتی یخلص عن الشوائب الموجبة لنقصه أو فساده أشد من العمل نفسه کما سیأتی فی باب الریاء عن أبی جعفر علیه السلام أنه قال: الإبقاء علی العمل أشد من العمل، قال: و ما الإبقاء علی العمل؟ قال: یصل الرجل بصلة و ینفق نفقة لله وحده لا شریک له، فیکتب له سرا ثم یذکرها فتمحی و تکتب له علانیة ثم یذکرها فتمحی و تکتب له ریاء، و من عرف معنی النیة و خلوصها علم أن إخلاص النیة أشد من جمیع الأعمال کما سیأتی تحقیقه إنشاء الله.
ثم بین علیه السلام معنی العمل الخالص بأنه هو العمل الذی لا ترید أن یحمدک علیه أحد إلا الله عز و جل، لا عند الفعل و لا بعده أی یکون خالصا عن أنواع الریاء و السمعة.
و قد یقال: لو کان سروره باعتبار أن الله تعالی قبل عمله حیث أظهر جمیلة کما روی فی الحدیث القدسی عملک الصالح علیک سره و علی إظهاره، أو باعتبار أنه استدل بإظهار جمیلة فی الدنیا علی إظهار جمیلة فی الآخرة، أو باعتبار رغبتهم إلی طاعة الله و میل قلوبهم إلیها لم یقدح ذلک فی الخلوص، و إنما یقدح فیه إن کان لرفع منزلته عند الناس و تعظیمهم له و استجلاب الفوائد منهم فإنه بذلک یصیر مرائیا مشرکا بالشرک الخفی و به یحبط عمله، و هذا الکلام له جهة صدق لکن قلما تصدق النفس فی ذلک،

فإن لها حيل و تسويلات لا ينجو منها إلا المقربون.
و قال الشيخ البهائى (ره): الخالص فى اللغة كلما صفا و تخلص و لم يمتزج بغيره سواء كان ذلک الغير أدون منه أو لا، فمن تصدق لمحض الرياء فصدقته خالصة لغة كمن تصدق لمحض الثواب و قد خص العمل الخالص فى العرف بما تجرد قصد التقرب فيه عن جميع الشوائب، و هذا التجريد يسمى إخلاصا، و قد عرفه أصحاب القلوب بتعريفات أخر، فقيل: هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب، و قيل:
إخراج الخلق عن معاملة الحق، و قيل: هو ستر العمل عن الخلائق و تصفيته عن العلائق، و قيل: أن لا يريد عامله عليه عوضا فى الدارين، و هذه درجة علية عزيزة المنال، و قد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فى جنتک و لكن وجدتک أهلا للعبادة فعبدتک.
و قال (ره): ذهب كثير من علماء الخاصة و العامة إلى بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب، و قالوا: إن هذا القصد مناف للإخلاص الذى هو إرادة وجه الله وحده، و أن من قصد ذلک فإنه قصد جلب النفع إلى نفسه، و دفع الضرر عنها لا وجه الله سبحانه، كما أن من عظم شخصا أو أثنى عليه طمعا فى ماله أو خوفا من إهانته لا يعد مخلصا فى ذلک التعظيم و الثناء.
و ممن بالغ فى ذلک السيد الجليل صاحب المقامات و الكرامات رضى الدين على بن طاوس قدس الله سره، و يستفاد من كلام شيخنا الشهيد فى قواعده أنه مذهب أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم.
و نقل الفخر الرازى فى التفسير الكبير اتفاق المتكلمين على أن من عبد الله لأجل الخوف من العقاب أو الطمع فى الثواب لم تصح عبادته، أورده عند تفسير

قوله تعالى" ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً" و جزم فى أوائل سورة الفاتحة بأنه لو قال: أصلى لثواب الله أو الهرب من عقابه فسدت صلاته، و من قال بأن ذلک القصد غير مفسد للعبادة منع خروجها به عن درجة الإخلاص، و قال: إن إرادة الفوز بثواب الله و السلامة من سخطه ليس أمرا مخالفا لإرادة وجه الله سبحانه، و قد قال تعالى فى مقام مدح أصفيائه:" كانُوا يُسارِعُونَ فِى الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً" أى للرغبة فى الثواب و الرهبة من العقاب، و قال سبحانه:" وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً" و قال تعالى:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" أى حال كونكم راجين للفلاح، أو لكى تفلحوا، و الفلاح هو الفوز بالثواب، نص عليه الشيخ أبو على الطبرسى.

هذا ما وصل إلينا من كلام هؤلاء، و للمناقشة فيه مجال، أما قولهم أن تلک الإرادة ليست مخالفة لإرادة وجه الله تعالى فكلام ظاهرى قشرى إذ البون البعيد بين إطاعة المحبوب و الانقياد إليه لمحض حبه و تحصيل رضاه و بين إطاعته لأغراض أخر أظهر من الشمس فى رائعة النهار، و الثانية ساقطة بالكلية عن درجة الاعتبار عند أولى الأبصار، و أما الاعتضاد بالآيتين الأوليين، ففيه: أن كثيرا من المفسرين ذكروا أن المعنى راغبين فى الإجابة، راهبين من الرد و الخيبة، و أما الآية الثالثة فقد ذكر الطبرسى فى مجمع البيان أن معنى لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكى تسعدوا. و لا ريب أن تحصيل رضاه سبحانه هو السعادة العظمى، و فسر (ره) الفلاح فى قوله تعالى:" أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*" بالنجاح و الفوز، و قال شيخ الطائفة فى التبيان: المفلحون هم المنجحون

الذين أدركوا ما طلبوا من عند الله بأعمالهم و إيمانهم.
و فى تفسير البيضاوى المفلح: الفائز بالمطلوب، و مثله فى الكشاف.
نعم فسر الطبرسى (ره) الفلاح فى قوله:" قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" بالفوز بالثواب لكن مجيئه فى هذه الآية بهذا المعنى لا يوجب حمله فى غيرها أيضا عليه، و على تقدير حمله على هذا المعنى إنما يتم التقريب لو جعلت جملة الترجى حالية، و لو جعلت تعليلية كما جعله الطبرسى فلا دلالة فيها على ذلک المدعى أصلا كما لا يخفى.
هذا، و الأولى أن يستدل بما رواه الكلينى بطريق حسن عن أبى عبد الله عليه السلام قال:
العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عز و جل خوفا فتلک عبادة العبيد، و قوم عبدوا الله تبارک و تعالى طلبا للثواب فتلک عبادة الأجراء، و قوم عبدوا الله عز و جل حبا له فتلک عبادة الأحرار و هى أفضل العبادة، فإن قوله عليه السلام و هى أفضل العبادة يعطى أن العبادة على الوجهين السابقين لا يخلو من فضل أيضا فتكون صحيحة و هو المطلوب.
ثم قال رحمه الله: المانعون فى نية العبادة من قصد تحصيل الثواب أو دفع العقاب جعلوا هذا القصد مفسدا لها و إن انضم إليه قصد وجه الله تعالى على ما يفهم من كلامهم، أما بقية الضمائم اللازمة الحصول مع العبادة نويت أو لم تنو كالخلاص من النفقة بعتق العبد فى الكفارة، و الحمية فى الصوم و التبرد فى الوضوء و إعلام المأموم الدخول فى الصلاة بالتكبير، و مماطلة الغريم بالتشاغل بالصلاة و ملازمته بالطواف و السعى، و حفظه المتاع بالقيام لصلاة الليل و أمثال ذلک فالظاهر أن قصدها عندهم مفسد أيضا بالطريق الأولى و أما الذين لا يجعلون قصد الثواب مفسدا فقد اختلفوا فى الإفساد بأمثال هذه الضمائم، فأكثرهم على عدمه، و به قطع الشيخ فى المبسوط، و المحقق فى المعتبر، و العلامة فى التحرير و المنتهى، لأنها تحصل لا محالة فلا يضر قصدها، و فيه أن لزوم حصولها لا يستلزم صحة قصد حصولها، و المتأخرون من أصحابنا حكموا بفساد العبادة بقصدها و هو مذهب العلامة فى النهاية

ص: 84
وَ إِنَّ النِّيَّةَ هِیَ الْعَمَلُ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَ جَلَّ- قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ يَعْنِی عَلَى نِيَّتِهِ

و القواعد، و ولده فخر المحققين فى الشرح، و شيخنا الشهيد فى البيان لفوت الإخلاص و هو الأصح، و احتمل شيخنا الشهيد فى قواعده التفصيل بأن القربة إن كانت هى المقصود بالذات و الضميمة مقصودة تبعا صحت العبادة و إن انعكس الأمر أو تساويا بطلت.
هذا، و اعلم أن الضميمة إن كانت راجحة و لاحظ القاصد رجحانها وجوبا أو ندبا كالحمية فى الصوم لوجوب حفظ البدن، و الإعلام بالدخول فى الصلاة للتعاون على البر فينبغى أن لا تكون مضرة إذ هى حينئذ مؤكدة، و إنما الكلام فى الضمائم غير الملحوظة الرجحان، فصوم من ضم قصد الحمية مطلقا صحيح مستحبا كان الصوم أو واجبا، معينا كان الواجب أو غير معين، و لكن فى النفس من صحة غير المعين شىء، و عدمها محتمل، و الله أعلم.
قوله عليه السلام: و النية أفضل من العمل، أى النية الخالصة أو إخلاص النية أفضل من العمل، و النية تطلق على إرادة إيقاع الفعل و على الغرض الباعث على الفعل و على العزم على الفعل و الأولتان مقارنتان للفعل دون الثالثة، و الأولى لا تنفک فعل الفاعل المختار عنها، و الثانية الإخلاص فيها من أشق الأمور و أصعبها و به تتفاضل عبادات المكلفين و هى روح العبادة و بدونها لا تصح، و كلما كانت أخلص عن الشوائب و الأغراض الفاسدة كان العمل أكمل، و لذا ورد أن نية المؤمن خير من عمله، و لا ينافى قوله صلى الله عليه و آله و سلم أفضل الأعمال أحمزها، إذ تصحيح النية أصعب من تصحيح العمل بمراتب شتى إذ ليس المراد بالنية ما يتكلم به الإنسان عند الفعل، أو يتصوره و يخطره بباله، بل هو الباعث الأصلى و الغرض الواقعى الداعى للإنسان على الفعل و هو تابع للحالة التى عليها الإنسان، و الطريقة التى يسلكها، فمن غلب عليه حب الدنيا و شهواتها لا يمكنه قصد القربة و إخلاص النية عن دواعيها فإن نفسه متوجهة إلى الدنيا و همته مقصورة عليها، فما لم يقلع عن قلبه عروق حب الدنيا و لم يستقر فيه

طلب النشأة الأخرى و حب الرب الأعلى لم يمكنه إخلاص النية واقعا عن تلک الأغراض الدنية، و ذلک متوقف على مجاهدات عظيمة و رياضات طويلة و تفكرات صحيحة، و اعتزال عن شرار الخلق، فلذا ورد أن نية المؤمن خير من عمله، و من عرف ذلک لم يحتج إلى تأويل الخبر بما ستسمع من الوجوه مع ركاكة أكثرها و بعدها عن نظم الكلام، فلذا قال عليه السلام: النية أفضل من العمل و السعى فى تصحيحها أهم.

فإن قيل: العمل بلا نية باطل، و معها النية داخلة فيه فكيف يفضل النية على العمل فإنه يوجب تفضيل الجزء على الكل؟.

قلنا: المراد به أن العمل المقرون بالنية نيته خير من سائر أجزائه، سواء جعلنا النية جزءا من العمل أو شرطا فيه و قوله عليه السلام: ألا و إن النية هى العمل، مبالغة فى اشتراط العمل بها، و أنه لا اعتداد بالعمل بدونها، فكأنها عينه، و لذا أكد بحرف التأكيد و حرف التنبيه و اسمية الجملة، و تعريف الخبر باللام المفيد للحصر، و ضمير الفصل المؤكد له. و قيل: إشارة إلى دفع ما يتوهم من أن المفضل عليه لا بد أن يكون من جنس المفضل و النية ليست من جنس العمل، فأجاب عليه السلام بأن النية أيضا عمل من أعمال القلب و لا يخفى ضعفه، و الاستشهاد بالآية الكريمة لبيان أن مدار العمل على النية صحة و فسادا و نقصا و كمالا، حيث قال:" قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ" يعنى على نيته و كأنه عليه السلام فسر الشاكلة التى تطلق غالبا على الحالة و الطريقة بالنية إيذانا بأن النية تابعة لحالة الإنسان و طريقته كما أومأنا إليه، و إن ورد بمعنى النية أيضا، قال الفيروزآبادى: الشاكلة: الشكل و الناحية و النية و الطريقة، و قال فى مجمع البيان: أى كل واحد من المؤمن و الكافر يعمل على طبيعته و خليقته التى تخلق بها عن ابن عباس، و قيل: على طريقته و سنته التى اعتادها، و قيل: ما هو أشكل بالصواب

5 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

و أولى بالحق عنده عن الجبائى، قال: و لهذا قال:" فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا" أى أنه يعلم أى الفريقين على الهدى و أيهما على الضلال، و قيل: معناه أنه أعلم بمن هو أصوب دينا و أحسن طريقة، و قال بعض أرباب اللسان هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده، فهو يعمل به، انتهى.
و يمكن حمل النية هنا على المعنى الثالث كما سيأتى فى الخبر لكنه بعيد عن سياق هذا الخبر و سيأتى مزيد كلام فى ذلک فى باب النية و باب الرياء.

الحديث الخامس

: مثل السابق:
قوله تعالى:" إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ" قال سبحانه فى سورة الشعراء حكاية عن إبراهيم عليه السلام حيث قال:" وَ لا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ".
قال الطبرسى قدس الله سره أى لا تفضحنى و لا تعيرنى بذنب يوم يحشر الخلائق، و هذا الدعاء كان منه عليه السلام على وجه الانقطاع إلى الله تعالى لما بينا أن القبيح لا يجوز وقوعه من الأنبياء عليه السلام، ثم فسر ذلک اليوم بأن قال: يوم لا ينفع مال و لا بنون أى لا ينفع المال و البنون أحدا إذ لا يتهيأ لذى مال أن يفتدى من شدائد ذلک اليوم به و لا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئا من معاصيه" إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" من الشرک و الشک عن الحسن و مجاهد و قيل: سليم من الفساد و المعاصى، و إنما خص القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أن الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفساد، و روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: هو القلب الذى سلم من حب الدنيا، و يؤيده قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم حب الدنيا رأس كل خطيئة انتهى.

سَلِيمٍ قَالَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِی یَلْقَی رَبَّهُ وَ لَیْسَ فِیهِ أَحَدٌ سِوَاهُ قَالَ وَ کُلُّ قَلْبٍ فِیهِ شِرْکٌ أَوْ شَکٌّ فَهُوَ سَاقِطٌ وَ إِنَّمَا أَرَادُوا الزُّهْدَ فِی الدُّنْیَا لِتَفْرُغَ قُلُوبُهُمْ لِلْآخِرَةِ

6 بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ سُفْیَانَ بْنِ عُیَیْنَةَ عَنِ السِّنْدِیِّ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ مَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ الْإِیمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَرْبَعِینَ یَوْماً أَوْ قَالَ مَا أَجْمَلَ عَبْدٌ ذِکْرَ اللَّهِ

قوله علیه السلام: و لیس فیه أحد سواه، أی أخرج عن قلبه حب ما سوی الله و الاشتغال بغیره سبحانه، أ و لم یختر فی قلبه علی رضا الله رضا غیره، أو کانت أعماله و نیاته کلها خالصة لله لم یشرک فیها غیره" و کل قلب فیه شرک" أعم من الشرک الجلی و الخفی." أو شک" و هو ما یقابل الیقین الذی یظهر أثره علی الجوارح، فإن کل معصیة أو توسل بغیره سبحانه یستلزم ضعفا فی الیقین فالشک یشمله" فهو ساقط" أی عن درجة الاعتبار أو بعید عن الرب تعالی.

" و إنما أرادوا" أی الأنبیاء و الأوصیاء" الزهد" و فی بعض النسخ: أراد بالزهد أی أراد الله، و الباء زائدة یعنی أن الزهد فی الدنیا لیس مقصودا لذاته، و إنما أمر الناس به لتکون قلوبهم فارغة عن محبة الدنیا، صالحة لحب الله تعالی، خالصة له عز و جل، لا شرکة فیها لما سوی الله، و لا شک ناشئا من شدة محبتها لغیر الله.

: مثل السابق.
" و إخلاص الأيمان" مما يشوبه من الشرک و الرياء و المعاصى، و أن يكون جميع أعماله خالصة لله تعالى، و لعل خصوص الأربعين لأن الله تعالى جعل انتقال الإنسان فى أصل الخلقة من حال إلى حال فى أربعين يوما كالانتقال من النطفة إلى العلقة و من العلقة إلى المضغة، و من المضغة إلى العظام و منها إلى اكتساء اللحم.
و لذا يوقف قبول توبة شارب الخمر إلى أربعين يوما كما ورد فى الخبر، و الزهد فى الشىء تركه و عدم الرغبة فيه، و داء الدنيا المعاصى و الصفات الذميمة و ما

ص: 88
عَزَّ وَ جَلَّ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلَّا زَهَّدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِی الدُّنْیَا وَ بَصَّرَهُ دَاءَهَا وَ دَوَاءَهَا فَأَثْبَتَ الْحِکْمَةَ فِی قَلْبِهِ وَ أَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ ثُمَّ تَلَا- إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ فَلَا تَرَی صَاحِبَ بِدْعَةٍ

یوجب البعد عن الله تعالی، و دواؤها ما یوجب ترکها و اجتنابها من الریاضات و المجاهدات و التفکرات الصحیحة و أمثالها، أو المراد بدائها الأمراض القلبیة الحاصلة من محبة الدنیا، و دواؤها ملازمة ما یوجب ترکها، و قیل: أی قدر الضرورة منها و الزائد علیه أو میل القلب إلیها و صرفه عنها أو الضار و المنافع منها فی الآخرة أعنی الطاعة و المعصیة و الحکمة العلوم الحقة الواقعیة و أصلها و منبعها معرفة الإمام و لذا فسرت بها کما مر.

و فی مناسبة ذکر الآیة لما تقدم إشکال، و یمکن أن یقال فی توجیهه وجوه:

الأول: ما خطر بالبال و هو أنه لما ذکر فوائد إخلاص الأربعین و قد أبدع جماعة من الصوفیة فیها ما لیس فی الدین، دفع علیه السلام توهم شموله لذلک بالاستشهاد بالآیة، و أنها تدل علی أن کل مبتدع فی الأحکام و مفتر علی الله و رسوله فی حکم من الأحکام ذلیل فی الدنیا و الآخرة، لقوله تعالی:" کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ" و قوله: أو مفتریا أی لا تری مفتریا، و بعبارة أخری لما کان صحة العبادة و کما لها مشترطة بأمرین: الأول، کونها علی وفق السنة، و الثانی: کونها خالصة لوجه الله تعالی، فأشار أولا إلی الثانی، و ثانیا إلی الأول، فتأمل.

الثانی: ما قیل أن الوجه فی تلاوته علیه السلام الآیة التنبیه علی أن من کانت عبادته لله تعالی و اجتهاده فیها علی وفق السنة بصره الله عیوب الدنیا فزهده فیها، فصار بسبب زهده فیها عزیزا لأن المذلة فی الدنیا إنما تکون بسبب الرغبة فیها، و من کانت عبادته علی وفق الهوی أعمی الله قلبه عن عیوب الدنیا، فصار بسبب رغبته فیها ذلیلا، فأصحاب البدع لا یزالون أذلاء صغارا، و من هنا قال الله فی متخذی العجل ما قال.

إِلَّا ذَلِيلًا وَ مُفْتَرِياً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَلَى رَسُولِهِ ص وَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ص إِلَّا ذَلِيلًا

بَابُ الشَّرَائِعِ

1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ وَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ جَمِيعاً عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَعْطَى مُحَمَّداً ص شَرَائِعَ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ع التَّوْحِيدَ وَ الْإِخْلَاصَ

الثالث: ما قيل أيضا أن الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أن غير المخلص مندرج فيها، و الوعيد متوجه إليه أيضا لأنک قد عرفت أن قلبه ساقط، لكونه ذا شرک أو شک و هما بدعة و افتراء على الله و رسوله، و الآية على تقدير نزولها فى قوم مخصوصين لا يقتضى تخصيص الوعيد بهم.

الرابع: ما خطر بالبال أيضا و هو أن الإخلاص المذكور فى صدر الخبر يشمل الإخلاص عن الرياء و البدعة، و كل ما ينافى قبول العمل فاستشهد لأحد أجزائه بالآية.

باب الشرائع

الحديث الأول

: مرسل.
قوله عليه السلام: شرائع نوح، يحتمل أن يكون المراد بالشرائع أصول الدين و يكون التوحيد و الإخلاص و خلع الأنداد بيانا لها، و الفطرة الحنيفية معطوفة على الشرائع و إنما خص عليه السلام ما به الاشتراک بهذه الثلاثة مع اشتراکه عليه السلام معهم فی کثير من العبادات لاختلاف المشترکات فيها دون هذه الثلاثة، و لعله عليه السلام لم يرد حصر المشترکات فيما ذکر لعدم ذکر سائر أصول الدين، کالعدل و المعاد مع أنه يمکن

وَ خَلْعَ الْأَنْدَادِ وَ الْفِطْرَةَ الْحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَةَ وَ لَا رَهْبَانِيَّةَ وَ لَا سِيَاحَةَ أَحَلَّ فِيهَا الطَّيِّبَاتِ

إدخالهما فى بعض ما ذكر، لا سيما الإخلاص بتكلف و يمكن أن يكون المراد منها الأصول و أصول الفروع المشتركة، و إن اختلفت فى الخصوصيات و الكيفيات و حينئذ يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عليه السلام: و زاده، بيانا للشرائع، و يشكل حينئذ ذكر الرهبانية و السياحة إذ المشهور أن عدمهما من خصائص نبينا صلى الله عليه و آله و سلم إلا أن يقال: المراد عدم الوجوب و هو مشترک، أو يقال: إنهما لم يكونا فى شريعة عيسى عليه السلام أيضا و إن استشكل بالجهاد و أنه لم يجاهد عيسى عليه السلام، فالجواب أنه يمكن أن يكون واجبا عليه لكن لم يتحقق شرائطه، و لذا لم يجاهد و لعل قوله عليه السلام: زاده و فضله، بهذا الوجه أوفق.
و كان المراد بالتوحيد نفى الشريک فى الخلق، و بالإخلاص نفى الشريک فى العبادة، و خلع الأنداد تأكيد لهما، أو المراد به ترک اتباع خلفاء الجور و أئمة الضلالة أو نفى الشرک الخفى أو المراد بالإخلاص نفى الشرک الخفى و بخلع الأنداد نفى الشريک فى استحقاق العبادة، و الأنداد جمع ند و هو مثل الشىء الذى يضاده فى أموره و يناده أى يخالفه، و الفطرة ملة الإسلام التى فطر الله الناس عليها كما مر و الحنيفية المائلة من الباطل إلى الحق أو الموافقة لملة إبراهيم عليه السلام قال فى النهاية:
الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام، و أصل الحنيف الميل، و منه الحديث: بعثت بالحنيفية السمحة السهلة، و فى القاموس: السمحة الملة التى ما فيها ضيق.
و فى النهاية: فيه لا رهبانية فى الإسلام، هى من رهبة النصارى، و أصله من الرهبة الخوف، كانوا يترهبون بالتخلى من أشغال الدنيا و ترک ملاذها و الزهد فيها، و العزلة عن أهلها، و تعمد مشاقها حتى أن منهم من كان يخصى نفسه، و يضع السلسلة فى عنقه و غير ذلک من أنواع التعذيب، فنفاها النبى صلى الله عليه و آله عن الإسلام و نهى المسلمين

عنها، انتهى.
و قال الطبرسى قدس سره: فى قوله تعالى:" وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها" هى الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة إما فى لبسته أو انفراد عن الجماعة أو غير ذلک من الأمور التى يظهر فيها نسک صاحبه و المعنى ابتدعوا رهبانية لم نكتبها عليهم، و قيل: إن الرهبانية التى ابتدعوها هى رفض النساء و اتخاذ الصوامع عن قتادة، قال: و تقديره و رهبانية ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، و قيل: إن الرهبانية التى ابتدعوها لحاقهم بالبرارى و الجبال فى خبر مرفوع عن النبى صلى الله عليه و آله، فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها، و ذلک لتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه و آله عن ابن عباس.
و قيل: إن الرهبانية هى الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة" ما كَتَبْناها" أى ما فرضناها عليهم، و قال الزجاج: إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله و ابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر الله فهذا وجه، قال: و فيها وجه آخر جاء فى التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسرابا و صوامع و ابتدعوا ذلک، فلما ألزموا أنفسهم ذلک التطوع و دخلوا عليه لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه أن يتمه.
قال: و قوله: فما رعوها حق رعايتها، على ضربين أحدهما أن يكونوا قصروا فيما ألزموه أنفسهم، و الآخر و هو الأجود أن يكونوا حين بعث النبى صلى الله عليه و آله فلم يؤمنوا به، و كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلک الرهبانية حق رعايتها، و دليل ذلک قوله:" فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ" يعنى الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه و آله" وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ" أى كافرون، انتهى كلام الزجاج.

و يعضد هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على حمار فقال: يا ابن أم عبد هل تدرى من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟
فقلت: الله و رسوله أعلم، فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بمعاصى الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا هؤلاء أفنونا و لم يبق للدين أحد يدعو إليه، فتعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمدا صلى الله عليه و آله و سلم فتفرقوا فى غيران الجبال و أحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسک بدينه، و منهم من كفر، ثم تلا هذه الآية:" وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ، إلى آخرها، ثم قال: يا بن أم عبد أ تدرى ما رهبانية أمتى؟ قلت: الله و رسوله أعلم، قال: الهجرة و الجهاد و الصلاة و الصوم و الحج و العمرة.
و فى حديث آخر عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه و آله و سلم قال: من آمن بى و صدقنى و اتبعنى فقد رعاها حق رعيتها، و من لم يؤمن بى فأولئک هم الهالكون، انتهى.
و قال فى النهاية: فيه لا سياحة فى الإسلام، يقال: ساح فى الأرض يسيح سياحة إذا ذهب فيها و أصله من السيح و هو الماء الجارى أى المنبسط على الأرض، أراد مفارقة الأمصار و سكنى البرارى و ترک شهود الجمعة و الجماعات، و قيل: أراد الذين يسيحون فى الأرض بالشر و النميمة و الإفساد بين الناس، و من الأول سياحة هذه الأمة الصيام قيل للصائم: سائح لأن الذى يسيح فى الأرض متعبدا يسيح و لا زاد معه و لا ماء، فحين يجد يطعم، و الصائم يمضى نهاره لا يأكل و لا يشرب شيئا فشبه به، انتهى.
قوله عليه السلام أحل فيها الطيبات، إشارة إلى قوله تعالى فى الأعراف:" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِى التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ" الآية، قال الطبرسى قدس سره: و يحل

لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث معناه: يبيح لهم المستلذات الحسنة، و يحرم عليهم القبائح و ما تعافه الأنفس، و قيل: يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب و يحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث، و قيل: يحل لهم ما حرمه عليهم رهابينهم و أحبارهم و ما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر و السوائب و غيرها، و يحرم عليهم الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما ذكر معها" وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ" أى ثقلهم، شبه ما كان على بنى إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل، و ذلک أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضا، و جعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبى صلى الله عليه و آله عن الحسن. و قيل: الإصر هو العهد الذى كان الله سبحانه أخذه على بنى إسرائيل أن يعملوا بما فى التوراة عن ابن عباس و الضحاک و السدى، و يجمع المعنيين قول الزجاج:
الإصر ما عقدته من عقد ثقيل.
" وَ الْأَغْلالَ الَّتِى كانَتْ عَلَيْهِمْ" معناه و يضع عنهم العهود التى كانت فى ذمتهم، و جعل تلک العهود بمنزلة الأغلال التى تكون فى الأعناق للزومها كما يقال: هذا طوق فى عنقک، و قيل: يريد بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم فى التوبة، و قرض ما يصيبه البول من أجسادهم و ما أشبه ذلک من تحريم السبت، و تحريم العروق و الشحوم و قطع الأعضاء الخاطئة، و وجوب القصاص دون الدية عن أكثر المفسرين، انتهى.
و أقول: استدل أكثرهم أصحابنا على تحريم كثير من الأشياء مما تستقذره طباع أكثر الخلق بهذه الآية و هو مشكل، إذ الظاهر من سياق الآية مدح النبى صلى الله عليه و آله و شريعته بأن ما يحل لهم هو طيب واقعا و إن لم نفهم طيبه، و ما يحرم عليهم هو الخبيث واقعا و إن لم نعلم خبثه كالطعام المستلذ الذى يكون من مال اليتيم أو مال السرقة تستلذه الطبع و هو خبيث واقعا، و أكثر الأدوية التى يحتاج الناس إليها فى

وَ حَرَّمَ فِيهَا الْخَبَائِثَ وَ وَضَعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِ فِيهَا الصَّلَاةَ وَ الزَّكَاةَ وَ الصِّيَامَ وَ الْحَجَّ وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحَلَالَ

غاية البشاعة و تستقذرها الطبع و لم أر قائلا بتحريمها، فالحمل على المعنى الذى لا يحتاج إلى تخصيص و يكون موافقا لقواعد الإمامية من الحسن و القبح العقليين أولى من الحمل على معنى لا بد فيه من تخصيصات كثيرة، بل ما يخرج منهما أكثر مما يدخل فيهما كما لا يخفى على من تتبع مواردهما، و يمكن أن يقال: هذه الآية كالصريحة فى الحسن و القبح العقليين و لم يستدل بها الأصحاب رضى الله عنهم.

و قيل: الإصر الثقل الذى يأصر حامله أى يحبسه فى مكانه لفرط ثقله، و قال الزمخشرى: هو مثل لثقل تكليفهم و صعوبته، نحو اشتراط قتل الأنفس فى صحة توبتهم و كذلک الأغلال مثل لما كان فى شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ، من غير شرع الدية، و قطع الأعضاء الخاطئة و قرض موضع النجاسة من الجلد و الثوب، و إحراق الغنائم و تحريم العروق فى اللحم، و تحريم السبت.

و عن عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلى لبسوا المسوخ و غلوا أيديهم إلى أعناقهم، و ربما ثقب الرجل ترقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة، انتهى.

قوله عليه السلام: ثم افترض عليه، أى على نبينا صلى الله عليه و آله و سلم" فيها" أى فى الفطرة التى هى ملته، و كان ثم للتفاوت فى الرتبة، و قيل: المراد بالحلال ما عدا الحرام فيشمل الأحكام الأربعة، و المراد بالفرائض المواريث ذكرت تأكيدا، أو مطلق الواجبات و قيل: الفرائض ما له تقدير شرعى من المواريث و هى أعم منها و من غيرها مما ليس له تقدير، و قيل: المراد بالفرائض ما فرض من القصاص بقدر الجناية، و قوله:

و زاده الوضوء، يدل على عدم شرع الوضوء فى الأمم السابقة، و ينافيه ما ورد فى تفسير قوله تعالى:" فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ" أنهم مسحوا ساقيهم و عنقهم و كان ذلک وضوؤهم إلا أن يقال: المراد زيادة الوضوء كما فى بعض النسخ، و زيادة الوضوء عطفا

وَ الْحَرَامَ وَ الْمَوَارِيثَ وَ الْحُدُودَ وَ الْفَرَائِضَ وَ الْجِهَادَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ زَادَهُ الْوُضُوءَ وَ فَضَّلَهُ بِفَاتِحَةِ الْکِتَابِ وَ بِخَوَاتِیمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَ الْمُفَصَّلِ وَ أَحَلَّ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ الْفَیْءَ وَ نَصَرَهُ بِالرُّعْبِ

على الجهاد، و قوله عليه السلام: و فضله، إشارة إلى ما روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال:
أعطيت مكان التوراة السبع الطول، و مكان الإنجيل المثانى، و مكان الزبور المئين، و فضلت بالمفصل، و فى رواية واثلة بن الأصقع: و أعطيت مكان الإنجيل المئين، و مكان الزبور المثانى، و أعطيت فاتحة الكتاب و خواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبى قبلى، و أعطانى ربى المفصل نافلة.
قال الطبرسى (ره) فالسبع الطويل البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و الأنفال مع التوبة، لأنهما تدعيان القرينتين، و لذلک لم يفصل بينهما بالبسملة و قيل: إن السابعة سورة يونس، و الطول جمع الطولى تأنيث الأطول و إنما سميت هذه السور الطوال، لأنها أطول سورة القرآن و أما المثانى فهى السور التالية للسبع الطول، أولها يونس و آخرها النحل و إنما سميت المثانى لأنها ثنت الطول أى تلتها، و كان الطول هى المبادئ و المثانى لها ثوانى و واحدها مثنى مثل المعنى و المعانى، و قال الفراء، واحدها مثناة، و قيل: المثانى سور القرآن كلها طوالها و قصارها، من قوله تعالى:" كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ" و أما المئون فهى كل سورة تكون نحوا من مائة آية أو فوق ذلک، أو دوينه، و هى سبع سور أولها سورة بنى إسرائيل و آخرها المؤمنون، و قيل، إن المئين: ما ولى السبع الطول ثم المثانى بعدها و هى التى تقصر عن المئين و تزيد على المفصل و سميت مثانى لأن المئين مباديها، و أما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، سميت مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ*، انتهى.
و أقول: اختلف فى أول المفصل فقيل: من سورة ق و قيل من سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلم و قيل من سورة الفتح، و عن النووى: مفصل القرآن من محمد إلى آخر القرآن، و قصاره من الضحى إلى آخره، و مطولاته إلى عم و متوسطاته إلى الضحى، و فى

وَ جَعَلَ لَهُ الْأَرْضَ مَسْجِداً وَ طَهُوراً وَ أَرْسَلَهُ كَافَّةً إِلَى الْأَبْيَضِ وَ الْأَسْوَدِ وَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ

الخبر: المفصل ثمان و ستون سورة و سيأتى تمام الكلام فى ذلک فى كتاب القرآن.
" أحل له المغنم" فى النهاية: الغنمية و الغنم و المغنم و الغنائم هو ما أصيب من أموال أهل الحرب و أوجف عليه المسلمون بالخيل و الركاب، و قال: الفىء ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب و لا جهاد، و أصل الفىء الرجوع، يقال:
فاء يفىء فئة و فيوءا كأنه فى الأصل لهم ثم رجع إليهم، انتهى.
أقول: و يحتمل أن يكون المراد بالمغنم المنقولات و بالفىء الأراضى سواء أخذت بحرب أم لا، و على التقديرين فى قوله توسع أى له و لأهل بيته و أمته، و يحتمل أن يكون اللام سببية لا صلة للإحلال، فيكون من أحل له غير مذكور، فيشمل الجميع، و الاختصاص لما مر أن الأمم السابقة كانوا لا تحل لهم الغنيمة بل كانوا يجمعونها فتنزل نار من السماء فتحرقها، و كان ذلک بلية عظيمة عليهم حتى كان قد يقع فيها السرقة، فيقع الطاعون بينهم فمن الله على هذه الأمة بإحلالها" و نصره بالرعب" مع قلة العدد و العدة و كثرة الأعداء و شدة بأسهم، و الرعب الفزع و الخوف فكان الله تعالى يلقى رعبه فى قلوب الأعداء حتى إذا كان بينه و بينهم مسيرة شهر هابوه و فزعوا منه.
" و جعل له الأرض مسجدا" أى مصلى يجوز لهم الصلاة فى أى موضع شاءوا بخلاف الأمم السابقة فإن صلاتهم كانت فى بيعهم و كنائسهم إلا من ضرورة" و طهورا" أى مطهرا و ما يتطهر به تطهر أسفل القدم و النعل و محل الاستنجاء و تقوم مقام الماء عند تعذره فى التيمم، و المراد بكونها طهورا أنها بمنزلة الطهور فى استباحة الصلاة بها، و حمله السيد (ره) على ظاهره فاستدل بها على ما ذهب إليه أن التيمم يرفع الحدث إلى وجود الماء.
" و أرسله كافة" إشارة إلى قوله تعالى:" وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ" و كافة فى الآية إما حال عما بعدها، أى إلى الناس جميعاً، و من لم يجوز تقديم الحال على

وَ أَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ وَ أَسْرَ الْمُشْرِكِينَ وَ فِدَاهُمْ ثُمَّ كُلِّفَ مَا لَمْ يُكَلَّفْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

ذى الحال المجرور قال: هى حال عن الضمير المنصوب فى أرسلناک، و التاء للمبالغة أو صفة لمصدر محذوف، أى إرساله كافة، أو مصدر كالكاذبة و العاقبة، و لعل الأخيرين فى الخبر أنسب، و ظاهره أن غيره صلى الله عليه و آله و سلم لم يبعث إلى الكافة و هو خلاف المشهور، و يحتمل أن يكون الحصر إضافيا أو يكون المراد به بعثه على جميع من بعده إذ لا نبى بعده بخلاف سائر أولى العزم فإنهم لم يكونوا كذلک، بل نسخت شريعتهم.
" الأبيض و الأسود" العجم و العرب أو كل من اتصف باللونين ليشمل جميع الناس قال فى النهاية: فيه بعثت إلى الأحمر و الأسود، أى العجم و العرب، لأن الغالب على ألوان العجم الحمرة و البياض، و على ألوان العرب الأدمة و السمرة، و قيل: الجن و الإنس، و قيل: أراد بالأحمر الأبيض مطلقا فإن العرب تقول: امرأة حمراء أى بيضاء و منه الحديث أعطيت الكنزين الأحمر و الأبيض، هى ما أفاء الله على أمته من كنوز الملوک، فالأحمر الذهب و الأبيض الفضة، و الذهب كنوز الروم لأنه الغالب على نقودهم، و الفضة كنوز الأكاسرة لأنها الغالبة على نقودهم، و قيل: أراد العرب و العجم جمعهم الله على دينه و ملته، انتهى.
و الكلام فى اختصاص البعث على الجن و الإنس به صلى الله عليه و آله و سلم كالكلام فيما سبق و يدل الخبر أيضا على اختصاص الجزية و الأسر و الفداء، و الجزية: المال الذى يقرره الحاكم على الكتابى إذا أقره على دينه، و هى فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتله و أسره، و الفداء بالكسر و المد، و بالفتح و القصر، فكان الأسير بالمال الذى قرره الحاكم عليه يقال: فداه يفديه فداءا، ثم كلف على بناء المفعول و ثم هنا أيضا مثل ما سبق لأن هذا التكليف أعظم التكاليف و أشقها فقد ثبت صلى الله عليه و آله و سلم فى حرب أحد و حنين بعد انهزام أصحابه مصرحا باسمه لا يبالى شيئا، و أنزل عليه سيف من السماء أى ذو الفقار أو غيره، و كونه بلا غمد تحريص على الجهاد و إشارة إلى أن سيفه ينبغى أن لا يغمد، و قيل السيف عبارة عن آية سورة براءة:" فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ

وَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ سَيْفٌ مِنَ السَّمَاءِ فِی غَيْرِ غِمْدٍ وَ قِيلَ لَهُ- فَقاتِلْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ

2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ فَقَالَ نُوحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ مُحَمَّدٌ ص قُلْتُ كَيْفَ صَارُوا أُولِی الْعَزْمِ قَالَ لِأَنَّ نُوحاً بُعِثَ بِكِتَابٍ وَ شَرِيعَةٍ وَ كُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ نُوحٍ أَخَذَ بِكِتَابِ نُوحٍ وَ شَرِيعَتِهِ وَ مِنْهَاجِهِ حَتَّى جَاءَ

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ" فإنه يقال لها آية السيف و كونه من غير غمد كناية عن أنها من المحكمات، و لا يخفى بعده.

و الغمد بالكسر الغلاف، و قال البيضاوی:" فَقاتِلْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ" أی إن تثبطوا و تركوك وحدك" لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ" أی إلا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم و تقاعدهم فتقدم إلی الجهاد و إن لم يساعدك أحد، فإن الله ناصرك لا الجنود.

: موثق.
" فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ" قال الطبرسى قدس سره أى فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار على ترک إجابتهم لک كما صبر الرسل، و" من" هنا تبيين الجنس فالمراد جميع الأنبياء لأنهم عزموا على أداء الرسالة و تحمل أعبائها، و قيل:
أن من هيهنا للتبعيض، و هو قول أكثر المفسرين، و الظاهر فى روايات أصحابنا، ثم اختلفوا فقيل: هم من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه، و هم نوح و

إِبْرَاهِيمُ ع بِالصُّحُفِ وَ بِعَزِيمَةِ تَرْكِ كِتَابِ نُوحٍ لَا كُفْراً بِهِ فَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ ع أَخَذَ بِشَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ مِنْهَاجِهِ وَ بِالصُّحُفِ حَتَّى جَاءَ مُوسَى بِالتَّوْرَاةِ وَ شَرِيعَتِهِ وَ مِنْهَاجِهِ وَ بِعَزِيمَةِ تَرْكِ الصُّحُفِ وَ كُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ مُوسَى ع أَخَذَ بِالتَّوْرَاةِ وَ شَرِيعَتِهِ وَ مِنْهَاجِهِ حَتَّى جَاءَ الْمَسِيحُ ع بِالْإِنْجِيلِ وَ بِعَزِيمَةِ تَرْكِ شَرِيعَةِ مُوسَى وَ مِنْهَاجِهِ فَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ الْمَسِيحِ أَخَذَ بِشَرِيعَتِهِ وَ مِنْهَاجِهِ حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ ص فَجَاءَ بِالْقُرْآنِ وَ بِشَرِيعَتِهِ وَ مِنْهَاجِهِ فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ حَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهَؤُلَاءِ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ع

إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه و عليهم عن ابن عباس و قتادة و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليه السلام قالا: و هم سادة النبيين و عليهم دارت رحى المرسلين و قيل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه و إبراهيم صبر على النار، و إسحاق صبر على الذبح، و يعقوب صبر على فقد الولد و ذهاب البصر و يوسف صبر على البئر و السجن و أيوب صبر على الضر عن مجاهد، و قيل: هم الذين أمروا بالجهاد و القتال و أظهروا المكاشفة و جاهدوا فى الدين عن السدى و الكلبى، و قيل: هم أربعة إبراهيم و نوح و هود و رابعهم محمد صلى الله عليه و آله و سلم عن أبى العالية، و العزم هو الوجوب و الحتم و أولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع و أوجبوا على الناس الأخذ بها و الانقطاع عن غيرها، انتهى.
قوله عليه السلام: لا كفرا به أى إنكار الحقية بل إيمانا به و بصلاحه فى وقت دون الآخر، و للنسخ مصالح كثيرة، و العبد مأمور بالتسليم، و كان من جملتها ابتلاء الخلق و اختبارهم فى ترک ما كانوا متمسكين به.
قوله: و منهاجه، كأنه إشارة إلى قوله تعالى:" لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً".

ص: 100

بَابُ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ

1 حَدَّثَنِی الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ الزِّیَادِیِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ فُضَیْلٍ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ بُنِیَ الْإِسْلَامُ عَلَی خَمْسٍ عَلَی الصَّلَاةِ وَ الزَّکَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ وَ الْوَلَایَةِ وَ لَمْ یُنَادَ بِشَیْءٍ کَمَا نُودِیَ بِالْوَلَایَةِ

باب دعائم الإسلام

اشارة

قال الجوهرى: الدعامة عماد البيت الذى يقوم به.

الحديث الأول

: ضعيف على المشهور.
" بنى الإسلام على خمس" يحتمل أن يكون المراد بالإسلام الشهادتين، و كأنهما موضوعتان على هذه الخمسة لا تقومان إلا بها، أو المراد بالإسلام الإيمان، و المراد بالبناء عليها كونها أجزاءه و أركانه فحينئذ يمكن أن يكون المراد بالولاية ما يشمل الشهادتين أيضا، أو يكون عدم ذكر الشهادتين لظهورهما، و أما ذكر الولاية التى هى من العقائد الإيمانية مع العبادات الفرعية مع تأخيرها عنها إما للمماشاة مع العامة، أو المراد بالولاية و فور المودة و المتابعة اللتان هما من مكملات الإيمان أو المراد بالأربعة الاعتقاد بها و الانقياد لها، فتكون من أصول الدين لأنها من ضروريات المذهب، و إنكار كل منها كفر و الأول أظهر كما لا يخفى.
" كما نودى بالولاية" أى فى يوم الغدير كما سيأتى، أو فى الميثاق و هو بعيد، و الولاية بالكسر الإمارة و كونه أولى بالحكم و التدبير، و بالفتح المحبة و النصرة و هنا يحتملهما.

2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَجْلَانَ أَبِي صَالِحٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَوْقِفْنِي عَلَى حُدُودِ الْإِيمَانِ فَقَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ صَلَوَاتُ الْخَمْسِ وَ أَدَاءُ الزَّكَاةِ وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ حِجُّ الْبَيْتِ وَ وَلَايَةُ وَلِيِّنَا وَ عَدَاوَةُ عَدُوِّنَا وَ الدُّخُولُ مَعَ الصَّادِقِينَ
3 أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ وَ الْوَلَايَةِ وَ لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ فَأَخَذَ النَّاسُ بِأَرْبَعٍ وَ تَرَكُوا هَذِهِ يَعْنِي الْوَلَايَةَ
4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ

الحديث الثانى

: صحيح.
و حدود الإيمان هنا أعم من أجزائه و شرائطه و مكملاته و الإقرار بما جاء من عند الله إجمالا قبل العلم و تفصيلا بعده كما سيأتى تحقيقه إنشاء الله، و الدخول مع الصادقين متابعة الأئمة الصادقين فى جميع الأقوال و الأفعال أى المعصومين كما قال سبحانه:
" وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" و قد مر الكلام فى تلك الآية فى كتاب الحجة.

الحديث الثالث

: موثق كالصحيح و قد مر شرحه.
و قال بعضهم يعنى أدخل هذه الأعمال فى حقيقة الإسلام، و اعتبرت فيه و عد تاركها من الكفار، و الولاية بالفتح بمعنى المحبة و المودة و هى المراد بها فى الحديث السابق، و لهذا لم يكتف بها حتى أردفه بقوله و الدخول مع الصادقين، و بالكسر تولى الأمر و مالكية التصرف فيها و هو المراد بها هيهنا، انتهى.
و الظاهر أن" يعنى" كلام الراوى و يحتمل المصنف على بعد.

الحديث الرابع

: مجهول.

الْعَرْزَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الصَّادِقِ ع قَالَ قَالَ أَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةٌ الصَّلَاةُ وَ الزَّكَاةُ وَ الْوَلَايَةُ لَا تَصِحُّ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا بِصَاحِبَتَيْهَا
5 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّلْتِ جَمِيعاً عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الْحَجِّ وَ الصَّوْمِ وَ الْوَلَايَةِ قَالَ زُرَارَةُ فَقُلْتُ وَ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ فَقَالَ الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ وَ الْوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ قُلْتُ ثُمَّ الَّذِي يَلِي ذَلِكَ فِي الْفَضْلِ فَقَالَ الصَّلَاةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ الصَّلَاةُ عَمُودُ دِينِكُمْ قَالَ قُلْتُ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهَا فِي الْفَضْلِ قَالَ الزَّكَاةُ لِأَنَّهُ قَرَنَهَا بِهَا وَ بَدَأَ

و الأثافى جمع الأثفية بالضم و الكسر، و هى الأحجار التى توضع عليها القدر و أقلها ثلاثة و إنما اقتصر فى هذا الحديث على هذه الثلاث لأنها أهمهن، و اشتراط صحة الصلاة و الزكاة بالولاية ظاهر.

: صحيح.
و لا ريب فى أن الولاية و الاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام و الإذعان لها من جملة أصول الدين و أفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن أى بها تفتح أبواب معرفة تلک الأمور و حقائقها و شرائطها و آدابها، أو مفتاح قبولهن و الوالى أى الإمام المنصوب من قبل الله" هو الدليل عليهن" يدل من قبل الله الناس على آدابهم و أحكامها و العمود الخشبة التى يقوم عليها البيت، و يمكن أن يكون شبه الدين بالفسطاط و أثبت العمود له على سبيل المكنية و التخييلية، فإذا زال العمود لا ينتفع بالفسطاط لا بغشائه و لا بطنبه و لا بوتده، فكذلک مع ترک الصلاة لا تنتفع بشىء من أجزاء الدين كما صرح بهذا التشبيه فى أخبار أخر، و المراد بالصلاة المفروضة أو الخمس كما مر و سيأتى فى آخر الخبر ما يدل عليه.
قوله عليه السلام: لأنه قرنها بها، استدلال على أن فضل الزكاة بعد الصلاة و قبل غيرها بمجموع مقارنتها فى الذكر مع البداءة بذكر الصلاة ثم أكد الجزء الأخير

بِالصَّلَاةِ قَبْلَهَا وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الزَّكَاةُ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ قُلْتُ وَ الَّذِی یَلِیهَا فِی الْفَضْلِ قَالَ الْحَجُّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ لِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ- وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَحَجَّةٌ مَقْبُولَةٌ

بذکر الحدیث، و لیس هو دلیلا تاما علی الأفضلیة لأن الحج أیضا یذهب الذنوب إلا أن یقال أنه علیه السلام علم أن الإذهاب الذی یحصل فی الزکاة أقوی مما یحصل فی الحج ثم استدل علیه السلام علی فضل الحج بتسمیته تعالی ترک الحج کفرا و ترک ذکر العقاب المترتب علیه، و ذکر الاستغناء الدال علی غایة السخط قال البیضاوی:" لِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ" أی قصده للزیارة علی الوجه المخصوص، و قرأ حمزة و الکسائی و عاصم و فی روایة حفص حج بالکسر و هو لغة نجد" مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا" بدل من الناس مخصص له" وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ" وضع کفر موضع من لم یحج تأکیدا لوجوبه و تغلیظا علی ترکه، و لذلک قال صلی الله علیه و آله و سلم: من مات و لم یحج فلیمت إن شاء یهودیا أو نصرانیا.
و قد أکد أمر الحج فی هذه الآیة من وجوه الدلالة علی وجوبه بصیغة الخبر و إبرازه فی [صورة] الاسمیة و إیراده علی وجه یفید أنه حق واجب لله فی رقاب الناس و تعمیم الحکم أولا و تخصیصه ثانیا فإنه کإیضاح بعد إبهام، و تثنیة و تکریر للمراد و تسمیة ترک الحج کفرا من حیث أنه فعل الکفرة و ذکر الاستغناء فإنه فی هذا الموضع مما یدل علی المقت و الخذلان، و قوله: عن العالمین، یدل علیه لما فیه من مبالغة التعمیم و الدلالة علی الاستغناء عنه بالبرهان، و الإشعار بعظم السخط لأنه تکلیف شاق جامع بین کسر النفس و إتعاب البدن و صرف المال و التجرد عن الشهوات و الإقبال علی الله.
قوله: من عشرین صلاة نافلة فیه دلالة علی أن المراد بالصلاة المفضلة فی أول الخبر الفریضة.

و اعلم أنه يشكل الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة فى فضل الصلاة و الحج فقد روى الخاص و العام عن الصادق عليه السلام و عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: صلاة فريضة خير من عشرين حجة، و حجة خير من بيت مملوء ذهبا يتصدق منه حتى يفنى، و حى على خير العمل فى الأذان متواتر، و روى أن الحج أفضل من الصلاة، و الصيام، لأن المصلى يشتغل عن أهله ساعة و أن الصائم يشتغل عن أهله بياض يوم، و إن الحاج يشخص بدنه و يضحى نفسه و ينفق ماله و يطيل الغيبة عن أهله لا فى مال يرجوه و لا إلى تجارة و نحو ذلک من الأخبار، مع أنه اشتهر فى الرواية إن أفضل الأعمال أحمزها.

و يمكن الجواب عنه بوجوه: الأول: ما يومئ إليه هذا الخبر أن المفضلة من الصلاة الفريضة، و المفضل عليها النافلة أو الحج المفضل هو الفريضة و أن المفضل عليه النافلة، أو المفضلة من الصلاة الفرائض اليومية، و المفضل عليها سائرها كما يرشد إليه تخصيص الأذان و الإقامة المشتملين على حى على خير العمل باليومية.

الثانى: حمل الثواب فى الصلاة على التفضلى، و فى الحج على الاستحقاقى العرفى لا الواقعى كما حققنا فى الكتاب الكبير.

الثالث: أن يراد بالحج الذى فضلت الصلاة عليه، حج سائر الأمم.

الرابع: ما قيل: إن المراد أنه لو صرف زمان الحج و العمرة فى الصلاة كان أفضل و لا يخفى عدم جريانه فى أكثر الأخبار.

الخامس: أن يقال: أنه يختلف الأحوال و الأشخاص كما نقل أن النبى صلى الله عليه و آله سئل أى الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة لأول وقتها، و سئل أى الأعمال أفضل؟

فقال: بر الوالدين، و سئل أى الأعمال أفضل؟ فقال: حج مبرور، فخص كل سائل بما يليق بحاله من الأعمال فيقال: كان السائل الأول عاجزا عن الحج و لم يكن له والدان فكان الأفضل بحسب حاله الصلاة، و الثانى كان له والدان محتاجان إلى بره فكان الأفضل له ذلک، و كذا الثالث.

خَيْرٌ مِنْ عِشْرِينَ صَلَاةً نَافِلَةً وَ مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ طَوَافاً أَحْصَى فِيهِ أُسْبُوعَهُ وَ أَحْسَنَ رَكْعَتَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَ قَالَ فِی يَوْمِ عَرَفَةَ وَ يَوْمِ الْمُزْدَلِفَةِ مَا قَالَ قُلْتُ فَمَا ذَا يَتْبَعُهُ قَالَ الصَّوْمُ

السادس: أن يقال: لكل منهما جهة فضل ليس ذلک للآخر و لا يغنى شیء منهما من الآخر فإنه إذا كانت الصلاة أفضل الأعمال لا يغنى عن الصوم لأن له تأثيرا فى الإيمان و كما له ليس فى الصلاة كما أن الأغذية البدنية كالخبز و الماء لا يغنى شیء منهما عن الآخر فصح أن يقال صلاة واحدة خير من عشرين حجة لأنه يترتب على الصلاة الواحدة أثر لا يترتب ذلک على عشرين حجة، و صح العكس أيضا إذ يؤثر الحج الواحد فى النفس أثرا لا يؤثر عشرون صلاة مثله، و قد بسطنا القول فى ذلک فى كتابنا الكبير.
و أما حديث أفضل الأعمال أحمزها على تقدير تسليم صحته المراد به أن أفضل كل نوع من العمل أحمز ذلک النوع كالوضوء فى البرد و فى الحر، و الحج ماشيا و راكبا و الصوم فى الصيف و الشتاء و أشباهها، و ما قيل: من أن الصلاة مع مقدماتها من معرفة آدابها و تحصيل المسائل المتعلقة بها أحمز من الحج فهو ضعيف فإن للحج أيضا مسائل كثيرة لا يمكن تحصيلها فى سنين متطاولة.
و هيهنا إشكال آخر و هو أن الحج مشتمل على الصلاة أيضا، و إن كان مندوبا فالصلاة فيه فرض فما معنى تفضيل الصلاة الفريضة على عشرين حجة.
و أجيب عنه بأن المراد الحج بلا صلاة، و اعترض عليه بأن الحج بلا صلاة باطل فلا فضل له، فكيف يفضل عليه الصلاة؟ و الجواب أن المراد الحج مع قطع النظر عن الصلاة و ثوابها، لا الحج الذى لم تكن معه صلاة، و هذا الإشكال ينحل بكثير من الأجوبة المتقدمة عن الإشكال الأول لا سيما تخصيص الصلاة بالفرائض اليومية فلا تغفل.
قوله: أحصى فيه أسبوعه، أى حفظها من غير زيادة و لا نقصان و لا سهو و لا شک" و أحسن ركعتيه" أى يفعلهما فى وقتهما و مكانهما مع رعاية الشرائط و الكيفيات

قُلْتُ وَ مَا بَالُ الصَّوْمِ صَارَ آخِرَ ذَلِکَ أَجْمَعَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ قَالَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ مَا إِذَا فَاتَکَ لَمْ تَکُنْ مِنْهُ تَوْبَةٌ دُونَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَتُؤَدِّيَهُ بِعَيْنِهِ إِنَّ الصَّلَاةَ وَ الزَّکَاةَ وَ الْحَجَّ وَ الْوَلَايَةَ لَيْسَ يَقَعُ شَیْءٌ

و الآداب المرعية فيهما" و قال فی يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال" أشار بذلک إلی ما جاء فی ثواب عبادة اليومين و فضل الوقوف بالمشعرين أو فضل الحج و کونه سببا لحط السيئات و رفع الدرجات، قوله: فما ذا يتبعه، و فی بعض النسخ: بما ذا يتبعه أی الرب أو المکلف، و لا يخفی أن هذا السؤال لا فائدة فيه لأنه مع ذکر الصوم أولا فی الأعمال المعدودة و تفضيل ما سواه علم أن الصوم بعدها إلا أن يکون ذلک تمهيدا للسؤال الثانی أو يقال: لما لم يکن کلامه عليه السلام أولا صريحا فی کون تلک الأعمال أفضل من غيرها فهذا السؤال لاستعلام أنه هل بين الصوم و الحج عمل يکون أفضل منه.

قوله: قال: قال رسول الله صلی الله عليه و آله، فی بعض النسخ و قال رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم فيکون من کلام الراوی، أی کيف يکون مؤخرا عنها و قد قال رسول الله صلی الله عليه و آله فيه ذلک و علی النسخة الأخری لعله إنما ذکر عليه السلام حديثا فی فضل الصوم رفعا لما عسی أن يتوهم السائل أنه مما لا فضل فيه، أو أنه قليل الأجر و کونه جنة من النار لأن أعظم أسباب النار هو الشهوات، و الصوم يکسرها، و الظرف متعلق بجنة لتضمنه معنی الوقاية أو السر أو التبعيد، و فی النهاية فيه: الصوم جنة أی نفی صاحبه مما يؤذيه من الشهوات، و الجنة الوقاية ثم ذکر عليه السلام للفضل قاعدة کلية و هو أن الأفضل ما لم يقم شیء آخر مقامه.

و کان المراد بالتوبة هنا المعنی اللغوی أی الرجوع، أو أطلقت علی ما ينوب مناب الشیء مجازا أو أنه عليه السلام لما أطلق الذنب علی الشرک و إن کان لعذر أطلق علی ما يتداراکه التوبة. قوله: أو قصرت، يعنی فی شیء من شرائطه أو أرکانه، و الحاصل أنه عليه السلام أشار إلی أقسام الفوت و أحکامه إجمالا، لأن الفوت إما للعذر مثل المرض

مَكَانَهَا دُونَ أَدَائِهَا وَ إِنَّ الصَّوْمَ إِذَا فَاتَکَ أَوْ قَصَّرْتَ أَوْ سَافَرْتَ فِيهِ أَدَّيْتَ مَكَانَهُ أَيَّاماً غَيْرَهَا وَ جَزَيْتَ ذَلِکَ الذَّنْبَ بِصَدَقَةٍ وَ لَا قَضَاءَ عَلَيْکَ وَ لَيْسَ مِنْ تِلْکَ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ يُجْزِيکَ مَكَانَهُ غَيْرُهُ قَالَ ثُمَّ قَالَ ذِرْوَةُ الْأَمْرِ وَ سَنَامُهُ وَ مِفْتَاحُهُ وَ بَابُ الْأَشْيَاءِ وَ رِضَا الرَّحْمَنِ الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ- مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ

و غيره أو التقصير أو التعمد فى تركه، أو السفر و شبهه، و اللازم إما القضاء فقط أو الكفارة فقط أو هما معا أو لا هذا ذاک، و تفصيله فى كتب الفروع، و الغرض بيان الفرق بين الصوم و الأربعة الباقية بأن الأربعة لا تسقط مع الاستطاعة و الصوم يسقط فى السفر مع القدرة عليه، و ذكر السفر على المثال، و يمكن أن يكون عدم ذكر المرض لأنه قد ينتهى إلى حال لا يقدر على الصوم فيه. و مع السقوط فى السفر يؤدى مكانه أياما، و قد يسقط القضاء أيضا كما إذا استمر مرضه إلى رمضان آخر.

و كان فيه دلالة على بطلان قول من قال أن فاقد الطهورين تسقط عنه الصلاة أداء و قضاء و يحتمل أن يكون ذكر الشق الأول استطرادا و يكون الغرض أن الصوم إذا فات قد يجب قضاؤه و قد لا يجب و يسقط أصلا، بخلاف الأربعة فإنها لا تسقط بحيث لا يجب قضاؤها، فقوله: و جزيت مقابل لقوله أديت أى و قد يكون كذلک.

فإن قلت: صلاة الحائض أيضا ليس لها قضاء؟ قلت: هناک لم يتعلق الوجوب بها أصلا لا أداء و لا قضاء و لا بدلا، و هيهنا عوض عن الصوم بشىء، فيدل على أن للصوم عوضا يقوم مقامه.

و ذروة الشىء بالضم و الكسر أعلاه، و سنام البعير كسحاب معروف و يستعار لأرفع الأشياء، و المراد بالأمر الدين، و بطاعة الإمام انقياده فى كل أمر و نهى، و لما كان معرفة الإمام مع طاعته مستلزم لمعرفة سائر أصول الدين و فروعه فهى كأنها أرفع أجزائه، و كالسنام بالنسبة إلى سائر أجزاء البعير، و كالمفتاح الذى يفتح به جميع الأمور المغلقة، و المسائل المشكلة و كالباب لقرب الحق سبحانه، و للوصول إلى مدينة علم

اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً- أَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَامَ لَيْلَهُ وَ صَامَ نَهَارَهُ وَ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ وَ حَجَّ جَمِيعَ دَهْرِهِ وَ لَمْ يَعْرِفْ وَلَايَةَ وَلِيِّ اللَّهِ فَيُوَالِيَهُ وَ يَكُونَ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ بِدَلَالَتِهِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ حَقٌّ فِي ثَوَابِهِ وَ لَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ أُولَئِکَ الْمُحْسِنُ مِنْهُمْ يُدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ

6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عِيسَى بْنِ السَّرِيِّ أَبِي الْيَسَعِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَخْبِرْنِي بِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا يَسَعُ

الرسول صلى الله عليه و آله و توجب رضا الرحمن، و لا يحصل إلا بها.

و الضمير فى قوله: بعد معرفته راجع إلى الإمام، و يحتمل رجوعه إلى الله و الاستشهاد بالآية لجميع ما ذكر أو للأخير إما مبنى على أن الآية إنما نزلت فى ولاية الأئمة عليهم السلام، أو على أن طاعة الإمام هى بعينها طاعة الرسول إما لأنه أمر بطاعته أو أنه نائب منابه، فحكمه حكم المنوب عنه و قيل: لأن الرسول فى الآية شامل للإمام و هو بعيد.

قوله عليه السلام: ما كان له على الله حق فى ثوابه، لأنه لا تشمله آيات الوعد لأنه إنما وعد المؤمنين الثواب بالجنة و هو ليس من المؤمنين فلا يستحق الثواب بمقتضى الوعد أيضا و إن كان المؤمنون المحسنون أيضا لا يستحقون الثواب بأصل أعمالهم، لكن يجب على الله إثابتهم بمقتضى وعده.

قوله عليه السلام: أولئک المحسن منهم، الظاهر أنه إشارة إلى المخالفين، و المراد بهم المستضعفون فإنهم مرجون لأمر الله، و لذا قال: بفضل رحمته فى مقابلة قوله: ما كان له على الله حق، و الحاصل أن المؤمنين لهم على الله حق لوعده، و المستضعفون ليس لهم على الله حق لأنه لم يعدهم الثواب بل قال: إما يعذبهم و إما يتوب عليهم، فإن أدخلهم الجنة فبمحض فضله، و يحتمل أن يكون إشارة إلى المؤمنين العارفين أى إنما يدخل المؤمنين الجنة و إدخالهم أيضا بفضله لا باستحقاقهم و الأول أظهر.

الحديث السادس

: صحيح بسنديه.

أَحَداً التَّقْصِيرُ عَنْ مَعْرِفَةِ شَىْءٍ مِنْهَا الَّذِى مَنْ قَصَّرَ عَنْ مَعْرِفَةِ شَىْءٍ مِنْهَا فَسَدَ دِينُهُ وَ لَمْ يَقْبَلِ [اَللَّهُ] مِنْهُ عَمَلَهُ وَ مَنْ عَرَفَهَا وَ عَمِلَ بِهَا صَلَحَ لَهُ دِينُهُ وَ قَبِلَ مِنْهُ عَمَلَهُ وَ لَمْ يَضِقْ بِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ لِجَهْلِ شَىْءٍ مِنَ اَلْأُمُورِ جَهْلُهُ فَقَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص وَ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ حَقٌّ فِى الْأَمْوَالِ الزَّكَاةُ

قوله عليه السلام: و لم يضق به، الباء للتعدية و من فى قوله مما هو فيه، للتبعيض و هو مع مدخولة فاعل لم يضق أى لم يضيق عليه شىء مما هو فيه، و يمكن أن يقرأ لجهل بالتنوين، و شىء بالرفع، فشىء فاعل لم يضيق، و فى بعض النسخ" فيما" مكان" مما" فلعل الأخير فيه متعين، و فى بعض النسخ و لم يضر به فيمكن أن يقرأ على بناء المجهول، و" جهله" فعل ماض و من فى مما صلة الضرر، أو على بناء الفاعل و جهله على المصدر فاعله، و" من" ابتدائية يقال: ضره و ضربه، و فى تفسير العياشى و لم يضره ما هو فيه بجهل شىء من الأمور إن جهله، و قيل: يعنى لم يضق أو لم يضر به من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الإسلام و العمل بها جهل شىء جهله من الأمور التى ليست هى من الدعائم، فقوله: مما هو فيه، تعليل لعدم الضيق أو الضرر و قوله: لجهل شىء تعليل للضيق أو الضرر، و قوله: جهله صفة لشىء، و قوله: من الأمور عبارة عن غير الدعائم من شعائر الإسلام، انتهى. و لا يخفى ما فيه.

" و حق فى الأموال" أما مجرور بالعطف على ما جاء و الزكاة بدله و يكون تخصيصا بعد التعميم، و ربما يخص ما جاء بالصلاة و الزكاة و سائر الأخبار المتقدمة و هو بعيد، و إما مرفوع بالخبرية للزكاة و الزكاة مبتدأ، و يمكن أن يقرأ حق على بناء الماضى المجهول، و على التقديرين الجملة معترضة للتأكيد و التبيين و إنما لم يذكر الصلاة لظهور أمرها فاكتفى عنها بما جاء به، و أما رفعه بالعطف على الشهادة كما قيل فهو بعيد، لأنه عليه السلام لم يتعرض فيه لسائر العبادات بل اقتصر فيه على الاعتقادات، و قيل: أراد عليه السلام بالولاية المأمور بها من الله بالكسر الإمارة و أولوية التصرف، و بالأمر بها ما ورد فيها من الكتاب و السنة كالآية المذكورة فى

وَ الْوَلَايَةُ الَّتِی أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَا وَلَایَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ص قَالَ فَقُلْتُ لَهُ هَلْ فِی الْوَلَایَةِ شَیْءٌ دُونَ شَیْءٍ فَضْلٌ یُعْرَفُ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

هذا الحدیث، و کآیة" إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ" و حدیث الغدیر و غیر ذلک، أقول: بل الولایة بالفتح بمعنی المحبة و النصرة و الطاعة و اعتقاد الإمامة هنا أنسب کما لا یخفی.

قوله: هل فی الولایة شیء دون شیء، أقول: هذا الکلام یحتمل وجهین: أحدهما أن یکون المراد هل فی الإمامة شرط مخصوص و فضل معلوم یکون فی رجل خاص من آل محمد بعینه یقتضی أن یکون هو ولی الأمر دون غیره یعرف هذا الفضل لمن أخذ به أی بذلک الفضل و ادعاه و ادعی الإمامة فیکون من أخذ به الإمام أو یکون معروفا لمن أخذ و تمسک به و تابع إماما بسببه، و یکون حجته علی ذلک فالمراد بالموصول الموالی للإمام.

الثانی: أن یکون المراد به هل فی الولایة دلیل خاص یدل علی وجوبها و لزومها فضل أی فضل بیان و حجة و ربما یقرأ بالصاد المهملة أی برهان فاصل قاطع یعرف هذا البرهان لمن أخذ به أی بذلک البرهان، و الأخذ یحتمل الوجهین، و لکل من الوجهین شاهد فیما سیأتی، و یمکن الجمع بین الوجهین بأن یکون قوله شیء دون شیء إشارة إلی الدلیل، و قوله: فضل إشارة إلی شرائط الإمامة و إن کان بعیدا و حاصل جوابه أنه لما أمر الله بطاعة أولی الأمر مقرونة بطاعة الرسول و بطاعته فیجب طاعتهم و لا بد من معرفتهم، و قال الرسول صلی الله علیه و آله: من مات و لم یعرف إمام زمانه، أی من یجب أن یقتدی به فی زمانه، مات میتة جاهلیة، و المیتة بالکسر مصدر للنوع أو کموت أهل الجاهلیة علی الکفر و الضلال، فدل علی أن لکل زمان إماما لا بد من معرفته و متابعته.

ص مَنْ مَاتَ وَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ص وَ كَانَ عَلِيّاً ع وَ قَالَ الْآخَرُونَ كَانَ مُعَاوِيَةَ ثُمَّ كَانَ الْحَسَنَ ع ثُمَّ كَانَ الْحُسَيْنَ ع وَ قَالَ الْآخَرُونَ- يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَ لَا سَوَاءَ وَ لَا سَوَاءَ قَالَ ثُمَّ سَكَتَ ثُمَّ قَالَ أُزِيدُكَ فَقَالَ لَهُ حَكَمٌ الْأَعْوَرُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ ثُمَّ كَانَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ثُمَّ كَانَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ وَ كَانَتِ الشِّيعَةُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَنَاسِكَ حَجِّهِمْ وَ حَلَالَهُمْ وَ حَرَامَهُمْ حَتَّى كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ فَفَتَحَ لَهُمْ وَ بَيَّنَ لَهُمْ مَنَاسِكَ حَجِّهِمْ وَ حَلَالَهُمْ وَ حَرَامَهُمْ حَتَّى صَارَ النَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا كَانُوا

" و كان رسول الله" أى كان من تجب طاعته فى زمن الرسول هو صلى الله عليه و آله و كان بعده صلى الله عليه و آله و سلم عليا، و قال آخرون مكانه معاوية، و إنما لم يذكر الغاصبين الثلاثة- تقية و إشعارا بأن القول بخلافتهم بالبيعة يستلزم القول بخلافة مثل معاوية فاسق جاهل كافر، و بالجملة لما كان هذا أشنع خصه بالذكر مع أن بطلان خلافته يستلزم بطلان خلافتهم.

" ثم كان الحسن" أى فى زمان المعاوية أيضا، ثم كان الإمام الحسين فى بعض زمن معاوية و بعض زمن يزيد عليهما اللعنة، و حسين بن على ثانيا كأنه زيد من الرواة أو النساخ، و يؤيده عدم التكرار فى رواية الكشى، و يحتمل أن يكون جملة حالية بحذف الخبر أى و حسين بن على حى، و قد يقرأ حسين بالتنوين فيكون ابن على خبرا أو يكون ذكره أولا لمقابلته عليه السلام بمعاوية و ثانيا لمقابلته بيزيد، فالمعنى و قال: آخرون: يزيد بن معاوية و الحسين معارضان، أو الواو بمعنى مع" و لا سواء" خبر مبتدإ محذوف، و فى بعض النسخ مكرر ثلاث مرات، أى على و معاوية لا سواء، و حسن و معاوية لا سواء و حسين و يزيد لا سواء.

و الحاصل أن الأمر أوضح من أن يشتبه على أحد فإنه لا يريب عاقل فى أنه إذا كان لا بد من إمام و تردد الأمر بين على و معاوية فعلى أولى بالإمامة،" و كان"

يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّاسِ وَ هَكَذَا يَكُونُ الْأَمْرُ- وَ الْأَرْضُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِإِمَامٍ وَ مَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ إِذْ بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَذِهِ وَ أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ وَ انْقَطَعَتْ عَنْكَ الدُّنْيَا تَقُولُ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى أَمْرٍ حَسَنٍ
أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ عَنْ عِيسَى بْنِ السَّرِيِّ أَبِي الْيَسَعِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع مِثْلَهُ
7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ مُثَنًّى الْحَنَّاطِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ الْوَلَايَةِ وَ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ الْحَجِ
8 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبَانٍ عَنْ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ وَ الْوَلَايَةِ وَ لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ مَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ يَوْمَ الْغَدِيرِ

فى الكل ناقصة لقوله عليا و أبا جعفر و من قال نصب أبا جعفر بتقدير أعنى غفل عن ذلک، و لكن فى قوله: و كانت الشيعة، و قوله أن يكون أبو جعفر، و قوله حتى كان أبو جعفر تامة، و المراد بالكون فى الأخيرين ظهور أمره و رجوع الناس إليه، و قيل: كانت ناقصة و الظرف خبره، و المراد بالناس فى الموضعين علماء المخالفين و رواتهم.

" و هكذا يكون الأمر" أى هكذا يكون أمر الإمامة دائما مرددا بين معصوم من أهل البيت بين فضله و ورعه و عصمته، و جاهل فاسق بين الجهالة و الفسق من خلفاء الجور" و الأرض لا تكون إلا بإمام معصوم" عالم بجميع ما يحتاج إليه الأمة، و من لم يعرفه مات ميتة جاهلية، و أحوج مبتدأ مضاف إلى ما، و هى مصدرية و تكون تامة و نسبة الحاجة إلى المصدر مجاز، و المقصود نسبة الحاجة إلى فاعل المصدر باعتبار بعض أحوال وجوده و إلى متعلق بأحوج و" ما" موصولة و عبارة عن التصديق بالولاية و إذا، ظرف و هو خبر أحوج،" أومأ" كلام الراوى وقع بين كلامه عليه السلام.

الحديث السابع

: ضعيف على المشهور.

الحديث الثامن

: مجهول.

9 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عِیسَی بْنِ اَلسَّرِیِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع حَدِّثْنِی عَمَّا بُنِیَتْ عَلَیْهِ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ إِذَا أَنَا أَخَذْتُ بِهَا زَکَی عَمَلِی وَ لَمْ یَضُرَّنِی جَهْلُ مَا جَهِلْتُ بَعْدَهُ فَقَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص وَ اَلْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ حَقٌّ فِی الْأَمْوَالِ مِنَ الزَّکَاةِ وَ اَلْوَلَایَةُ اَلَّتِی أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَا وَلَایَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ص فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ مَنْ مَاتَ وَ لَا یَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِیتَةً جَاهِلِیَّةً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِی اَلْأَمْرِ مِنْکُمْ فَکَانَ عَلِیٌّ ع ثُمَّ صَارَ مِنْ بَعْدِهِ- اَلْحَسَنُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ اَلْحُسَیْنُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ عَلِیُّ بْنُ اَلْحُسَیْنِ

الحديث التاسع

: صحيح و هو مختصر من الحديث السادس و الراوى واحد.
و قال أبو الفتح الكراجكى قدس سره فى كنز الفوائد: جاء فى الحديث من طريق العامة عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: من مات و ليس فى عنقه بيعة لإمام، أو ليس فى عنقه عهد لإمام مات ميتة جاهلية، و روى كثير منهم أنه صلى الله عليه و آله قال: من مات و هو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، و هذان الخبران يطابقان المعنى فى قول الله تعالى:" يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِکَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا".
فإن قال الخصوم: إن الإمام هيهنا هو الكتاب؟ قيل لهم: هذا انصراف عن ظاهر القرآن بغير حجة توجب ذلک و لا برهان، لأن ظاهر التلاوة يفيد أن الإمام فى الحقيقة هو المقدم فى الفعل و المطاع فى الأمر و النهى، و ليس يوصف بهذا الكتاب إلا أن يكون على سبيل الاتساع و المجاز، و المصير إلى الظاهر من حقيقة الكلام أولى، إلا أن يدعو إلى الانصراف عنه الاضطرار، و أيضا فإن أحد الخبرين يتضمن ذكر البيعة و العهد للإمام و نحن نعلم أن لا بيعة للكتاب فى أعناق الناس، و لا معنى لأن يكون له عهد فى الرقاب، فعلم أن قولكم فى الإمام أنه الكتاب غير صواب.

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِیٍّ ثُمَّ هَکَذَا یَکُونُ الْأَمْرُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِإِمَامٍ وَ مَنْ مَاتَ لَا یَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِیتَةً جَاهِلِیَّةً وَ أَحْوَجُ مَا یَکُونُ أَحَدُکُمْ إِلَی مَعْرِفَتِهِ إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُهُ هَاهُنَا قَالَ وَ أَهْوَی بِیَدِهِ إِلَی صَدْرِهِ یَقُولُ حِینَئِذٍ لَقَدْ کُنْتُ عَلَی أَمْرٍ حَسَنٍ

10 عَنْهُ عَنْ أَبِی الْجَارُودِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی جَعْفَرٍ ع یَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هَلْ تَعْرِفُ مَوَدَّتِی لَکُمْ وَ انْقِطَاعِی إِلَیْکُمْ وَ مُوَالاتِی إِیَّاکُمْ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ- فَقُلْتُ فَإِنِّی أَسْأَلُکَ مَسْأَلَةً تُجِیبُنِی فِیهَا فَإِنِّی مَکْفُوفُ الْبَصَرِ قَلِیلُ الْمَشْیِ وَ لَا أَسْتَطِیعُ زِیَارَتَکُمْ کُلَّ حِینٍ قَالَ هَاتِ حَاجَتَکَ قُلْتُ أَخْبِرْنِی بِدِینِکَ الَّذِی تَدِینُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ أَنْتَ وَ أَهْلُ بَیْتِکَ لِأَدِینَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ قَالَ إِنْ کُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ فَقَدْ أَعْظَمْتَ الْمَسْأَلَةَ وَ اللَّهِ لَأُعْطِیَنَّکَ دِینِی وَ دِینَ آبَائِیَ الَّذِی نَدِینُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ شَهَادَةَ أَنْ

فإن قالوا: ما تنکرون أن یکون الإمام المذکور فی الآیة هو الرسول صلی الله علیه و آله و سلم؟

قیل لهم: إن الرسول قد فارق الأمة بالوفاة، و فی أحد الخبرین أنه إمام الزمان، و هذا یقتضی أنه حی ناطق موجود فی الزمان فأما من مضی بالوفاة فلیس یقال أنه إمام و إلا لکان إبراهیم علیه السلام إمام زماننا، إلی آخر ما قال رحمه الله.

الحديث العاشر

: ضعيف.
و ضمير عنه كأنه راجع إلى عيسى بن السرى" إن كنت أقصرت الخطبة" الظاهر أن الخطبة بضم الخاء أى ما يتقدم من الكلام المناسب قبل إظهار المطلوب، و كأنه عليه السلام عد خطبة قصيرة مع طولها إعظاما للمسألة و إيذانا بأن هذا المقصود الجليل يستدعى أطول من ذلک من الخطبة، و قيل: إقصاره إياها اكتفاؤه بالاستفهام من غير بيان و إعلام، و منهم من قرأ الخطبة بالكسر مستعارة من خطبة النساء و هو تكلف.
قال فى النهاية فى الحديث أن أعرابيا جاءه فقال: علمنى عملا يدخلنى الجنة، فقال: لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أى جئت بالخطبة قصيرة و بالمسألة عريضة، يعنى قللت الخطبة و أعظمت المسألة.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص وَ الْإِقْرَارَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ الْوَلَايَةَ لِوَلِيِّنَا وَ الْبَرَاءَةَ مِنْ عَدُوِّنَا وَ التَّسْلِيمَ لِأَمْرِنَا وَ انْتِظَارَ قَائِمِنَا وَ الِاجْتِهَادَ وَ الْوَرَعَ

11 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع فَقَالَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ أَخْبِرْنِی عَنِ الدِّينِ الَّذِی افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَی الْعِبَادِ مَا لَا يَسَعُهُمْ جَهْلُهُ وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ غَيْرُهُ مَا هُوَ فَقَالَ أَعِدْ عَلَيَّ فَأَعَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ

" و التسليم لأمرنا" أی الرضا قلبا بما يصدر عنهم قولا و فعلا من اختيارهم المهادنة أو القتال أو الظهور أو الغيبة و سائر ما يصدر عنهم مما يعجز العقول عن إدراکه و الأفهام عن استنباط علته کما قال تعالی:" فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّی يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً" و الاجتهاد بذل الجهد فی الطاعات، و الورع الاجتناب عن المعاصی بل الشبهات و المکروهات.

: ضعيف على المشهور.
قوله:" ما لا يسعهم" عطف بيان للدين أو مبتدأ" و ما هو" خبره، قوله: أعد على كان الأمر بالإعادة لسماع الحاضرين و إقبالهم إليه أو لإظهار حسن الكلام و التلذذ بسماعه و كأنه يدخل فى شهادة التوحيد كلما يتعلق بمعرفة الله من صفات فعله و فى شهادة الرسالة ما يتعلق بمعرفة الأنبياء و صفاتهم، و كذا الإقرار بالمعاد داخل فى الأولى أو فى الثانية لأخبار النبى بذلک،" و إقام الصلاة" حذفت التاء للاختصار، و قيل: المراد بإقامتها إدامتها، و قيل: فعلها على ما ينبغى، و قيل: فعلها فى أفضل أوقاتها و قيل: جاء على عرف القرآن فى التعبير من فعل الصلاة بلفظ الإقامة دون أخواتها، و ذلک لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه من الشرائط و الفرائض و السنن و الفضائل، و إقامتها إدامة فعلها مستوفاة جميع ذلک.

ص: 116
سَبِيلًا وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ سَكَتَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ وَ الْوَلَايَةُ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ هَذَا الَّذِی فَرَضَ اللَّهُ عَلَی الْعِبَادِ وَ لَا یَسْأَلُ الرَّبُّ الْعِبَادَ یَوْمَ الْقِیَامَةِ فَیَقُولَ أَلَّا زِدْتَنِی عَلَی مَا افْتَرَضْتُ عَلَیْکَ وَ لَکِنْ مَنْ زَادَ زَادَهُ اللَّهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص سَنَّ سُنَناً حَسَنَةً جَمِیلَةً یَنْبَغِی لِلنَّاسِ الْأَخْذُ بِهَا
12 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَیُّوبَ عَنْ أَبِی زَیْدٍ الْحَلَّالِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِیدِ بْنِ أَبِی الْعَلَاءِ الْأَزْدِیِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَرَضَ عَلَی خَلْقِهِ خَمْساً فَرَخَّصَ فِی أَرْبَعٍ وَ لَمْ یُرَخِّصْ

أقول: و یمکن أن یکون ذکر الإقامة لتشبیه الصلاة من الإیمان بمنزلة العمود من الفسطاط کما ورد فی الخبر، و إنما لم یذکر الجهاد لأنه لا یجب إلا مع الإمام فهو تابع للولایة مندرج تحتها، أو لعدم تحقق شرط وجوبه فی ذلک الزمان قوله: مرتین أی کرر الولایة تأکیدا.
قوله علیه السلام: هذا الذی فرض الله علی العباد أی علم فرضها ضرورة من الدین" فیقول ألا زدتنی" بالتشدید حرف تحضیض، و إذا دخل علی الماضی یکون للتعبیر و التندیم، و کان المعنی أنه لا یسأل عن شیء سوی هذه من جنسها، کما أنه من أتی بالصلوات الخمس لا یسأل الله عن النوافل و من أتی بالزکاة الواجبة لا یسأل عن الصدقات المستحبة و هکذا.

الحديث الثانى عشر

: ضعيف.
قوله عليه السلام: فرخص فى أربع كالتقصير فى الصلاة فى السفر و تأخيرها عن وقت الفضيلة مع العذر، و ترک کثير من واجباتها فى بعض الأحيان، أو سقوط الصلاة عن الحائض و النفساء، و عن فاقد الطهورين أيضا إن قلنا به، و الزكاة عمن لم يبلغ ماله النصاب أو لم يحل عليه الحول، أو لم يتمكن من التصرف فيه أو فقد سائر الشرائط، و الحج عمن لم يستطع أو لم يخل سر به و أشباه ذلک، و الصوم عن المسافر أو الشيخ الكبير أو ذى العطاش و أمثالهم، بخلاف الولاية فإنها مع بقاء التكليف لا يسقط

فِی وَاحِدَةٍ
13 عَنْهُ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبَانٍ عَنْ إِسْمَاعِیلَ الْجُعْفِیِّ قَالَ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَی أَبِی جَعْفَرٍ ع وَ مَعَهُ صَحِیفَةٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ ع هَذِهِ صَحِیفَةُ مُخَاصِمٍ یَسْأَلُ عَنِ الدِّینِ الَّذِی یُقْبَلُ فِیهِ الْعَمَلُ فَقَالَ رَحِمَکَ اللَّهُ هَذَا الَّذِی أُرِیدُ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِیکَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً ص عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ تُقِرَّ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ الْوَلَایَةُ لَنَا أَهْلَ الْبَیْتِ وَ الْبَرَاءَةُ مِنْ عَدُوِّنَا وَ التَّسْلِیمُ لِأَمْرِنَا وَ الْوَرَعُ وَ التَّوَاضُعُ وَ انْتِظَارُ قَائِمِنَا فَإِنَّ لَنَا دَوْلَةً إِذَا شَاءَ اللَّهُ جَاءَ بِهَا
14 عَلِیٌّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ وَ أَبُو عَلِیٍّ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ جَمِیعاً عَنْ صَفْوَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَیْثٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَی أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع وَ هُوَ فِی مَنْزِلِ أَخِیهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ مَا حَوَّلَکَ إِلَی هَذَا الْمَنْزِلِ قَالَ طَلَبُ النُّزْهَةِ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ أَ لَا أَقُصُّ عَلَیْکَ دِینِی فَقَالَ بَلَی قُلْتُ أَدِینُ اللَّهَ بِشَهَادَةِ

وجوبها فی حال من الأحوال، و یحتمل أن یراد بالرخصة أنه لا ینتهی ترکها إلی حد الکفر و الخلود فی النار، بخلاف الولایة فإن ترکها کفر و الأول أظهر.

: ضعيف على المشهور.
" صحيفة مخاصم" أى مناظر مجادل سائل و فى بعض النسخ سئل أى فيها، و يحتمل على هذه النسخة أن يكون مخاصم اسم رجل، و قيل فى بعض النسخ: سل فعل أمر يعنى لا تناظرنى بل سل من غير تعنت و هو أوضح، انتهى.
و أقول: ما رأيت هذه النسخة و فى وضوحه خفاء" و تقر" أى و إن تقر" و الورع" أى عن محارم الله" و التواضع" أى لله و لأوليائه أو الأعم و انتظار القائم عليه السلام يتضمن العلم بوجوده و ظهوره و عدم الشک فيه و التسليم لغيبته و الصبر على ما يلقاه من الأذى فيها و التمسک بما فى يده من آثارهم و الرجوع إلى رواة أخبارهم عليه السلام.

: صحیح.
و فی القاموس: التنزه التباعد، و الاسم النزهة بالضم، و مکان نزه ککتف و

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيکَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِی الْقُبُورِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَ صَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ حِجِّ الْبَيْتِ وَ الْوَلَايَةِ لِعَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ الْوَلَايَةِ لِلْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ وَ الْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ الْوَلَايَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ لَکَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَ أَنَّكُمْ أَئِمَّتِی عَلَيْهِ أَحْيَا وَ عَلَيْهِ أَمُوتُ وَ أَدِينُ اللَّهَ بِهِ فَقَالَ يَا عَمْرُو هَذَا وَ اللَّهِ دِينُ اللَّهِ وَ دِينُ آبَائِیَ الَّذِی أَدِينُ اللَّهَ بِهِ فِی السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ فَاتَّقِ اللَّهَ وَ كُفَّ لِسَانَکَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَ لَا تَقُلْ إِنِّی هَدَيْتُ نَفْسِی بَلِ اللَّهُ هَدَاکَ فَأَدِّ شُكْرَ مَا أَنْعَمَ

نزيه، و أرض نزهة بكسر الزای و نزيهة بعيدة عن الريف و عمق المياه و ذبان القری و ومد البحار، و فساد الهواء، نزه ككرم و ضرب نزاهة و نزاهية و الرجل تباعد عن كل مكروه فهو نزيه، و استعمال التنزه فی الخروج إلى البساتين و الخضر و الرياض غلط قبيح، و هو بنزهة من الماء بالضم ببعد، انتهى.

و أقول: كفى باستعماله فی هذا المعنى ظاهرا شاهدا على صحته بل فصاحته و إن أمكن حمله على بعض المعانى التى صححها مع أنهم عليهم السلام قد كانوا يتكلمون بعرف المخاطبين و مصطلحاتهم تقريبا إلى إفهامهم.

و قال فی المصباح قال ابن قتيبة: ذهب أهل العلم فی قول الناس خرجوا يتنزهون إلى البساتين أنه غلط و هو عندی ليس بغلط لأن البساتين فی كل بلد إنما تكون خارج البلد فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل و البيوت، ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة فی الخضر و الجنان.

قوله: أدين الله أی أعبد الله و أطيعه بتلک العقائد و الأعمال فی السر و العلانية أی بالقلب و اللسان و الجوارح أو فی الخلوة و المجامع مع عدم التقية." و كف لسانک" تخصيص اللسان بالذكر بعد الأمر بالتقوى مطلقا لكون أكثر الشرور منه" و لا تقل إنی هديت نفسی" أی لا تفسد دينک بالعجب، و اعلم

اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ عَلَيْکَ وَ لَا تَکُنْ مِمَّنْ إِذَا أَقْبَلَ طُعِنَ فِی عَيْنِهِ وَ إِذَا أَدْبَرَ طُعِنَ فِی قَفَاهُ وَ لَا تَحْمِلِ النَّاسَ عَلَی کَاهِلِکَ فَإِنَّکَ أَوْشَکَ إِنْ حَمَلْتَ النَّاسَ عَلَی کَاهِلِکَ أَنْ يُصَدِّعُوا شَعَبَ کَاهِلِکَ
15 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنِ ابْنِ مُسْکَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ أَ لَا أُخْبِرُکَ بِالْإِسْلَامِ أَصْلِهِ وَ فَرْعِهِ-

---

أن الهداية من الله سبحانه، و هو نهی عن القول بالتفويض المطلق و إنكار مدخلية هداية الله و توفيقه و خذلانه فی الفعل و الترک كما مر تحقيقه" و لا تكن ممن إذا أقبل" أی كن من الأخيار ليمدحک الناس فی وجهک و قفاک و لا تكن من الأشرار الذين يذمهم الناس فی حضورهم و غيبتهم أو أمر بالتقية من المخالفين أو حسن المعاشرة مطلقا.
" و لا تحمل الناس علی كاهلک" أی لا تسلط الناس علی نفسک بترک التقية أو لا تحملهم علی نفسک بكثرة المداهنة و المداراة معهم بحيث تتضرر بذلک، كان يضمن لهم و يتحمل عنهم ما لا يطيق أو يطعمهم فی أن يحكم بخلاف الحق أو يوافقهم فيما لا يحل، و هذا أفيد و إن كان الأول أظهر، و قال الفيروزآبادی:
الكاهل كصاحب: الحارک، أو مقدم أعلی الظهر مما يلی العنق و هو الثلث الأعلی و فيه ست فقرا، و ما بين الكتفين أو موصل العنق فی الصلب، و قال: الصدع الشق فی شیء صلب، و قال: الشعب بالتحريک بعد ما بين المنكبين.

الحديث الخامس عشر

: صحيح.
قوله عليه السلام: ذروة سنامه، الإضافة بيانية أو لامية إذ للسنام الذى هو ذروة البعير ذروة أيضا هى أرفع أجزائه، و إنما صارت الصلاة أصل الإسلام لأنها بدونها لا يثبت على ساق، و الزكاة فرعه لأنه بدونها لا تتم و قيل: لأنها بدونه لا تصح و لا تقبل، و الجهاد ذروة سنامه لأنه سبب لعلو الإسلام و ارتفاعه، و قيل: لأنه فوق كل بر كما ورد فى الخبر، و ذكر من أبواب الخير ثلاثة: أحدها: الصوم

وَ ذِرْوَةِ سَنَامِهِ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاکَ قَالَ أَمَّا أَصْلُهُ فَالصَّلَاةُ وَ فَرْعُهُ الزَّکَاةُ وَ ذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ إِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُکَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ قُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاکَ قَالَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ وَ الصَّدَقَةُ تَذْهَبُ بِالْخَطِيئَةِ وَ قِيَامُ الرَّجُلِ فِی جَوْفِ اللَّيْلِ بِذِکْرِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ ع- تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ

بَابُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يُحْقَنُ بِهِ الدَّمُ وَ تُؤَدَّی بِهِ الْأَمَانَةُ وَ أَنَّ الثَّوَابَ عَلَی الْإِيمَانِ

1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنِ الْحَکَمِ بْنِ أَيْمَنَ

أی الواجب أو الأعم لأنه جنة من النار و مما يؤدی إليها من الشهوات، و ثانيها: الصدقة الواجبة أو الأعم فإنها تكفر الخطايا و تذهبها، و ثالثها: صلاة الليل لمدحه تعالى فاعلها بقوله:" تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ" حيث حصر الإيمان فيهم أولا ثم مدحهم بما مدحهم به، ثم عظم و أبهم جزاءهم حيث قال:" إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِیَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ" و يحتمل أن يكون المراد بأبواب الخير الصوم فقط، فيكون ذكر ما بعده تبرعا، و الأول أظهر.

باب أن الإسلام يحقن به الدم و أن الثواب على الإيمان

اشارة

يقال: حقن دم فلان أى أنقذه من القتل.

الحديث الأول

: مجهول بل حسن.
و يدل على عدم ترادف الإيمان و الإسلام و أن غير المؤمن من فرق أهل الإسلام لا يستحق الثواب الأخروى أصلا كما هو الحق و المشهور بين الإمامية

عَنِ الْقَاسِمِ الصَّيْرَفِيِّ شَرِيكِ الْمُفَضَّلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ الْإِسْلَامُ يُحْقَنُ

و ستعرف أن كلا من الإسلام و الإيمان يطلق على معان، و ظاهر هذا الخبر أن المراد بالإيمان الإذعان بوجوده تعالى و صفاته الكمالية و بالتوحيد و المعاد و الإقرار بنبوة نبينا صلى الله عليه و آله و سلم و إمامة الأئمة الاثنى عشر صلوات الله عليهم، و بجميع ما جاء به النبى ما علم منها تفصيلا و ما لم يعلم إجمالا و عدم الإتيان بما يخرجه عن الدين كعبادة الضم، و الإسلام هو الإذعان الظاهرى بالله و برسوله و عدم إنكار ما علم ضرورة من دين الإسلام فلا يشترط فيه ولاية الأئمة عليهم السلام، و لا الإقرار القلبى فيدخل فيه المنافقون و جميع فرق المسلمين ممن يظهر الشهادتين عدا النواصب و الغلاة و المجسمة و من أتى بما يخرجه عن الدين كعبادة الصنم و إلقاء المصحف فى القاذورات عمدا و نحو ذلک، و سيأتى تفصيل القول فى جميع ذلک إنشاء الله.

ثم إنه ذكر عليه السلام من الثمرات المترتبة على الإسلام ثلاثة:

الأول: حقن الدم، قال فى القاموس: حقنة يحقنه و يحقنه حبسه، و دم الفلان أنقذه من القتل، انتهى.

و ترتب هذه الثمرة على الإسلام الظاهرى ظاهر، لأن فى صدر الإسلام و زمن الرسول كانوا يكتفون فى ترک قتل الكفار بإظهارهم الشهادتين، و بعده صلى الله عليه و آله و سلم لما حصلت الشبهة بين المسلمين و اختلفوا فى الإمامة فخرجت عن كونه من ضروريات الدين، فدم المخالفين و سائر فرق المسلمين محفوظة إلا الخوارج و النواصب، فإن ولاية أهل البيت و محبتهم كانت من ضروريات الدين، و إنما الخلاف كان فى إمامتهم، و الباغى على الإمام يجب قتله بنص القرآن، و هذا الحكم إنما هو إلى ظهور القائم عليه السلام إذ فى ذلک الزمان ترتفع الشبهة و يظهر الحق بحيث لا يبقى لأحد عذر، فحكم منكر الإمامة فى ذلک الزمان حكم سائر الكفار فى وجوب قتلهم و غير ذلک.

و أما المنافقون المظهرون للعقائد الحقة ظاهرا و المنكرون لها قلبا فيحتمل

بِهِ الدَّمُ وَ تُؤَدَّى بِهِ الْأَمَانَةُ وَ تُسْتَحَلُّ بِهِ الْفُرُوجُ وَ الثَّوَابُ عَلَى الْإِيمَانِ

عدم قبول ذلک منهم، لحکمه علیه السلام بعلمه فی أکثر الأحکام، و یحتمل قبوله منهم إلی أن یظهر منهم خلافه کما یظهر من أخبار دابة الأرض و أکثر الأخبار فی ذلک مجملة.
الثانی: أداء الأمانة و ظاهره عدم وجوب رد ودیعة من لم یظهر الإسلام، و هو خلاف المشهور و سائر الأخبار، فإن المشهور بین الأصحاب وجوب رد الودیعة و لو کان المودع کافرا، و قال أبو الصلاح: إن کان حربیا وجب أن یحتمل ما أودعه إلی سلطان الإسلام، و یدل کثیر من الأخبار علی الأول، فیمکن حمل الخبر علی أن الرد علی المسلم آکد أو أنه مما یحکم به أهل الإسلام. أو المراد بالأمانة غیر الودیعة مما حصل من أمواله فی ید غیره، أو المراد أن الإسلام یصیر سببا لأن یؤدی الأمانات إلی أهلها و فی الکل تکلف، و الحمل علی مذهب أبی الصلاح (ره) أیضا یحتاج إلی تکلف لأنه أیضا یوجب رد أمانة الذمی، فیمکن أن یقال: رد أمانة الذمی أیضا بسبب الإسلام إذ هو بسبب أنه فی أمان المسلمین و ذمتهم.
قال بعض الأفاضل: إن قیل: أداء أمانة الکافر أیضا واجب فلم خص بالمسلم؟
قلنا: إنما یجب أداء أمانة الکافر إذا صار فی حکم المسلم بالذمة.
الثالث: استحلال الفرج بالإسلام، فیدل ظاهرا علی عدم جواز نکاح الکافرة مطلقا بل بملک الیمین أیضا إلا ما خرج بالدلیل، و کذا إنکاح الکافر، و علی جواز نکاح المسلمة مطلقا و کذا نکاح المسلم من أی الفرق کان.
أما الأول، فلا خلاف فی عدم نکاح المسلم غیر الکتابیة و فی تحریم الکتابیة أقوال: التحریم مطلقا، و جواز متعة الیهودیة و النصرانیة اختیارا، و الدوام اضطرارا، و عدم جواز العقد بحال، و جواز ملک الیمین و جواز المتعة و ملک الیمین للیهودیة و النصرانیة، و تحریم الدوام کما هو مختار أکثر المتأخرین تحریم نکاحهن مطلقا اختیارا، و تجویزه مطلقا اضطرارا، و تجویز الوطء بملک الیمین

ص: 123
2 عَلِیٌّ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا ع قَالَ الْإِیمَانُ إِقْرَارٌ وَ عَمَلٌ وَ الْإِسْلَامُ إِقْرَارٌ بِلَا عَمَلٍ

الجواز مطلقا كما ذهب إليه الصدوق، و فى المجوسية اختلاف فى الأقوال و الروايات و الأقرب جواز وطيها بملك اليمين، و الأحوط الترک فى غير ذلک و إذا أسلم زوج الكتابية فهو على نكاحه و إن لم يدخل بها.
و أما الثانى و هو تزويج غير المؤمن من فرق المسلمين فالمشهور اعتبار الإيمان فى جانب الزوج دون الزوجة، و ذهب جماعة إلى عدم اعتباره مطلقا، و الاكتفاء بمجرد الإسلام و لا يخلو من قوة فى زمان الهدنة، و لا يصح نكاح الناصب المبغض لأهل البيت عليهم السلام مطلقا.
ثم ذكر عليه السلام ثمرة الإيمان و هو ترتب الثواب على أعماله فى الآخرة فغير المؤمن الاثنى عشرى المصدق قلبا لا يترتب على شىء من أعماله ثواب فى الآخرة و يلزمه الخلود فى النار كما مر و سيأتى أيضا إنشاء الله.

: حسن كالصحيح.
و يدل على اصطلاح آخر للإيمان و الإسلام و هو أن الإسلام نفس العقائد مع العمل بمقتضاها من الإتيان بالفرائض و ترک الكبائر و هذا اصطلاح آخر غير الاصطلاح المتقدم، و ربما يأول هذا الخبر بأن المراد بالإقرار الإقرار بالشهادتين و بالعمل عمل القلب و هو التصديق بجميع ما أتى به النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو بأن المراد بالإقرار ترک الإيذاء و الإنكار، و المراد بالعمل العمل الصحيح، و الحمل فيهما على المجاز أى الإيمان سبب لأن يقر على دينه و لا يؤذى و يحكم عليه بأحكام المسلمين و سبب لصحة أعماله بخلاف الإسلام فإنه يصير سببا للأول دون الثانى، و لا يخفى بعده، و يحتمل أن يكون المراد بالإقرار إظهار الشهادتين، و بالعمل ما يقتضيه من التصديق بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و منها الولاية فيرجع إلى الخبر الأول.

ص: 124
3 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ

: صحيح.
" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا" قال البيضاوى: نزلت فى نفر من بنى أسد، قدموا المدينة فى سنة جدبة و أظهروا آله الشهادتين، و كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:
أتيناک بالأثقال و العيال و لم نقاتلک كما قاتلک بنو فلان، يريدون الصدقة و يمنون" قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا" إذ الإيمان تصديق مع ثقة و طمأنينة قلب و لم يحصل لكم و إلا لما مننتم على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالإسلام و ترک المقاتلة كما دل عليه آخر السورة" وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا" فإن الإسلام انقياد و دخول فى السلم و إظهار الشهادتين و ترک المحاربة يشعر به" وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ" توقيت لقولوا، فإنه حال عن ضميره أى و لكن قولوا أسلمنا و لم تواطىء قلوبكم ألسنتكم بعد.
و قال الطبرسى قدس سره:" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا" أى صدقنا بما جئت به" قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا" أى لم تصدقوا على الحقيقة فى الباطن" وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا" أى أنقذنا و استسلمنا مخافة السبى و القتل، ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال:" وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ" قال الزجاج: الإسلام إظهار الخضوع و القبول لما أتى به الرسول و بذلک يحقن الدم، فإن كان مع ذلک الإظهار اعتقاد و تصديق بالقلب فذلک الإيمان و صاحبه المسلم المؤمن حقا، فأما من أظهر قبول الشريعة و استسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم و باطنه غير مصدق و قد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله:" وَ لَمَّا يَدْخُلِ" إلى آخره، أى لم تصدقوا بعد ما أسلمتم تعوذا من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر، و المسلم التام الإسلام مظهر للطاعة، و هو مع ذلک مؤمن بها، و الذى أظهر الإسلام تعوذا من القتل غير مؤمن بالحقيقة إلا أن حكمه فى الظاهر حكم المسلمين، انتهى.
و بالجملة هذه الآية مما استدل به القائلون بعدم ترادف الإسلام و الإيمان،

تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِی قُلُوبِكُمْ- فَقَالَ لِی أَ لَا تَرَی أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ السِّمْطِ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَلَمْ يُجِبْهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ثُمَّ الْتَقَيَا فِی الطَّرِيقِ وَ قَدْ أَزِفَ مِنَ الرَّجُلِ الرَّحِيلُ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع كَأَنَّهُ قَدْ أَزِفَ مِنْكَ رَحِيلٌ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ فَالْقَنِی فِی الْبَيْتِ فَلَقِيَهُ فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَقَالَ- الْإِسْلَامُ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِی عَلَيْهِ النَّاسُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَ حِجُّ الْبَيْتِ وَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَهَذَا الْإِسْلَامُ وَ قَالَ الْإِيمَانُ

و أجاب بعضهم بأن المراد بالإسلام هنا الاستسلام و الانقياد الظاهری و هو غير المعنی المصطلح، و الجواب أن الأصل فی الإطلاق الشرعی الحقيقة الشرعية، و صرفه عنها يحتاج إلی دليل و استدل أيضا بها علی أن الإيمان هو التصديق فقط لنسبته إلی القلب، و الجواب أنها لا تنفی اشتراط الإيمان القلبی بعمل الجوارح، و إنما تنفی الجزئية، مع أن فيه أيضا كلاما.

: مجهول.
و كان تأخير الجواب للتقية و المصلحة، و فى القاموس: أزف الترحل كفرح أزفا و أزوفا: دنا.
و يظهر من الخبر أن بين الإيمان و الإسلام فرقين: أحدهما أن الإسلام هو الانقياد الظاهرى، و لا يعتبر فيه التصديق و الإذعان القلبى بخلاف الإيمان، فإنه يعتبر فيه الاعتقاد القلبى بل القطعى كما سيأتى، و ثانيهما: اعتبار الاعتقاد بالولاية، و ذكر الأعمال إما بناء على اشتراط الإيمان بالأعمال أو على أن المراد الاعتقاد

مَعْرِفَةُ هَذَا الْأَمْرِ مَعَ هَذَا فَإِنْ أَقَرَّ بِهَا وَ لَمْ يَعْرِفْ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مُسْلِماً وَ كَانَ ضَالًّا
5 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ وَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبَانٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ آمَنُوا فَقَدْ كَذَبَ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسْلِمُوا فَقَدْ كَذَبَ
6 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَكَمِ بْنِ أَيْمَنَ عَنْ قَاسِمٍ شَرِيكِ الْمُفَضَّلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ الْإِسْلَامُ يُحْقَنُ بِهِ الدَّمُ وَ تُؤَدَّى بِهِ الْأَمَانَةُ وَ تُسْتَحَلُّ بِهِ الْفُرُوجُ وَ الثَّوَابُ عَلَى الْإِيمَانِ

بها كما عرفت، و يرشد إليه قوله: فإن أقر بها، أو الغرض بيان العقائد و جل الأعمال المشتركة بين أهل الإسلام و الإيمان، و الوصف بالضلال و عدم إطلاق الكفر عليهم إما للتقية فى الجملة، أو لعدم توهم كونهم فى الأحكام الدنيوية فى حكم الكفار.

: موثق كالصحيح.
قوله: فمن زعم، تنبيه على مغايرة المفهومين و تحقق مادة الافتراق بينهما، و عموم الإسلام بالنسبة إلى الإيمان.

الحديث السادس

: حسن على الأصح و قد مر شرحه.

تحقيق و تبيين

اعلم أن الذى ظهر لنا من مجموع الآيات المتضافرة و الأخبار المتكاثرة الواردة فى الإيمان و الإسلام و حقائقهما و شرائطهما أن لكل منهما إطلاقات كثيرة فى الكتاب و السنة و لكل منهما فوائد و ثمرات تترتب عليه.
فالأول من معانى الإيمان مجموع العقائد الحقة و الأصول الخمسة، و الثمرة المترتبة عليه فى الدنيا الأمان من القتل و نهب الأموال و الإهانة إلا أن يأتى بقتل أو فاحشة يوجب القتل أو الحد أو التعزير، و فى الآخرة صحة أعماله و استحقاق الثواب عليها فى الجملة، و عدم الخلود فى النار، و استحقاق العفو و الشفاعة، و يدخل

فى الكفر المقابل لهذا الإيمان من سوى الفرقة الناجية الإمامية من فرق الإسلام و غيرهم، فإنهم مخلدون فى النار سوى المستضعفين منهم كما سيأتى.

الثانى: الاعتقادات المذكورة مع الإتيان بالفرائض التى ظهر وجوبها من القرآن و ترک الكبائر التى أو عد الله عليها النار، و على هذا المعنى أطلق الكافر على تارک الصلاة و تارک الزكاة و أشباههم، و ورد: لا يزنى الزانى و هو مؤمن، و لا يسرق السارق و هو مؤمن، و ثمرة الإيمان عدم استحقاق الإذلال و الإهانة و العذاب فى الدنيا و الآخرة. الثالث: العقائد المذكورة مع فعل جميع الواجبات و ترک جميع المحرمات، و ثمرته اللحوق بالمقربين و الحشر مع الصديقين و تضاعف المثوبات و رفع الدرجات الرابع: ما ذكر مع ضم فعل المندوبات و ترک المكروهات بل المباحات كما ورد فى أخبار صفات المؤمن، و بهذا المعنى يختص بالأنبياء و الأوصياء كما ورد فى الأخبار الكثيرة تفسير المؤمنين فى الآيات بالأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم، و قد ورد فى تفسير قوله سبحانه:" وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ" أن جميع معاصى الله بل التوسل بغيره سبحانه داخلة فى الشرک المذكور فى هذه الآية، و ثمرة هذا الإيمان أنه يؤمن على الله فيجيز أمانه، و أنه لا يرد الله دعوته و سائر ما ورد فى درجاتهم عليهم السلام و منازلهم عند الله تعالى.

و أما الإسلام فيطلق غالبا على التكلم بالشهادتين و الإقرار الظاهرى و إن لم يقترن بالإذعان القلبى و لا بالإقرار بالولاية كما عرفت سابقا، و ثمرته إنما تظهر فى الدنيا من حقن دمه و ماله، و جواز نكاحه و استحقاقه الميراث و سائر الأحكام الظاهرة للمسلمين، و ليس له فى الآخرة من خلاق، و قد يطلق على كل من معانى الإيمان حتى المعنى الأخير، فيكون بمعنى الاستسلام و الانقياد التام.

ثم إن الآيات و الأخبار الدالة على دخول الأعمال فى الإيمان يحتمل وجوها:
الأول أن يحمل على ظواهرها و يقال: إن العمل داخل فى حقيقة الإيمان على بعض المعانى.
الثانى: أن يكون الأيمان أصل العقائد لكن تسميتها إيمانا مشروطة بالأعمال.
الثالث: أن يقال بزيادة الإيمان و تفاوته شدة و ضعفا، و تكون الأعمال كثرة و قلة كاشفة عن حصول كل مرتبة من تلک المراتب فإنه لا شک أن لشدة اليقين مدخلا فى كثرة الأعمال الصالحة و ترک المناهى، و قد بسطنا الكلام فى ذلک قليلا فى كتاب عين الحياة، و سيتضح لک بعض ما ذكرنا فى تضاعيف الأخبار الآتية، و لنذكر هنا بعض ما ذكره أصحابنا فى حقيقة الإيمان و الإسلام و معانيهما و شرائطهما:
قال المحقق الطوسى قدس سره القدوسى فى قواعد العقائد: المسألة الخامسة:
فيما به يحصل استحقاق الثواب و العقاب، قالوا: الإسلام أعم فى الحكم من الإيمان، و هما فى الحقيقة شىء واحد أما كونه أعم فلأن من أقر بالشهادتين كان حكمه حكم المسلمين" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا" و أما كون الإسلام فى الحقيقة هو الإيمان فلقوله تعالى:" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ" و اختلفوا فى معناه فقال بعض السلف: الإيمان إقرار باللسان و تصديق بالقلب و عمل صالح بالجوارح، و قالت المعتزلة: أصول الإيمان خمسة: التوحيد و العدل و الإقرار بالنبوة و بالوعد و الوعيد و القيام بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و قال الشيعة: أصول الإيمان ثلاثة التصديق بوحدانية الله عز و جل فى ذاته، و العدل فى أفعاله، و التصديق بنبوة الأنبياء و التصديق بإمامة الأئمة المعصومين، و التصديق بالأحكام التى يعلم يقينا أنه صلى الله عليه و آله و سلم حكم بها دون ما فيه الخلاف و الاستتار، و الكفر يقابل الإيمان، و الذنب يقابل العمل الصالح و ينقسم إلى كبائر و صغائر، و يستحق

المؤمن بالإجماع الخلود فى الجنة و يستحق الكافر الخلود فى العذاب و صاحب الكبيرة عند الخوارج كافر، لأنهم جعلوا العمل الصالح جزءا من الإيمان، و عند غيرهم فاسق، و المؤمن عند المعتزلة و الوعيدية لا يكون فاسقا و جعلوا الفاسق الذى لا يكون كافرا منزلة بين المنزلتين الإيمان و الكفر، و هو عندهم يكون فى النار خالدا و عند غيرهم المؤمن قد يكون فاسقا و قد لا يكون، و تكون عاقبة الأمر على التقديرين الخلود فى الجنة.

و قال (ره) فى التجريد: الإيمان التصديق بالقلب و اللسان و لا يكفى الأول لقوله تعالى:" وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ" و نحوه، و لا الثانى لقوله تعالى:" قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا" و الكفر عدم الإيمان إما مع الضد أو بدونه، و الفسق الخروج عن طاعة الله تعالى مع الإيمان به، و النفاق إظهار الإيمان به و إخفاء الكفر، و الفاسق مؤمن لوجود حده فيه.

و قال العلامة نور الله ضريحه فى الشرح: الناس فى الإيمان على وجوه كثيرة و ليس هنا موضع ذكرها، و الذى اختاره المصنف (ره) أنه عبارة عن التصديق بالقلب و اللسان معا و لا يكفى أحدهما فيه، أما التصديق القلبى فإنه غير كاف لقوله تعالى:

" وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ" و قوله تعالى:" فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ" فأثبت لهم المعرفة و الكفر، أما التصديق اللسانى فإنه غير كاف أيضا لقوله تعالى:

" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا" الآية، و لا شک فى أن أولئک الأعراب صدقوا بألسنتهم و قال (ره): الكفر فى اللغة هو التغطية، و فى العرف الشرعى هو عدم الإيمان أما مع الضد بأن يعتقد فساد ما هو شرط الإيمان، أو بدون الضد كالشاک الخالى من

الاعتقاد الصحيح و الباطل و الفسق لغة الخروج مطلقا، و فى الشرع عبارة عن الخروج عن طاعة الله تعالى فيما دون الكفر، و النفاق فى اللغة هو إظهار خلاف الباطن، و فى الشرع إظهار الإيمان و إبطان الكفر، و اختلف الناس فى الفاسق فقالت المعتزلة:
أن الفاسق لا مؤمن و لا كافر، و أثبتوا له منزلة بين المنزلتين، و قال الحسن البصرى: أنه منافق و قالت الزيدية: أنه كافر نعمة، و قالت الخوارج: أنه كافر و الحق ما ذهب إليه المصنف و هو مذهب الإمامية و المرجئة و أصحاب الحديث و جماعة الأشعرية أنه مؤمن، و الدليل عليه أن حد المؤمن و هو المصدق بقلبه و لسانه فى جميع ما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم موجود فيه، فيكون مؤمنا، انتهى.
و قال الشيخ المفيد قدس سره فى كتاب المسائل: اتفقت الإمامية على أن مرتكب الكبائر من أهل المعرفة و الإقرار لا يخرج بذلک عن الإسلام، و أنه مسلم و إن كان فاسقا بما معه من الكبائر و الآثام و وافقهم على هذا القول المرجئة كافة و أصحاب الحديث قاطبة، و نفر من الزيدية، و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلک و زعموا أن مرتكب الكبائر ممن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن و لا مسلم.
و قال قدس سره: اتفقت الإمامية على أن الإسلام غير الإيمان، و أن كل مؤمن فهو مسلم و ليس كل مسلم مؤمنا، و أن الفرق بين هذين المعنيين فى الدين كما كان فى اللسان، و وافقهم على هذا القول المرجئة و أصحاب الحديث، و أجمعت المعتزلة على عدم الفرق بينهما.
و قال الشهيد الثانى قدس سره فى رسالة الإيمان: اعلم أن الإيمان لغة التصديق كما نص عليه أهلها، و هو أفعال من الأمن بمعنى سكون النفس و اطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها و حينئذ فكان حقيقة آمن به سكنت نفسه و اطمأنت بسبب قبول قوله، و امتثال أمره، فتكون الباء للسببية و يحتمل أن يكون بمعنى أمنه التكذيب و المخالفة كما ذكره بعضهم، فتكون الباء فيه زائدة، و الأول أولى كما لا يخفى

و أوفق لمعنى التصديق، و هو يتعدى باللام كقوله تعالى:" وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا"" فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ" و بالباء كقوله تعالى:" آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ" و أما التصديق فقد قيل: أنه القبول و الإذعان بالقلب كما ذكره أهل الميزان و يمكن أن يقال:
معناه قبول الخير أعم من أن يكون بالجنان أو باللسان، و يدل عليه قوله تعالى:
" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا" فأخبروا عن أنفسهم بالإيمان و هم من أهل اللسان، مع أن الواقع منهم هو الاعتراف باللسان دون الجنان لنفيه عنهم بقوله تعالى:" قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا" و إثبات الاعتراف بقوله تعالى:" وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا" الدال على كونه إقرارا بالشهادتين، و قد سموه إيمانا بحسب عرفهم، و الذى نفاه الله عنهم إنما هو الإيمان فى عرف الشرع، و أما الإيمان الشرعى فقد اختلف فى بيان حقيقة العبارات بسبب اختلاف الاعتبارات، و بيان ذلک أن الإيمان شرعا إما أن يكون من أفعال القلوب فقط أو من أفعال الجوارح فقط أو منهما معا، فإن كان الأول فهو التصديق بالقلب فقط و هو مذهب الأشاعرة و جمع من متقدمى الإمامية و متأخريهم و منهم المحقق الطوسى (ره) فى فصوله لكن اختلفوا فى معنى التصديق فقال أصحابنا: هو العلم و قال الأشعرية: هو التصديق النفسانى و عنوا به أنه عبارة عن ربط القلب على ما علم من أخبار المخبر فهو أمر كسبى يثبت باختيار المصدق و لذا يثاب عليه بخلاف العلم و المعرفة فإنها ربما تحصل بلا كسب كما فى الضروريات و قد ذكر حاصل ذلک بعض المحققين فقال: التصديق هو أن تنسب باختياركَ الصدق إلى المخبر حتى لو وقع ذلک فى القلب من غير اختيار لم يكن تصديقا و إن كان

معرفة و سنبين إنشاء الله تعالى قصور ذلک، و إن كان الثانى فإما أن يكون عبارة عن التلفظ بالشهادتين فقط و هو مذهب الكرامية أو عن جميع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضا و نفلا و هو مذهب الخوارج و قدماء المعتزلة و العلاف و القاضى عبد الجبار أو عن جميعها من الواجبات و ترک المحظورات دون النوافل و هو مذهب أبى على الجبائى و ابنه أبى هاشم و أكثر معتزلة البصرة، و إن كان الثالث فهو إما أن يكون عبارة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطاعات و هو قول المحدثين و جمع من السلف كابن مجاهد و غيره فإنهم قالوا أن الإيمان تصديق بالجنان و إقرار باللسان و عمل بالأركان، أو يكون عبارة عن التصديق مع كلمتى الشهادة، و نسب إلى طائفة منهم أبو حنيفة، أو يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الإقرار باللسان و هو مذهب المحقق نصير الدين الطوسى (ره) فى تجريده، فهذه سبعة مذاهب، ذكرت فى الشرح الجديد و غيره، و اعلم أن مفهوم الإيمان على المذهب الأول يكون تخصيصا للمعنى اللغوى، و أما على المذاهب الباقية فهو منقول و التخصيص خير من النقل.

و هنا بحث و هو أن القائلين بأن الإيمان عبارة عن فعل الطاعات كقدماء المعتزلة و العلاف و الخوارج لا ريب أنهم يوجبون اعتقاد مسائل الأصول و حينئذ فما الفرق بينهم و بين القائلين بأنه عبارة عن أفعال القلوب و الجوارح؟ و يمكن الجواب بأن اعتقاد المعارف شرط عند الأولين و شطر عند الآخرين.

ثم قال: اعلم أن المحقق الطوسى قدس سره ذكر فى قواعد العقائد أن أصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة ثم ذكر ما نقلنا عنه سابقا ثم قال: و ذكر فى شرح الجديد للتجريد أن الإيمان فى الشرع عند الأشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة فتفصيلا فيما علم تفصيلا، و إجمالا فيما علم إجمالا، فهو فى الشرع تصديق خاص، انتهى.

فهؤلاء اتفقوا على أن حقيقة الإيمان هى التصديق فقط، و إن اختلفوا فى مقدار المصدق به، و الكلام هيهنا فى مقامين: الأول: فى أن التصديق الذى هو الإيمان المراد به اليقينى الجازم الثابت كما يظهر من كلام من حكينا عنه، و الثانى: فى أن الأعمال ليست جزءا من حقيقة الإيمان الحقيقى، بل هى جزء من الإيمان الكمالى، أما الدليل على الأول فآيات بينات منها قوله تعالى:" إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً*" و الإيمان حق بالنص و الإجماع، فلا يكفى فى حصوله و تحققه الظن، و منها" إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ*"" إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ*" و" إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" فهذه قد اشتركت فى التوبيخ على اتباع الظن، و الإيمان لا يوبخ من حصل له بالإجماع فلا يكون ظنا و منها قوله تعالى:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا" فنفى عنهم الريب فيكون الثابت هو اليقين، و فى العرف يطلق عدم الريب على اليقين.

و من السنة المطهرة قوله صلى الله عليه و آله و سلم: يا مقلب القلوب و الأبصار ثبت قلبى على دينک، و الثبات هو الجزم و المطابقة، و فيه منع لم لا يجوز أن يكون طلبه عليه السلام لأنه الفرد الأكمل.

و من الدلائل أيضا الإجماع حيث ادعى بعضهم أنه يجب معرفة الله تعالى التى لا يتحقق الإيمان إلا بها بالدليل إجماعا من العلماء كافة، و الدليل ما أفاد العلم، و الظن لا يفيده، و فى صحة دعوى الإجماع بحث لوقوع الخلاف فى جواز التقليد فى المعارف الأصولية كما سنذكره إنشاء الله تعالى.

و اعلم أن جميع ما ذكرنا من الأدلة لا يفيد شىء منه العلم بأن الجزم و الثبات معتبر فى التصديق الذى هو الإيمان، إنما يفيد الظن باعتبارهما لأن الآيات قابلة للتأويل، و غيرها كذلک مع كونها من الآحاد.
ثم قال رفع الله درجته: اعلم أن العلماء أطبقوا على وجوب معرفة الله بالنظر و أنها لا تحصل بالتقليد إلا من شذ منهم كعبد الله بن الحسن العنبرى و الحشوية و التعليمية حيث ذهبوا إلى جواز التقليد فى العقائد الأصولية كوجود الصانع و ما يجب له و يمتنع و النبوة و العدل و غيرها، بل ذهب بعضهم إلى وجوبه، لكن اختلف القائلون بوجوب المعرفة أنه عقلى أو سمعى فالإمامية و المعتزلة على الأول و الأشعرية على الثانى، و لا غرض لنا هنا ببيان ذلک بل ببيان أصل الوجوب المتفق عليه. ثم استدل بوجوب شكر المنعم عقلا و شكره على وجه يليق بكمال ذاته، يتوقف على معرفته، و هى لا تحصل بالظنيات كالتقليد و غيره، لاحتمال كذب المخبر و خطأ الأمارة، فلا بد من النظر المفيد للعلم ثم قال: هذا الدليل إنما يستقيم على قاعدة الحسن و القبح، و الأشاعرة ينكرون ذلک لكن كما يدل على وجوب المعرفة بالدليل يدل أيضا على كون الوجوب عقليا و اعترض أيضا بأنه مبنى على وجوب ما لا يتم الواجب المطلق إلا به، و فيه أيضا منوع الأشاعرة، و من ذلک أن الأمة أجمعت على وجوب المعرفة، و التقليد و ما فى حكمه لا يوجب العلم إذ لو أوجبه لزم اجتماع الضدين فى مثل تقليد من يعتقد حدوث العالم و يعتقد قدمه، و قد اعترض على هذا بمنع الإجماع كيف و المخالف معروف، بل عورض بوقوع الإجماع على خلافه، و ذلک لتقرير النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه العوام على إيمانهم، و هم الأكثرون فى كل عصر مع عدم الاستفسار عن الدلائل الدالة على الصانع و صفاته، مع أنهم كانوا لا يعلمونها و إنما كانوا مقرين باللسان و مقلدين فى المعارف، و لو كانت المعرفة واجبة لما جاز تقريرهم على ذلک، مع الحكم بإيمانهم، و أجيب عن هذا بأنهم كانوا

يعلمون الأدلة إجمالا كدليل الأعرابى حيث قال: البعرة تدل على البعير، و أثر الإقدام على المسير، أ فسماء ذات أبراج و أرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير، فلذا أقروا و لم يسألوا عن اعتقاداتهم أو أنهم كان يقبل منهم ذلک للتمرين ثم يبين لهم ما يجب عليهم من المعارف بعد حين.

و من ذلک الإجماع على أنه لا يجوز تقليد غير المحق و إنما يعلم المحق من غيره بالنظر فى أن ما يقوله حق أم لا و حينئذ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر و الاستدلال، و إذا صار مستدلا امتنع كونه مقلدا فامتنع التقليد فى المعارف الإلهية و نقض ذلک بلزوم مثله فى الشرعيات فإنه لا يجوز تقليد المفتى إلا إذا كانت فتياه عن دليل شرعى، فإن اكتفى فى الاطلاع على ذلک بالظن و إن كان مخطئا فى نفس الأمر لحط ذلک عنه فليجر مثله فى مسائل الأصول.

و أجيب بالفرق بأن الخطأ فى مسائل الأصول يقتضى الكفر، بخلافه فى الفروع فساغ فى الثانية ما لم يسغ فى الأولى.

احتج من أوجب التقليد فى مسائل الأصول بأن العلم بالله تعالى غير ممكن لأن المكلف به إن لم يكن عالما به تعالى استحال أن يكون عالما بأمره و حال امتناع كونه عالما بأمره يمتنع كونه مأمورا من قبله و إلا لزم تكليف ما لا يطاق و إن كان عالما به استحال أيضا أمره بالعلم به لاستحالة تحصيل الحاصل؟ و الجواب عن ذلک على قواعد الإمامية و المعتزلة ظاهر، فإن وجوب النظر و المعرفة عندهم عقلى لا سمعى، نعم يلزم ذلک على قواعد الأشاعرة إذ الوجوب عندهم سمعى.

أقول: و يجاب أيضا معارضة بأن هذا الدليل كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الأصولية يدل على امتناع التقليد فيها أيضا فينسد باب المعرفة بالله تعالى و كل من يرجع إليه فى التقليد لا بد و أن يكون عالما بالمسائل الأصولية ليصح تقليده، ثم يجرى الدليل فيه فيقال: علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكن لأنه

حين كلف به إن لم يكن عالما به تعالى استحال أن يكون عالما بأمره بالمقدمات، و كلما أجابوا به فهو جوابنا، و لا مخلص لهم إلا أن يعترفوا بأن وجوب المعرفة عقلى فيبطل ما ادعوه من أن العلم بالله تعالى غير ممكن، أو سمعى فكذلک.

فإن قيل: ربما يحصل العلم لبعض الناس بتصفية النفس أو إلهامه إلى غير ذلک فيقلده الباقون؟ قلنا: هذا أيضا يبطل قولكم إن العلم بالله تعالى غير ممكن، نعم ما ذكروه يصلح أن يكون دليلا على امتناع المعرفة بالسمع فيكون حجة على الأشاعرة لا دليلا على وجوب التقليد.

و احتجوا أيضا بأن النهى عن النظر قد ورد فى قوله تعالى:" ما يُجادِلُ فِى آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا" و النظر يفتح باب الجدال فيحرم، و لأنه عليه السلام رأى الصحابة يتكلمون فى مسألة القدر فنهاهم عن الكلام فيها، و قال: إنما هلک من كان قبلكم بخوضهم فى هذا، و لقوله عليه السلام: عليكم بدين العجائز، و المراد ترک النظر، فلو كان واجبا لم يكن منهيا عنه.

و أجيب عن الأول بأن المراد الجدال بالباطل كما فى قوله تعالى:" وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ" لا الجدال بالحق لقوله تعالى:" وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ" و الأمر بذلک يدل على أن الجدال مطلقا ليس منهيا عنه، و عن الثانى بأن نهيهم عن الكلام فى مسألة القدر على تقدير تسليمه لا يدل على النهى عن مطلق النظر، بل عنه فى مسألة القدر، كيف و قد ورد الإنكار على تارک النظر فى قوله تعالى:" أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ" و قد أثنى على فاعله فى قوله

" وَ يَتَفَكَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ" علی أن نهیهم عن الخوض فی القدر لعله لکونه أمرا غیبیا و بحرا عمیقا کما أشار إلیه علی علیه السلام بقوله: بحر عمیق فلا تلجه، بل کان مراد النبی صلی الله علیه و آله و سلم التفویض فی مثل ذلک إلی الله تعالی، لأن ذلک لیس من الأصول التی یجب اعتقادها، و البحث عنها مفصلة.

و هیهنا جواب آخر عنهما معا، و هو أن النهی فی الآیة و الحدیث مع قطع النظر عما ذکرناه إنما یدل علی النهی عن الجدال الذی لا یکون إلا من متعدد بخلاف النظر فإنه یکون من واحد، فهو نصب الدلیل علی غیر المدعی.

و عن الثالث بالمنع من صحة نسبته إلی النبی صلی الله علیه و آله و سلم فإن بعضهم ذکر أنه من مصنوعات سفیان الثوری فإنه روی أن عمر بن عبد الله المعتزلی قال: إن بین الکفر و الإیمان منزلة بین المنزلتین فقالت عجوز: قال الله تعالی:" هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ فَمِنْکُمْ کافِرٌ وَ مِنْکُمْ مُؤْمِنٌ" فلم یجعل من عباده إلا الکافر و المؤمن، فسمع سفیان کلامها فقال: علیکم بدین العجائز.

علی أنه لو سلم فالمراد به التفویض إلی الله تعالی فی قضائه و حکمه و الانقیاد له فی أمره و نهیه.

و احتج من جوز التقلید بأنه لو وجب النظر فی المعارف الإلهیة لوجد من الصحابة، إذ هم أولی به من غیرهم لکنه لم یوجد و إلا لنقل عنهم کما نقل عنهم النظر و المناظرة فی المسائل الفقهیة فحیث لم ینقل لم یقع فلم یجب.

و أجیب بالتزام کونهم أولی به لکنهم نظروا و إلا لزم نسبتهم إلی الجهل بمعرفة الله تعالی و کون الواحد منا أفضل منهم و هو باطل إجماعا إذ کانوا عالمین

و ليس بالضرورة فهو بالنظر و الاستدلال، و أما إنه لم ينقل النظر و المناظرة فلاتفاقهم على العقائد الحقة لوضوح الأمر عندهم حيث كانوا ينقلون عقائدهم عمن لا ينطق عن الهوى، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث و النظر بخلاف الأخلاف بعدهم فإنهم لما كثرت شبه الضالين و اختلف أنظار طالبى اليقين لتفاوت أذهانهم فى إصابة الحق احتاجوا إلى النظر و المناظرة ليدفعوا بذلک شبه المضلين، و يقفوا على اليقين إما مسائل الفروع لما كانت أمورا ظنية اجتهادية خفية لكثرة تعارض الأمارات فيها وقع بينهم الخلاف فيها و المناظرة و التخطئة لبعضهم من بعض فلذا نقل.

و احتجوا أيضا بأن النظر مظنة الوقوع فى الشبهات و التورط فى الضلالات بخلاف التقليد فإنه أبعد عن ذلک و أقرب إلى السلامة فيكون أولى و لأن الأصول أغمض أدلة من الفروع و أخفى، فإذا جاز التقليد فى الأسهل جار فى الأصعب بطريق أولى، و لأنهما سواء فى التكليف بهما فإذا جاز فى الفروع فليجز فى الأصول.

و أجيب عن الأول بأن اعتقاد المعتقد إن كان عن تقليد لزم إما التسلسل أو الانتهاء إلى من يعتقد عن نظر لانتفاء الضرورة، فيلزم ما ذكرتم من المحذور مع زيادة و هى احتمال كذب المخبر بخلاف الناظر مع نفسه، فإنه لا يكابر نفسه فيما أدى إليه نظره.

على أنه لو اتفق الانتهاء إلى من اتفق له العلم بغير النظر كتصفية الباطن كما ذهب إليه بعضهم أو بالإلهام أو بخلق العلم فيه ضرورة فهو إنما يكون لأفراد نادرة لأنه على خلاف العادة فلا يتيسر لكل أحد الوصول إليه مشافهة بل بالوسائط فيكثر احتمال الكذب بخلاف الناظر فإنه لا يكابر نفسه، و لأنه أقرب إلى الوقوف على الصواب.

و أما الجواب عن العلاوة فلأنه لما كان الطريق إلى العمل بالفروع إنما هو النقل ساغ لنا التقليد فيها و لم يقدح احتمال كذب المخبر و إلا لانسد باب العمل

بها، بخلاف الاعتقاديات فإن الطريق إليها بالنظر ميسر.
ثم قال رحمه الله بعد إطالة الكلام فى الجواب عن حجة الخصام: و أما المقام الثانى و هو أن الأعمال ليست جزءا من الإيمان و لا نفسه، فالدليل عليه من الكتاب العزيز و السنة المطهرة و الإجماع، أما الكتاب فمنه قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ*" فإن العطف يقتضى المغايرة و عدم دخول المعطوف فى المعطوف عليه، فلو كان عمل الصالحات جزءا من الإيمان أو نفسه لزم خلو العطف عن الفائدة لكونه تكرارا، و رد بأن الصالحات جمع معرف يشمل الفرض و النفل، و القائل بكون الطاعات جزءا من الإيمان يريد بها فعل الواجبات و اجتناب المحرمات و حينئذ فيصح العطف لحصول المغايرة المفيدة لعموم المعطوف، فلم يدخل كله فى المعطوف عليه، نعم يصلح دليلا على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلا فى حقيقة الإيمان كالخوارج.
و منه قوله تعالى:" وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ" أى حالة إيمانه و هذا يقتضى المغايرة.
و منه قوله تعالى:" وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا" فإنه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصى فلا يكون ترك المنهيات جزءا من الإيمان.
و منه قوله تعالى:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" فإن أمرهم بالتقوى التى لا تحصل إلا بفعل الطاعات و الانزجار عن المنهيات مع وصفهم بالإيمان يدل على عدم حصول التقوى لهم، و إلا لكان أمرا بتحصيل الحاصل.
و منه الآيات الدالة على كون القلب محلا للإيمان من دون ضميمة شىء

آخر كقوله تعالى:" أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ" و لو كان الإقرار أو غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزءه لما كان القلب محل جميعه، و قوله تعالى:" وَ لَمَّا یَدْخُلِ الْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ" و قوله تعالى:" وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ" و كذا آيات الطبع و الختم تشعر بأن محل الإيمان القلب كقوله تعالى:" أُولئِکَ الَّذِینَ طَبَعَ اللَّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ*" و" خَتَمَ عَلی سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلی بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ یَهْدِیهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ".

و أما السنة فكقوله صلى الله عليه و آله و سلم يا مقلب القلوب و الأبصار ثبت قلبى على دينک و روى أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم سأل جبرئيل عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله و رسله و اليوم الآخر.

و أما الإجماع فهو أن الأمة أجمعت على أن الإيمان شرط لسائر العبادات و الشىء لا يكون شرطا لنفسه فلا يكون الإيمان هو العبادات.

و أما أهل الثانى و هم الكرامية فقد استدلوا على مذهبهم بأن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الصحابة كانوا يكتفون فى الخروج عن الكفر بكلمتى الشهادتين فتكون هى الإيمان إذ لا واسطة بين الكفر و الإيمان، لأن الكفر عدم الإيمان، و لقوله تعالى:" فَمِنْکُمْ کافِرٌ وَ مِنْکُمْ مُؤْمِنٌ" و بقوله صلى الله عليه و آله و سلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، و بقوله صلى الله عليه و آله و سلم لأسامة حين قتل من تكلم بالشهادتين: هلا شققت قلبه، أو هل

شققت قلبه؟ على بعض النسخ، يريد بذلک الإنکار عليه، حيث لم يکتف بالشهادتين منه.
و الجواب عن الأول أن الخروج عن الکفر بکلمة الشهادة إن أرادوا به الخروج فی نفس الأمر بحيث يصير مؤمنا عند الله سبحانه بمجرد ذلک من دون تصديق فهو ممنوع، لم لا يجوز أن يکون اکتفاؤهم بذلک للترغيب فی الإسلام، لا الحکم بالإيمان و إن أرادوا به الخروج بحسب الظاهر فهو مسلم لکن لا ينفعهم إذا الکلام فيما يتحقق به الإيمان عند الله تعالی، بحيث يصير المتصف به مؤمنا فی نفس الأمر لا فيما يتحقق به الإسلام فی ظاهر الشرع حيث لا يمکن الاطلاع علی الباطن، أ لا ترى أنهم کانوا يحکمون بکفر من ظهر منه النفاق بعد الحکم بإسلامه، و لو کان مؤمنا فی نفس الأمر لما جاز ذلک، و أما نفی الواسطة فهو مستقيم علی أخذ الحکم فی نفس الأمر، فإن حال المکلف فی نفس الأمر لا يخلو عن أحدهما، و أما جعل لا إله إلا الله غاية للقتال، فلا يدل علی أکثر من کونه للترغيب فی الإسلام أيضا بسبب حقن الدماء، علی أن النبی صلی الله عليه و آله و سلم ربما لا يطلع علی بواطن الناس، فکيف يؤمر بالقتال علی ما لا يطلع عليه.
و أما أهل الثالث و هم قدماء المعتزلة القائلون بأنه جميع الطاعات فرضا و نفلا، فمن أمتن دلائلهم علی ذلک قوله تعالی:" وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ وَ ذلِکَ دِينُ الْقَيِّمَةِ" و المشار إليه بذلک هو جميع ما حصر بإلا و ما عطف عليه، و الدين هو الإسلام لقوله تعالی:
" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ" و الإسلام هو الإيمان لقوله تعالی:" وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ" و لا ريب أن الإيمان مقبول من مبتغيه للنص

و الإجماع، فيكون إسلاما، فيكون دينا فيعتبر فيه الطاعات كما دلت عليه الآيات. و الجواب المنع من اتحاد الدينين فى الآيتين فلا يتكرر الوسط، و لو سلم اتحادهما فلا نسلم أن الإيمان هو الإسلام ليكون هو الدين، فتعتبر فيه الطاعات لم لا يجوز أن يكون الإيمان شرطا للإسلام أو جزءا منه أو بالعكس، و شرط الشىء و جزؤه يقبل مع كونه غيره، و لا يلزم من ذلک أن يكون الإيمان هو الدين بل شرطه أو جزؤه.

على أنا لو قطعنا النظر عن جميع ذلک فالآية الكريمة إنما تدل على من ابتغى و طلب غير دين الإسلام دينا له فلن يقبل منه ذلک المطلوب، و لم تدل على أن من صدق بما أوجبه الشارع عليه لكنه ترک فعل بعض الطاعات غير مستحل أنه طالب لغير دين الإسلام، إذ ترک الفعل يجتمع مع طلبه لعدم المنافاة بينهما، فإن الشخص قد يكون طالبا للطاعة مريدا لها لكنه تركها إهمالا و تقصيرا، و لا يخرج بذلک عن ابتغائها.

و استدلوا أيضا بقوله تعالى:" وَ ما كانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ" أى صلاتكم إلى بيت المقدس، و اعترض عليه بأنه لم لا يجوز أن يكون المراد به تصديقكم بتلک الصلاة. سلمنا ذلک لكن لا دلالة لهم فى الآية و ذلک لأنهم زعموا أن الإيمان جميع الطاعات، و الصلاة إنما هى جزء من الطاعات و جزء الشىء لا يكون ذلک الشىء.

و أما أهل الرابع و هم القائلون بكونه عبارة عن جميع الواجبات و ترک المحظورات و دون النوافل فقد يستدل لهم بقوله تعالى:" إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" و التقوى لا يتحقق إلا بفعل المأمور به و ترک المنهى عنه، فلا يكون التصديق مقبولا ما لم يحصل التقوى، و بما روى أن الزانى لا يزنى و هو مؤمن، و بقوله عليه السلام: لا إيمان

لمن لا أمانة له، و بقوله تعالى:" وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْکافِرُونَ" و قد لا يحكم بما أنزل الله أو يحكم بما لم ينزل الله مصدقا فلو تحقق الإيمان بالتصديق لزم اجتماع الكفر و الإيمان فى محل واحد و هو محال لتقابلهما بالعدم و الملكة.

و الجواب عن الأول أنه يجوز أن يكون المراد و الله أعلم الأعمال الندبية، على أنا نقول أن ظاهر الآية الكريمة متروک فإنها تدل ظاهرا على أن من أخلص فى جميع أفعاله و كان قد سبق منه معصية واحدة لم يثبت عليها و يكون جميع الطاعات اللاحقة غير مقبولة، و القول بذلک مع بعده عن حكمة الله تعالى من أفظع الفظائع فلا يكون مرادا، بل المراد و الله أعلم أن من عمل عملا إنما يكون مقبولا إذا كان متقيا فيه بأن يكون مخلصا فيه لله تعالى و حينئذ فلا دلالة لهم فى الآية الكريمة.

مع أنا لو تنزلنا عن ذلک و قلنا بدلالتها على عدم قبول التصديق من دون التقوى فلا يحصل بذلک مدعاهم الذى هو كون الإيمان عبارة عن جميع الواجبات" إلخ" و لقائل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون الإيمان عبارة عما ذكرتهم مع التصديق بالمعارف الأصولية و عدم قبول الجزء إنما هو لعدم قبول الكل، و أما الحديث الأول على تقدير تسليمه فيمكن حمله على المبالغة فى الزجر أو تخصيصه بمن استحل و دليل التخصيص فى أحاديث أخر، أو على نفى الكمال فى الإيمان، و كذا الحديث الثانى.

و أما الاستدلال بالآية فقد تعارض بقوله تعالى:" وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ" و الفاسق مؤمن على المذهب الحق أو بين المنزلتين على غيره و يمكن أن يقال: الفسق لا ينافى الكفر إذ الكافر فاسق لغة و إن كان فى العرف يباينه لكنه لم يتحقق كونه عرف الشارع، بل المعلوم كونه لأهل الشرع و الأصول فلا تعارض حينئذ.

أقول: و الحق فى الجواب أن المراد و الله أعلم: و من لم يحكم بما أنزل الله، أى بما علم قطعا أن الله سبحانه أنزله فإن العدول عنه إلى غيره مستحلا أو الوقوف عنه كذلک لا ريب فى كونه كفرا لأنه إنكار لما علم ثبوته ضرورة فلا يكون التصديق حاصلا و حينئذ فلا دلالة فيها على أن من ارتكب معصية غير مستحل أو مستحلا مع كون تحريمها لم يعلم من الدين ضرورة يكون كافرا، و إنما ارتكبنا هذا الإضمار فى الآية لما دل عليه النص و الإجماع من أن الحاكم لو أخطأ فى حكمه لم يكفر مع أنه يصدق عليه أنه لم يحكم بما أنزل الله.

و اعلم أنه قد ظهر من هذا الجواب وجه آخر للجمع بين الآيتين و وقع التعارض بين ظاهر هما بأن يراد من إحداهما ما ذكرناه فى الجواب و من الأخرى و من لم يحكم غير مستحل مع علمه بالتحريم فهو فاسق، و الحاصل أنه يقال لهم: إن أردتم بالطاعات و التروک ما علم ثبوته من الدين ضرورة فنحن نقول بموجب ذلک، لكن لا يلزم منه مدعا كم لجواز كون الحكم بكفره إما لجحده ما علم من الدين ضرورة فيكون قد أخل بما هو شرط الإيمان و هو عدم الجحد على ما قدمناه، أو لكون المذكورات جزء الإيمان على ما ذهب إليه بعضهم، و إن أردتم الأعم فلا دلالة لكم فيها أيضا و هو ظاهر.

و أما أهل الخامس القائلون بأنه تصديق بالجنان و إقرار باللسان و عمل بالأركان فيستدل لهم بما استدل به أهل التصديق مع ما استدل به أهل الأعمال و من أضاف الإقرار باللسان إلى الجنان، و قد علمت تزييف ما سوى الأول و سيجىء إنشاء الله تعالى تزييف أدلة من أضاف الإقرار فلم يبق لمذهبهم قرار.

نعم فى أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يشهد لهم و قد ذكر فى الكافى و غيره منها جملة فمنها ما رواه على بن إبراهيم عن العباس بن معروف عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن حماد بن عثمان عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملک بن أعين

إلى أبى عبد الله عليهم السلام أسأله عن الإيمان ما هو إلى آخر الخبر، و منها ما رواه على بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن عن عجلان أبى صالح قال:
قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أوقفنى على حدود الإيمان، الخبر. و منها: أبو على الأشعرى عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان أو غيره عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الإيمان، الخبر.
ثم قال قدس سره: و اعلم أن هذه الأحاديث منها ما سنده غير نقى كالأول، فإن فى سنده عبد الرحيم و هو مجهول مع كونه مكاتبة، و أما الثانى فإن سنده و إن كان جيدا إلا أن دلالته غير صريحة فإن كون المذكورات حدود الإيمان لا يقتضى كونها نفس حقيقته إذ حد الشىء نهايته و ما لا يجوز تجاوزه، فإن تجاوزه خرج عنه، و نحن نقول بموجب ذلک فإن من تجاوز هذه المذكورات بأن تركها جاحدا لا ريب فى خروجه عن الإيمان، لكن لعل ذلک لكونها شروطا للإيمان، لا لكونها نفسه، و أما الثالث فإن دلالته و إن كانت جيدة إلا أن فى سنده إرسالا مع كون العلاء مشتركا بين المقبول و المجهول، و بالجملة فهذه الرواية معارضة بما هو أمتن منها دلالة، و قد تقدم ذلک فليراجع، نعم لا ريب فى كونها مؤيدة لما قالوه.
و أما أهل السادس القائلون بأنه التصديق مع كلمتى الشهادة ففيما مر من الأحاديث ما يصلح شاهدا لهم، و كذا ما ذكره الكرامية مع ما ذكره أهل التصديق يصلح شاهدا لهم، و قد عرفت ما فى الأولين فلا نعيده، و أما السابع فإنه مذهب جماعة من المتأخرين منهم المحقق الطوسى (ره) فى تجريده فإنه اعتبر فى حقيقة الإيمان مع التصديق الإقرار باللسان، قال: و لا يكفى الأول لقوله تعالى:" وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ" أثبت للكفار الاستيقان النفسى و هو التصديق القلبى، فلو كان الإيمان هو التصديق القلبى فقط لزم اجتماع الكفر و الإيمان و هو باطل لتقابلهما

تقابل العدم و الملكة، و لا الثانى يعنى الإقرار باللسان لقوله تعالى:" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا" الآية و لقوله تعالى:" وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" فأثبت لهم تعالى فى الآيتين التصديق باللسان، و نفى عنهم الإيمان.

أقول: الاستدلال على عدم الاكتفاء بالثانى مسلم موجه و كذا عدم الاكتفاء بالأول، أما على اعتبار الإقرار ففيه بحث فإن الدليل أخص من المدعى، إذ المدعى أن الإيمان لا يحقق إلا بالتصديق مع الإقرار، و بدون ذلک يتحقق الكفر، و الآية الكريمة إنما دلت على ثبوت الكفر لمن جحد أى أنكر الآيات مع علمه بحقيقتها و بينهما واسطة، فإن من حصل له التصديق اليقينى فى أول الأمر، و لم يكن تلفظ بكلمات الإيمان لا يقال أنه منكر و لا جاحد، و حينئذ فلا يلزم اجتماع الكفر و الإيمان فى مثل هذه الصورة مع أنه غير مقر و لا تارک للإقرار جحدا كما هو المفروض، هذا إن قصد بالآية الدلالة على اعتبار الإقرار أيضا، و إلا لكان اعتبار الإقرار دعوى مجردة، و قد علت ما عليه، و أما دلالة الآية الكريمة على كفره فى صورة جحده و استيقانه فنقول بموجبه لكن ليس لعدم إقراره فقط بل لأنه ضم إنكارا إلى استيقان.

و بالجملة فهو من جملة العلامات على الحكم بالكفر كما جعل الاستخفاف بالشارع أو الشرع، و وطى المصحف علامة على الحكم بالكفر، مع أنه قد يكون مصدقا كما سبقت الإشارة إليه، نعم غاية ما يلزم أن يكون إقرار المصدق شرطا لحكمنا بإيمانه ظاهرا، و أما قبل ذلک و بعد التصديق فهو مؤمن عند الله تعالى إذا لم يكن تركه للإقرار عن جحد.

على أنه يلزمه قدس سره أن من حصل له التصديق بالمعارف الإلهية ثم عرض له الموت فجأة قبل الإقرار يموت كافرا و يستحق العذاب الدائم مع اعتقاده

وحدة الصانع و حقية ما جاء به النبى صلى الله عليه و آله، و لا أظن أن مثل هذا المحقق يلتزم ذلک، و الحاصل أنه إن أراد رحمه الله أن كون الإنسان مؤمنا عند الله سبحانه كما هو ظاهر كلامه لا يتحقق إلا بمجموع الأمرين فالواسطة و الالتزام لا زمان عليه، و إن أراد أن كونه مؤمنا فى ظاهر الشرع لا يتحقق إلا بالأمرين معا فالنزاع لفظى فإن من اكتفى فيه بالتصديق يريد به كونه مؤمنا عند الله تعالى فقط، و أما عند الناس فلا بد فى العلم بذلک من الإقرار و نحوه.

و اعلم أنه استدل بعضهم على هذا المذهب أيضا بأنا نعلم بالضرورة أن الإيمان فى اللغة هو التصديق، و الدلائل عليه كثيرة، فإما أن يكون فى الشرع كذلک أو يكون منقولا عن معناه فى اللغة، و الثانى باطل لأن أكثر الألفاظ تكرار فى القرآن و كلام الرسول عليه السلام لفظ الإيمان، فلو كان منقولا عن معناه اللغوى لوجب أن يكون حاله كحال سائر العبادات الظاهرة فى وجوب العلم به فلما لم يكن كذلک علمنا أنه باق على وضع اللغة.

إذا ثبت هذه فنقول: ذلک التصديق إما أن يكون هو التصديق القلبى أو اللسانى أو مجموعهما، و الأول باطل لقوله تعالى:" فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ" فأثبت لهم المعرفة مع أنه حكم بكفرهم و لو كان مجرد المعرفة إيمانا لما صح ذلک و أيضا قوله تعالى:" فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا" و لا يصح أن يكون جحدهم لها بقلوبهم حيث أثبت لهم الاستيقان بها، فلا بد أن يكون بألسنتهم حيث لم يقروا بها و إذا كان الجحد باللسان موجبا للكفر كان الإقرار به مع التصديق القلبى موجبا للإيمان فيكون الإقرار من محققات الإيمان، و أيضا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام إذا يقول لفرعون:" لَقَدْ عَلِمْتَ

ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ" فأثبت كونه عالما بأن الله تعالى هو الذى أنزل الآيات التى جاء بها موسى عليه السلام، فلو كان مجرد العلم هو الإيمان لكان فرعون مؤمنا و هو باطل بنص القرآن العزيز و إجماع الأنبياء عليهم السلام من لدن موسى إلى محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و أيضا قوله تعالى:" فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ" و معنى ذلک و اللَه أعلم: أنهم يجحدون ذلک بألسنتهم و لا يكذبونک بقلوبهم أى يعلمون نبوتک، و لا يستقيم أن يكون المعنى لا يكذبونک بألسنتهم لمنافاة يجحدون بألسنتهم له، فيلزم أن يكونوا كذبوا بألسنتهم و لم يكذبوا بها و بطلانه ظاهر فيجب تنزيه القرآن العزيز عنه.

و لک أن تقول: لم لا يجوز أن يكون المعنى لا يكذبونک بألسنتهم و لكن يجحدون نبوتک بقلوبهم كما أخبر الله تعالى عن المنافقين فى سورتهم حيث قالوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللَّهِ، و كذبهم الله تعالى حيث شهد سبحانه و تعالى بكذبهم فقال:" وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ" و المراد فى شهادتهم أى فيما تضمنته من أنها عن صميم القلب و خلوص الاعتقاد كما ذكره جماعة من المفسرين حيث لم توافق عقيدتهم فقد علم من ذلک أنهم لم يكذبوه بألسنتهم بل شهدوا له بها، و لكنهم جحدوا ذلک بقلوبهم حيث كذبهم الله تعالى فى شهادتهم.

و الجواب التكذيب لهم و رد على نفس شهادتهم التى هى باللسان لا على نفس عقيدتهم، و بالجملة فهذا لا يصلح نظيرا لما نحن فيه، على أن معنى الجحد كما قرروه هو الإنكار باللسان مع تصديق القلب، و ما ذكر من الاحتمال عكس هذا المعنى.

ثم قال: و الثانى باطل أما أولا فبالاتفاق من الإمامية، و أما ثانيا فلقوله تعالى:" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا" و لا شک أنهم كانوا

صدقوا بألسنتهم و حيث لم يكن كافيا نفى الله تعالى عنهم الإيمان مع تحققه، و قوله تعالى:" وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" فأثبت لهم الإقرار و التصديق باللسان، و نفى إيمانهم فثبت بذلک أن الإيمان هو التصديق مع الإقرار.

ثم قال: لا يقال: لو كان الإقرار باللسان جزء الإيمان للزم كفر الساكت؟

لأنا نقول: لو كان الإيمان هو العلم أى التصديق لكان النائم غير مؤمن لكن لما كان النوم لا يخرجه عن كونه مؤمنا بالإجماع مع كونه أولى بأن يخرج النائم عن الإيمان لأنه لا يبقى معه معنى من الإيمان بخلاف الساكت، فإنه قد بقى معه معنى منه و هو العلم لم يكن السكوت مخرجا بطريق أولى، نعم لو كان الخروج عن التصديق و الإقرار أو عن أحدهما على جهة الإنكار و الجحد لخرج بذلک عن الإيمان، و لذلک قلنا أن الإيمان هو التصديق بالقلب و الإقرار باللسان أو ما فى حكمهما، انتهى محصل ما ذكره.

أقول: قوله: إن النائم ينتفى عنه العلم أى التصديق غير مسلم، و إنما المنتفى شعوره بذلک العلم و هو غير العلم، فالتصديق حينئذ باق لكونه من الكيفيات النفسية، فلا يزيله النوم و حينئذ فلا يلزم من عدم الحكم بانتفاء الإيمان عن النائم عدم الحكم بانتفائه عن الساكت بطريق أولى، نعم الحكم بعدم انتفائه عن الساكت على مذهب من جعل الإقرار جزءا إما للزوم الحرج العظيم بدوام الإقرار فى كل وقت أو أن يكون المراد من كون الإقرار جزءا للإيمان الإقرار فى الجملة أى فى وقت ما مع البقاء عليه، فلا ينافيه السكوت المجرد، و إنما ينافيه مع الجحد لعدم بقاء الإقرار حينئذ.

و أقول: الذى ذكره من الدليل على عدم النقل لا يدل وحده على كون الإقرار جزءا و هو ظاهر، بل قصد به الدلالة على بطلان ما عدا مذهب أهل التصديق،

ثم استدل على بطلان مذهب التصديق بما ذكره من الآيات الدالة على اعتبار الإقرار فى الإيمان الشرعى تخصيصا للغوى كما هو عند أهل التصديق و هذا جيد، لكن دلالة الآيات على اعتبار الإقرار ممنوعة، و قد بينا ذلک سابقا أن تكفيرهم إنما كان لجحدهم الإقرار و هو أخص من عدم الإقرار فتكفيرهم بالجحد لا يستلزم تكفيرهم بمطلق عدم الإقرار ليكون الإقرار معتبرا.

نعم اللازم من الآيات اعتبار عدم الجحد مع التصديق و هو أعم من الإقرار و اعتبار الأعم لا يستلزم اعتبار الأخص و هو ظاهر.

و هذا جواب عن استدلاله بجميع الآيات، و يزيد فى الجواب عن الاستدلال بقوله تعالى، فى الحكاية عن موسى عليه و على نبينا الصلاة و السلام:" لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ" الآية أنه يجوز أن يكون نسب إلى فرعون العلم على طريق الملاطفة و الملائمة حيث كان مأمورا بذلک بقوله:" فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً، لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى" و هذا شائع فى الاستعمال كما يقال فى المحاورات كثيرا، و أنت خبير بأنه كذا و كذا، مع أن المخاطب بذلک قد لا يكون عارفا بذلک المعنى أصلا، بل قد لا يكون هناک مخاطب أصلا كما يقع فى المؤلفات كثيرا.

و على هذا فلا تدل الآية على ثبوت العلم لفرعون، و لو سلم ثبوته كان الحكم بكفره للجحد لا لعدم الإقرار مطلقا كما سبق بيانه.

و اعلم أن المحقق الطوسى قدس سره اختار فى فصوله الاكتفاء بالتصديق القلبى فى تحقق الإيمان فكأنه رحمه الله لحظ ما ذكرناه، و قد استدل بعض الشارحين بقوله تعالى:" أُولئِکَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ" و بقوله تعالى:" وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ" فيكون حقيقة فيه، فلو أطلق على غيره لزم الاشتراک أو المجاز

بَابُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَشْرَكُ الْإِسْلَامَ وَ الْإِسْلَامَ لَا يَشْرَكُ الْإِيمَانَ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ أَ هُمَا مُخْتَلِفَانِ فَقَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ وَ الْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فَقُلْتُ فَصِفْهُمَا لِي فَقَالَ- الْإِسْلَامُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ التَّصْدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ص بِهِ

و هما خلاف الأصل، و الإقرار باللسان كاشف عنه و الأعمال الصالحة ثمراته.

أقول: الذى ظهر مما حررناه أن الإيمان هو التصديق بالله وحده و صفاته و عدله و حكمته، و بالنبوة و بكل ما علم بالضرورة مجىء النبى صلى الله عليه و آله و سلم مع الإقرار بذلک و على هذا أكثر المسلمين بل ادعى بعضهم إجماعهم على ذلک، و التصديق بإمامة الأئمة الاثنى عشر عليه السلام و بإمام الزمان، و هذا عند الإمامية.

باب أن الإيمان يشرک الإسلام و الإسلام لا يشرک الإيمان

الحديث الأول

: موثق.
" أ هما مختلفان" أى مفهوما و حقيقة أم متساويان مترادفان" يشارک الإسلام" قيل: المشاركة و عدمها أما باعتبار المفهوم فإن مفهوم الإسلام داخل فى مفهوم الإيمان دون العكس أو باعتبار الصدق فإن كل مؤمن مسلم دون العكس، أو باعتبار الدخول فإن الداخل فى الإيمان داخل فى الإسلام بدون العكس أو باعتبار الأحكام فإن أحكام الإسلام ثابتة للإيمان بغير عكس.
" فصفهما لى" أى بين لى حقيقتهما" شهادة أن لا إله إلا الله" بيان لأجزاء الإسلام" به حقنت" بيان لأحكام الإسلام، و يدل على التوارث بين جميع فرق المسلمين كما هو المشهور، و الظاهر أن المراد بالشهادة و التصديق الإقرار الظاهرى كما مر

حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وَ عَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاكِحُ وَ الْمَوَارِيثُ وَ عَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ وَ الْإِيمَانُ الْهُدَى وَ مَا يَثْبُتُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَ مَا ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ وَ الْإِيمَانُ أَرْفَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ إِنَّ الْإِيمَانَ يُشَارِكُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ وَ الْإِسْلَامَ لَا يُشَارِكُ الْإِيمَانَ

أنه إطلاقه الشائع و يحتمل التصديق القلبى فيكون إشارة إلى معنى آخر للإسلام، و يحتمل أن يكون أصل معناه الإقرار القلبى و إن ترتبت الأحكام على الإقرار الظاهرى، بناء على الحكم بالظاهر ما لم يظهر خلافه، لعدم إمكان الاطلاع على القلب كما قال صلى الله عليه و آله و سلم: فهل شققت قلبه؟ و لذا قال عليه السلام و على ظاهره جماعة الناس فتأمل، و على هذا فلا فرق بين الإيمان و الإسلام إلا بالولاية و الإقرار بالأئمة عليهم السلام، إذ فى الإيمان أيضا يحكم بالظاهر و الأول أظهر، و المراد بالهدى الولاية و الاهتداء بالأئمة عليهم السلام و ما يثبت فى القلوب إشارة إلى العقائد القلبية بالشهادة الظاهرة الإسلامية فكلمة" من" فى قوله: من صفة الإسلام، بيانية، و يحتمل أن يكون ابتدائية أى ما يسرى من أثر الأعمال الظاهرة إلى الباطن، و قوله: و ما ظهر من العمل، يدل على أن الأعمال أجزاء الإيمان و إن أمكن حمله على الشهادتين كما يومئ إليه آخر الخبر.
" أرفع من الإسلام" لأنه يصير سببا لإحراز المثوبات الأخروية أو لاعتبار الولاية فيه فيكون أكمل و أجمع. قوله عليه السلام: الإيمان يشارك الإسلام ظاهره أنه لا فرق بين العقائد الإيمانية و الإسلامية، و الفرق بينهما أن فى الإيمان يعتبر الإقرار الظاهرى و التصديق الباطنى معا بخلاف الإسلام فإنه لا يعتبر فيه إلا الظاهر فقط، و قد يأول بأن المراد أن الإيمان يشارك الإسلام فى جميع الأعمال الظاهرة المعتبرة فى الإسلام مثل الصلاة و الزكاة و غيرهما، و الإسلام لا يشارك الإيمان فى جميع الأمور الباطنة المعتبرة فى الإيمان، لأنه لا يشاركه فى التصديق بالولاية و إن اجتمعا فى الشهادتين و التصديق بالتوحيد و الرسالة، قيل: و منه يتبين أن الإيمان كالنوع و الإسلام كالجنس، و قد

فِی الْبَاطِنِ وَ إِنِ اجْتَمَعَا فِی الْقَوْلِ وَ الصِّفَةِ
2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مُوسَی بْنِ بَکْرٍ عَنْ فُضَیْلِ بْنِ یَسَارٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ الْإِیمَانُ یُشَارِکُ الْإِسْلَامَ وَ الْإِسْلَامُ لَا یُشَارِکُ الْإِیمَانَ
3 عَلِیٌّ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ جَمِیلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنْ فُضَیْلِ بْنِ یَسَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ إِنَّ الْإِیمَانَ یُشَارِکُ الْإِسْلَامَ وَ لَا یُشَارِکُهُ الْإِسْلَامُ إِنَّ الْإِیمَانَ مَا وَقَرَ فِی الْقُلُوبِ وَ الْإِسْلَامَ مَا عَلَیْهِ الْمَنَاکِحُ وَ الْمَوَارِیثُ وَ حَقْنُ الدِّمَاءِ وَ الْإِیمَانَ یَشْرَکُ الْإِسْلَامَ وَ الْإِسْلَامَ لَا یَشْرَکُ الْإِیمَانَ
4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی الصَّبَّاحِ الْکِنَانِیِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَیُّهُمَا أَفْضَلُ الْإِیمَانُ أَوِ الْإِسْلَامُ فَإِنَّ مَنْ قِبَلَنَا یَقُولُونَ إِنَّ الْإِسْلَامَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِیمَانِ فَقَالَ الْإِیمَانُ

یطلق الإسلام و یراد به هذا النوع مجازا من باب إطلاق العام علی الخاص، و لعل قوله تعالی:" فَأَخْرَجْنا مَنْ کانَ فِیها" الآیة من هذا الباب، فقول من زعم أنهما مترادفان و تمسک بهذه الآیة مدفوع.

الحديث الثانى

: ضعيف كالموثق و قد مر القول فيه.

: حسن كالصحيح.
و هو خلاصة من الخبر الأول، و فى النهاية بشىء وقر فى القلب، أى سكن فيه و ثبت من الوقار الحلم و الرزانة، و قر يقر وقارا و فى المصباح: الوقار الحلم و الرزانة و هو مصدر وقر بالضم مثل جمل جمالا، و يقال أيضا وقر يقر من باب وعد، و وقر من باب وعد أيضا أى جلس بوقار.

الحديث الرابع

: صحيح.
" أيهما أفضل"؟ مبتدأ و خبر، و الإيمان و الإسلام تفسير لمرجع الضمير، أو هما

أَرْفَعُ مِنَ الْإِسْلَامِ قُلْتُ فَأَوْجِدْنِی ذَلِکَ قَالَ مَا تَقُولُ فِیمَنْ أَحْدَثَ فِی الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مُتَعَمِّداً قَالَ قُلْتُ یُضْرَبُ ضَرْباً شَدِیداً قَالَ أَصَبْتَ قَالَ فَمَا تَقُولُ فِیمَنْ أَحْدَثَ فِی الْکَعْبَةِ مُتَعَمِّداً قُلْتُ یُقْتَلُ قَالَ أَصَبْتَ أَ لَا تَرَی أَنَّ الْکَعْبَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَ أَنَّ الْکَعْبَةَ تَشْرَکُ الْمَسْجِدَ وَ الْمَسْجِدُ لَا یَشْرَکُ الْکَعْبَةَ وَ کَذَلِکَ الْإِیمَانُ یَشْرَکُ الْإِسْلَامَ وَ الْإِسْلَامُ لَا یَشْرَکُ الْإِیمَانَ

5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِیعاً عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْیَنَ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سَمِعْتُهُ یَقُولُ الْإِیمَانُ مَا اسْتَقَرَّ فِی الْقَلْبِ وَ أَفْضَی بِهِ إِلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ صَدَّقَهُ

_____

مبتدأ و أیهما أفضل خبر" أوجدنی ذلک" أی اجعلنی أجده و أفهمه، و فی القاموس:

وجد المطلوب کوعد و ورم یجده و یجده بضم الجیم وجد أوجده أدرکه و أوجده أغناه، و فلانا مطلوبه أظفره به، و بعد ضعف قواه کأجده.

قوله: متعمدا أی لا ساهیا و لا مضطرا، و یدل علی کفر من استخف بالکعبة فإنها من حرمات الله و وجوب تعظیمها من ضروریات الدین" أ لا تری أن الکعبة" شبه علیه السلام المعقول بالمحسوس إفهاما للسائل و بیانا للعموم و الخصوص، و شرف الإیمان علی الإسلام" و أن الکعبة تشرک المسجد" أی فی حکم التعظیم فی الجملة أو فی أنها یصدق علیها أنها مسجد و کعبة، أو فی أن من دخل الکعبة یحکم بدخوله فی المسجد بخلاف العکس.

" و المسجد" أی جمیع أجزائه" لا یشرک الکعبة" فی قدر التعظیم و عقوبة من استخف بها أو لا یصدق علی کل جزء من المسجد أنه کعبة، أو فی أن من دخلها دخل الکعبة کما سیأتی و وجه الشبه علی جمیع الوجوه ظاهر.

الحديث الخامس

: حسن.
قوله عليه السلام" و أفضى به إلى الله" الضمير إما راجع إلى القلب أو إلى صاحبه أى أوصله إلى معرفة الله و قربه و ثوابه فالضمير فى أفضى راجع إلى ما، و يحتمل أن يكون

الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَ الْإِسْلَامُ مَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَ هُوَ الَّذِی عَلَيْهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنَ الْفِرَقِ كُلِّهَا وَ بِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وَ عَلَيْهِ جَرَتِ الْمَوَارِيثُ وَ جَازَ النِّكَاحُ وَ اجْتَمَعُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ فَخَرَجُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَ أُضِيفُوا إِلَى الْإِيمَانِ وَ الْإِسْلَامُ لَا

راجعا إلى المؤمن و ضمير به راجعا إلى الموصول أى وصل بسبب ذلک الاعتقاد أو أوصل ذلک الاعتقاد إلى الله كناية عن علمه سبحانه بحصوله فى قلبه، و قيل: أى جعل وجه القلب إلى الله من الفضائل و الأحكام أى الفضائل الدنيوية و الأحكام الشرعية، قال فى المصباح: أفضى الرجل بيده إلى الأرض بالألف مسها بباطن راحته قاله ابن فارس و غيره، و أفضيت إلى الشىء وصلت إليه و السر أعلمته به، انتهى.
و قيل: أشار به إلى أن المراد بما استقر فى القلب مجموع التصديق بالتوحيد و الرسالة و الولاية، لأن هذا المجموع هو المفضى إلى الله، و قوله: و صدقه العمل، مشعر بأن العمل خارج عن الإيمان. و دليل عليه، لأن الإيمان و هو التصديق أمر قلبى يعلم بدليل خارجى مع ما فيه من الإيماء إلى أن الإيمان بلا عمل ليس بإيمان" و التسليم لأمره" أى الإمامة عبر هكذا تقية أو الأعم فيشملها أيضا، و يحتمل أن يكون عدم ذكر الولاية لأن التصديق القلبى الواقعى بالشهادتين مستلزم للإقرار بالولاية فكأن المخالفين ليس إذعانهم إلا إذعانا ظاهريا لإخلالهم بما يستلزمانه من الإقرار بالولاية، فلذا أطلق عليهم فى الأخبار اسم النفاق و الشرک فتفطن.
" و الإسلام ما ظهر من قول أو فعل" أى قول بالشهادتين أو الأعم و فعل بالطاعات كالصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و غيرها، فيدل على أن الإسلام يطلق على مجرد الطاعات و الشهادات من غير اشتراط التصديق" فخرجوا بذلک من الكفر" أى من أن يجرى عليهم فى الدنيا أحكام الكفار" و أضيفوا إلى الإيمان" أى نسبوا إلى الإيمان ظاهرا و إن لم يكونوا متصفين به حقيقة" و هما فى القول و الفعل يجتمعان"

يَشْرَكُ الْإِيمَانَ وَ الْإِيمَانُ يَشْرَكُ الْإِسْلَامَ وَ هُمَا فِی الْقَوْلِ وَ الْفِعْلِ يَجْتَمِعَانِ كَمَا صَارَتِ الْكَعْبَةُ فِی الْمَسْجِدِ وَ الْمَسْجِدُ لَيْسَ فِی الْكَعْبَةِ وَ كَذَلِكَ الْإِيمَانُ يَشْرَكُ الْإِسْلَامَ وَ الْإِسْلَامُ لَا يَشْرَكُ الْإِيمَانَ وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِی قُلُوبِكُمْ فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَصْدَقُ الْقَوْلِ قُلْتُ فَهَلْ لِلْمُؤْمِنِ فَضْلٌ عَلَی الْمُسْلِمِ فِی شَیْءٍ مِنَ الْفَضَائِلِ وَ الْأَحْكَامِ وَ الْحُدُودِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَالَ لَا هُمَا يَجْرِيَانِ فِی ذَلِكَ مَجْرَی وَاحِدٍ وَ لَكِنْ لِلْمُؤْمِنِ فَضْلٌ عَلَی الْمُسْلِمِ- فِی أَعْمَالِهِمَا وَ مَا يَتَقَرَّبَانِ بِهِ إِلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قُلْتُ أَ لَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ- مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ زَعَمْتَ أَنَّهُمْ

أی فی الشهادتين و العبادات الظاهرة و إن خص الإيمان بالولاية، و ظاهر سياق الحديث لا يخلو من شوب تقية، و كان المراد بالفضائل ما يفضل به فی الدنيا من العطاء و الأجر و أمثاله لا الفضائل الواقعية الأخروية أو ما يفضل به علی الكافر من الإنفاق و الإعطاء و الإكرام و الرعاية الظاهرية و قيل: أی فی التكليف بالفضائل بأن يكون المؤمن مكلفا و لا يكون المسلم مكلفا بها.

و فی تفسير العياشی هكذا قال: قلت له: أ رأيت المؤمن له فضل علی المسلم فی شیء من المواريث و القضايا و الأحكام حتی يكون للمؤمن أكثر مما يكون للمسلم فی المواريث أو غير ذلک؟ قال: لا، هما يجريان فی ذلک مجری واحدا إذا حكم الإمام عليهما، إلی آخر الخبر، و هو أظهر، فالفضائل تصحيف القضايا.

" فی إعمالهما" أی صحتها و قبولها" و ما يتقربان به إلی الله" أی من العقائد و الأعمال فيكون تأكيدا أو تعميما بعد التخصيص لشموله للعقائد أيضا، أو المراد بالأول صحة الأعمال، و بالثانی كيفياتها فإن المؤمن يعمل بما أخذه من إمامه، و المسلم يعمل ببدع أهل الخلاف، و قيل: المراد به الإمام الذی يتقرب بولايته و متابعته إلی الله تعالی، فإن أمام المؤمن مستجمع لشرائط الإمامة و إمام المسلم لشرائط الفسق و الجهالة.

قوله: أ ليس الله تعالی يقول. أقول: هذا السؤال و الجواب يحتمل وجوها

مُجْتَمِعُونَ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ مَعَ الْمُؤْمِنِ قَالَ أَ لَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً فَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ يُضَاعِفُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ لِكُلِّ حَسَنَةٍ سَبْعُونَ ضِعْفاً فَهَذَا فَضْلُ الْمُؤْمِنِ وَ يَزِيدُهُ اللَّهُ فِی حَسَنَاتِهِ عَلَى قَدْرِ صِحَّةِ إِيمَانِهِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِينَ مَا يَشَاءُ مِنَ الْخَيْرِ قُلْتُ أَ رَأَيْتَ

" الأول" و هو الظاهر أن السائل أراد أنه إذا كانا مجتمعين فی الحسنات و الحسنة بالعشر، فكيف يكون له فضل عليه فی الأعمال و القربات مع أن الموصول من أدوات العموم فيشمل كل من فعلها، فأجاب عليه السلام بأنها شريكان فی العشر و المؤمن يفضل بما زاد عليها، و يرد عليه أنه على هذا يكون لإعمال غير المؤمنين أيضا ثواب و هو مخالف للإجماع و الأخبار المستفيضة إلا أن يحمل الكلام على نوع من التقية أو المصلحة لقصور فهم السائل، أو يكون المراد بالإيمان الإيمان الخالص و بالإسلام أعم من الإيمان الناقص و غيره، و يكون الثواب للأول و هو غير بعيد عن سياق الخبر بل لا يبعد أن يكون المراد المستضعف من المؤمنين الذين يظهرون الإيمان و لم يستقر فی قلوبهم كما يرشد إليه قوله: و هما فی القول و الفعل يجتمعان، و قد عرفت اختلاف الاصطلاح فی الإيمان فيكون هذا الخبر موافقا لبعض مصطلحاته، و قيل فی الجواب:
لعل عمل غير المؤمن ينفعه فی تخفيف العقوبة و رفع شدتها لا فی دخول الجنة إذ دخولها مشروط بالإيمان.
الثانی: أنه تعالى قال:" مَنْ ذَا الَّذِی يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً" و القرض الحسن هو العبادة الواقعة على كمالها و شرائط قبولها، و من جملة شرائطها هو الإيمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز و جل لهم حسناتهم لا غيرهم، فيعطيهم لكل حسنة عشرة، و ربما يعطيهم لكل حسنة سبعين ضعفا، فهذا فضل المؤمن على المسلم، و يزيد الله فی حسناته على قدر صحة إيمانه، و حسب كماله أضعافا

مَنْ دَخَلَ فِی الْإِسْلَامِ أَ لَیْسَ هُوَ دَاخِلًا فِی الْإِیمَانِ فَقَالَ لَا وَ لَکِنَّهُ قَدْ أُضِیفَ إِلَی الْإِیمَانِ وَ خَرَجَ مِنَ الْکُفْرِ وَ سَأَضْرِبُ لَکَ مَثَلًا تَعْقِلُ بِهِ فَضْلَ الْإِیمَانِ عَلَی الْإِسْلَامِ أَ رَأَیْتَ لَوْ بَصُرْتَ رَجُلًا فِی الْمَسْجِدِ أَ کُنْتَ تَشْهَدُ أَنَّکَ رَأَیْتَهُ فِی الْکَعْبَةِ قُلْتُ لَا یَجُوزُ لِی ذَلِکَ قَالَ فَلَوْ بَصُرْتَ رَجُلًا فِی الْکَعْبَةِ أَ کُنْتَ شَاهِداً أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ قُلْتُ

کثیرة حتی أنه تعطی بواحدة سبعمائة أو أزید و یفعل الله بالمؤمنین ما یشاء من الخیر الذی لا یعلمه إلا هو کما قال:" وَ لَدَیْنا مَزِیدٌ" و قیل: أراد بما یشاء من الخیر إیتاء العلم و الحکمة و زیادة الیقین و المعرفة.

الثالث: ما ذکره بعض الأفاضل و یرجع إلی الثانی و هو أن المراد بالقرض الحسن صلة الإمام علیه السلام کما ورد فی الأخبار، فالغرض من الجواب أنه کما أن القرض یکون حسنا و غیر حسن، و الحسن الذی هو صلة الإمام یصیر سببا لتضاعف أکثر من عشرة، فکذلک الصلاة و الزکاة و الحج تکون حسنة و غیر حسنة، و الحسنة ما کان مع تصدیق الإمام و هو یستحق المضاعفة لا غیره، و الفاء فی قوله:" فالمؤمنون" للبیان، و قوله: یضاعف الله بتقدیر قد یضاعف الله و إلا لکان الظاهر عشرة أضعاف،" و یزید الله" أی علی السبعین أیضا.

قوله: أ رأیت من دخل فی الإسلام، کان السائل لم یفهم الفرق بین الإیمان و الإسلام بما ذکره علیه السلام فأعاد السؤال أو أنه لما کان تمکن فی نفسه ما اشتهر بین المخالفین من عدم الفرق بینهما أراد أن یتضح الأمر عنده أو قاس الدخول فی المرکب من الأجزاء المعقولة بالدخول فی المرکب من الأجزاء المقداریة، فإن من دخل جزءا من الدار صدق علیه أنه دخل الدار، فلذا أجابه علیه السلام بمثل ذلک لتفهیمه فقال: المتصف ببعض أجزاء الإیمان لا یلزم أن یتصف بجمیع أجزائه حتی یتصف بالإیمان کما أن من دخل المسجد لا یحکم علیه بأنه دخل الکعبة و من دخل الکعبة یحکم علیه بأنه دخل المسجد، فکذا یحکم علی المؤمن أنه مسلم و لا یحکم علی کل مسلم أنه مؤمن.

نَعَمْ قَالَ وَ كَيْفَ ذَلِکَ قُلْتُ إِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى دُخُولِ الْكَعْبَةِ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ قَدْ أَصَبْتَ وَ أَحْسَنْتَ ثُمَّ قَالَ كَذَلِکَ الْإِيمَانُ وَ الْإِسْلَامُ

بَابٌ آخَرُ مِنْهُ وَ فِيهِ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ

1 عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ قَالَ كَتَبْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِکِ بْنِ أَعْيَنَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَسْأَلُهُ عَنِ الْإِيمَانِ مَا هُوَ فَكَتَبَ إِلَيَّ مَعَ عَبْدِ الْمَلِکِ بْنِ أَعْيَنَ سَأَلْتَ رَحِمَکَ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَ الْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَ عَقْدٌ فِي الْقَلْبِ وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ

ثم اعلم أنه استدل بهذه الأخبار على كون الكعبة جزءا من المسجد الحرام، و يرد عليه أنه لا دلالة فى أكثرها على ذلک، بل بعضها يومئ إلى خلافه كهذا الخبر، حيث قال: أ كنت شاهدا أنه قد دخل المسجد، و لم يقل أ كنت شاهدا أنه فى المسجد، و كذا قوله: لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد، نعم بعض الأخبار تشعر بالجزئية.

باب آخر منه و فيه أن الإسلام قبل الإيمان

الحديث الأول

: مجهول.
قوله عليه السلام: و الإيمان هو الإقرار" إلخ" هذا تفسير للإيمان الكامل و الأخبار فى ذلک كثيرة، و عليه انعقد اصطلاح المحدثين منا، قال الصدوق رحمه الله فى الهداية:
الإسلام هو الإقرار بالشهادتين و هو الذى يحقن به الدماء، و الأموال، و من قال:
لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد حقن ماله و دمه إلا بحقيهما و على الله حسابه، و الإيمان هو الإقرار باللسان و عقد بالقلب و عمل بالجوارح، و أنه يزيد بالأعمال و ينقص بتركها، و كل مؤمن مسلم و ليس كل مسلم بمؤمن و مثل ذلک مثل الكعبة و المسجد فمن دخل الكعبة فقد دخل المسجد، و ليس كل من دخل المسجد دخل الكعبة، و قد فرق الله عز اسمه

فی کتابه بین الإسلام و الإیمان، فقال:" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا" و قد بین الله عز و جل أن الإیمان قول و عمل، لقوله:" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" إلی قوله تعالی:" أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا" و أما قوله عز و جل:" فَأَخْرَجْنا مَنْ کانَ فِیها مِنَ الْمُؤْمِنِینَ فَما وَجَدْنا فِیها غَیْرَ بَیْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِینَ" فلیس ذلک بخلاف ما ذکرنا لأن المؤمن یسمی مسلما و المسلم لا یسمی مؤمنا حتی یأتی مع إقراره بعمل، و أما قوله عز و جل:" وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ" الآیة فقد سئل الصادق علیه السلام عن ذلک فقال: هو الإسلام الذی فیه الإیمان، انتهی.

و قال الشیخ المفید قدس سره فی کتاب المسائل: أقول: إن مرتکبی الکبائر من أهل المعرفة و الإقرار مؤمنون بإیمانهم بالله و برسله و بما جاء من عنده و فاسقون بما معهم من کبائر الآثام و لا أطلق لهم اسم الفسوق و لا اسم الإیمان، بل أقیدهما جمیعا فی تسمیتهم بکل واحد منهما و امتنع من الوصف لهم بهما علی الإطلاق و أطلق لهم اسم الإسلام بغیر تقیید، و علی کل حال و هذا مذهب الإمامیة إلا بنی نوبخت رحمهم الله، فإنهم خالفوا فیه و أطلقوا للفساق اسم الإیمان، انتهی.

" و الإیمان بعضه من بعض" أی تترتب أجزاء الإیمان بعضها علی بعض فإن الإقرار بالعقائد یصیر سببا للعقائد القلبیة و العقائد تصیر سببا للأعمال البدنیة أو المعنی أن أفراد الإیمان و درجاته یترتب بعضها علی بعض، فإن الأدنی منها تصیر سببا لحصول الأعلی و هکذا إلی حصول أعلی درجاته فإن حصول قدر من الیقین یصیر سببا للإتیان بقدر من الأعمال بحسبه فإذا أتی بتلک الأعمال زاد الإیمان القلبی فیزید أیضا العمل و هکذا، فیترتب کمال کل جزء من الإیمان علی کمال الجزء الآخر.

و یحتمل أن یکون إشارة إلی اشتراط بعض أجزاء الإیمان ببعض، فإن العمل لا ینفع بدون الاعتقاد و الاعتقاد أیضا مشروط فی کماله و ترتب الآثار علیه بالعمل

وَ الْإِيمَانُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ وَ هُوَ دَارٌ وَ كَذَلِکَ الْإِسْلَامُ دَارٌ وَ الْكُفْرُ دَارٌ فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِماً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً وَ لَا يَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ مُسْلِماً- فَالْإِسْلَامُ قَبْلَ الْإِيمَانِ وَ هُوَ يُشَارِكُ الْإِيمَانَ فَإِذَا أَتَى الْعَبْدُ كَبِيرَةً مِنْ كَبَائِرِ الْمَعَاصِي أَوْ صَغِيرَةً مِنْ صَغَائِرِ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْهَا كَانَ خَارِجاً مِنَ الْإِيمَانِ سَاقِطاً عَنْهُ اسْمُ

" و هو دار" أى الإيمان دار، قيل: إنما شبه الإيمان و الإسلام و الكفر بالدار لأن كلا منها بمنزلة حصن لصاحبه يدخل فيها و يخرج منها كما أن الدار حصن لصاحبه و قوله: و هو يشارک الإيمان قيل: معناه أنه كلما يتحقق الإيمان فهو يشاركه فى التحقق، و أما ما مضى فى الأخبار أنه لا يشارک الإيمان فمعناه أنه ليس كلما تحقق تحقق الإيمان، فلا منافاة، و يحتمل أن يكون سقط من الكلام شىء، و كان هكذا:
و هو يشارک الإسلام و الإسلام لا يشارک الإيمان فيكون على وتيرة ما سبق، انتهى.
و أقول: الظاهر هنا المشاركة فى الأحكام الظاهرة و فيما سبق نفى المشاركة فى جميع الأحكام، و قيل و سر ذلک أن الإقرار بالتوحيد و الرسالة مقدم على الإقرار بالولاية و العمل، و المؤمن و المسلم بسبب الأول يخرجان من دار الكفر و يدخلان فى دار الإسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء يستقر فى هذه الدار و المؤمن بسبب الثانى يترقى و ينزل فى دار الإيمان، و منه لاح أن الإسلام قبل الإيمان و أنه يشارک الإيمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول فى دار الإيمان، و بهذا التقرير تندفع المنافاة بين قوله عليه السلام هيهنا: و هو يشارک الإيمان، و قوله سابقا: و الإسلام لا يشارک الإيمان.
قوله: فإذا أتى العبد كبيرة" إلخ" يدل على أن الصغيرة أيضا مخرجة من الإيمان مع أنها مكفرة مع اجتناب الكبائر، و يمكن حمله على الإصرار كما يومئ إليه ما بعده، أو على أن المراد بهما الكبيرة لكن بعضها صغيرة بالإضافة إلى بعضها التى هى أكبر الكبائر، فالمراد بقوله عليه السلام: نهى الله عنها نهيه عنها فى القرآن و إيعاده عليها النار، و يدل على أن جحود المعاصى و استحلالها موجبان للارتداد، و ينبغى حمله على

الْإِيمَانِ وَ ثَابِتاً عَلَيْهِ اسْمُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ تَابَ وَ اسْتَغْفَرَ عَادَ إِلَى دَارِ الْإِيمَانِ وَ لَا يُخْرِجُهُ إِلَى الْكُفْرِ إِلَّا الْجُحُودُ وَ الِاسْتِحْلَالُ أَنْ يَقُولَ لِلْحَلَالِ هَذَا حَرَامٌ وَ لِلْحَرَامِ هَذَا حَلَالٌ وَ دَانَ بِذَلِکَ فَعِنْدَهَا يَكُونُ خَارِجاً مِنَ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ دَاخِلًا فِي الْكُفْرِ وَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ

ما إذا كان من ضروريات الدين، فيؤيد التأويل الثانى فإن أكثر ما نهى عنه فى القرآن كذلک، أو على ما إذا جحد و استحل بعد العلم بالتحريم، و يدل على أن المرتد مستحق للقتل و إن كان يفعل ما يؤذن بالاستخفاف بالدين، و يومئ إلى عدم قبول توبته للمقابلة، فيحمل على الفطرى، و على أنه مستحق للنار و إن تاب.

و جملة القول فيه أن المرتد على ما ذكره الشهيد قدس سره فى الدروس هو من قطع الإسلام بالإقرار على نفسه بالخروج منه أو ببعض أنواع الكفر سواء كان مما يقر أهله عليه أم لا، أو بإنكار ما علم ثبوته من الدين ضرورة أو بإثبات ما علم نفيه كذلک، أو بفعل دال عليه صريحا كالسجود للشمس و الصنم، و إلقاء المصحف فى القذر قصدا و إلقاء النجاسة على الكعبة أو هدمها أو إظهار الاستخفاف بها.

و أما حكمه فالمشهور بين الأصحاب أن الارتداد على قسمين فطرى و ملى، فالأول ارتداد من ولد على الإسلام بأن انعقد حال إسلام أحد أبويه و هذا لا يقبل إسلامه لو رجع إليه و يتحتم قتله، و تبين عنه امرأته و تعتد منه عدة الوفاة، و تقسم أمواله بين ورثته و هذا الحكم بحسب الظاهر لا إشكال فيه بمعنى تعين قتله، و أما فيما بينه و بين الله فاختلفوا فى قبول توبته فأكثر المحققين ذهبوا إلى القبول حذرا من تكليف ما لا يطاق لو كان مكلفا بالإسلام أو خروجه عن التكليف ما دام حيا كامل العقل و هو باطل بالإجماع و حينئذ فلو لم يطلع عليه أحد أو لم يقدر على قتله فتاب قبلت توبته فيما بينه و بين الله تعالى و صحت عباداته و معاملاته، و لكن لا تعود ماله و زوجته إليه بذلک، و يجوز له تجديد العقد عليها بعد العدة أو فيها على احتمال كما يجوز للزوج العقد على المعتدة بائنا حيث لا تكون محرمة مؤبدا كالمطلقة بائنا و لا تقتل المرأة بالردة بل تحبس دائما و إن كانت مولودة على الفطرة و تضرب أوقات الصلوات.

ص: 163
مَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ ثُمَّ دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَ أَحْدَثَ فِی الْكَعْبَةِ حَدَثاً فَأُخْرِجَ عَنِ الْكَعْبَةِ وَ عَنِ الْحَرَمِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَ صَارَ إِلَی النَّارِ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِیسَی عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِیمَانِ وَ الْإِسْلَامِ قُلْتُ لَهُ أَ فَرْقٌ بَیْنَ الْإِسْلَامِ وَ الْإِیمَانِ قَالَ فَأَضْرِبُ لَکَ مَثَلَهُ قَالَ قُلْتُ أَوْرِدْ ذَلِکَ قَالَ مَثَلُ الْإِیمَانِ وَ الْإِسْلَامِ مَثَلُ الْكَعْبَةِ الْحَرَامِ مِنَ الْحَرَمِ قَدْ یَكُونُ فِی الْحَرَمِ وَ لَا یَكُونُ فِی الْكَعْبَةِ وَ لَا یَكُونُ فِی الْكَعْبَةِ حَتَّی یَكُونَ فِی الْحَرَمِ وَ قَدْ یَكُونُ مُسْلِماً وَ لَا یَكُونُ مُؤْمِناً وَ لَا یَكُونُ مُؤْمِناً حَتَّی یَكُونَ مُسْلِماً قَالَ قُلْتُ فَیُخْرِجُ مِنَ الْإِیمَانِ شَیْءٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَیُصَیِّرُهُ إِلَی مَا ذَا قَالَ إِلَی الْإِسْلَامِ أَوِ الْكُفْرِ وَ قَالَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَأَفْلَتَ مِنْهُ بَوْلُهُ أُخْرِجَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَ لَمْ یُخْرَجْ مِنَ الْحَرَمِ فَغَسَلَ ثَوْبَهُ وَ تَطَهَّرَ ثُمَّ لَمْ یُمْنَعْ أَنْ یَدْخُلَ الْكَعْبَةَ وَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْكَعْبَةَ فَبَالَ فِیهَا مُعَانِداً أُخْرِجَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَ مِنَ الْحَرَمِ وَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ

و الثانی أن یکون مولودا علی الکفر فأسلم ثم ارتد فهذا یستتاب علی المشهور فإن امتنع قتل، و اختلف فی مدة الاستتابة فقیل ثلاثة أیام لروایة مسمع، و قیل:
القدر الذی یمکن معه الرجوع، و یظهر من ابن الجنید أن الارتداد قسم واحد و أنه یستتاب فإن تاب و إلا قتل و هو مذهب العامة لکن لا یخلو من قوة.

الحديث الثانى

: موثق.
" فخرج من الإيمان شىء؟ قال: نعم" ما يخرجه عن الإيمان فقط أما المعاصى و ترک الطاعات بناء على دخول الأعمال فى الأيمان، أو إنكار الإمامة و لوازمها، و ما يخرجه عن الإيمان و الإسلام معا الارتداد و ما ينافى دين الإسلام قولا أو فعلا و الترديد فى قوله إلى الإسلام أو الكفر لذلک، و فى القاموس: كان الأمر فلتة أى فجأة من غير تردد و تدبر، و أفلتنى الشىء و تفلت منى انفلت، و أفلته غيره و أفلت على بناء المفعول مات فجأة، و بأمر كذا فوجئ به قبل أن يستعد له، و فى المصباح أفلت الطائر و غيره إفلاتا تخلص، و أفلته إذا أطلقته و خلصته يستعمل لازما و متعديا.

بَابٌ

1 عَلِیٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ آدَمَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ مَیْمُونٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ إِنَّ أُنَاساً تَکَلَّمُوا فِی هَذَا الْقُرْآنِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ ذَلِکَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی یَقُولُ- هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ

باب

اشارة

إنما لم يعنون الباب لأنه قريب من البابين السابقين فى أنه مشتمل على معانى الإسلام و الإيمان، لكن لما كان فيه زيادة تفصيل و توضيح و فوائد كبيرة جعله بابا آخر.

: مجهول.
قوله: و ذلک أن، تعليل لتكلمهم فيه بغير علم لأنهم تكلموا فى متشابهه أيضا مع أنه لا يعلم تأويله إلا الله و الراسخون فى العلم، و المحكم فى اللغة المتقن، و فى العرف يطلق على ما له معنى لا يحتمل غيره، و على ما اتضحت دلالته و على ما كان محفوظا من النسخ و التخصيص أو منهما جميعا، و على ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا و المتشابه يقابله بكل من هذه المعانى.
و قال الراغب: المحكم ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ و لا من حيث المعنى، و المتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهة غيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى.
و قال الفقهاء: المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده و حقيقة ذلک أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب محكم على الإطلاق، و متشابه على الإطلاق، و محكم من وجه متشابه من وجه، فالمتشابه فى الجملة ثلاثة أضرب، متشابه من جهة اللفظ

فقط و متشابه من جهة المعنى فقط و متشابه من جهتهما، فالمتشابه من جهة اللفظ ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، و ذلک إما من جهة غرابته نحو الأب و يزفون، و إما من مشاركة فى اللفظ كاليد و العين، و الثانى يرجع إلى جملة الكلام المركب، و ذلک ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو" وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ" و ضرب لبسط الكلام نحو" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ" لأنه لو قيل ليس مثل مثله شىء كان أظهر للسامع، و ضرب لنظم الكلام نحو" أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً" تقديره الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا، و المتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى و أوصاف القيامة فإن تلک الصفات لا تتصور لنا إذا كان لا تحصل فى نفوسنا صورة ما لم نحسه أو لم يكن من جنس ما نحسه.

و المتشابه من جهة المعنى و اللفظ جميعا خمسة أضرب.

الأول من جهة الكمية كالعموم و الخصوص نحو:" فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ".

و الثانى من جهة الكيفية كالوجوب و الندب نحو" فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ".

و الثالث من جهة الزمان كالناسخ و المنسوخ نحو" اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ".

و الرابع من جهة المكان و الأمور التى نزلت فيها" وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها" و قوله عز و جل:" إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيادَةٌ فِى الْكُفْرِ" فإن من لا يعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

الخامس من جهة الشروط التى بها يصح الفعل أو يفسد كشروط الصلاة و النكاح.

و هذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرين فى تفسير المتشابه لا يخرج عن التقاسيم نحو قول من قال: المتشابه" الم*" و قول قتادة المحكم الناسخ و المتشابه و المنسوخ، و قول الأصم: المحكم ما أجمع على تأويله و المتشابه ما اختلف فيه، ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب ضرب لا سبيل للوقوف عليه كوقت الساعة و خروج دابة الأرض و كيفية الدابة و نحو ذلک، و ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة و الأحكام المغلقة، و ضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين فى العلم و يخفى على من دونهم و هو الضرب المشار إليه بقوله صلى الله عليه و آله و سلم فى على عليه السلام: اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل.

و إذا عرفت هذه الجملة علم أن الوقوف على قوله: إلا الله، و وصله بقوله: و الراسخون فى العلم جائزان، و أن لكل واحد منهما وجها حسب ما يدل عليه التفصيل المتقدم، انتهى.

قوله تعالى:" مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ" قيل: أى أحكمت عباراتها بأن حفظت عن الإجمال" هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ" أى أصله يرد إليها غيرها" وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ" قيل: أى محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالفحص و النظر ليظهر فيها فضل العلماء الربانيين فى استنباط معانيها و ردها إلى المحكمات و ليتوصلوا بها إلى معرفة الله و توحيده.

و أقول: بل ليعلموا عدم استقلالهم فى علم القرآن و احتياجهم فى تفسيره إلى الإمام المنصوب من قبل الله و هم الراسخون فى العلم.

و روى العياشى عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن المحكم و المتشابه؟ فقال: المحكم ما يعمل به، و المتشابه ما اشتبه على جاهله، و فى رواية أخرى: و المتشابه الذى يشبه بعضه بعضا، و فى رواية أخرى فأما المحكم فتؤمن به و تعمل به و تدين به، و أما المتشابه فتؤمن به و لا تعمل به" فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ" أى ميل عن الحق كالمبتدعة

فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا

" فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ" فیتعلقون بظاهره أو بتأویل باطل" ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ" أی طلب أن یفتنوا الناس عن دینهم بالتشکیک و التلبیس و مناقضة المحکم بالمتشابه.
و فی مجمع البیان عن الصادق علیه السلام أن الفتنة هنا الکفر" وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ" أی و طلب أن یأولوه علی ما یشتهونه" وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ" الذی یجب أن یحمل علیه" إِلَّا اللَّهُ
وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ" الذین تثبتوا و تمکثوا فیه.
و أقول: قد مر الکلام منا فی تأویل هذه الآیة فی کتاب الحجة فی باب أن الراسخین فی العلم هم الأئمة علیهم السلام قوله علیه السلام: فالمنسوخات من المتشابهات کان هذا الکلام تمهید لما سیأتی من اختلاف الإیمان المأمور به فی مکة قبل الهجرة و فی المدینة بعدها و اختلاف التکالیف فیهما کما و کیفا، ردا علی من استدل ببعض الآیات علی أن الإیمان نفس الاعتقاد بالتوحید و النبوة فقط بلا مدخلیة للأعمال أو الولایة فیه، بأن تلک الآیات أکثرها نزلت فی مکة و کان الإیمان فیها نفس الاعتقاد بالشهادتین أو التکلم بهما ثم نسخ ذلک فی المدینة بعد وجوب الواجبات و تحریم المحرمات و نصب الوالی و الأمر بولایته.
و یحتمل أن لا یکون ذلک من قبیل النسخ و یکون ذکر النسخ لبیان عجزهم عن فهم معانی الآیات و خطائهم فی الاستدلال بها کما أنهم لا یعرفون الناسخ من المنسوخ و یستدلون بالآیات المنسوخة علی الأحکام مع عدم علمهم بنسخها و عد المنسوخات التی لا یعلم بنسخها من المتشابهات فالمنسوخة أخص مطلقا من المتشابه.
و لما کان المحکم غیر المتشابه و الناسخ غیر المنسوخ و نقیض الأخص أعم من نقیض الأعم غیر الأسلوب فی الفقرة الثانیة فقال: و المحکمات من الناسخات للإشارة إلی ذلک و تسمیته غیر المنسوخ مطلقا ناسخا إما علی التوسع و إطلاق لفظ الجزء علی الکل أو لکونها ناسخة للشرائع السالفة أو للإباحة الأصلیة التی کانوا متمسکین بها قبلها.
و یمکن حمل الناسخ علی معناه و حمل الکلام علی الغالب بأن یکون الناسخ

اللَّهُ- الْآيَةَ فَالْمَنْسُوخَاتُ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَ الْمُحْكَمَاتُ مِنَ النَّاسِخَاتِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَ

أيضا أخص من المحكم و لا فساد فيه لعدم انحصار الآيات حينئذ فى الناسخة و المنسوخة و قيل: لما كان بعض المحكمات مقصور الحكم على الأزمنة السابقة منسوخا بآيات أخر و نسخها خافيا على أكثر الناس فيزعمون بقاء حكمها صارت متشابهة من هذه الجهة و لهذا قال عليه السلام: فالمنسوخات من المتشابهات.
و فى بعض النسخ من المتشابهات، و إنما غير الأسلوب فى أختها لأن المحكم أخص من الناسخ من وجه، بخلاف المتشابه فإنه أعم من المنسوخ مطلقا، انتهى.
و فيه أن كون المتشابه أعم من مطلق المنسوخ مطلقا لا وجه له إلا أن يخص بمنسوخ لم يعلم نسخه كما أومأنا إليه، و قيل: الظاهر أن الفاء للتفسير لزيادة تفظيع حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات و المتشابهات دون المحكمات و الناسخات، لأن المنسوخات من باب المتشابهات فى التشابه إذ يشتبه عليهم ثباتها و بقاءها و المحكمات من قبيل الناسخات فى الثبات و البقاء، فإذا اتبعوا المتشابهات اتبعوا المنسوخات لأنهما من باب واحد، و إذا اتبعوا المنسوخات لم يتبعوا الناسخات، و إذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لأنهما أيضا من باب واحد.
قوله: إن الله عز و جل بعث نوحا، هذا شروع فى المقصود، و حاصله أن الإيمان فى بداية بعثه كل رسول كان مجرد التصديق بالتوحيد و الرسالة و من مات عليه حينئذ كان مؤمنا و وجبت له الجنة، فلما استجابوا لهم ذلک و كثرت أتباعهم و ضعوا أعمالا و شرائع و أوجبوا عليهم و أوعدوا على تركها النار فصارت تلک الأعمال أجزاء للإيمان فأول أولى العزم من الأنبياء كان نوحا عليه السلام فحين بعثه أمرهم أولا بالتوحيد و الإقرار بنبوته فقط، و كان ذلک الإيمان حيث قال فى سورة نوح إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ، قالَ يا قَوْمِ إِنِّى لَکُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
" أى مخلصا من غير شرک" وَ اتَّقُوهُ" أى اتقوا عذابه الذى

بَعَثَ نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ- أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ثُمَّ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ ع عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَلَغُوا مُحَمَّداً ص فَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ قَالَ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى

قرره على الشرک" وَ أَطِيعُونِ" فيما أمركم به و أذعنوا لنبوتى فلم يذكر فيما أنذرهم به إلا هذين الأمرين.

" ثم دعاهم" أى ثم بعد ذلک استمر على هذه الدعوة زمانا طويلا فكانت دعوته منحصرة فى التوحيد و نفى الشريک، و كان قبولهم ذلک منه مستلزما للإذعان بنبوته" ثم بعث الأنبياء" أى ثم بعث سائر أولى العزم فى أول بعثتهم على هذا الأمر فقط، إلى أن انتهت سلسلة أولى العزم و سائر الأنبياء إلى محمد صلى الله عليه و آله و سلم فكان صلى الله عليه و آله و سلم فى أول بعثته بمكة يدعوهم إلى التوحيد و ما يتبعه من الإقرار بالنبوة بل المعاد أيضا فإنه أيضا من الأمور التى نزلت الآيات المشتملة على التهديدات العظيمة فيها قبل الهجرة، فالمراد جميع أصول الدين سوى الإمامة، و ذكر التوحيد على المثال، أو على أن الإقرار به مستلزم للإقرار بسائر الأصول، و يؤيده قوله عليه السلام بعد ذلک: و الإقرار بما جاء به من عند الله.

قوله عليه السلام: و قال، أى فى سورة الشورى و هى مكية، على ما ذكره المفسرون إلى قوله:" وَ الَّذِينَ اسْتَجابُوا"" وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ" إلى قوله:" لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" عن الحسن، و على قول ابن عباس و قتادة إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة" قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً" إلى قوله:" لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ" و على التقادير الآيات المذكورة مكية.

و الاستشهاد بالآية لأن الدين المشترک بين جميع الأنبياء هى الأصول الدينية التى لا تختلف باختلاف الشرائع، مع أن قوله سبحانه:" كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ" يشعر بأن عمدة الدين فى ذلک الوقت كانت التوحيد و نفى الشرک مع

بِهِ نُوحاً وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ وَ ما وَصَّیْنا بِهِ إِبْراهِیمَ وَ مُوسی وَ عِیسی أَنْ أَقِیمُوا الدِّینَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِیهِ کَبُرَ عَلَی الْمُشْرِکِینَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَیْهِ اللَّهُ یَجْتَبِی إِلَیْهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی إِلَیْهِ مَنْ یُنِیبُ- فَبَعَثَ الْأَنْبِیَاءَ إِلَی قَوْمِهِمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ الْإِقْرَارِ بِمَا جَاءِ [بِهِ] مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَنْ آمَنَ مُخْلِصاً وَ مَاتَ عَلَی ذَلِکَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِذَلِکَ وَ ذَلِکَ أَنَّ اللَّهَ

الإقرار بالنبوة لقوله تعالی:" اللَّهُ یَجْتَبِی".
قال الطبرسی رحمه الله:" شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ ما وَصَّی بِهِ نُوحاً، أی بین لکم و نهج و أوضح من الدین و التوحید و البراءة من الشرک ما وصی به نوحا" وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ" أی و هو الذی أوحینا إلیک یا محمد و هو ما وصینا به إبراهیم و موسی و عیسی، ثم بین ذلک بقوله:" أَنْ أَقِیمُوا الدِّینَ" و إقامة الدین التمسک به و العمل بموجبه و الدوام علیه و الدعاء إلیه" وَ لا تَتَفَرَّقُوا" أی لا تختلفوا فِیهِ و ائتلفوا فیه و اتفقوا و کونوا عباد الله إخوانا" کَبُرَ عَلَی الْمُشْرِکِینَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَیْهِ" من توحید الله و الإخلاص له، و رفض الأوثان و ترک دین الآباء لأنهم قالوا أ جعل الآلهة إلها واحدا، و قیل: معناه ثقل علیهم و عظم اختیارنا لک بما تدعوهم إلیه و تخصیصک بالوحی و النبوة دونهم" اللَّهُ یَجْتَبِی إِلَیْهِ مَنْ یَشاءُ" أی لیس لهم الاختیار لأن الله یصطفی لرسالته من یشاء علی حسب ما یعلم من قیامه باعتبار الرسالة و قیل: معناه: الله یصطفی من عباده لدینه من یشاء" وَ یَهْدِی إِلَیْهِ مَنْ یُنِیبُ" أی و یرشد إلی دینه من یقبل إلی طاعته أو یهدی إلی جنته و ثوابه من یرجع إلیه بالنیة و الإخلاص.
قوله علیه السلام: فمن آمن مخلصا، أی بقلبه و لسانه دون لسانه فقط و لم یخلطه بشرک" و ذلک أن الله" کأنه إشارة إلی إدخاله الجنة بمجرد الشهادة و الإقرار و إن لم یعمل من الطاعات شیئا و لم یترک سائر المحرمات لأنه کان بذلک مؤمنا فی ذلک الزمان، و إدخال المؤمن النار ظلم" و ذلک أن الله" المشار إلیه بذلک إما عدم تعذیب

لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ* وَ ذَلِکَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَکُنْ يُعَذِّبُ عَبْداً حَتَّى يُغَلِّظَ عَلَيْهِ فِی الْقَتْلِ وَ الْمَعَاصِی الَّتِی أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا النَّارَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا فَلَمَّا اسْتَجَابَ لِکُلِّ نَبِیٍّ مَنِ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ لِکُلِّ نَبِیٍّ مِنْهُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ الشِّرْعَةُ وَ الْمِنْهَاجُ سَبِيلٌ

من ترک العمل بالنار، أو أنه إن لم يدخل الجنة و أدخل النار کان ظالما، و هذا الکلام يحتمل وجهين: أحدهما أن تکون المعاصی التی نهی عنها فی مکة من المکروهات و يکون النهی عنها نهی تنزيه، و الطاعات التی أمر بها فيها من المستحبات فالتعليل حينئذ ظاهر لأن التعذيب علی ترک المستحبات أو فعل المکروهات فی الآخرة ظلم، و ثانيهما أن يکون النهی عن المعاصی نهی تحريم و الأمر بالطاعات أمر وجوب لکن لم يوعد علی فعل المعاصی و ترک الطاعات النار و لم يغلظ فيهما، و إنما أوعد النار علی المشرک و الإخلال بالعقائد و إنکار النبوة و المعاد فهی کانت بمنزلة الفرائض لسعة کرمه و رحمته أن لا يؤاخذ مجتنب الکبائر بفعل الصغائر، و الکبائر و غيرها بمنزلة الصغائر و سائر الواجبات، و قد أوجب الله تعالی علی نفسه فلو عذبهم بها کان ظلما من حيث الإخلال بما أوجب علی نفسه من العفو عنهم أو يقال:

التعذيب بالنار مع ترک الإيعاد بها ظلم أو يقال التعذيب بالنار العظيم الأليم أبدا أو مدة طويلة بمحض النهی من غير تهديد و وعيد و تغليظ لا سيما ممن کملت قدرته و وسعت رحمته ظلم، أو يقال: اللطف علی الله تعالی واجب و أعظم الألطاف التهديد و الوعيد بالنار فترکه ظلم، أو يقال: أطلق الظلم علی خلاف الأولی مجازا و الکل مبنی علی أن الأعمال و التروک التی هی أجزاء الإيمان إنما هی ما يستحق بترکه الدخول فی النار، و فی مکة سوی العقائد لم تکن کذلک و لما شرع فی المدينة شرائع و جعل فيها فرائض و کبائر يستحق بترک الأولی، و فعل الثانية دخول النار جعلتاه من أجزاء الإيمان.

" جعل لکل نبی" إشارة إلی قوله تعالی فی المائدة و هی مدنية:" لِکُلٍ

وَ سُنَّةٌ وَ قَالَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ ص- إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ کَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ- وَ أَمَرَ کُلَّ نَبِيٍّ بِالْأَخْذِ بِالسَّبِيلِ وَ السُّنَّةِ وَ کَانَ مِنَ السُّنَّةِ وَ السَّبِيلِ الَّتِی أَمَرَ

جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً" قال البيضاوى: شرعة شريعة و هى الطريقة إلى الماء، شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية و قرأ بفتح الشين" وَ مِنْهاجاً" و طريقا واضحا فى الدين من نهج الأمر إذا وضح، و استدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة، انتهى.
و قال الراغب: الشرع نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقا و الشرع مصدر، ثم جعل اسما للطريق النهج فقيل له شرع و شرعة و شريعة و أستعير ذلک للطريقة الإلهية من الدين قال تعالى:" لِکُلٍّ جَعَلْنا مِنْکُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً" فذلک إشارة إلى أمرين أحدهما: ما سخر تعالى عليه کل إنسان من طريق يتحراه مما يعود إلى مصالح عباده و عمارة بلاده و ذلک المشار إليه بقوله:" وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا". الثانى: ما قيض له من الدين و أمره به ليتحراه اختيارا مما يختلف فيه الشرائع و يعترضه النسخ، و دل عليه قوله:" ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها" قال ابن عباس: الشرعة ما ورد به القرآن و المنهاج ما ورد به السنة و قوله: شرع لکم من الدين ما وصى به نوحا، الآية، فإشارة إلى الأصول التى تتساوى فيها الملل و لا يصح عليها النسخ کمعرفة الله و نحو ذلک من نحو ما دل عليه قوله: و من يکفر بالله و ملائکته و کتبه و رسله و اليوم الآخر.
قال بعضهم: سميت الشريعة تشبيها بشريعة الماء من حيث أن من شرع فيها على الحقيقة روى و تطهر قال: و أعنى بالرى ما قال بعض الحکماء: کنت أشرب فلا أروى، فلما عرفت الله رويت بلا شرب، و بالتطهير ما قال تعالى:" إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَا مُوسَى ع أَنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّبْتَ وَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ السَّبْتِ وَ لَمْ

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً" انتهى.
و الشرعة و المنهاج متقاربان فى المعنى كما أن اللفظين الذين فسرهما عليه السلام بهما أيضا متقاربان، فيحتمل أن يكونا تفسيرين لكل منهما أو يكون على اللف و النشر.
فعلى الأول أطلق على أعمال الدين و أحكامه الشرعة لإيصالها العامل بها إلى الحياة الأبدية و التطهر من الأدناس الرديئة، و المنهاج لأنها كالطريق الواضح الموصل إلى المقصود من الجنة الباقية و الدرجات العالية.
و على الثانى المراد بالأول الواجبات و بالثانى المستحبات، و لذا عبر عليه السلام عن الثانى بالسنة، أو بالأول العبادات و بالثانى سائر الأحكام، و الوجه الأول أوفق بقوله: و كان من السبيل، و إن أمكن أن يكون المراد من مجموعهما و إن كان من أحدهما.
قال الطبرسى (ره) الشرعة و الشريعة واحدة و هى الطريقة الظاهرة، و الشريعة هى الطريقة التى يوصل منه إلى الماء الذى فيه الحياة فقيل: الشريعة فى الدين الطريق الذى يوصل منه إلى الحياة فى النعيم و هى الأمور التى يعبد الله بها من جهة السمع، و الأصل فيه الظهور، و المنهاج الطريق المستمر يقال: طريق نهج و منهج أى بين، و قال المبرد: الشرعة: ابتداء الطريق و المنهاج الطريق المستقيم قال: و هذه الألفاظ إذا تكررت فلزيادة فائدة فيه و قد جاء أيضا بمعنى واحد كقول الشاعر: أقوى و أقفر، و هما بمعنى، انتهى.
قوله: أن جعل عليهم السبت، قال الراغب: أصل السبت قطع العمل و منه سبت السير أى قطعه، و سبت شعره حلقه، و قيل: سمى يوم السبت لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السماوات و الأرض يوم الأحد فخلقها فى ستة أيام كما ذكره فقطع عمله تعالى يوم السبت فسمى بذلك، و سبت فلان صار فى السبت.

يَسْتَحِلَّ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِکَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَ مَنِ اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ وَ اسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِی نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّارَ وَ ذَلِکَ حَيْثُ اسْتَحَلُّوا الْحِينَانَ وَ احْتَبَسُوهَا وَ أَكَلُوهَا يَوْمَ السَّبْتِ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا

و قوله عز و جل:" يَوْمَ سَبْتِهِمْ" قيل: يوم قطعهم للعمل" وَ يَوْمَ لا يَسْبِتُونَ" قيل: معناه لا يقطعون العمل، و قيل: يوم لا يكونون فى السبت و كلاهما إشارة إلى حالة واحدة و قوله: إنما جعل السبت أى ترک العمل فيه، انتهى.
قوله عليه السلام: و لم يستحل، الظاهر أن المراد بالاستحلال هنا الجرأة على الله و انتهاک ما حرم الله فكأنه عده حلالا لقوله بعد ذلک و لا شكوا فى شىء مما جاء به موسى.
و ما قيل: دل على أن مخالفة الأحكام كفر يوجب دخول النار مع الاستحلال و الظاهر أنه لا خلاف فيه بين الأمة، و ما ذلک إلا لأن الإقرار بها و العمل بها داخلان فى الإيمان، و إذا كان كذلک كان تاركها و إن لم يستحل كافرا يعذب بالنار أيضا. فلا يخفى وهنه" حيث استحلوا الحيتان" أى استحلوا صيدها أو أكلها أو حبسها أيضا، و قوله: يوم السبت ظرف لكل من احتبسوها و أكلوها أو لاستحلوا أيضا أى استحلوا أو لأحبسها يوم السبت ثم استحلوا صيدها و أكلها فيه.
و قيل: يوم السبت ظرف لاحتبسوها لا لأكلوها أى احتبسوها يوم السبت فى مضيق بسد الطريق عليها ثم اصطادوها يوم الأحد و أكلوها، فعلوا ذلک حيلة و لم تنفعهم لأن احتباسها فيه هتک لحرمته، فخرجوا بذلک من الإيمان إلى الكفر، و لذلک غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمن و أن يشكوا فى رسالة موسى عليه السلام و ما جاء به، و لذلک لم يصطادوا يوم السبت، فعلم أن الإيمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لأن المؤمن لا يغضب و لا يدخل النار.
و فيه شىء لأن استحلالهم الحيتان ينافى ظاهرا عدم شكهم بما جاء به موسى.

أَشْرَكُوا بِالرَّحْمَنِ وَ لَا شَكُّوا فِی شَیْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَی ع قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِینَ اعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَةً خاسِئِینَ ثُمَّ بَعَثَ

و یمکن دفعه بأن ما جاء به موسی تحریم الحیتان یوم السبت و هم استحلوها یوم الأحد و لحق بهم ما لحق بسبب احتباسهم یوم السبت، انتهی.
و أقول: قد عرفت معنی الاستحلال و هو معنی شائع فی المحاورات، فلا یرد ما أورده، و أما الجواب الذی ذکره فهو أیضا لا یسمن و لا یغنی من جوع، لأن الاحتباس إذا لم یکن منهیا عنه فکیف عذبوا علیه، و إن کان داخلا فیما نهوا عنه عاد الإشکال مع أن ظاهر أکثر الروایات المعتبرة أنهم بعد تلک الحیلة تعدی أکثرهم إلی الصید و الأکل یوم السبت فاعتزلت طائفة منهم فلم یمسخوا، و بقیت طائفة بینهم فمسخوا أیضا لترکهم النهی عن المنکر، و إن اختلف المفسرون فی ذلک.
قال فی مجمع البیان: اختلفت فی أنهم کیف اصطادوا فقیل: إنهم ألقوا الشبکة فی الماء یوم السبت حتی کان یقع فیها السمک ثم کانوا لا یخرجون الشبکة من الماء إلی یوم الأحد، و هذا تسبب محظور، و فی روایة ابن عباس: اتخذوا الحیاض فکانوا یسوقون الحیتان إلیها و لا یمکنها الخروج منها فیأخذونها یوم الأحد.
و قیل: إنهم اصطادوها و تناولوها بالید یوم السبت عن الحسن.
" وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِینَ اعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی السَّبْتِ" قال البیضاوی: السبت مصدر سبتت الیهود إذا عظمت یوم السبت و أصله القطع، أمروا أن یجردوه للعبادة فاعتدی فیه ناس منهم فی زمن داود علیه السلام و اشتغلوا بالصید و ذلک أنهم کانوا یسکنون قریة علی الساحل یقال لها أیلة، و إذا کان یوم السبت لم یبق حوت فی البحر إلا حضر هناک و أخرج خرطومه و إذا مضی تفرقت فحضروا حیاضا و شرعوا إلیها الجداول، و کانت الحیتان تدخلها یوم السبت فیصطادونها یوم الأحد" فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَةً خاسِئِینَ"

اللَّهُ عِيسَى ع بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ الْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ جَعَلَ لَهُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً فَهَدَمَتِ السَّبْتَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ أَنْ يُعَظِّمُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَ عَامَّةَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّبِيلِ وَ السُّنَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى فَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ سَبِيلَ عِيسَى أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ وَ إِنْ كَانَ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّونَ جَمِيعاً أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ص وَ هُوَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ فَلَمْ يَمُتْ بِمَكَّةَ فِي تِلْكَ الْعَشْرِ سِنِينَ أَحَدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَ

جامعين بين صورة القردة، و الخسوء و هو الصغار و الطرد، قال مجاهد: ما مسخت صورهم و لكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله:" كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً" و قوله: كونوا، ليس بأمر إذ لا قدرة لهم عليه و إنما المراد به سرعة التكوين و أنهم صاروا كذلک كما أراد بهم، انتهى.

قوله: فهدمت، أى الشرعة و المنهاج أيضا لكونه بمعنى الطريق يجوز فيه التأنيث، و يمكن أن يقرأ على بناء المجهول بإضمار السنة فى السبت، و قوله: أن يعظموه بدل اشتمال للضمير، و عامة عطف على السبت" سبيل عيسى" أى شرائعه المختصة به.

قوله عليه السلام: و إن كان الذى جاء به النبيون أى هدمت شريعة عيسى عامة ما كانوا عليه و إن كان الذى جاء به النبيون من التوحيد و سائر الأصول باقيا لم يتغير، أو المعنى أدخله الله النار و إن كان منه الإقرار بما جاء به النبيون و هو التوحيد، و نفى الشرک، و قوله: أن لا يشركوا، عطف بيان أو بدل للموصول، و على الوجهين يحتمل كون كان تامة و ناقصة، و قيل: الموصول اسم كان و أن لا يشركوا خبره و له أيضا وجه و إن كان بعيدا.

قوله عليه السلام: عشر سنين، أقول: هذا مخالف لما مر فى تاريخ النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لما هو المشهور من أنه صلى الله عليه و آله و سلم أقام بعد البعثة بمكة ثلاث عشرة سنة، فقيل: هو مبنى على إسقاط الكسور بين العددين و هو بعيد فى مثل هذا الكسر، و الذى سنح لى أنه مبنى على ما يظهر من الأخبار أنه لما نزل:" وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ" و كان أول

مُحَمَّداً ص رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِإِقْرَارِهِ وَ هُوَ إِيمَانُ التَّصْدِيقِ وَ لَمْ يُعَذِّبِ اللَّهُ أَحَداً مِمَّنْ مَاتَ وَ هُوَ مُتَّبِعٌ لِمُحَمَّدٍ ص عَلَى ذَلِکَ إِلَّا مَنْ أَشْرَکَ بِالرَّحْمَنِ وَ تَصْدِيقُ

بعثه دعا بنى عبد المطلب و أظهر لهم رسالته و دعاهم إلى بيعته و الإيمان به، فلم يؤمن به إلا على عليه السلام ثم خديجة رضى الله عنها، ثم جعفر رضى الله عنه، و كان على ذلک ثلاث سنين حتى نزل:" فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" فدعا الناس إلى الإسلام فلذا لم يعد عليه السلام تلک الثلاث سنين من أيام البعثة، و أنها لم تكن بعثة عامة مؤكدة.
قال على بن إبراهيم فى قوله تعالى" فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ" إلخ، أنها نزلت بمكة بعد أن نبى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بثلاث سنين و ذلک أن النبوة نزلت على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم الاثنين و أسلم على عليه يوم الثلاثاء ثم أسلمت خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه و آله و سلم ثم دخل أبو طالب على النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو يصلى و على بجنبه و كان مع أبى طالب جعفر فقال له أبو طالب: صل جناح ابن عمک فوقف جعفر على يسار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فبدر رسول الله من بينهما فكان يصلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على و جعفر و زيد بن حارثة و خديجة، فلما أتى لذلک ثلاث سنين أنزل الله عليه" فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْناکَ الْمُسْتَهْزِئِينَ".
و فى إعلام الورى بعد ذلک فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قام على الحجر و قال: يا معشر قريش و يا معشر العرب أدعوكم إلى عبادة الله و خلع الأنداد و الأصنام و أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله فأجيبونى تملكوا بها العرب، و تدين لكم بها العجم، و تكون ملوكا فى الجنة، إلى آخر ما ذكر.
و يحتمل أن يكون مبنيا على إسقاط سنى الهجرة إلى شعب أبى طالب، أو إسقاط الثلاث سنين بعد وفاة أبى طالب رضى الله عنه، لعدم تمكنه فى هاتين المدتين

ذَلِکَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِی سُورَةِ بَنِی إِسْرَائِيلَ بِمَكَّةَ- وَ قَضی رَبُّکَ

من التبليغ كما ينبغی لكنهما بعيدان، و الأظهر ما ذكرنا أولا.
قوله عليه السلام: يشهد أن لا إله إلا الله، الظاهر أن المراد به الشهادة القلبية بالتوحيد و الرسالة و ما يلزمهما فقط أو مع الإقرار باللسان أو عدم الإنكار الظاهری لا مجرد الإقرار باللسان بقرينة قوله: و هو إيمان التصديق، و قد عرفت أن الإيمان الظاهری فقط لا ينفع فی الآخرة و إن احتمل التعميم، و يكون قوله: إلا من أشرک بالرحمن، أی قلبا استثناء منه فيرجع إلی ما ذكرنا أولا و علی الأول يكون استثناء منقطعا.
و علی التقديرين يكون المراد بقوله: و هو إيمان التصديق أنه الإيمان بمعنی التصديق فقط، و لا يدخل فيه الأعمال لا شرطا و لا شطرا و إن كانت سببا لكماله بخلاف الإيمان بعد الهجرة فإن الأعمال قد دخلت فيه علی أحد الوجهين و ذلک لأنهم لم يكلفوا بعد إلا بالشهادتين فحسب، و إنما نهوا عن أشياء نهی أدب و عظة و تخفيف، ثم نسخ ذلک بالتغليظ فی الكبائر و التواعد عليها، و لم يكن التغليظ و التواعد يومئذ إلا فی الشرک خاصة، فلما جاء التغليظ و الإيعاد بالنار فی الكبائر ثبت الكفر و العذاب بالمخالفة فيها.
" و تصديق ذلک" أی دليل ما ذكرنا من التفاوت فی التكاليف و معنی الإيمان قبل الهجرة و بعدها.
و قال الفاضل الأسترآبادی: بيان لأول الواجبات علی المكلفين و أن تكاليف الله تعالی ينزل علی التدريج، و فی كتاب الأطعمة من تهذيب الأحكام أحاديث صريحة فی التدريج فی التكاليف، انتهی.
و لنذكر تفسير الآيات التی أسقطت اختصارا إما من الإمام عليه السلام أو من الراوی قال تعالی قبل تلک الآيات:" لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولًا" ثم قال:" وَ قَضی رَبُّکَ" قيل: أی أمر أمرا مقطوعا به:" أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" لأن

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً أَدَبٌ وَ عِظَةٌ وَ تَعْلِيمٌ وَ نَهْىٌ خَفِيفٌ وَ لَمْ يَعِدْ عَلَيْهِ وَ لَمْ يَتَوَاعَدْ عَلَى اجْتِرَاحِ شَىْءٍ مِمَّا نَهَى

غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة و نهاية الإنعام" وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً" بأن تحسنوا أو أحسنوا بالوالدين إحسانا لأنهما السبب الظاهر للوجود و التعيش" إِمَّا يَبْلُغَنَّ" إما إن الشرطية زيدت عليها ما للتأكيد" عِنْدَكَ الْكِبَرَ" فى كنفك و كفالتك" أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ" إن أضجراك" وَ لا تَنْهَرْهُما" أى فلا تزجرهما إن ضرباك" وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً" أى حسنا جميلا" وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ" أى تذلل لهما و تواضع" مِنَ الرَّحْمَةِ" أى من فرط رحمتك عليهما" وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً" جزاء لرحمتهما علي و تربيتهما و إرشادهما لى فى صغرى" رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِى نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً".
عن الصادق عليه السلام الأوابون التوابون المتعبدون" وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً" و هو صرف المال فيما لا ينبغى و إنفاقه على وجه الإسراف" إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ" أى أمثالهم" وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً" أى مبالغا فى الكفر.
" وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُوراً، وَ لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً" أى فتصير ملوما عند الله و عند الناس بالإسراف و سوء التدبير" مَحْسُوراً" أى نادما أو منقطعا بک لا شىء عندک" إِنَّ رَبَّکَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ" أى يوسعه و يضيقه بمشيته التابعة للحكمة" إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً" يعلم سرهم و علانيتهم.
قوله عليه السلام: أدب و عظة، أى كلما ذكر فى تلک الآيات سوى صدر الأولى و هو قوله:" وَ قَضى رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" تأديب و موعظة، و هذا مبنى على أن قوله و بالوالدين بتقدير و أحسنوا عطفا على جملة: قضى ربک، لأن فيها تأكيدا و تهديدا فى الجملة.

عَنْهُ وَ أَنْزَلَ نَهْياً عَنْ أَشْيَاءَ حَذَّرَ عَلَيْهَا وَ لَمْ يُغَلِّظْ فِيهَا وَ لَمْ يَتَوَاعَدْ عَلَيْهَا وَ قَالَ وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَنْ

و يحتمل أن يكون المراد جميعها لكن وقع التهديد على الشرک فيما مر و فيما سيأتى من الآيات كقوله وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ.

فإن قيل: قوله وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ، إلى قوله:" كَفُوراً" فيه وعيد و تهديد؟

قلنا: ليس محض كونهم إخوان الشياطين تهديدا و وعيدا صريحا بالنار، بل قيل قوله كانوا، يدل على أن فى أواخر شرائع سائر أولى العزم كانت كذلک، فلا يدل صريحا على أن فى تلک الشريعة أيضا كذلک، و الاجتراح الاكتساب.

" وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ" قيل: أى مخافة الفاقة و قتلهم أولادهم و أدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم اللّه عنه، و ضمن لهم أرزاقهم فقال:" نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً" أى ذنبا كبيرا مما فيه من قطع التناسل و انقطاع النوع.

و الخطأ الإثم، يقال: خطىء خطأ كأثم إثما، و قرأ ابن عامر خطأ بالتحريک و هو اسم من أخطأ يضاد الصواب، و قيل: لغة فيه كمثل و مثل و حذر و حذر، و قرأ ابن كثير خطاءا بالمد و الكسر، و هو إما لغة أو مصدر خاطئا، و قرى خطاءا بالفتح و المد، و خطأ بحذف الهمزة مفتوحا و مكسورا و على التقادير ليس فيه تصريح بكونه ذنبا، و لا ترتب العقوبة عليه.

" وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى" بالقصد و إتيان المقدمات فضلا أن تباشروه" إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً" فعلة ظاهرة القبح زايدته" وَ ساءَ سَبِيلًا" أى و بئس طريقا طريقه، و هو الغصب على الإبضاع المؤدى إلى قطع الأنساب و هيج الفتن.

" وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ" قيل: أى إلا بإحدى ثلاث خصال:

كفر بعد إيمان، و زنى بعد إحصان، و قتل مؤمن معصوم عمدا" وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً" غير

قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ

مستوجب للقتل" فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ" للذى يلى أمره بعد وفاته و هو الوارث" سُلْطاناً" أى تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل" فَلا يُسْرِفْ" أى القاتل" فِي الْقَتْلِ" بأن يقتل من لا يحق قتله فإن العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاک أو الولى بالمثلة أو قتل غير القاتل" إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً" علة النهى على الاستئناف، و الضمير إما للمقتول فإنه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله و فى الآخرة بالثواب، و إما لوليه فإن الله نصره حيث أوجب القصاص له و أمر الولاة بمعونته و إما للذى يقتله الولى إسرافا بإيجاب القصاص و التعزير و الوزر على المسرف.

" وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ" فضلا أن تتصرفوا فيه" إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" أى إلا بالطريقة التى هى أحسن" حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ" غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء" وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ" بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه و غيره" إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا" مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه و يفى به، أو مسئولا عنه يسأل الناكث و يعاتب عليه أو يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت، و يجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولا.

" وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ" و لا تبخسوا فيه" وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ" بالميزان السوى و هو رومى عربى، و قرأ حمزة و الكسائى و حفص بكسر القاف" ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا" أى و أحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع.

" وَ لا تَقْفُ" و لا تتبع" ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" ما لم يتعلق به علمک تقليدا أو رجما بالغيب قيل: و احتج به من منع من اتباع الظن، و جوابه: أن المراد بالعلم هو الاعتقاد

عَنْهُ مَسْؤُلًا وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا کُلُّ ذلِکَ کانَ سَیِّئُهُ عِنْدَ رَبِّکَ مَکْرُوهاً ذلِکَ مِمَّا أَوْحی إِلَیْکَ رَبُّکَ مِنَ

الراجح المستفاد من سند، سواء کان قطعیا أو ظنیا و استعماله بهذا المعنی شائع، و قیل: إنه مخصوص بالعقائد، و قیل: بالرمی و شهادة الزور" إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ" أی کل الأعضاء فأجراها مجری العقلاء بما کانت مسئولة عن أحوالها، شاهدة عن صاحبها، هذا.
و إن" أولاء" و إن غلب علی العقلاء لکنه من حیث أنه اسم جمع لذا و هو یعم القبیلین جاء لغیرهم کقوله:" و العیش بعد أولئک الأیام".
" کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا" فی ثلاثتها ضمیر کل، أی کان کل واحد منها مسئولا عن نفسه، یعنی عما فعل به صاحبه، و یجوز أن یکون الضمیر فی عنه لمصدر و لا تقف، أو لصاحب السمع و البصر، و قیل: مسئولا مسند إلی عنه کقولک: غیر المغضوب علیهم، و المعنی یسأل صاحبه عنه و هو خطأ لأن الفاعل و ما یقوم مقامه لا یتقدم، و قیل: المراد بسؤال الجوارح إما سؤال نفسها أو سؤال أصحابها کما یظهر من أولئک أو جعلت بمنزلة ذوی العقول أو هم ذوو العقول مع الله تعالی" وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً" أی ذا مرح و هو الإختیال، و فی القاموس: المرح شدة الفرح و النشاط" إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ" لن تجعل فیها خرقا بشدة وطأتک" وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا" بنظارتک و مد عنقک و هو تهکم بالمختال و تعلیل للنهی بأن الاختیال حماقة مجردة لا تعود بجدوی لیس فی التذلل" کُلُّ ذلِکَ کانَ سَیِّئُهُ" قیل: یعنی المنهی عنه فإن المذکورات مأمورات و مناهی، و قرأ الحجازیان و البصریان" سیئة" علی أنها خبر کان و الاسم ضمیر کل و" ذلک" إشارة إلی ما نهی عنه خاصة و علی هذا قوله" عِنْدَ رَبِّکَ مَکْرُوهاً" بدل من سیئة أو صفة لها محمولة علی المعنی.
" ذلِکَ" إشارة إلی الأحکام المتقدمة" مِمَّا أَوْحی إِلَیْکَ رَبُّکَ مِنَ الْحِکْمَةِ"

الْحِكْمَةِ وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً وَ أَنْزَلَ فِي وَ اللَّيْلِ إِذا يَغْشى ... فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى فَهَذَا

التى هى معرفة الحق لذاته و الخير للعمل به" وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ" كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدء الأمر و منتهاه و رأس الحكمة و ملاكها" مَلُوماً" تلوم نفسك" مَدْحُوراً" مطرودا مبعدا من رحمة الله.
و أقول: هذا شروع فى ذكر الآيات التى نزلت بمكة مشتملة على الوعيد و التهديد فى الشرك و نحوه بخلاف ما ورد فى غيره مما مضى فإن كونه خطأ كبيرا أو فاحشة و مسئولا و مسئولا عنه و مكروها ليس فى شىء منها تصريح بالعذاب و النكال الأخروى و لا يحتاج إلى ما يتكلف بأن كان خطأ و كان فاحشة، و مسئولا، و كان عنه مسئولا، و كان سيئة عند ربک مكروها، محمولة على أنها كانت فى أواخر الأمم السابقة كذلک، و ستصير فى هذه الأمة أيضا بعد ذلک كذلک فإنه فى غاية البعد و زيادة" كان" فى هذه المقامات كثيرة فى الذكر الحميد كقوله" كانَ رَبُّکَ قَدِيراً" و كانَ غَفُوراً رَحِيماً*" بل الوجه ما ذكرنا فتفطن.
" ناراً تَلَظَّى" أى تتلهب" لا يَصْلاها" أى لا يلزمها مقاسيا شدتها" إِلَّا الْأَشْقَى" قيل أى إلا الكافر فإن الفاسق و إن دخلها لم يلزمها و لكن سماه أشقى و وصفه بقوله:" الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى" أى كذب الحق و أعرض عن الطاعة كذا ذكره البيضاوى، و قال فى قوله تعالى بعد ذلک:" وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى" أى الذى اتقى الشرک و المعاصى فإنه لا يدخلها فضلا أن يدخلها و يصليها، و مفهوم ذلک أن من اتقى الشرک دون المعصية لا يجنبها، و لا يلزم ذلک صليها، فلا يخالف الحصر السابق انتهى.
و قال الطبرسى (ره): لا يصليها، أى لا يدخل تلک النار و لا يلزمها إلا

الأشقى و هو الكافر بالله، الذى كذب بآيات الله و رسله و تولى، أى أعرض عن الإيمان، و سيجنبها، أى سيجنب النار و يجعل منها على جانب" الأتقى" المبالغ فى التقوى" الَّذِى يُؤْتِى مالَهُ" أى ينفقه فى سبيل الله" يَتَزَكَّى" أى يكون عند الله زكيا لا يطلب بذلک رياء و لا سمعة.
قال القاضى: قوله: لا يصليها الآية، لا يدل على أنه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما تقوله الخوارج و بعض المرجئة، و ذلک لأنه نكر النار المذكورة و لم يعرفها، فالمراد بذلک أن نارا من جملة النيران لا يصليها إلا من هذه حاله، و النيران دركات على ما بينه سبحانه فى سورة النساء فى شأن المنافقين، فمن أين عرف أن هذه النار لا يصليها قوم آخرون، و بعد فإن الظاهر من الآية يوجب أن لا يدخل النار إلا من كذب و تولى و جمع بين الأمرين، فلا بد للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات و إن لم يكذب، و قيل: إن الأتقى و الأشقى المراد بهما التقى و الشقى، انتهى.
ثم اعلم أنه استدل بالآيات الأول على أن وعيد النار فى مكة إنما كان على الكفار لأنه سبحانه حصر الصلى بالنار على الأشقى الذى كذب الرسول و تولى عن قبول قوله فى التوحيد أو الأعم، و من كذب الرسول و أعرض عما جاء به كافر مشرک، فظهر أنه لم يكن يومئذ يستحق النار غير المشركين و الكفار من الفساق و إليه أشار عليه السلام بقوله فهذا مشرک و هذا وجه حسن، و استدلال متين لكن كيف يستقيم على هذا الآيات التالية و هى قوله:" وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى" إلخ، فإنها تدل على أن غير الأتقى لا يجنب النار.
و يمكن الجواب عنه بوجوه:
الأول: أن المضارع فى قوله تعالى لا يَصْلاها، للحال و استعمل الصلى فى سببه مجازا أى الحكم فى الحال قبل الهجرة أنه لا يدخلها إلا المشرک، و فى قوله

مُشْرِكٌ وَ أَنْزَلَ فِي إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً وَ يَصْلى سَعِيراً إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلى- فَهَذَا مُشْرِكٌ وَ أَنْزَلَ فِي [سُورَةِ] تَبَارَكَ- كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ

سيجنبها للاستقبال القريب إخبارا عن التكاليف المدينة بعد دخول الأعمال فى الإيمان فلا تنافى بينهما و تكون الآيات جمع دالة على الحكمين صريحا.
الثانى: أن يقال أن الآيات التالية نزلت بالمدينة كما روى فى تفسير على بن إبراهيم أنها نزلت فى أبى الدحداح بالمدينة لكن ظاهر الرواية أن الآيات الأول أيضا نزلت بالمدينة.
الثالث: أن يقال أن الآيات الأخيرة و إن كانت دالة على عدم تجنب الفساق النار لكنها دلالة ضعيفة بالمفهوم، فما يدل صريحا على دخول النار إنما هو فى الكفار، و ما يدل على حكم الفجار فليس فيه وعيد صريح و تهديد عظيم بل يدل دلالة ضعيفة على عدم الحكم بأنهم لا يدخلونها لا سيما مع الحصر المتقدم و لعل السر فى هذا الإجمال عدم اجترائهم على المعاصى.
" وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ" أى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، قيل: يغل يمناه إلى عنقه و يجعل يسراه وراء ظهره" فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً" أى يتمنى الثبور و يقول وا ثبوراه و هو الهلاك" وَ يَصْلى سَعِيراً" أى نارا مسعرة" إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ" أى فى الدنيا" مَسْرُوراً" بطرا بالمال و الجاه فارغا عن ذكر الآخرة" إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ" أى لن يرجع بعد أن يموت" بَلى" يرجع" إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً" أى عالما بأعماله فلا يهمله بل يرجعه و يجازيه" فهذا مشرك" لأنه أنكر البعث و إنكاره كفر أو كان لا ينكره حينئذ إلا المشركون" كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ" أى جماعة من الكفرة" سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها" أى خزنة جهنم" أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ" يخوفكم هذا العذاب

نَذِيرٌ قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فَهَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ وَ أَنْزَلَ فِی الْوَاقِعَةِ- وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ فَهَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ وَ أَنْزَلَ فِی الْحَاقَّةِ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِیَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِی لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ ما أَغْنى عَنِّی مالِيَهْ إِلَى قَوْلِهِ

و هو توبيخ و تبكيت.
" قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا" أى الرسل و أفرطنا فى التكذيب حتى نفينا الإنزال رأسا و بالغنا فى نسبتهم إلى الضلال حيث قالوا بعد ذلک" إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِی ضَلالٍ كَبِيرٍ".
فهؤلاء مشركون لتكذيبهم بكتب اللّه و رسله" وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ" بالبعث و الرسل و آيات اللّه" الضَّالِّينَ" عن الهدى الذاهبين عن الصواب و الحق" فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ" أى فنزلهم الذى أعد لهم من الطعام و الشراب من حميم جهنم" وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ" أى إدخال نار عظيمة فهؤلاء مشركون للتصريح بأنهم كانوا من المكذبين الضالين.
" وَ أَمَّا مَنْ أُوتِیَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ" لما رأى من قبح العمل و سوء العاقبة" يا لَيْتَنِی لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ" الهاء فيهما و فيما بعدها للسكت، تثبت فى الوقف و تسقط فى الوصل، و قالوا: استحب الوقف لثباتها فى الإمام و لذلک قرأ بإثباتها فى الوصل" يا لَيْتَها" أى يا ليت الموتة التى متها" كانَتِ الْقاضِيَةَ" أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها أو يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على أو يا ليت حياة الدنيا كانت الموتة و لم أخلق حيا" ما أَغْنى عَنِّی مالِيَهْ" أى مالى من المال و التبع أو ما نفى و المفعول محذوف أو استفهام إنكار مفعول لأغنى و بعد ذلک.
" هَلَكَ عَنِّی سُلْطانِيَهْ" أى ملكى و تسلطى أو حجتى التى كنت أحتج فى

إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَهَذَا مُشْرِكٌ وَ أَنْزَلَ فِی طسم- وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ جُنُودُ إِبْلِيسَ ذُرِّيَّتُهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَ قَوْلُهُ

الدنيا" خُذُوهُ" يقوله الله لخزنة جهنم" فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ" أى ثم لا تصلوه إلا الجحيم و هى النار العظمى لأنه كان يتعظم على الناس" ثُمَّ فِی سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ" أى فأدخلوه فيها بأن تلقوه على جسده، إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ" فدل على أن هذا الوعيد بالنار لمن لا يؤمن بالله من الكفار فهذا مشرک.
قوله" فى طسم" أى فى الشعراء" وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ" فيرونها مكشوفة و يتحسرون على أنهم المسوقون إليها" وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ" أى أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم" هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ" بدفع العذاب عنكم" أَوْ يَنْتَصِرُونَ" بدفعه عن أنفسهم لأنهم و آلهتهم يدخلون النار كما قال" فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ" أى الآلهة و عبدتهم و الكبكبة تكرير الكتب لتكرير معناه، كان من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها" وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ" قيل: متبعوه من عتاة الثقلين أو شياطينه" أَجْمَعُونَ" تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره ما بعده، أو للضمير و ما عطف عليه و كذا الضمير المنفصل و ما يعود إليه فى قوله:" قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ، تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ" على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم العبدة، و يؤيده الخطاب فى قوله:" إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ" أى فى استحقاق العبادة، و يجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا و الخطاب للمبالغة فى التحسر و الندامة، و المعنى أنهم مع تخاصمهم فى مبدء ضلالهم معترفون بانهماكهم فى الضلالة يتحسرون عليها، كذا ذكره البيضاوى فى تفسير تلک الآيات.

وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ- يَعْنِی الْمُشْرِکِینَ الَّذِینَ اقْتَدَوْا بِهِمْ هَؤُلَاءِ فَاتَّبَعُوهُمْ عَلَی شِرْکِهِمْ وَ هُمْ قَوْمُ مُحَمَّدٍ ص لَیْسَ فِیهِمْ مِنَ الْیَهُودِ وَ النَّصَارَی أَحَدٌ وَ تَصْدِیقُ ذَلِکَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ کَذَّبَ أَصْحابُ الْأَیْکَةِ کَذَّبَتْ قَوْمُ

_____

قوله علیه السلام: یعنی المشرکین، هو خبر لقوله" بحذف العائد، أی یعنی به، و المعنی أن المراد بالمجرمین المشرکون الذین اتبعهم هؤلاء القائلون علی شرکهم و کلاهما من أمة محمد صلی الله علیه و آله و سلم" و تصدیق ذلک" أی تصدیق أن المراد بهم المشرکون من هذه الأمة أن الله تعالی ذکر بعد تلک الآیات أحوال المشرکین و عبدة الأوثان من کل أمة، و لم یدخل فیهم الیهود و النصاری.

فالظاهر أن یکون المراد هنا أیضا طائفة مخصوصة، و لیس هم الیهود و النصاری لقوله تعالی سابقا فَکُبْکِبُوا فِیها هُمْ وَ الْغاوُونَ، لدلالته علی أن معبودهم فی النار فلم یبق إلا أن یکونوا من هذه الأمة أو یکتفی بالوجه الأول، و یقال: لما کان الظاهر من الآیات اللاحقة اختصاص الکلام بعبدة الأوثان فالظاهر هنا أیضا أن یکون المراد به من هو من جنسهم و لم یبق من الأمم المشهورة الذین تعرض الله لذکرهم فی القرآن إلا هذه الأمة فهم المرادون به و قوله:" کَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ*" کأنه نقل بالمعنی لأن تلک الآیات فی سورة الشعراء و لیس فیها" قبلهم" و إنما هو فی ص و المؤمن، و یحتمل أن یکون فی مصحفهم علیهم السلام هکذا.

هذا ما خطر بالبال، و قیل: لعل المراد أن القائلین بهذا القول أعنی قولهم:" وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ" هم مشرکو قوم نبینا الذین اتبعوا آباءهم المکذبین للأنبیاء بدلیل أن الله سبحانه ذکر عقیب ذلک فی مقام التفصیل المکذبین للأنبیاء طائفة بعد طائفة، و لیس المراد بهم أحدا من الیهود و النصاری الذین صدقوا نبیهم و إنما

لُوطٍ لَيْسَ فِيهِمُ الْيَهُودُ الَّذِينَ قَالُوا عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ لَا النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ سَيُدْخِلُ اللَّهُ الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى النَّارَ وَ يُدْخِلُ كُلَّ قَوْمٍ بِأَعْمَالِهِمْ وَ قَوْلُهُمْ وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ- إِذْ دَعَوْنَا إِلَى سَبِيلِهِمْ ذَلِکَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهِمْ حِينَ جَمَعَهُمْ إِلَى

أشركوا من جهة أخرى و إن كان الفريقان يدخلان النار أيضا فقوله: سيدخل الله، استدراک لدفع توهم عدم دخولهما النار و عدم دخول غيرهما ممن أساء العمل، انتهى.

قوله عليه السلام: ليس هم اليهود، تأكيد لقوله: ليس فيهم، أو المراد بالأول أنه ليس فى القائلين و المجرمين، و بالثانى أنه ليس فى هؤلاء المكذبين من الأمم السابقة، و قيل: الأول نفى للتشريک، و الثانى نفى للاختصاص، و الأوسط أظهر.

و" قولهم" مبتدأ" إذ دعونا إلى سبيلهم" ذلک من كلامه عليه السلام ذكره تفسيرا للآية، و قول الله خبر للمبتدإ، و يحتمل أن يكون ذلک مبتدأ ثانيا إشارة إلى قولهم، و قول الله خبره، و المجموع خبر للمبتدإ الأول، و حاصله أن القولين حكايتان عن قصة واحدة، و قيل: حين ظرف لقول الله مجازا من قبيل وضع الدال موضوع المدلول.

ثم اعلم أن الآيات فى سورة الأعراف هكذا:" حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ، قالَ ادْخُلُوا فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِى النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً، قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا- تَعْلَمُونَ، وَ قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ" فظهر أن قوله: قالت أوليهم لأخريهم، من سهو النساخ أو الرواة

النَّارِ- قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا- فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ وَ قَوْلُهُ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً بَرِئَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَ لَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً يُرِيدُ بَعْضُهُمْ أَنْ يَحُجَّ بَعْضاً رَجَاءَ الْفَلْجِ فَيُفْلِتُوا مِنْ عَظِيمِ مَا نَزَلَ بِهِمْ

و أن" كُلَّما دَخَلَتْ" مقدم على السابق فى الترتيب.
قالوا" و" فى قوله: و قوله، بمعنى مع، مع أنه لا يدل على الترتيب.
" كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ" أى فى النار" لَعَنَتْ أُخْتَها" التى ضلت بالاقتداء بها" حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها" أصل اداركوا تداركوا، فأدغم و معناه تلاحقوا، أى لحق آخرهم أولهم فى النار" قالَتْ أُخْراهُمْ" دخولا و منزلة و هم الأتباع" لِأُولاهُمْ" إذ الخطاب مع الله لا معهم" رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا" أى سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم" فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ" أى مضاعفا لأنهم ضلوا و أضلوا.
" قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ" أما القادة فبكفرهم و تضليلهم، و أما الأتباع فبكفرهم و تقليدهم" وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ" ما لكم أو ما لكل فريق" وَ قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ" عطفوا كلامهم على جواب الله لأخريهم، و بنوه عليه، أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، و إنا إياكم متساوون فى الضلال و استحقاق العذاب" فَذُوقُوا الْعَذابَ" من قول القادة أو من قول الفريقين.
" أن يحج بعضا" بضم الحاء أى يغلبه بالحجة، فى القاموس الحج الغلبة بالحجة و فى المصباح حاجة محاجة فحجة بحجة من باب قتل إذا غلبه فى الحجة، و قال: فلج فلوجا من باب قعد ظفر بما طلب، و فلج بحجته أثبتها، و أفلج الله حجته أظهرها، و قال: أفلت الطائر و غيره إفلاتا تخلص، و أفلته أنا إذا أطلقته و خلصته، يستعمل لازما و متعديا و فلت فلتا من باب ضرب لغة و فلتة، يستعمل

وَ لَيْسَ بِأَوَانِ بَلْوَى وَ لَا اخْتِبَارٍ وَ لَا قَبُولِ مَعْذِرَةٍ وَ لَاتَ حِينَ نَجَاةٍ وَ الْآيَاتُ وَ أَشْبَاهُهُنَّ مِمَّا نَزَلَ بِهِ بِمَكَّةَ وَ لَا يُدْخِلُ اللَّهُ النَّارَ إِلَّا مُشْرِكاً فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ ص فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَنَى الْإِسْلَامَ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً ص عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَ حِجِّ الْبَيْتِ وَ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ

أيضا لازما و متعديا، و انفلت خرج بسرعة.
" و ليس بأوان بلوى و لا اختبار" يعنى أنهم يطمعون فى غير مطمع، فإن الاحتجاج و طلب الدليل إنما ينفع فى دار التكليف و الاختبار لا فى دار الجزاء بعد ظهور الأمر و دخول النار.
" و لا حين نجاة" أى ليس هذا الزمان حين نجاة يمكن التخلص من العذاب بالتوبة و غيرها، و فى بعض النسخ و لا حين نجاة، مقتبسا من قوله تعالى:" وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ" قال البيضاوى: أى ليس الحين حين مناص، و" لا" هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب و ثم، و خصت بلزوم الأحيان و حذف أحد المعمولين، و قيل: هى النافية للجنس، أى و لا حين مناص لهم، و قيل:
للفعل و النصب بإضماره أى و لا أرى حين مناص، و قيل: أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الإمام، انتهى.
" و الآيات" أى تلك الآيات المتقدمة" و لا يدخل الله" الجملة حالية أى نزلت تلك الآيات فى حال كان الحكم فيها أن لا يدخل الله النار إلا مشركا.
قوله عليه السلام: فلما أذن الله، قال المحدث الأسترآبادى: تصريح بأن مصداق الإسلام فى مكة أقل من مصداقه فى المدينة، انتهى.
و عد الشهادتين واحدة لتلازمهما و كان الولاية أيضا داخلة فيهما كما عرفت و عدم التصريح للتقية، أو أنه عليه السلام استدل بهذا الخبر المشهور بين العامة إلزاما

الْحُدُودَ وَ قِسْمَةَ الْفَرَائِضِ وَ أَخْبَرَهُ بِالْمَعَاصِی الَّتِی أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَیْهَا وَ بِهَا النَّارَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا وَ أَنْزَلَ فِی بَیَانِ الْقَاتِلِ وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِیماً- وَ لَا یَلْعَنُ اللَّهُ مُؤْمِناً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْکافِرِینَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِیراً خالِدِینَ فِیها أَبَداً لا یَجِدُونَ وَلِیًّا وَ لا نَصِیراً- وَ کَیْفَ یَکُونُ فِی الْمَشِیئَةِ وَ قَدْ أَلْحَقَ بِهِ حِینَ جَزَاهُ جَهَنَّمَ الْغَضَبَ وَ اللَّعْنَةَ وَ قَدْ بَیَّنَ ذَلِکَ مَنِ

علیهم، و کان ذکر العبادات الأربع و تخصیصها لکونها أهم الفرائض أو لأنها صرحت بها فی القرآن و أکدت علیها دون غیرها، أو أنه بنی علیها أولا ثم زیدت سائر الفرائض.

" وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً" استدل به من قال بخلود أصحاب الکبائر فی النار و أول بوجوه:

الأول أن المراد بالمتعمد من قتله لإیمانه کما ورد فی أخبار کثیرة فیکون کافرا.

الثانی: أن المراد بالخلود المکث الطویل.

الثالث: أن المراد أن هذا جزاؤه إن جازاه لکنه سبحانه لا یجازیه کما ورد فی بعض أخبارنا.

الرابع: أن المراد بالتعمد المستحل.

الخامس: أنه یفعل فعلا یستحق به دخول النار، و استدل علیه السلام علی عدم إیمانه بأن الله لعنه و لا یلعن مؤمنا لقوله تعالی:" إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْکافِرِینَ" و کأنه علیه السلام استدل بمفهوم الوصف فیدل علی حجیته، و یمکن أن یکون لخصوص سیاق الآیة أیضا مدخل فیه.

" و کیف یکون فی المشیئة" أی کیف یکون أمر القاتل فی مشیئة الله إن

شاء عذبه و إن شاء غفر له، و الحال أنه قد ألحق به بعد أن جزاه جهنم الغضب و اللعنة المختصين بالكفار.
أقول: كونه فى المشيئة إما مبنى على ما ذكره أكثر المتكلمين من أن خلف الوعد قبيح و على الله محال، و أما خلف الوعيد فهو حسن و يجوز على الله تعالى و ليس بكذب، قال الطبرسى (ره): و روى عاصم بن أبى النجود عن ابن عباس فى قوله:" فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ" قال: هى جزاؤه فإن شاء عذبه و إن شاء غفر له، و روى عن أبى صالح و بكر بن عبد الله و غيره أنه كما يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر: إن فعلت فجزاؤک القتل و الضرب، ثم إن لم يجازه بذلک لم يكن ذلک منه كذبا، انتهى.
أو إشارة إلى قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ يَشاءُ*" فيدل على أن ما دون الشرک مما يغفره الله لمن يشاء و القتل داخل فى ذلک فيكون داخلا فى المشيئة كما قال فى مجمع البيان قال جماعة من التابعين: الآية اللينة و هى" إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ*" الآية، نزلت بعد الشديدة، و هى" وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً" الآية، و على الأول فكان جوابه عليه السلام مبنى على أن آية القتال ليست مشتملة على الوعيد فقط بل على أنه ممن غضب الله عليه و لعنه، فإذا دخل الجنة من غير توبة أو غيرها مما يكفره يكون كذبا، و لم يكن مغضوبا و لا ملعونا مبعدا من رحمة الله.
و على الثانى مبنى على وجهين:" الأول" أن القتل المذكور داخل فى الشرک و الكفر حيث لعنه الله، و لا يلعن إلا الكافر" و الثانى" أنه لا يكون داخلا فيمن يشاء مغفرته حيث أخبر بأنه مغضوب و ملعون، و هذا صريح فى عدم المغفرة و الوجوه كأنها متقاربة.

الْمَلْعُونُونَ فِی کِتَابِهِ وَ أَنْزَلَ فِی مَالِ الْیَتِیمِ مَنْ أَکَلَهُ ظُلْماً- إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوالَ الْیَتامی ظُلْماً إِنَّما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَیَصْلَوْنَ سَعِیراً- وَ ذَلِکَ أَنَّ آکِلَ مَالِ الْیَتِیمِ یَجِیءُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ وَ النَّارُ تَلْتَهِبُ فِی بَطْنِهِ حَتَّی یَخْرُجَ لَهَبُ النَّارِ مِنْ فِیهِ حَتَّی یَعْرِفَهُ کُلُّ أَهْلِ الْجَمْعِ أَنَّهُ آکِلُ مَالِ الْیَتِیمِ وَ أَنْزَلَ فِی الْکَیْلِ وَیْلٌ لِلْمُطَفِّفِینَ-

---

" و قد بین ذلک" المشار إلیه آیة الأحزاب أی أن الله لعن الکافرین.
" و أنزل" أی فی سورة النساء أیضا" من أکله" بدل اشتمال لمال الیتیم" إِنَّ الَّذِینَ یَأْکُلُونَ أَمْوالَ الْیَتامی ظُلْماً" قال فی المجمع: أی ینتفعون بأموال الیتامی و یأخذونها ظلما بغیر حق، و لم یرد به قصر الحکم علی الأکل، و إنما خص لأنه معظم منافع المال المقصودة.
" إِنَّما یَأْکُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ ناراً" قیل فیه وجهان:
أحدهما: أن النار تلتهب من أفواههم و إسماعهم و آنافهم یوم القیامة لیعلم أهل الموقف أنهم أکلة أموال الیتامی عن السدی، و روی عن الباقر علیه السلام أنه قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم: یبعث ناس من قبورهم یوم القیامة تأجج أفواههم نارا فقیل له: یا رسول الله من هؤلاء؟ فقرأ هذه الآیة.
و الآخر: أنه ذکر ذلک علی وجه المثل من حیث أن من فعل ذلک یصیر إلی جهنم فیمتلی بالنار أجوافهم عقابا علی أکلهم مال الیتیم" وَ سَیَصْلَوْنَ سَعِیراً" أی یلزمون النار المسعرة للإحراق، و إنما ذکر البطون تأکیدا کما یقال: نظرت بعینی، و قلت بلسانی، و أخذت بیدی و مشیت برجلی، انتهی.
" و أنزل فی الکیل" فإن قیل: سورة المطففین من السور المکیة و الغرض هنا بیان التکالیف المتجددة بالمدینة؟ قلنا: لا عبرة بما ذکره المفسرون فی ذلک مع أنهم اختلفوا فی هذه السورة قال فی مجمع البیان: مکیة، و قال المعدل مدنیة عن الحسن و الضحاک و عکرمة، و قال ابن عباس و قتادة: إلا ثمانی آیات منها، و هی

وَ لَمْ يَجْعَلِ الْوَيْلَ لِأَحَدٍ حَتَّى يُسَمِّيَهُ كَافِراً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ- وَ أَنْزَلَ فِی الْعَهْدِ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا

" إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا" إلى آخر السورة، انتهى.
فالخبر يؤيد قول هؤلاء الجماعة و يؤيده ما رواه فى مجمع البيان فى سبب نزول صدر السورة عن عكرمة عن ابن عباس أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز و جل:" وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ" فأحسنوا الكيل بعد ذلک، و روى عن السدى أنه صلى الله عليه و آله و سلم قدم المدينة و بها رجل يقال له أبو جهينة و معه صاعان يكيل بأحدهما و يكتال بالآخر فنزلت الآيات، و يؤنسه أن الطبرسى (ره) ذكرها فى ترتيب نزول السور آخر السور المكية.
فيمكن أن يكون نزولها بعد الهجرة و قبل نزول المدينة.
و فى القاموس: الويل حلول الشر، و ويل كلمة عذاب، و واد فى جهنم أو بئر أو باب لها، انتهى.
و استدل عليه السلام بأن الويل لم يطلق فى القرآن إلا للكافرين كقوله:" فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ"" وَ وَيْلٌ لِلْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ"" فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ"" وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ"" يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا"" يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ".
و فى المجمع وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، هم الذين ينقصون المكيال و الميزان و يبخسون الناس حقوقهم فى الكيل و الوزن، قال الزجاج: و إنما قيل له: مطفف لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال و الميزان إلا الشىء اليسير الطفيف.
" و أنزل فى العهد" أى فى سورة آل عمران و هى مدنية" إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ

بِعَهْدِ اللَّهِ" لعل المراد بالعهد هنا على ظاهر سياق الحديث ما عاهدوا الله عليه، فخالفوه، و باليمين الإيمان التى يحلفون بها على المستقبل ثم يخالفونها، و يحتمل شموله لليمين الغموس الكاذبة، و يحتمل أن يكون العهد شاملا للبيعة و ما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم نقضوه.

و قال الراغب: العهد: حفظ الشىء و مراعاته حالا بعد حال و سمى الموثق الذى يلزم مراعاته عهدا قال عز و جل:" وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلًا" أى أوفوا لفظ الأمان، و عهد فلان إلى فلان أى ألقى العهد إليه و أوصاه بحفظه، قال عز و جل:" وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ" و عهد الله تارة يكون بما ركزه فى عقولنا، و تارة يكون بما أمرنا به بكتابه و بسنة رسله، و تارة بما نلتزمه و ليس بلازم فى أصل الشرع كالنذور و ما يجرى مجراه، انتهى.

و أما ما ذكره المفسرون فى تلك الآية فقال الطبرسى قدس سره: نزلت فى جماعة من أحبار اليهود كتموا ما فى التوراة من أمر محمد صلى الله عليه و آله و سلم و كتبوا بأيديهم غيره، و حلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرئاسة، و ما كان لهم على أتباعهم عن عكرمة، و قيل: نزلت فى الأشعث بن قيس و خصم له فى أرض قام ليحلف عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلما نزلت الآية نكل الأشعث و اعترف بالحق عن ابن جريج، و قيل:

نزلت فى رجل حلف يمينا فاجرة فى تنفيق سلعته، عن مجاهد و الشعبى.

ثم قال:" إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ" أى يستبدلون بأمر الله سبحانه ما يلزمهم الوفاء به، و قيل: معناه: إن الذين يحصلون بنكث عهد الله و نقضه" وَ أَيْمانِهِمْ" أى و بالأيمان الكاذبة" ثَمَناً قَلِيلًا" أى عوضا نذرا لأنه قليل فى جنب ما يفوتهم من الثواب، و يحصل لهم من العقاب، و قيل: العهد ما أوجبه الله تعالى على الإنسان من الطاعة و الكف عن المعصية، و قيل: هو ما فى عقل الإنسان من الزجر عن الباطل

أُولئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَ لا یُزَکِّیهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ- وَ الْخَلاقُ النَّصِیبُ فَمَنْ لَمْ یَکُنْ لَهُ نَصِیبٌ فِی الْآخِرَةِ فَبِأَیِّ شَیْءٍ یَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَ أَنْزَلَ بِالْمَدِینَةِ الزَّانِی لا یَنْکِحُ إِلَّا زانِیَةً أَوْ مُشْرِکَةً وَ الزَّانِیَةُ لا یَنْکِحُها إِلَّا

و الانقیاد للحق" أُولئِکَ لا خَلاقَ لَهُمْ" أی لا نصیب وافرا لهم فی نعیم الآخرة" وَ لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ" أی بما یسرهم، أو لا یکلمهم أصلا و تکون المحاسبة بکلام الملائکة استهانة لهم" وَ لا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ" أی لا یعطف علیهم و لا یرحمهم کما یقول القائل للغیر:
انظر إلی، یرید ارحمنی" وَ لا یُزَکِّیهِمْ" أی لا یطهرهم، و قیل: لا ینزلهم منزلة الأزکیاء، و قیل: لا یطهرهم من دنس الذنوب و الأوزار بالمغفرة بل یعاقبهم، و قیل: لا یحکم بأنهم أزکیاء و لا یسمیهم بذلک بل یحکم بأنهم کفرة فجرة" وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ" مؤلم موجع، انتهی.
و قال البیضاوی: أی یستبدلون بما عاهدوا علیه من الإیمان بالرسول و الوفاء بالأمانات، و بإیمانهم و بما حلفوا به من قولهم و الله لنؤمنن به و لننصرنه" ثَمَناً قَلِیلًا" مَتاعُ الدُّنْیا" و لا یُکَلِّمُهُمُ اللَّهُ" الظاهر أنه کنایة عن غضبه علیهم لقوله:" وَ لا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ" فإن من سخط علی غیره و استهان به أعرض عنه و عن التکلم معه و الالتفات نحوه کما أن من اعتد بغیره یقاوله و یکثر النظر إلیه" وَ لا یُزَکِّیهِمْ" و لا یثنی علیهم، انتهی.
و ظاهر الخبر أن ناقض العهد و الیمین لا یدخل الجنة أصلا، فیمکن حمله علی الاستحلال أو علی أنه لا یدخل الجنة ابتداء و حمله علی المشرکین و الکافرین کما هو ظاهر المفسرین ینافی سیاق الحدیث، و یمکن حمله علی أنهم لا یستحقون دخول الجنة و لا یلزم علی الله ذلک لعدم الوعد إلا أن یدخلهم الجنة بفضله.
" و أنزل بالمدینة" أی فی سورة النور و هی مدنیة:" الزَّانِی لا یَنْکِحُ" قال فی

زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذلِکَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يُسَمِّ اللَّهُ الزَّانِىَ مُؤْمِناً وَ لَا الزَّانِيَةَ

مجمع البيان: اختلف فى تفسيره على وجوه" أحدها" أن يكون المراد بالنكاح العقد و نزلت الآية على سبب و هو أن رجلا من المسلمين استأذن النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى أن يتزوج أم مهزول و هى امرأة كانت تسافح و لها راية على بابها تعرف بها، فنزلت الآية عن ابن عباس و غيره، و المراد بالآية النهى و إن كان ظاهره الخبر" و ثانيها" أن النكاح هيهنا الجماع و المعنى أنهما اشتركا فى الزنا فهى مثله، فيكون نظير قوله:
" الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ" فى أنه خرج مخرج الأغلب" و ثالثها" أن هذا الحكم كان فى كل زان و زانية ثم نسخ بقوله:" وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ" الآية عن سعيد بن المسيب و جماعة" و رابعها" أن المراد به العقد و ذلک الحكم ثابت فيمن زنى بامرأة فإنه لا يجوز له أن يتزوج بها، روى ذلک عن جماعة من الصحابة.
و إنما قرن الله سبحانه بين الزانى و المشرک تعظيما لأمر الزنا و تفخيما لشأنه، و لا يجوز أن يكون هذه الآية خبرا لأنا نجد الزانى يتزوج غير زانية، و لكن المراد هنا الحكم فى كل زان أو النهى، سواء كان المراد بالنكاح الوطء أو العقد و حقيقة النكاح فى اللغة الوطء.
" وَ حُرِّمَ ذلِکَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" أى حرم نكاح الزانيات أو حرم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن و لا يطأهن إلا زان أو مشرک، انتهى.
ثم المشهور بين الأصحاب كراهة نكاح المشهورات بالزنا، و ذهب الشيخان و جماعة إلى اشتراط التوبة فى الحل سواء زنى بها من أراد نكاحها أو غيره للآية المتقدمة و بعض الأخبار، و أجيب عن الآية تارة بأن المراد بالنكاح الوطء، و أخرى بأنها منسوخة بقوله تعالى:" وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ" و بقوله:" فَانْكِحُوا ما طابَ

لَكُمْ" أو قوله:" وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ" و فى الأول أنه خلاف الظاهر، فإنه إن أريد الوطء لم يظهر للكلام فائدة ظاهرة، و فى الثانى أنه خلاف الأصل مع أن الظاهر من طاب: حل، و من وراء ذلكم، سائر أصناف النساء، و لا ينافيه عروض الحرمة لعروض زناء و نحوه.
و الظاهر أنه عليه السلام استدل بالآية على أن الله تعالى أخرج الزناة و الزوانى فى هذه الآية من عداد المؤمنين حيث قابل بين المؤمنين و بينهما، إذا الظاهر من سياق الآية أن المراد أنه لا يليق نكاح الزانى إلا بزانية أو مشركة، و لا نكاح الزانية إلا بزان أو مشرک، و أما المؤمن فإنه لا يليق به هذا الفعل و هو محرم عليه إما بمعناه أو بمعنى الكراهة الشديدة، أو بمعنى المحرومية كما فى قوله سبحانه:" وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ" فظهر أنه لم يسمها بالإيمان لما عرفت من المقابلة مع أنه جمع بينهما و بين المشرک ففيه أيضا إيماء بعدم إيمانهما.
و هذا وجه حسن خطر بالبال للآية و الخبر معا فإن حمل الآية على وجه آخر لا يستقيم ظاهرا فإنه إذا حمل النكاح على الوطء فالكلام إما فى قوة النهى أو الخبر، فعلى الأول المعنى النهى عن أن يطأ الزانى سوى الزانية و المشركة و جواز وطيه لهما، و فيه ما لا يخفى و كذا العكس، و على الثانى يكون كذبا إن أراد بالوطء غير الزنا أو الأعم، و إن أريد به الزنا كان الكلام خاليا عن الفائدة.
و إذا حمل على العقد فلو كان فى قوة النهى كان مفادها النهى عن أن ينكح الزانى سوى الزانية و المشركة و تجويز نكاحه إياهما و تجويز نكاح الزانية بالزانى و المشرک و لم يقل به أحد، و لو كان خبرا لزم الكذب، فلا بد من حمل الآية على ما ذكرنا فيتضح استدلاله عليه السلام غاية الوضوح.
و يظهر منه عدم تمام الاستدلال بها على تحريم نكاحهما، نعم قوله سبحانه

ص: 200
مُؤْمِنَةً وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَيْسَ يَمْتَرِی فِيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَزْنِی الزَّانِی حِينَ يَزْنِی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِکَ

" وَ حُرِّمَ ذلِکَ" فيه دلالة على التحريم إن لم نحمله على معنى الحرمان، و حمله على الكراهة الشديدة مع وجود المعارض غير بعيد مع أنه يحتمل أن يكون ذلک إشارة إلى الزنا، و يكون الجملة حالية أو تعليلية.
قوله: ليس يمترى، الامتراء الشک، و الجملة إلى قوله: أنه قال، معترضة، و ضمير" فيه" راجع إلى الرسول، و قوله: إنه قال، بدل اشتمال للضمير، و قوله:
لا يزنى مفعول قال أولا و الاعتراض لبيان أن الخبر معلوم متواتر بين الفريقين، و كان المراد بقوله: حين يزنى و حين يسرق، حين يصير عليهما و لم يتب، و لا فساد فى مفارقه الإيمان بالمعنى الذى ذكرناه، حيث اشتمل على فعل الفرائض و ترک الكبائر عنه، و بها يستحق العذاب فى الجملة لا الخلود فى النار، و من لم يقل بذلک أوله بتأويلات بعيدة.
قال فى النهاية: فى الحديث: لا يزنى الزانى و هو مؤمن، قيل: معناه النهى و إن كان فى صورة الخبر، و الأصل حذف الياء من يزنى، أى لا يزن المؤمن و لا يسرق و لا يشرب، فإن هذه الأفعال لا يليق بالمؤمن، و قيل: هو وعيد يقصد به الردع كقوله عليه السلام: لا إيمان لمن لا أمانة له، و المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده، و قيل: معناه لا يزنى و هو كامل الإيمان و قيل: معناه أن الهوى يغطى الإيمان فصاحب الهوى لا يرى إلا هواه و لا ينظر إلى إيمانه الناهى له عن ارتكاب الفاحشة، فكان الإيمان فى تلک الحالة قد انعدم.
و قال ابن عباس: الإيمان نزه فإذا أذنب العبد فارقه، و منه الحديث الآخر: إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فوق رأسه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه الإيمان، و كل هذا محمول على المجاز و نفى الكمال دون الحقيقة فى رفع الإيمان و إبطاله، انتهى.
و قيل: أنه ليس بمؤمن إذا كان مستحلا، و قيل: ليس بمؤمن من العقاب و قيل: المقصود نفى المدح، أى لا يقال له مؤمن بل يقال: زان أو سارق، و قيل: أنه

خُلِعَ عَنْهُ الْإِيمَانُ كَخَلْعِ الْقَمِيصِ وَ نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَ أُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ- فَبَرَّأَهُ اللَّهُ

_____

لنفى البصيرة، أى ليس هو ذا بصيرة، و قال ابن عباس: أى ليس ذا نور و قيل: أى ليس بمستحضر الإيمان، و قيل: أى ليس هو بعاقل لأن المعصية مع استحضار العقوبة مرجوحة و الحكم بالمرجوح بخلاف المعقول، و قيل: المقصود نفى الحياء، و الحياء شعبة من الإيمان أى ليس بمستحى من الله سبحانه.

و لا يخفى ما فى أكثر هذه الوجوه من البعد و الركاكة.

" و أنزل بالمدينة" أى فى سورة النور:" وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ" أى يقذفون العفائف من النساء بالزنا" ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ" أى بأربعة عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ما رموهن به من الزنا" فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً" خبر الذين بتأويل" وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً" خبر ثان، و تنكير شهادة للعموم، أى فى أمر من الأمور كان أبدا تأكيد للعموم أى ما لم يتب" وَ أُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ" أى هم فى أعلى مراتب الفسق حتى كأنه لا فاسق غيرهم فقد عبر عنهم باسم الإشارة و عرف الخبر و أتى بضمير الفصل مبالغة فى ادعاء حصر الفسق فيهم و قصره عليهم.

قيل: و يمكن أن يكون حالا أو اعتراضا يجرى مجرى التعليل لعدم قبول الشهادة" إِلَّا الَّذِينَ تابُوا" عن القذف و ندموا و رجعوا بالتدارک" مِنْ بَعْدِ ذلِکَ" أى من بعد إقامة الحد، و قيل: من بعد الرمى" وَ أَصْلَحُوا" سرائرهم و أعمالهم فاستقاموا على مقتضى التوبة، قالوا و منه الاستسلام للحد و الاستحلال من المقذوف و العزم على عدم العود إلى ذلک، و على ترک جميع المناهى على قول.

و فى المجمع: و من شرط توبة القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلک لم يجز قبول شهادته" فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" علة للاستثناء.

قوله عليه السلام:" فَبَرَّأَهُ اللَّهُ" الظاهر أنه عليه السلام استدل على عدم وصفهم بالإيمان

مَا كَانَ مُقِيماً عَلَى الْفِرْيَةِ مِنْ أَنْ يُسَمَّى بِالْإِيمَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ- وَ جَعَلَهُ اللَّهُ مُنَافِقاً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ وَ جَعَلَهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ أَوْلِيَاءِ إِبْلِيسَ قَالَ إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِ

بوصفهم بالفسق لأن فى عرف القرآن لازم للكفر و لم يطلق فيه الفاسق إلا على الكافر كقوله تعالى:" أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً" فقابل بين الإيمان و الفسق، فدل على أن الفاسق ليس بمؤمن، و قال:" إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ" فخص الفاسق فى المنافق فجعله الله منافقا" و جعله من أولياء إبليس" حيث أطلق الفسق عليهما، و أيضا إذا نظرت فى الآيات الكريمة و سبرتها لم تر الفاسق أطلق فيها إلا على الكافر.
قال الراغب: فسق فلان: خرج من حد الشرع، و ذلک من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره و هو أعم من الكافر، و الفسق يقع بالقليل من الذنوب و بالكثير لكن تعورف فيما كان كثيرا، و أكثر ما يقال لمن التزم حكم الشرع و أقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه، و إذا قيل للكافر الأصلى فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل و اقتضاء الفطرة، قال عز و جل:" فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ"" فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
"" وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ"" وَ أُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ"" أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ" و قال:" وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِکَ فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ" و قال تعالى:" وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ"" وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ الْعَذابُ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ"" وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ*"" إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ"" و كَذلِکَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ" انتهى.

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَ جَعَلَهُ مَلْعُوناً فَقَالَ- إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وَ لَيْسَتْ تَشْهَدُ الْجَوارِحُ عَلَى مُؤْمِنٍ إِنَّمَا تَشْهَدُ عَلَى مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- فَأَمَّا

" و جعله" أى الرامى" الْمُحْصَناتِ" أى العفائف" الْغافِلاتِ" مما قذفن به" الْمُؤْمِناتِ" بالله و رسوله و ما جاء به" لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ" بما طعنوا فيهن" وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ" لعظم ذنوبهم.
" يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ" ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب" أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ" يعترفون بها بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها.
قوله عليه السلام: و ليست تشهد، يدل على أن شهادة الجوارح إنما هى للكفار كما ذكره جماعة من المفسرين، و ذكره الشيخ البهائى (ره) فى الأربعين.
قوله عليه السلام: فيعطى كتابه بيمينه، أى فيقرأه، و من تنطق جوارحه يختم على فيه، لقوله تعالى:" الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ" أو لأن سياق آيات شهادة الجوارح تدل على غاية الغضب، و الآيات النازلة فى المؤمنين مشتملة على نهاية اللطف كقوله سبحانه:" يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ" أى من المدعوين" كِتابَهُ بِيَمِينِهِ" أى كتاب عمله" فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ" ابتهاجا بما يرون فيه" وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا" أى و لا ينقصون من أجورهم أدنى شىء، و الفتيل: المفتول، و سمى ما يكون فى شق النواة فتيلا لكونه على هيئته، و قيل: هو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ و يضرب به المثل فى الشىء الحقير.
ثم اعلم أن هذا المضمون وقع فى مواضع من القرآن المجيد أو لها فى بنى- إسرائيل:" فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ" إلى آخر ما فى الحديث.

مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتابَهُمْ وَ لا یُظْلَمُونَ فَتِیلًا وَ سُورَةُ النُّورِ أُنْزِلَتْ بَعْدَ سُورَةِ النِّسَاءِ وَ تَصْدِیقُ ذَلِکَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْزَلَ عَلَیْهِ فِی سُورَةِ النِّسَاءِ- وَ اللَّاتِی یَأْتِینَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِکُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْکُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِکُوهُنَ

و ثانیها فی إلحاقه" فَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَیَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا کِتابِیَهْ" و ثالثها فی الانشقاق:" فَأَمَّا مَنْ أُوتِیَ کِتابَهُ بِیَمِینِهِ فَسَوْفَ یُحاسَبُ حِساباً یَسِیراً".
و ما فی الحدیث لا یوافق شیئا منها و إن کان بالأول أنسب، فکأنه من تصحیف النساخ أو کان فی قراءتهم علیهم السلام هکذا، أو نقل بالمعنی جمعا بین الآیات.
" و سورة النور أنزلت" کان هذا جواب عن اعتراض مقدر، و هو أنه لما أنزل الله فی سورة النساء مرتین إِنَّ اللَّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ*، و هی تدل علی عدم ترتب العذاب علی غیر الشرک، فیمکن کونها ناسخة للآیات الدالة علی عقوبات أصحاب الکبائر و عدم کونهم من المؤمنین، فأجاب علیه السلام بعد التنزل علی عدم المخالفة بین هذه الآیة و تلک الآیات لأن تجویز المغفرة لمن شاء الله لا ینافی استحقاقهم للعذاب و العقاب و خروجهم عن الإیمان بأحد معانیه بأن أکثر ما أوردنا من الآیات و استدللنا بها إنما هی فی سورة النور و هی نزلت بعد سورة النساء فکیف تکون آیة النساء ناسخة لها، فلو احتاج التوفیق إلی القول بالنسخ لکان الأمر بعکس ما قلتم، مع أنه لا قائل بالفصل.
ثم استدل علیه السلام علی ذلک بأن الله تعالی قال فی سورة النساء:" أَوْ یَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِیلًا" و السبیل هو الذی ذکره من الحد فی سورة النور، و یحتمل أن یکون الغرض إفادة دلیل آخر علی ما سبق من نزول الأحکام مدرجا و نسخ الأشد للأضعف لکن الأول أظهر.
" وَ اللَّاتِی یَأْتِینَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِکُمْ" ذهب الأکثر إلی أن المراد بالفاحشة الزنا، و قیل: هی المساحقة" فَاسْتَشْهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْکُمْ" الخطاب للأئمة

فِی الْبُیُوتِ حَتَّی یَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ یَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِیلًا- وَ السَّبِیلُ الَّذِی قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَ فَرَضْناها وَ أَنْزَلْنا فِیها آیاتٍ بَیِّناتٍ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ الزَّانِیَةُ وَ الزَّانِی فَاجْلِدُوا کُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لا تَأْخُذْکُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِی دِینِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ لْیَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ

و الحکام بطلب أربعة رجال من المسلمین شهودا علیهن و قیل: الخطاب للأزواج" فَإِنْ شَهِدُوا" أی الأربعة" فَأَمْسِکُوهُنَّ" أی فاحبسوهن" فِی الْبُیُوتِ حَتَّی یَتَوَفَّاهُنَّ" أی یدرکهن" الْمَوْتُ" قیل: أرید به صیانتهن عن مثل فعلهن و الأکثر علی أنه علی وجه الحد علی الزنا قالوا: کان فی بدو الإسلام إن فجرت المرأة و قام علیها أربعة شهود حبست فی البیت أبدا حتی تموت، ثم نسخ ذلک بالرجم فی المحصنین و الجلد فی البکرین." أَوْ یَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِیلًا" أی ببیان الحکم کما مر و قیل: بالتوبة أو بالنکاح المغنی عن السفاح، و قالوا: لما نزل قوله تعالی:" الزَّانِیَةُ وَ الزَّانِی فَاجْلِدُوا" قال النبی صلی الله علیه و آله و سلم: خذوا عنی قد جعل الله سبیلا.
" سُورَةٌ" أی هذه سورة أو فیما أوحینا إلیک سورة" أَنْزَلْناها" صفة" وَ فَرَضْناها" أی فرضنا ما فیها من الأحکام" لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ" فتتقون الحرام" الزَّانِیَةُ وَ الزَّانِی" قیل: أی فیما فرضنا أو أنزلنا حکمهما و هو الجلد، و یجوز أن یرفعا بالابتداء و الخبر" فَاجْلِدُوا" إلی قوله" رَأْفَةٌ" أی رحمه" فِی دِینِ اللَّهِ" أی فی طاعته و إقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فیه" إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ" فإن الإیمان یقتضی الجد فی طاعة الله.
ثم اعلم أن عدم ذکر الولایة فی هذا الخبر مع أنها الغرض الأصلی منه لنوع من التقیة لأنه علیه السلام ذکره إلزاما علیهم حیث أنکروا کون الولایة جزءا من الإیمان.

ص: 206

2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص كَانَ مُؤْمِناً قَالَ فَأَيْنَ فَرَائِضُ اللَّهِ قَالَ وَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَانَ عَلِيٌّ ع يَقُولُ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ كَلَاماً لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ صَوْمٌ وَ لَا صَلَاةٌ وَ لَا حَلَالٌ وَ لَا حَرَامٌ قَالَ وَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ع إِنَّ عِنْدَنَا قَوْماً يَقُولُونَ إِذَا شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص فَهُوَ مُؤْمِنٌ قَالَ فَلِمَ يُضْرَبُونَ الْحُدُودَ وَ لِمَ تُقْطَعُ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ خُدَّامُ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَّ جِوَارَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَّ الْجَنَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَّ الْحُورَ الْعِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَالَ فَمَا بَالُ مَنْ جَحَدَ الْفَرَائِضَ كَانَ كَافِراً

: مجهول.
و الحاصل أن الإيمان الذى هو سبب لرفع الدرجات و التخلص من العقوبات فى الدنيا و الآخرة ليس محض العقائد و إلا لم يفرض الله الفرائض و لم يتوعد على المعاصى، و أيضا ما ورد فى الآيات و الأخبار من كرامة المؤمنين و درجاتهم و منازلهم ينافى إجراء الحدود عليهم و إذا لهم و إهانتهم، فلا بد من خروجهم عن الإيمان حين استحقاقهم تلك العقوبات.
قوله: فما بال من جحد؟ لعل المعنى أنه لو كان الإيمان محض التكلم بالشهادتين أو الاعتقاد بهما كما تزعمون لم يكن جحد الفرائض موجبا للكفر مع أنكم توافقوننا فى ذلک لورود الأخبار فيه، فلم لا تقولون بعدم إيمان تاركى الفرائض و مرتكبى الكبائر أيضا مع ورود الأخبار الكثيرة فيها أيضا، و قيل: المراد بجحد الفرائض تركها عمدا من غير عذر فإنه يؤذن بالاستخفاف و الجحد.
قال الشهيد الثانى رفع الله درجته فى بيان حقيقة الكفر: عرفه جماعة بأنه عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمنا سواء كان ذلک العدم بضد أو لا بضد فبالضد كان يعتقد عدم الأصول التى بمعرفتها يتحقق الإيمان أو عدم شىء منها و بغير الضد

كالخالى من الاعتقادين أى اعتقاد ما به يتحقق الإيمان و اعتقاد عدمه، و ذلک کالشاک أو الخالى بالكلية كالذى لم يقرع سمعه شىء من الأمور التى يتحقق الإيمان بها.
و يمكن إدخال الشاک فى القسم الأول إذ الضد يخطر بباله و إلا لما صار شاكا، و اعترض عليه بأن الكفر قد يتحقق مع التصديق بالأصول المعتبرة فى الإيمان كما إذا ألقى إنسان المصحف فى القاذورات عامدا أو وطأه كذلک أو ترک الإقرار باللسان جحدا و حينئذ فينقض حد الإيمان منعا و حد الكفر جمعا.
و أجيب تارة بأنا لا نسلم بقاء التصديق لفاعل ذلک، و لو سلمنا يجوز أن يكون الشارع جعل وقوع شىء من ذلک علامة و أمارة على تكذيب فاعل ذلک و عدم تصديقه فيحكم بكفره عند صدور ذلک منه، و هذا كما جعل الإقرار باللسان علامة على الحكم بالإيمان مع أنه قد يكون كافرا فى نفس الأمر.
و تارة بأنه يجوز أن يكون الشارع حكم بكفره ظاهرا عند صدور شىء من ذلک حسما لمادة جرأة المكلفين على انتهاک حرماته و تعدى حدوده، و إن كان التصديق فى نفس الأمر حاصلا و غاية ما يلزم من ذلک جواز الحكم بكون شخص واحد مؤمنا و كافرا و هذا لا محذور فيه لأنا نحكم بكفره ظاهرا و إمكان إيمانه باطنا فالموضوع مختلف فلم يتحقق اجتماع المتقابلين ليكون محالا، و نظير ذلک ما ذكرناه من دلالة الإقرار على الإيمان فيحكم به مع جواز كونه كافرا فى نفس الأمر.
و أقول أيضا: أن النقض المذكور لا يرد على جامعية تعريف الكفر و ذلک لأنه قد بين أن العدم المأخوذ فيه أعم من أن يكون بالضد أو غيره، و ما ذكر من موارد النقض داخل فى غير الضد كما لا يخفى، و حينئذ فجامعيته سالمة لصدقه على الموارد المذكورة و الناقض و المجيب غفلا عن ذلک.
و يمكن الجواب عن مانعية تعريف الإيمان أيضا بأن نقول من عرف الإيمان بالتصديق المذكور جعل عدم الإتيان بشىء من موارد النقض شرطا فى اعتبار ذلک

3 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ سَلَّامٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الْإِيمَانُ أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ فَلَا يُعْصَى

التصديق شرعا و تحقق حقيقة الإيمان.
و الحاصل أنا لما وجدنا الشارع حكم بإيمان المصدق و حكم بكفر من ارتكب شيئا من الأمور المذكورة مطلقا علمنا أن ذلک التصديق إنما يعتبر فى نظر الشارع إذا كان مجردا عن ارتكاب شىء من موارد النقض و أمثالها الموجبة للكفر، فكان عدم الأمور المذكورة شرطا فى حصول الإيمان، و لا ريب أن المشروط عدم عند عدم شرطه و شروط المعرف التى يتوقف عليها وجود ماهيته ملحوظة فى التعريف و إن لم يصرح بها فيه للعلم باعتبارها عقلا لما تقرر فى بداهة العقول أنه بدون العلة لا يوجب المعلول و الشرط من أجزاء العلة كما صرحوا به فى بحثها، و الكل لا يوجد بدون جزئه.
و هذا الجواب و اللذان قبله لم نجدها لغيرنا بل هى من هبات الواهب تعالى و تقدس و لم نعدم لذلک مثلا و إن لم نكن له أهلا، انتهى كلامه قدس سره.
و أقول: هذه التكلفات إنما يحتاج إليها إذا جعل الإيمان نفس العقائد و لم يدخل فيها الأعمال و مع القول بدخول الأعمال لا حاجة إليها، مع أن هذا التحقيق يهدم ما أسسه سابقا إذ يجرى هذه الوجوه فى سائر الأعمال و التروک التى نفى كونها داخلة فى الإيمان و ما ذكره عليه السلام فى آخر الحديث من الإلزام على المخالفين يومئ إلى هذا التحقيق فتأمله.

الحديث الثالث

: مجهول.
و يدل على أحد المعانى التى ذكرنا للإيمان، و حمله القوم على الإيمان الكامل، و قال بعض المحققين ممن كان فى عصرنا قدس سره: هذا مجمل القول فى الإيمان و يفصله سائر الأخبار بعض التفصيل.
و أما الضابط الكلى الذى يحيط بحدوده و مراتبه و يعرفه حق التعريف فهو أن الإيمان الكامل الخالص المنتهى تمامه هو التسليم لله تعالى و التصديق بما

جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم لسانا و قلبا على بصيرة مع امتثال جميع الأوامر و النواهى كما هى، و ذلک إنما يمكن تحققه بعد بلوغ الدعوة النبوية إليه فى جميع الأمور أما من لم تصل إليه الدعوة فى جميع الأمور أو فى بعضها لعدم سماعه أو عدم فهمه فهو ضال أو مستضعف ليس بكافر و لا مؤمن، و هو أهون الناس عذابا بل أكثر هؤلاء لا يرون عذابا و إليهم الإشارة بقوله سبحانه:" إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا" و من وصلت إليه الدعوة فلم يسلم و لم يصدق و لو ببعضها إما لاستكبار و علو أو لتقليد للأسلاف و تعصب لهم أو غير ذلک فهو كافر بحسبه أى بقدر عدم تسليمه و ترک تصديقه كفر جحود و عذابه عظيم على حسب جحوده، و إليهم الإشارة بقوله سبحانه:" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ".

و من وصلت إليه الدعوة فصدقها بلسانه و ظاهره لعصمة ماله أو دمه أو غير ذلک من الأغراض و أنكرها بقلبه و باطنه لعدم اعتقاده بها فهو كافر كفر نفاق و هو أشدهم عذابا و عذابه أليم بقدر نفاقه.

و إليهم الإشارة بقوله سبحانه:" وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ، فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ" إلى قوله:

" إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ".

و من وصلت إليه الدعوة فاعتقدها بقلبه و باطنه لظهور حقيتها لديه و جحدها أو بعضها بلسانه و لم يعترف بها حسدا و بغيا و عتوا و علوا أو تقليدا و تعصبا أو غير

ذلک فهو کافر کفر تهود، و عذابه قریب من عذاب المنافق.
و إلیهم الإشارة بقوله عز و جل:" الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَعْرِفُونَهُ کَما یَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ" و قوله:" فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَی الْکافِرِینَ" و قوله:" إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَیِّناتِ وَ الْهُدی مِنْ بَعْدِ ما بَیَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِی الْکِتابِ أُولئِکَ یَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" و قوله:" وَ یَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَکْفُرُ بِبَعْضٍ وَ یُرِیدُونَ أَنْ یَتَّخِذُوا بَیْنَ ذلِکَ سَبِیلًا، أُولئِکَ هُمُ الْکافِرُونَ حَقًّا" و قوله:" أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْکِتابِ وَ تَکْفُرُونَ بِبَعْضٍ" إلی قوله:" أَشَدِّ الْعَذابِ".
و من وصلت إلیه الدعوة فصدقها بلسانه و قلبه و لکن لا یکون علی بصیرة من دینه إما لسوء فهمه مع استبداده بالرأی و عدم تابعیته للإمام أو نائبه المقتفی أثره حقا و إما لتقلید و تعصب للآباء و الأسلاف المستبدین بآرائهم مع سوء إفهامهم أو غیر ذلک فهو کافر کفر ضلالة و عذابه علی قدر ضلالته و قدر ما یضل فیه من أمر الدین.
و إلیهم الإشارة بقوله عز و جل:" یا أَهْلَ الْکِتابِ لا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَی اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ" حیث قالوا عزیر ابن الله أو المسیح ابن الله، و بقوله تعالی:
" یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَیِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُعْتَدِینَ" و بقول نبینا صلی الله علیه و آله و سلم: اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغیر علم فضلوا و أضلوا.
و من وصلت إلیه الدعوة فصدقها بلسانه و قلبه علی بصیرة و اتباع للإمام أو نائبه الحق إلا أنه لم یمتثل جمیع الأوامر و النواهی بل أتی ببعض دون بعض بعد أن

اعترف بقبح ما يفعله و لكن لغلبة نفسه و هواه عليه فهو فاسق عاص و الفسق لا ينافى أصل الإيمان، و لكن ينافى كماله، و قد يطلق عليه الكفر و عدم الإيمان أيضا إذا ترک کبار الفرائض أو أتى بكبار المعاصى كما فى قوله عز و جل:" وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ" و قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن، و ذلک لأن إيمان مثل هذا لا يدفع عنه أصل العذاب و دخول النار، و إن دفع عنه الخلود فيها فحيث لا يفيده فى جميع الأحوال فكأنه مفقود.

و التحقيق فيه أن المتروک إن كان أحد الأصول الخمسة التى بنى الإسلام عليها أو المأتى به إحدى الكبائر من المنهيات خاصة فصاحبه خارج عن أصل الإيمان أيضا ما لم يتب أو لم يحدث نفسه بتوبة لعدم اجتماع ذلک مع التصديق القلبى فهو كافر كفر استخفاف، و عليه يحمل ما روى من دخول العمل فى أصل الإيمان، روى ابن أبى شعبة عن الصادق عليه السلام فى حديث طويل أنه قال: لا يخرج المؤمن من صفة الإيمان إلا بترک ما استحق أن يكون به مؤمنا، و إنما استوجب و استحق اسم الإيمان و معناه بأداء كبار الفرائض موصولة، و ترک كبار المعاصى و اجتنابها و إن ترک صغار الطاعة و ارتكب صغار المعاصى فليس بخارج من الإيمان و لا تارک له ما لم يترک شيئا من كبار الطاعة و ارتكاب شىء من كبار المعاصى فما لم يفعل ذلک فهو مؤمن بقول الله:" إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً" يعنى مغفرة ما دون الكبائر فإن هو ارتكب كبيرة من كبائر المعاصى كان مأخوذا بجميع المعاصى صغارها و كبارها معاقبا عليها معذبا بها.

إلى هنا كلام الصادق عليه السلام.

إذا عرفت هذا فاعلم أن كل من جهل أمرا من أمور دينه بالجهل البسيط فقد

نقص إيمانه بقدر ذلک الجهل، و کل من أنکر حقا واجب التصديق لاستکبار أو هوی أو تقليد أو تعصب فله عرق من کفر الجحود، و کل من أظهر بلسانه ما لم يعتقد بباطنه و قلبه لغير غرض دينی کالتقية فی محلها و نحو ذلک أو عمل عملا أخرويا لغرض دنيوی فله عرق من النفاق، و کل من کتم حقا بعد عرفانه أو أنکر ما لم يوافق هواه و قبل ما يوافقه فله عرق من التهود، و کل من استبد برأيه و لم يتبع إمام زمانه أو نائبه الحق أو من هو أعلم منه فی أمر من الأمور الدينية فله عرق من الضلالة، و کل من أتی حراما أو شبهة أو توانی فی طاعة مصرا علی ذلک فله عرق من الفسوق، فإن کان ذلک ترک کبير فريضة أو إتيان کبير معصية فله عرق من کفر الاستخفاف، و من أسلم وجهه لله فی جميع الأمور من غير غرض و هوی و اتبع إمام زمانه أو نائبه الحق آتيا بجميع أوامر الله و نواهيه من غير توانی و لا مداهنة، فإذا أذنب ذنبا استغفر من قريب و تاب أو زلت قدمه استقام و أناب فهو المؤمن الکامل الممتحن و دينه هو الدين الخالص و هو الشيعی حقا و الخالص صدقا و أولئک أصحاب أمير المؤمنين، بل هو من أهل البيت عليهم السلام إذا کان عالما بأمرهم محتملا لسرهم کما قالوا: سلمان منا أهل البيت.

ص: 213
بَابٌ فِی أَنَّ الْإِیمَانَ مَبْثُوثٌ لِجَوَارِحِ الْبَدَنِ کُلِّهَا
1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنْ بَکْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ بُرَیْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الزُّبَیْرِیُّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ أَیُّهَا الْعَالِمُ أَخْبِرْنِی أَیُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ مَا لَا یَقْبَلُ اللَّهُ شَیْئاً إِلَّا بِهِ قُلْتُ وَ مَا هُوَ قَالَ- الْإِیمَانُ بِاللَّهِ الَّذِی لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَعْلَی الْأَعْمَالِ دَرَجَةً وَ أَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً وَ أَسْنَاهَا حَظّاً

باب فى أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلها

اشارة

يقال: بث الخبر و أبثه أى نشره.

الحديث الأول

: ضعيف على المشهور لكنه مؤيد بأخبار أخر، و قد روى النعمانى فى تفسيره مثله عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه و مضامينه دالة على صحته.
قوله عليه السلام: الإيمان بالله، هو مبتدأ و أعلى خبره، و يحتمل أن يكون المراد به جميع العقائد الإيمانية اكتفى بذكر أشرفها و أعظمها للزومها لسائرها مع أن كون التوحيد أشرف لا ينافى وجوب البقية و اشتراطه بها، و السنا الضوء و بالمد الرفعة، و الحظ النصيب، و المراد بالقول التصديق القلبى أو هو مع الإقرار اللسانى بالعقائد الإيمانية، و قيل: هو الذى يعبر عنه بالكلام النفسى، و قد يستدل بقوله:
عمل كله، على أن التصديق المكلف به ليس محض العلم إذ هو من قبيل الانفعال، بل هو فعل قلبى.
قال شارح المقاصد: و المذهب أنه غير العلم و المعرفة لأن من الكفار من كان يعرف الحق و لا يصدق به عنادا و استكبارا، قال الله تعالى:" الَّذِينَ آتَيْناهُمُ

الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ" و قال:" وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ" و قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لفرعون:" لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ" فاحتيج إلى الفرق بين العلم بما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو معرفته و بين التصديق ليصح كون الأول حاصلا للمعاندين دون الثانى، و كون الثانى إيمانا دون الأول، فاقتصر بعضهم على أن ضد التصديق هو الإنكار و التكذيب، و ضد المعرفة النكارة و الجهالة، و إليه أشار الغزالى حيث فسر التصديق بالتسليم، فإنه لا يكون مع الإنكار و الاستكبار بخلاف العلم و المعرفة و فصل بعضهم زيادة التفصيل، و قال: التصديق عبارة عن ربط القلب بما علم من أخبار المخبر و هو أمر كسبى يثبت باختيار المصدق، و لهذا يؤمر و يثاب عليه بل يجعل رأس العبادات بخلاف المعرفة فإنها ربما تحصل بلا كسب كمن وقع بصره على جسم فحصل له معرفة أنه جدار أو حجر، و حققه بعض المتأخرين زيادة تحقيق فقال: المعتبر فى الإيمان هو التصديق الاختيارى، و معناه نسبة التصديق إلى المتكلم اختيارا و بهذا القيد يمتاز عن التصديق المنطقى المقابل للتصور، فإنه قد يخلو عن الاختيار كما إذا ادعى النبى النبوة و أظهر المعجزة فوقع فى القلب صدقه ضرورة، من غير أن ينسب إليه اختيارا فإنه لا يقال فى اللغة أنه صدقه فلا يكون إيمانا شرعيا، كيف و التصديق مأمور به فيكون فعلا اختياريا زائدا على العلم لكونه كيفية نفسانية أو انفعالا و هو حصول المعنى فى القلب، و الفعل القلبى ليس كذلك بل هو إيقاع النسبة اختيارا الذى هو كلام النفس، و يسمى عقد القلب فالسوفسطائى عالم بوجود النهار و كذا بعض الكفار بنبوة النبى صلى الله عليه و آله و سلم لكنهم ليسوا بمصدقين لأنهم لا يحكمون اختيارا بل ينكرون.

ص: 215
قَالَ قُلْتُ أَ لَا تُخْبِرُنِی عَنِ الْإِیمَانِ أَ قَوْلٌ هُوَ وَ عَمَلٌ أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ فَقَالَ الْإِیمَانُ

و کلام هذا القائل متردد یمیل تارة إلی أن التصدیق المعتبر فی الإیمان نوع من التصدیق المنطقی لکونه مقیدا بالاختیار و کون التصدیق العلمی أعم لا فرق بینهما إلا بلزوم الاختیار و عدمه، و تارة إلی أنه لیس من جنس العلم أصلا لکونه فعلا اختیاریا، و کون العلم کیفیة أو انفعالا، و علی هذا الأخیر أصر بعض المعتنین بتحقیق الإیمان، و جزم بأن التسلیم الذی فسر به الغزالی التصدیق لیس من جنس العلم، بل أمر وراءه معناه" گردن دادن و گرویدن و حق دانستن مر آن را که حق دانسته باشی" و یؤیده ما ذکره إمام الحرمین أن التصدیق علی التحقیق کلام النفس لکن لا یثبت کلام النفس إلا مع العلم.
و نحن نقول: لا شک أن التصدیق المعتبر فی الإیمان هو ما یعبر فیه فی الفارسیة" بگرویدن و باور کردن و راستگوی داشتن" إذا أضیف إلی الحاکم" و راست داشتن و حق داشتن" إذا أضیف إلی الحکم، و لا یکفی مجرد العلم و المعرفة الخالی عن هذا المعنی، ثم أطال الکلام فی ذلک و آل تحقیقه إلی أنه لیس شیء وراء العلم و المعرفة.
و قال المحقق الدوانی فی شرح العقائد: اعلم أنه لو فسر التصدیق المعتبر فی الإیمان بما هو أحد قسمی العلم فلا بد من اعتبار قید آخر لیخرج الکفر العنادی، و قد عبر عنه بعض المتأخرین بالتسلیم و الانقیاد، و جعله رکنا من الإیمان، و الأقرب أن یفسر التصدیق بالتسلیم الباطنی و الانقیاد القلبی و یقرب منه ما قیل:
إن التصدیق أن تنسب باختیارک الصدق إلی أحد و هو یحوم حول ذلک و إن لم یصب المخبر، انتهی.
و الحق أن إثبات معنی آخر غیر العلم و المعرفة مشکل، و کون بعض أفراده حاصلا بغیر اختیار لا ینافی التکلیف به لمن لم یحصل له ذلک و ترتب الثواب علی ما حصل بغیر الاختیار إما تفضل أو هو علی الثبات علیه و إظهاره و العمل بمقتضاه،

ص: 216
عَمَلٌ كُلُّهُ وَ الْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِکَ الْعَمَلِ بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ بَيَّنَ فِی کِتَابِهِ وَاضِحٍ نُورُهُ ثَابِتَةٍ حُجَّتُهُ يَشْهَدُ لَهُ بِهِ الْکِتَابُ وَ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ قَالَ قُلْتُ صِفْهُ لِی جُعِلْتُ فِدَاکَ حَتَّی أَفْهَمَهُ قَالَ الْإِيمَانُ حَالاتٌ وَ دَرَجَاتٌ وَ طَبَقَاتٌ وَ مَنَازِلُ فَمِنْهُ التَّامُّ الْمُنْتَهَی تَمَامُهُ

و الكلام النفسى الذى ذكروه ليس وراء التصور و التصديق شيئا، نعم المعنى الذى نفهمه هيهنا زائدا على العلم هو العزم على إظهار ما اعتقده أو على عدم إنكاره ظاهرا بغير ضرورة تدعو إليه، و يمكن عده من لوازم الإيمان أو شرائطه كما يومئ إليه بعض الآيات و الأخبار، و العلم لو سلم أنه من قبيل الانفعال فعده عملا على سبيل التوسع باعتبار أسبابه و مباديه.

قوله عليه السلام: بفرض، الباء للسببية و ضميرا" نوره" و" حجته" راجعان إلى الفرض، و ضمير" له" إلى العامل، و قيل: إلى كونه عملا، و قيل: إلى الله، و الأول أظهر، و من أرجع ضمير" به" إلى الفرض و ضمير" له" إلى كونه عملا لو عكس كان أنسب، و قوله: واضح، و ثابتة، نعتان للفرض، و ضمير يدعوه، المستتر راجع إلى الكتاب، و البارز إلى العامل، و قيل: الظاهر أن يشهد، و يدعوه حال عن فرض، و أن ضمير له و إليه راجع إلى الله، و ضمير" به" و البارز فى يدعوه للفرض، و المراد بدعاء الكتاب ذلک الفرض إليه سبحانه نسبته إليه، و بيانه أنه منه، و يحتمل أن يكون حالا عن الإيمان و أن يكون ضمير له و يدعوه راجعا إليه و ضمير به و إليه للعمل، أى يشهد الكتاب للإيمان بأنه عمل، و يدعو الكتاب للإيمان إلى أنه عمل، انتهى.

و لا يخفى بعدهما، و فى تفسير العياشى: يشهد له بها الكتاب، و يدعو إليه فضمير بها راجع إلى الحجة.

" للإيمان حالات" كأنه إشارة إلى الحالات الثلاث الآتية أى التام و الناقص: و الراجح و الدرجات مراتب الرجحان فإنها كثيرة بحسب الكمية و الكيفية، و الطبقات مراتب النقصان، و المنازل ما يلزم تلک الدرجات و الطبقات من القرب إليه

ص: 217
وَ مِنْهُ النَّاقِصُ الْبَيِّنُ نُقْصَانُهُ وَ مِنْهُ الرَّاجِحُ الزَّائِدُ رُجْحَانُهُ قُلْتُ إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَتِمُّ وَ يَنْقُصُ وَ يَزِيدُ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ وَ قَسَّمَهُ عَلَيْهَا وَ فَرَّقَهُ فِيهَا فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِ جَارِحَةٌ

سبحانه و البعد عنه، و المثوبات المترتبة عليها.
و قيل: إشارة إلى أن للإيمان مراتب متكثرة و هى حالات الإنسان باعتبار قيامها به، و درجات باعتبار ترقيه من بعضها إلى بعض، و طبقات باعتبار تفاوت مراتبها فى نفسها، و كون بعضها فوق بعض، و منازل باعتبار أن الإنسان ينزل فيها و يأوى إليها فمنه التام و هو إيمان الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام لاشتماله على جميع أجزاء الإيمان من فعل الفرائض و ترک الكبائر و إن تفاوتت بانضمام سائر المكملات من المستحبات و ترک المكروهات زيادة و نقصانا، أو المراد بالتام المنتهى تمامه درجة النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أوصيائه عليهم السلام، و منه الناقص البين نقصانه و هو أقل مراتب الإيمان الذى بعده الكفر، و منه الراجح و فيه أفراد غير متناهية باعتبار التفاوت فى الكمية و الكيفية.
ثم أنه يحتمل الكلام وجهين: أحدهما: أن يكون الإيمان المشتمل على فعل الفرائض و ترک الكبائر حاصلا فى الجميع لعدم صدق الإيمان بدون ذلک، و يكون الدرجات و المنازل باعتبار تلک الأعمال و نقصها و انضمام فعل سائر الواجبات و ترک سائر المحرمات و فعل المندوبات و ترک المكروهات، بل المباحات و الاتصاف بالأخلاق السنية و الملكات العلية.
و ثانيهما: أن يكون القدر المشترک حصول الإيمان فى الجملة و الكامل ما يكون مشتملا على جميع الأجزاء و هو الإيمان حقيقة و الناقص التام ما لم يكن فيه سوى العقائد الحقة و الدرجات المتوسطة تختلف باعتبار كثرة أجزاء الإيمان و قلتها فالمؤمن حقيقة هو الفرد الأول، و إطلاقه على البواقى على التوسع لانتفاع الكل بانتفاء أحد الأجزاء و لكل منهما شواهد لفظا و معنى فتأمل، فلما عسر فهمه على السائل لألفته بمصطلحات المتكلمين أعاد السؤال لمزيد التوضيح.

إِلَّا وَ قَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا فَمِنْهَا قَلْبُهُ الَّذِی بِهِ یَعْقِلُ وَ یَفْقَهُ وَ یَفْهَمُ وَ هُوَ أَمِیرُ بَدَنِهِ اَلَّذِی لَا تَرِدُ الْجَوَارِحُ وَ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْیِهِ وَ أَمْرِهِ وَ

قوله علیه السلام: به یعقل و یفقه و یفهم، قیل: العقل العلم بالقضایا الضروریة، و الفقه ترتیبها لإنتاج القضایا النظریة، و الفهم العلم بالنتیجة.

أقول: و یحتمل أن یکون العقل معرفة الأصول العقلیة، و الفقه العلم بالأحکام الشرعیة، و الفهم معرفة سائر الأمور المتعلقة بالمعاش و غیره، و المراد بالقلب النفس الناطقة سمیت به لتعلقها أو لا بالروح الحیوانی المنبعث منه أو القلب الصنوبری من حیث تعلق النفس به، و قیل: محل الإدراک هذا الشکل الصنوبری، عملا بظواهر الآیات و الأخبار و سیأتی تحقیقه فی محله إن شاء الله.

قال الراغب فی المفردات: قال بعض الحکماء حیث ما ذکر الله القلب فإشارة إلی العقل و العلم، نحو:" إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ" و حیث ما ذکر الصدر فإشارة إلی ذلک و إلی سائر القوی من الشهوة و الهوی و الغضب و نحوها، و قوله:" رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی" فسؤال لإصلاح قواه، و کذا قوله:" وَ یَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِینَ" إشارة إلی اشتفائهم، و قوله:" وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ" أی العقول التی هی مندرجة بین سائر القوی و لیست بمهتدیة و الله أعلم بذلک.

و قال: قلب الإنسان قیل: سمی به لکثرة تقلبه و یعبر بالقلب عن المعانی التی تختص به من الروح و العلم و الشجاعة و سائر ذلک، فقوله:" وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ" أی الأرواح" إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ" أی علم و فهم، و کذلک" وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّةً أَنْ یَفْقَهُوهُ*" و قوله:" وَ طُبِعَ عَلی قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا یَفْقَهُونَ"

مِنْهَا عَيْنَاهُ اللَّتَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَ أُذُنَاهُ اللَّتَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَ يَدَاهُ اللَّتَانِ يَبْطِشُ بِهِمَا وَ رِجْلَاهُ اللَّتَانِ يَمْشِی بِهِمَا وَ فَرْجُهُ الَّذِی الْبَاهُ مِنْ قِبَلِهِ وَ لِسَانُهُ الَّذِی يَنْطِقُ بِهِ وَ رَأْسُهُ الَّذِی فِيهِ وَجْهُهُ فَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وَ قَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ يَنْطِقُ بِهِ الْكِتَابُ لَهَا وَ يَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهَا فَفَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ وَ فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ وَ فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ وَ فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْوَجْهِ فَأَمَّا مَا فَرَضَ

و قوله:" وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ" أی تثبت به شجاعتكم و يزول خوفكم، و على عكسه" وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ*" و قوله:" هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ" و قوله:" وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى" أی متفرقة و قوله:" وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ".

و قيل: العقل، و قيل: الروح، فأما العقل فلا يصح عليه ذلک و مجازه مجاز قولهم: تجری من تحتها الأنهار، و الأنهار لا تجری و إنما يجری الماء الذی فيه، انتهی.

و الورود حضور الماء للشرب، و الصدر و الصدور الانصراف عنه، و هذا مثل فی أنها لا تفعل شيئا إلا بأمره كما يقال فی الفارسية: لا يشرب الماء إلا بأمره و إذنه.

و البطش تناول الشیء بصولة و قوة، و الباه فی بعض النسخ بدون الهمزة و فی بعضها بها، قال الجوهری: الباه مثل الجاه لغة فی الباءة و هو الجماع" ينطق به" الجملة نعت للفرض و ضمير به فی الموضعين للفرض، و ضمير لها و عليها للجارحة، و اللام للانتفاع، و على للإضرار و إرجاع ضمير" به" إلى الإيمان كما قيل يقتضی خلو الجملة عن العائد و إرجاع ضمير" لها" هنا إلى الجارحة يؤيد إرجاع ضمير" له" سابقا إلى العامل.

عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ وَ الْمَعْرِفَةُ وَ الْعَقْدُ وَ الرِّضَا وَ التَّسْلِيمُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيکَ لَهُ إِلهاً وَاحِداً لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص وَ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ كِتَابٍ فَذَلِکَ

قوله: فالإقرار، أى الإقرار القلبى لأن الكلام فى فعل القلب و إن احتمل أن يكون المراد الإقرار اللسانى لأنه إخبار عن القلب، لكن ذكره بعد ذلک فى عمل اللسان ربما يأبى عن ذلک و إن احتمل توجيهه، و المعطوفات عليه على الأول عطف تفسير له و كأنها إشارة إلى مراتب اليقين و الإيمان القلبى، فإن أقل مراتبه الإذعان القلبى و لو عن تقليد أو دليل خطابى، و المعرفة ما كان عن برهان قطعى و العقد هو العزم على الإقرار اللسانى و ما يتبعه و يلزمه من العمل بالأركان، و الرضا هو عدم إنكار قضاء الله و أوامره و نواهيه، و أن لا يثقل عليه شىء من ذلک المخالفة لهوى نفسه، و التسليم هو الانقياد التام للرسول فيما يأتى به لا سيما ما ذكر فى أمر أوصيائه و ما يحكم به بينهم، كما قال تعالى:" فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً" فظهر أن الإقرار بالولاية أيضا داخل فى ذلک بل جميع ما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

و قوله بأن لا إله إلا الله، متعلق بالإقرار لأن ما ذكر بعده تفسير و مكمل له، و الصاحبة الزوجة، و الإقرار عطف على الإقرار، و المراد الإقرار بسائر أنبياء الله و كتبه، و المستتر فى" جاء" راجع إلى الموصول، و ما قيل: إن قوله بأن لا إله إلا الله" إلخ" متعلق بالإقرار و المعرفة و العقد، و قوله و الإقرار بما جاء من عند الله، معطوف على أن لا إله فيكون الأولان بيانا للأخيرين و الأخير بيانا للأول، فلا يخفى ما فيه من أنواع الفساد.

و قال المحدث الأسترآبادى: المعرفة جاء فى كلامهم لمعان: أحدها، التصور مطلقا و هو المراد من قولهم على الله التعريف و البيان أى ذكر المدعى و التنبيه عليها

مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَ الْمَعْرِفَةِ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً وَ قَالَ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ

إذ لا يجب خلق الإذعان كما يفهم من باب الشک و غير ذلک من الأبواب" و ثانيها" الإذعان القلبى و هو المراد من قولهم أقروا بالشهادتين و لم يدخل معرفة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى قلوبهم" و ثالثها" عقد القضية الإجمالية مثل نعم و بلى، و هذا العقد ليس من باب التصور و لا من باب التصديق" و رابعها" العلم الشامل للتصور و التصديق، و هو المراد من قولهم العلم و الجهل من صنع الله فى القلوب، انتهى.
و فيه ما فيه و الآية الأولى من سورة النحل" مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ" قيل: بدل من الذين لا يؤمنون، و ما بينهما اعتراض، أو من أولئک أو من الكاذبون، أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله: فعليهم غضب، و يجوز أن ينتصب بالذم و أن تكون من شرطية محذوفة الجواب" إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ" على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لأن الكفر لغة يعم القول و العقد كالإيمان، كذا ذكره البيضاوى، و الظاهر أنه منقطع" وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ" لم يتغير عقيدته" وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً" أى اعتقده و طاب به نفسا" فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ" و قد ورد فى أخبار كثيرة من طرق الخاصة و العامة أنها نزلت فى عمار بن ياسر حيث أكرهه و أبويه ياسرا و سمية كفار مكة على الارتداد فأبى أبواه فقتلوهما و هما أول قتيلين فى الإسلام و أعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقيل: يا رسول الله إن عمارا كفر، فقال: كلا إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يبكى فجعل النبى صلى الله عليه و آله و سلم يمسح عينيه و قال: ما لک إن عادوا لک فعد لهم بما قلت.
و عن الصادق عليه السلام فأنزل الله فيه:" إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ" الآية فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ قَالَ إِنْ

عندها: يا عمار إن عادوا فعد، فقد أنزل الله عذرک و أمرک أن تعود إن عادوا. و بالجملة الآية تدل على أن بعض أجزاء الإيمان متعلق بالقلب و إن استدل القوم بها على أن الإيمان ليس إلا التصديق القلبى.
و الآية الثانية" الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ" قيل: أى أنسا به و اعتمادا عليه و رجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده و وحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو أقوى المعجزات" أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" أى تسكن إليه.
و قال فى المجمع: معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته و نبوة نبيه و قبول ما جاء به من عند الله و تسكن قلوبهم بذكر الله و تأنس إليه، و الذكر حضور المعنى للنفس و قد يسمى العلم ذكرا و القول الذى فيه المعنى الحاضر للنفس أيضا يسمى ذكرا" أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ" إلخ، هذا حث للعباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم و الثواب، انتهى.
و كان استدلاله عليه السلام بالآية مبنى على أن المراد بذكر الله العقائد الإيمانية و الدلائل المفضية إليها إذ بها تطمئن القلب من الشک و الاضطراب، و يؤيده قوله فى الآية السابقة:" وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ".
قوله سبحانه:" إِنْ تُبْدُوا ما فِى أَنْفُسِكُمْ" قال الطبرسى (ره): أى تظهروها و تعلنوها من الطاعة و المعصية أو العقائد" أَوْ تُخْفُوهُ" أى تكتموه" يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" أى يعلم الله ذلک فيجازيكم عليه، و قيل: معناه إن تظهروا الشهادة أو تكتموها فإن الله يعلم ذلک و يجازيكم به عن ابن عباس و جماعة، و قيل: إنها عامة فى الأحكام التى تقدم ذكرها فى السورة، خوفهم الله تعالى من العمل بخلافها و قال قوم: إن هذه

تُبْدُوا ما فِی أَنْفُسِکُمْ أَوْ تُخْفُوهُ یُحاسِبْکُمْ بِهِ اللَّهُ فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ فَذَلِکَ

الآیة منسوخة بقوله:" لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها" و رووا فی ذلک خبرا ضعیفا، و هذا لا یصح لأن تکلیف ما لیس فی الوسع غیر جائز فکیف ینسخ و إنما المراد بالآیة ما یتأوله الأمر و النهی من الاعتقادات و الإرادات و غیر ذلک مما هو مستور عنا، و أما ما لا یدخل فی التکلیف من الوساوس و الهواجس مما لا یمکن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل، و لقوله علیه السلام: و یعفی لهذه الأمة عن نسیانها و ما حدثت به أنفسها و علی هذا تجوز أن تکون الآیة الثانیة بینت الأولی و أزالت توهم من صرف ذلک إلی غیر وجه المراد، و الظن أن ما یخطر بالبال و یتحدث به النفس مما لا یتعلق بالتکلیف فإن الله یؤاخذ به و الأمر بخلاف ذلک.
" فَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشاءُ" منهم رحمة و تفضلا" وَ یُعَذِّبُ مَنْ یَشاءُ" منهم ممن استحق العقاب عدلا" وَ اللَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ" من المغفرة و العذاب، عن ابن عباس، و لفظ الآیة عام فی جمیع الأشیاء، و القول فیما یخطر بالبال من المعاصی إن الله سبحانه لا یؤاخذ به، و إنما یؤاخذ بما یعزم الإنسان و یعقد قلبه علیه مع إمکان التحفظ عنه فیصیر من أفعال القلب فیجازیه کما یجازیه علی أفعال الجوارح، و إنما یجازیه جزاء العزم لا جزاء عین تلک المعصیة لأنه لم یباشرها، و هذا بخلاف العزم علی الطاعة فإن العازم علی فعل الطاعة یجازی علی عزمه ذلک جزاء تلک الطاعة کما جاء فی الأخبار أن المنتظر للصلاة فی الصلاة ما دام ینتظرها، و هذا من لطائف ما أنعم الله علی عباده، انتهی.
و الظاهر من الأخبار الکثیرة التی یأتی بعضها فی هذا الکتاب عدم مؤاخذة هذه الأمة علی الخواطر و العزم علی المعاصی، فیمکن تخصیص هذه الآیة بالعقائد کما هو ظاهر هذه الروایة و إن أمکن أن تکون نیة المعصیة و العزم علیها معصیة یغفرها الله للمؤمنین، فالمراد بقوله:" لِمَنْ یَشاءُ" المؤمنون و یؤیده ما ذکره المحقق

الطوسى و غيره أن إرادة القبيح قبيحة فتأمل.
و يظهر من بعض الأخبار أن هذه الآية منسوخة و قد خففها الله عن هذه الأمة كما روى الديلمى فى إرشاد القلوب بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهما السلام فى خبر طويل فى معراج النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: ثم عرج به حتى انتهى إلى ساق العرش و ناجاه بما ذكره الله عز و جل فى كتابه، قال تعالى:" لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ" و كانت هذه الآية قد عرضت على سائر الأمم من لدن آدم إلى أن بعث محمد صلى الله عليه و آله و سلم فأبوا جميعا أن يقبلوها من ثقلها، و قبلها محمد صلى الله عليه و آله فلما رأى الله عز و جل منه و من أمته القبول خفف عنه ثقلها، فقال الله عز و جل:" آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ" ثم إن الله عز و جل تكرم على محمد، و أشفق على أمته من تشديد الآية التى قبلها هو و أمته فأجاب عن نفسه و أمته فقال:"" وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ" فقال اللهِ عز و جل لهم المغفرة و الجنة إذا فعلوا ذلک، فقال النبى:" سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَکَ رَبَّنا وَ إِلَيْکَ الْمَصِيرُ" يعنى المرجع فى الآخرة فأجابه قد فعلت ذلک بتائبى أمتک قد أوجبت لهم المغفرة، ثم قال الله تعالى:" أما إذا قبلتها أنت و أمتک و قد كانت عرضت من قبل على الأنبياء و الأمم فلم يقبلوها فحق على أن أرفعها عن أمتک فقال الله تعالى:" لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ" من خير" وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ" من شر ثم ألهم الله عز و جل نبيه أن قال:" رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا" فقال الله سبحانه أعطيتک لكرامتک، إلى آخر الخبر.
و أما المخالفون فهم اختلفوا فى ذلک، قال الرازى فى تفسير هذه الآية: يروى عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر و عمر و عبد الرحمن بن

عوف و معاذ و ناس إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقالوا: يا رسول الله كلفنا من العمل ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه و إنه لذنب؟ فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم:
فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل سَمِعْنا وَ عَصَيْنا* فقولوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا* فقالوا:
سمعنا و أطعنا و اشتد ذلک عليهم فمكثوا فى ذلک حولا فأنزل الله تعالى:" لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها" فنسخت هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: إن الله تجاوز عن أمتى ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعلموا أو تكلموا به.
و اعلم أن محل البحث فى هذه الآية أن قوله:" إِنْ تُبْدُوا" يتناول حديث النفس و الخواطر الفاسدة التى ترد على القلب و لا يتمكن من رفعها، فالمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف ما لا يطاق، و العلماء أجابوا عنه من وجوه:
الأول: أن الخواطر الحاصلة فى القلب على قسمين فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه و يعزم على إدخاله فى الوجود، و منها ما لا يكون كذلک بل يكون أمورا خاطرة بالبال مع أن الإنسان يكرهها و لكنه لا يمكنه دفعها عن نفسه، فالقسم الأول يكون مؤاخذا به، و الثانى لا يكون مؤاخذا به، أ لا ترى إلى قوله تعالى:
" لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ" و قال فى آخر هذه السورة" لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ" و قال:" إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ" هذا هو الجواب المعتمد.
الوجه الثانى: أن كل ما كان فى القلب مما لا يدخل فى العمل فإنه فى محل العفو، و قوله:" وَ إِنْ تُبْدُوا" إلخ، فالمراد منه أن يدخل ذلک العمل فى الوجود إما ظاهرا أو على سبيل الخفية، و أما ما يوجد فى القلب من العزائم و الإرادات و لم يتصل بالعمل فكل ذلک فى محل العفو، و هذا الجواب ضعيف لأن أكثر المؤاخذات إنما يكون

بأفعال القلوب، أ لا ترى أن اعتقاد الكفر و البدع ليس إلا من أعمال القلوب و أعظم أنواع العقاب مرتب عليه أيضا، و أفعال الجوارح إذا خلت من أعمال القلوب لا يترتب عليها عقاب كأفعال النائم و الساهى، فثبت ضعف هذا الجواب.
و الوجه الثالث: أنه تعالى يؤاخذ بها، و مؤاخذتها من الغموم فى الدنيا، و روى ذلک خبرا عن عائشة عن النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم.
الوجه الرابع: أنه تعالى قال:" يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" و لم يقل يؤاخذكم به الله، و قد ذكرنا فى معنى كونه حسيبا و محاسبا وجوها، منها: كونه عالما بها، فرجع المعنى إلى كونه تعالى عالما بالضمائر و السرائر و روى عن ابن عباس أنه تعالى إذا جمع الخلائق يخبرهم بما كان فى نفوسهم، فالمؤمن يخبره و يعفو عنه، و أهل الذنوب يخبرهم بما أخفوا من التكذيب و الذنب.
الوجه الخامس: أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية" فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ" فيكون الغفران نصيبا لمن كان كارها لورود تلک الخواطر، و العذاب لمن كان مصرا عليها مستحسنا لها.
الوجه السادس: قال بعضهم: المراد بهذه الآية كتمان الشهادة و هو ضعيف و إن كان واردا عقيبه.
الوجه السابع: ما مر أنها منسوخة بقوله:" لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها" و هذا أيضا ضعيف بوجوه" أحدها" أن هذا النسخ إنما يصح لو قلنا أنهم كانوا قبل هذا النسخ مأمورين بالاحتراز عن تلک الخواطر التى كانوا عاجزين عن دفعها، و ذلک باطل لأن التكليف قط ما ورد إلا بما فى القدرة، و لذلک قال صلى الله عليه و آله و سلم: بعثت بالحنيفية السمحة السهلة.
الثانى: أن النسخ إنما يحتاج إليه لو دلت الآية على حصول العقاب على تلک الخواطر، و قد بينا أنها لا تدل على ذلک.

مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَ الْمَعْرِفَةِ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ رَأْسُ الْإِيمَانِ وَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ الْقَوْلَ وَ التَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ وَ أَقَرَّ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ قَالَ- وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ

الثالث: أن نسخ الخبر لا يجوز و إنما يجوز نسخ الأوامر و النواهى، و اختلفوا فى أن الخبر هل ينسخ أم لا، انتهى.

و قال أبو المعين النسفى: قال أهل السنة و الجماعة: العبد مؤاخذ بما عقد بقلبه نحو الزنا و اللواطة و غير ذلک، أما إذا خطر بباله و لم يقصد فلا يؤاخذ به، و قال بعضهم لا يؤاخذ فى الصورتين جميعا، و حجتهم قوله صلى الله عليه و آله و سلم: عفى عن أمتى ما خطر ببالهم ما لم يتكلموا و يفعلوا، و حجتنا قوله تعالى:" وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ" الآية، فثبت أنه مؤاخذ بقصده، و ما ذكرتم من الحديث فمحمول على ما خطر بباله و لم يقصد، أما إذا قصد فلا، انتهى.

" و هو رأس الإيمان" كان التشبيه بالرأس باعتبار أن بانتفائه ينتفى الإيمان رأسا كما أن بانتفاء الرأس لا تبقى الحياة، و يفسد جميع البدن.

قوله عليه السلام: القول، أى ما يجب التكلم به من الأقوال كإظهار الحق و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و القراءة و الأذكار فى الصلاة و أمثالها، فيكون قوله:

و التعبير تخصيصا بعد التعميم لمزيد الاهتمام.

" وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً" قال البيضاوى: أى قوله حسنا و سماه حسنا للمبالغة، و قرأ حمزة و يعقوب و الكسائى حسنا بفتحتين، انتهى.

أقول: فى بعض الأخبار عن الصادق عليه السلام أنه قال: يعنى قولوا محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و فى رواية أخرى عنه عليه السلام: نزلت فى اليهود ثم نسخت بقوله:" قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" الآية، و فى بعض الروايات أنه حسن المعاشرة و القول الجميل،

وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الِاسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْهُ وَ الْإِصْغَاءِ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَالَ فِي ذَلِكَ وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ

و فى بعضها أنه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و كان التعميم أولى فيناسب التعميم فى القول أولا و يؤيده أن فى تفسير النعمانى هكذا: و أما ما فرضه على اللسان فقوله عز و جل فى معنى التفسير لما عقد به القلب و أقر به أو جحده" قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ" الآية، و قوله سبحانه وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً، و قوله سبحانه:" وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا" فأمر سبحانه بقول الحق و نهى عن قول الباطل.

ثم إن الآية الثانية ليست فى المصاحف هكذا، ففى سورة البقرة" قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ" و فى سورة العنكبوت:" وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" فالظاهر أن التغيير من النساخ أو نقل الآيتان بالمعنى، و فى النعمانى موافق للأولى و لعله كان فى الخبر الآيتان فأسقطوا عجز الأولى و صدر الثانية.

و التنزه الاجتناب" و أن يعرض" عطف على" أن يتنزه" و الإصغاء عطف على الموصول فى قوله: عما لا يحل.

" وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ" هذه الآية فى سورة النساء، و فى تفسير على بن إبراهيم إن آيات الله هم الأئمة عليهم السلام، و روى العياشى فى تفسيرها: إذا سمعت

حَتَّى يَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ ثُمَّ اسْتَثْنَی اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَوْضِعَ النِّسْیَانِ فَقَالَ وَ إِمَّا یُنْسِیَنَّکَ الشَّیْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْری مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ وَ قَالَ فَبَشِّرْ عِبادِ

الرجل یجحد الحق و یکذب به و یقع فی أهله فقم من عنده و لا تقاعده، قال الراغب:
و الخوض الشروع فی الماء و المرور فیه، یستعار فی الأمور و أکثر ما ورد فی القرآن ورد فیما یذم الشروع فیه، و تتمة الآیة" إِنَّکُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِینَ وَ الْکافِرِینَ فِی جَهَنَّمَ جَمِیعاً" و الاستثناء فی سورة الأنعام حیث قال:" وَ إِذا رَأَیْتَ الَّذِینَ یَخُوضُونَ فِی آیاتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّی یَخُوضُوا فِی حَدِیثٍ غَیْرِهِ وَ إِمَّا یُنْسِیَنَّکَ الشَّیْطانُ" الآیة و یحتمل أن یکون قوله تعالی:" وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَیْکُمْ فِی الْکِتابِ" إشارة إلی ما نزل فی سورة الأنعام، فهذه الآیة کالتفسیر لتلک الآیة فذکره علیه السلام آیة النساء لبیان أن الخوض فی الآیات المذکور فی الأنعام هو الکفر و الاستهزاء بها، و إلا کان المناسب ذکر الآیة المتصلة بالاستثناء فتفطن.
و روی العیاشی عن الباقر علیه السلام فی هذه الآیة قال: الکلام فی الله و الجدال فی القرآن قال منه القصاص" وَ إِمَّا یُنْسِیَنَّکَ الشَّیْطانُ" أی النهی" فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْری" أی بعد أن تذکره" مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ" أی معهم، فوضع الظاهر موضعه تنبیها علی أنهم ظلموا بوضع التکذیب و الاستهزاء موضع التصدیق و الاستعظام، و فی الحدیث عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم: من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلا یجلس فی مجلس یسب فیه إمام، أو یغتاب فیه مسلم إن الله تعالی یقول فی کتابه:" وَ إِذا رَأَیْتَ" الآیة.
ثم إن الخطاب فی الآیة إما خطاب عام أو الخطاب ظاهراً للرسول صلی الله علیه و آله و سلم و المراد به الأمة، لأن النسیان لا یجوز علیه صلی الله علیه و آله و سلم لا سیما إذا کان من الشیطان، فإن من جوز السهو و النسیان علیه صلی الله علیه و آله و سلم کالصدوق (ره) إنما جوز الإسهاء من

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِکَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِکَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِی صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ وَ قَالَ وَ إِذا سَمِعُوا

الله تعالى للمصلحة لا من الشيطان." فَبَشِّرْ عِبادِ" الإضافة للتشريف، و أحسن القول ما فيه رضا الله أو أشد رضاه، و ما هو أشق على النفس، و هذه كلمة جامعة يندرج فيها القول فى أصول الدين و فروعه و الإصلاح بين الناس و التميز بين الحق و الباطل، و إيثار الأفضل فالأفضل، و فى رواية هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمع لا يزيد فيه و لا ينقص منه.
" أُولئِکَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ" لدينه" وَ أُولئِکَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ" أى العقول السليمة عن منازعة الهوى و الوهم و العادات و" عبادى" فى النسخ بإثبات الياء موافقا لرواية أبى عمرو برواية موسى حيث قرأ فى الوصل بفتح الياء و فى الوقف بإسكانها، و قرأ الباقون بإسقاط الياء و الاكتفاء بالكسرة.
" الَّذِينَ هُمْ فِی صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ" قيل: أى خائفون من الله متذللون له يلزمون أبصارهم مساجدهم و فى تفسير على بن إبراهيم غضک بصرک فى صلاتک و إقبالک عليها، و سيأتى تفسيره فى كتاب الصلاة إنشاء الله.
" وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ" قيل: اللغو ما لا يعنيهم من قول أو فعل، و فى تفسير علَى بن إبراهيم يعنى عن الغناء و الملاهى، و فى إرشاد المفيد عن أمير المؤمنين عليه السلام كل قول ليس فيه ذكر فهو لغو، و فى المجمع عن الصادق عليه السلام قال: أن يتقول الرجل عليک بالباطل أو يأتيک بما ليس فيک فتعرض عنه لله، قال: و فى رواية أخرى أنه الغناء و الملاهى، و فى الاعتقادات عنه عليه السلام أنه سئل عن القصاص أ يحل الاستماع لهم،

اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ وَ قَالَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يُصْغِيَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَ فَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْ يُعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ وَ هُوَ عَمَلُهُ وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فَقَالَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ فَنَهَاهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا

فقال: لا، و الحاصل أن اللغو كل ما لا خير فيه من الكلام و الأصوات، و يكفى فى الاستشهاد كون بعض أفراده حراما مثل الغناء و الدف و الصنج و الطنبور و الأكاذيب و غيرها.
و قال فى سورة القصص:" وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ" قال على بن إبراهيم: اللغو الكذب و اللهو و الغناء، و قال فى الفرقان:" وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً" أى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه و الخوض فيه، و فى أخبار كثيرة تفسير اللغو فى هذه الآية بالغناء و الملاهى.
قوله: من الإيمان،" من" تبعيضية" و أن لا يصغى" عطف بيان لهذا، و قيل: من الإيمان مبتدأ و أن لا يصغى خبره، و فيه ما فيه.
" قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا" الخطاب للرسول صلى الله عليه و آله و سلم و يغضوا مجزوم بتقدير اللام، أى ليغضوا فالمقصود تبليغهم أمر ربهم أو حكاية لمضمون أمره عليه السلام أو منصوب بتقدير أن أى أمرهم أن يغيضوا فإن" قل لهم" فى معنى مرهم، و قيل: أنه جواب الأمر أى قل لهم غضوا يغضوا، و اعترض بأنه حينئذ ينبغى الفاء أى فيغضوا و فيه:
أنه سهل ليكن محذوفا و أبعد منه ما يقال: إن التقدير: قل لهم غضوا فإنک إن تقل لهم يغضوا و أصل الغض النقصان و الخفض كما فى قوله:" وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ" و أجاز الأخفش أن تكون من زائدة و أباه سيبويه و قيل: إنه للتبعيض، و لعله الوجه،

إِلَى عَوْرَاتِهِمْ وَ أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ وَ يَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ وَ قَالَ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَى فَرْجِ أُخْتِهَا وَ تَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَا وَ قَالَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ الْفَرْجِ فَهُوَ مِنَ الزِّنَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ ثُمَّ نَظَمَ مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ وَ اللِّسَانِ وَ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ

و ليس المراد نقص المبصرات و تبعيضها و لا الأبصار بل النظر بها و هو المراد مما قيل:
المراد غض البصر و خفضه مما يحرم النظر إليه و الاقتصار به على ما يحل، و كذا قوله:" وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ" أى إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، فلما كان المستثنى هنا كالشاذ النادر مع كونه معروفا معلوما بخلافه فى غض الأبصار أطلق الحفظ هنا و قيد الغض بحرف التبعيض، و فى الكشاف و يجوز أن يراد مع حفظها عن الإبداء و هذه الرواية و غيرها تدل على أن المراد بحفظ الفرج هنا ستره عن أن ينظر إليه أحد و كذا ظاهر الرواية تخصيص غض البصر بترک النظر إلى العورة.
قوله عليه السلام: ثم نظم، أقول: و فى تفسير النعمانى: ثم نظم تعالى ما فرض على السمع و البصر و الفرج فى آية واحدة فقال: و ما كنتم، و هو أظهر، و ما هنا يحتاج إلى تكلف فى إدخال اللسان و القلب، فقيل: المراد بالاستتار ترک ذكر الأعمال القبيحة فى المجالس" و أن يشهد" بتقدير من أن يشهد متعلقا بالاستتار بتضمين معنى الخوف، فقوله تستترون إشارة إلى فرض القلب و اللسان معا، و يحتمل أن يكون المراد بالآية الأخرى الجنس أى الآيتين، و الفؤاد داخل فى الآية الثانية و كذا اللسان لأن قوله:" لا تَقْفُ" عبارة عن عدم متابعة غير المعلوم بعدم التصديق به بالقلب و عدم إظهار العلم به باللسان.
" وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ" قبل هذه الآية فى حم التنزيل:" وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما

كانُوا يَعْمَلُونَ، وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِی أَنْطَقَ كُلَّ شَیْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ" قال الطبرسی (ره): أی شهد علیهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلی الحق" فأعرضوا عنه" و لم یقبلوه و أبصارهم بما رأوه من الآیات الدالة علی وحدانیة الله فلم یؤمنوا و سائر جلودهم بما باشروه من المعاصی و الأعمال القبیحة، و قیل فی شهادة الجوارح قولان: أحدهما: أن الله تعالی یبنیها بنیة الحی و یلجئها إلی الاعتراف و الشهادة بما فعله أصحابها، و الآخر: أن الله تعالی تفعل الشهادة فیها و إنما أضاف الشهادة إلیها مجازا، و قیل: فی ذلک أیضا وجه ثالث و هو أنه یظهر فیه أماراته الدالة علی کون أصحابها مستحقین للنار فسمی ذلک شهادة مجازا کما یقال: عیناک تشهدان لسهرک، و قیل: إن المراد بالجلود هنا الفروج علی طریق الکنایة عن ابن عباس و المفسرین ثم قال:" وَ ما کُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ یَشْهَدَ" أی من أن یشهد علیکم سمعکم، معناه و ما کنتم تستخفون أی لم یکن مهیئا لکم أن تستروا أعمالکم عن هذه الأعضاء لأنکم کنتم بما تعملون، فجعلها الله شاهدة علیکم فی القیامة، و قیل: معناه و ما کنتم تترکون المعاصی حذرا أن تشهد علیکم جوارحکم بها لأنکم ما کنتم تظنون ذلک و لکن ظننتم أن الله لا یعلم کثیرا مما کنتم تعملون لجهلکم بالله تعالی، فهان علیکم ارتکاب المعاصی لذلک.

و روی عن ابن مسعود أنها نزلت فی ثلاثة نفر تساروا فقالوا: أ تری إن الله تعالی یسمع تسارنا.

و یجوز أن یکون المعنی أنکم عملتم عمل من ظن أن عمله یخفی علی الله کما یقال أهلکت نفسی أی عملت عمل من أهلک النفس، و قیل: إن الکفار کانوا یقولون إن الله لا یعلم ما فی أنفسنا لکنه یعلم ما نظهر عن ابن عباس.

" وَ ذلِکُمْ ظَنُّکُمُ الَّذِی ظَنَنْتُمْ بِرَبِّکُمْ أَرْداکُمْ" ذلکم مبتدأ، و ظنکم خبره، و أردیکم خبر ثان، و یجوز أن یکون ظنکم بدلا من ذلکم، و یکون المعنی و ظنکم الذی ظننتم بربکم أنه لا یعلم کثیرا مما تعملون أهلککم إذ هون علیکم أمر المعاصی

سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ يَعْنِی بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ وَ الْأَفْخَاذَ وَ قَالَ وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِکَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَی الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ عَمَلُهُمَا وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَی الْيَدَيْنِ أَنْ لَا يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَی مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ أَنْ يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَی مَا أَمَرَ اللَّهُ

و أدى بكم إلى الكفر" فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ" أى فظللتم من جملة من خسرت تجارته، لأنكم خسرتم الجنة و خضتم فى النار، انتهى.
فإن قيل: هذه الآيات فى السور المكية و كذا قوله:" وَ لا تَقْفُ" إلخ، كما مر فى الخبر السابق فكيف صار أعمال الجوارح فيها جزءا من الإيمان، و كيف يوعد عليها.
قلت: لعل الوعيد فيها باعتبار كفرهم و شركهم لأنها تدل على أنهم إنما فعلوا ذلک كفر بالله و استهانة بأمره و ظنهم أنه سبحانه لا يعلم كثيرا مما يعملون فالوعيد على شركهم و إتيانهم بتلک الأعمال من جهة الاستخفاف و الاستحلال وقفوا ما ليس لهم به علم كان فى أصول الدين مع أنه قد مر أنه ليس فيها وعيد بالنار و كون جميع آيات حم مكية لم يثبت لعدم الاعتماد على قول المفسرين من العامة، و يحتمل أن يكون الغرض هنا محض كون الأعمال متعلقة بالجوارح و أن لها مدخلا فى الإيمان و إن كان مدخليتها فى كماله، و المقصود فى الخبر السابق كان أمرا آخر، و كذا الكلام فى قوله:" وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً" فإنها أيضا مكية.
قوله: إلى ما حرم الله، مثل القتل و الضرب و النهب و السرقة و كتابة الجور و الكذب و الظلم و مس الأجانب و نحوها" و فرض عليهما من الصدقة و صلة الرحم" إذ إيصال الصدقة إلى الفقراء و الخير إلى الأقرباء و الضرب و البطش و القتال فى الجهاد و الطهور للصلاة من فروض اليد، و قيل: يفهم منه وجوب استعمال اليد فى غسل الوجه، و هو إما لأنه الفرد الغالب أو لأنه فرد الواجب التخييرى.

عَزَّ وَ جَلَّ وَ فَرَضَ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وَ صِلَةِ الرَّحِمِ وَ الْجِهَادِ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الطَّهُورِ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَی الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَکُمْ وَ أَیْدِیَکُمْ إِلَی الْمَرافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ إِلَی الْکَعْبَیْنِ وَ قَالَ فَإِذا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّی إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً حَتَّی تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزارَها- فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَی الْیَدَیْنِ لِأَنَّ الصَّرْبَ مِنْ عِلَاجِهِمَا وَ فَرَضَ عَلَی الرِّجْلَیْنِ أَنْ لَا یَمْشِیَ بِهِمَا إِلَی شَیْءٍ مِنْ مَعَاصِی اللَّهِ وَ فَرَضَ عَلَیْهِمَا الْمَشْیَ إِلَی مَا

و أقول: یمکن أن یکون غسل الوجه داخلا فیما سیأتی من قوله: و قال فیما فرض الله.
" فَضَرْبَ الرِّقابِ" ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق، و أصله فاضربوا الرقاب ضربا، حذف الفعل و أقیم المصدر مقامه، و أضیف إلی المفعول و الإثخان إکثار القتل أو الجراح بحیث لا یقدر علی النهوض، و الوثاق بالفتح و الکسر ما یوثق به و شده کنایة عن الأسر،
و المروی و مذهب الأصحاب أن الأسیر إن أخذ و الحرب قائمة تعین قتله إما بضرب عنقه أو بقطع یده و رجله من خلاف و ترکه حتی ینزف و یموت، و إن أخذ بعد انقضاء الحرب تخیر الإمام بین المن و الفداء و الاسترقاق، و لا یجوز القتل.
و الاسترقاق علم من السنة، و العلاج: المزاولة،" أن لا یمشی" بصیغة المجهول، و الباء فی" بهما" للآلة، و الظرف نائب الفاعل و قوله علیه السلام: فقال، لعله لیس لتفسیر ما تقدم و الاستدلال علیه، بل لبیان نوع آخر من تکلیف الرجلین و هو نوع المشی، و ما ذکر سابقا کان غایة المشی، و فی روایة النعمانی: أما ما فرضه الله

يُرْضِى اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَقَالَ وَ لا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا وَ قَالَ وَ اقْصِدْ فِى مَشْيِکَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ إِنَّ أَنْکَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ وَ قَالَ فِيمَا شَهِدَتِ الْأَيْدِى وَ الْأَرْجُلُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَ عَلَى أَرْبَابِهِمَا مِنْ تَضْيِيعِهِمَا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ وَ فَرَضَهُ عَلَيْهِمَا الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا

على الرجلين فالسعى بهما فى ما يرضيه، و اجتناب السعى فيما يسخطه، و ذلک قوله سبحانه:" فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ" و قوله سبحانه:" وَ لا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً*" و قوله:" وَ اقْصِدْ فِى مَشْيِکَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ" و فرض الله عليهما القيام فى الصلاة فقال:" وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ" ثم أخبر أن الرجلين من الجوارح التى تشهد يوم القيامة حين تستنطق بقوله سبحانه:" الْيَوْمَ نَخْتِمُ" الآية.
و قال البيضاوى:" وَ اقْصِدْ فِى مَشْيِکَ" توسط فيه بين الدبيب و الإسراع، و عنه صلى الله عليه و آله و سلم: سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن" وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِکَ" و أنقص منه و اقصر" إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ" أوحشها" لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" و الحمار مثل فى الذم سيما نهاقه.
و لذلک يكنى عنه فيقال: طويل الأذنين و فى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة، و توحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس فى النكر دون الآحاد، أو لأنه مصدر.
و قال فى قوله سبحانه:" الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ" بأن نمنعها عن كلامهم" وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ" إلخ، بظهور آثار المعاصى عليها و دلالتها على أفعالها أو بإنطاق الله إياها، و فى الحديث أنهم يجحدون و يخاصمون فيختم على أفواههم و تكلمهم أيديهم و أرجلهم، انتهى.

أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ فَهَذَا أَيْضاً مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ وَ هُوَ عَمَلُهُمَا وَ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَ فَرَضَ عَلَى الْوَجْهِ السُّجُودَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فَهَذِهِ فَرِيضَةٌ جَامِعَةٌ عَلَى الْوَجْهِ وَ الْيَدَيْنِ وَ الرِّجْلَيْنِ

و قيل: هذا لا ينافى ما روى أن الناس فى هذا اليوم يحتجون لأنفسهم، و يسعى كل منهم فى فكاک رقبته كما قال سبحانه:" يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها" و الله يلقن من يشاء حجته كما فى دعاء الوضوء: اللهم لقنى حجتى يوم ألقاک، لأن الختم مخصوص بالكفار كما قاله بعض المفسرين، أو أن الختم يكون بعد الاحتجاج و المجادلة كما فى الرواية السابقة، و بالجملة الختم يقع فى مقام و المجادلة فى مقام آخر.
قوله: فهذا أيضا، كأنه إشارة إلى ما تشهد به الجوارح، فمن فى قوله" مما" تبعيضية، أو إلى التكليم و الشهادة فمن تعليلية، و يحتمل أن يكون إشارة إلى جميع ما تقدم، و قال البيضاوى فى قوله تعالى:" ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا" أى فى صلاتكم أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام، أو صلوا و عبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانهما، أو اخضعوا لله و خروا له سجدا و اعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به" وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ" و تحروا ما هو خير و أصلح فيما تأتون و تذرون كنوافل الطاعات و صلة الأرحام و مكارم الأخلاق" و لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" أى افعلوا هذه كلها و أنتم راجعون الفلاح غير متيقنين له، واثقين على أعمالكم.
و أقول:" لعل" من الله موجبة، و هذه فريضة جامعة أى ما ذكر فى هذه الآية من الركوع و السجود و العبادة و فعل الخير، و مدخلية الأعضاء المذكورة فى تلک الأعمال فى الجملة ظاهرة.

وَ قَالَ فِی مَوْضِعٍ آخَرَ وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً وَ قَالَ فِیمَا فَرَضَ عَلَی الْجَوَارِحِ مِنَ الطُّهُورِ وَ الصَّلَاةِ بِهَا وَ ذَلِکَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمَّا صَرَفَ نَبِیَّهُ ص

" وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ" ظاهر أنه علیه السلام فسر المساجد بالأعضاء السبعة التی تسجد علیها، أی خلقت لأن یعبد الله بها فلا تشرکوا معه غیره فی سجودکم علیها، و هذا التفسیر هو المشهور بین المفسرین و المذکور فی صحیحة حماد و المروی عن أبی جعفر الثانی علیه السلام حین سأله المعتصم عنها، و به قال ابن جبیر و الزجاج و الفراء فلا عبرة بقول من قال: أن المراد بها المساجد المعروفة، و لا بقول من قال: هی بقاع الأرض کلها، و لا بقول من قال: هی المسجد الحرام، و الجمع باعتبار أنه قبلة لجمیع المساجد، و لا بقول من قال: هی السجدات جمع مسجد بالفتح مصدرا أی السجودات لله فلا تفعل لغیره.
و قال فی الفقیه: قال أمیر المؤمنین علیه السلام فی وصیته لابنه محمد بن الحنفیة رضی الله عنه: یا بنی لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل کل ما تعلم، فإن الله تعالی قد فرض علی جوارحک کلها فرائض یحج بها علیک یوم القیامة و یسألک عنها، و ساق الحدیث إلی أن قال: ثم استعبدها بطاعته فقال عز و جل:" یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ارْکَعُوا" إلی قوله:" لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ" فهذه فریضة جامعة واجبة علی الجوارح، و قال عز و جل:
" وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ" إلخ، یعنی بالمساجد الوجه و الیدین و الرکبتین و الإبهامین، الحدیث بطوله.
قوله: و قال فیما فرض علی الجوارح من الطهور و الصلاة بها، أی بالجوارح و کان مفعول القول محذوف أی ما قال، أو" من الطهور" مفعوله بزیادة من، أو بتقدیر شیئا أو کثیرا أو المراد قال ذلک أی آیة المساجد فیما فرض الله علی هذه الجوارح من الطهور و الصلاة، لأن الطهور أیضا یتعلق بالمساجد.
و علی التقادیر قوله: و ذلک، إشارة إلی کون الآیات السابقة دلیلا علی کون

إِلَى الْكَعْبَةِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَاناً فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ حَافِظاً لِجَوَارِحِهِ

الإيمان مبثوثا على الجوارح لأنها إنما دلت على أن الله تعالى فرض أعمالا متعلقة بتلك الجوارح، و لم تدل على أنها إيمان فاستدل عليه السلام على ذلك بأن الله تعالى سمى الصلاة المتعلقة بجميع الجوارح إيمانا فتم به الاستدلال بالآيات المذكورة على المطلوب.
و الظاهر أن فى العبارة سقطا أو تحريفا أو اختصارا مخلا من الرواة أو من المصنف إذ فى تفسير النعمانى و أما ما افترضه على الرأس فهو أن يمسح من مقدمه بالماء فى وقت الطهور للصلاة بقوله:" وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ" و هو من الإيمان و فرض على الوجه الغسل بالماء عند الطهور، فقال:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ" و فرض عليه السجود و على اليدين و الركبتين و الرجلين الركوع و هو من الإيمان، و قال فيما فرض الله على هذه الجوارح من الطهور و الصلاة و سماه فى كتابه إيمانا حين تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فقال المسلمون: يا رسول الله صارت صلاتنا إلى بيت المقدس و طهورنا ضياعا؟ فأنزل الله:" وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْها" إلى قوله" وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ" فسمى الصلاة و الطهور إيمانا، انتهى.
و يحتمل أن يكون مفعول القول: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ، أو مبهما يفسره ذلك، حذف لدلالة التعليل عليه و قوله: و ذلك، تعليل للقول أى النزول، و قوله:
فأنزل الله، ليس جواب لما لعدم جواز دخول الفاء عليه بل الجواب محذوف، بتقدير أنزل وجه الحكمة فى الصرف فأنزل.
قوله: فمن لقى الله، عند الموت أو فى القيامة أو الأعم" حافظا لجوارحه"

مُوفِياً كُلُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهَا لَقِىَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مُسْتَكْمِلًا لِإِيمَانِهِ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ مَنْ خَانَ فِى شَىْءٍ مِنْهَا أَوْ تَعَدَّى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهَا لَقِىَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ نَاقِصَ الْإِيمَانِ قُلْتُ قَدْ فَهِمْتُ نُقْصَانَ الْإِيمَانِ وَ تَمَامَهُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَتُهُ فَقَالَ قَوْلُ اللَّهِ

عن المحرمات" موفيا كل جارحة" التوفية إعطاء الحق وافيا تاما و يمكن أن يقرأ كل بالرفع و بالنصب" مستكملا لإيمانه" أى مكملا له، فى القاموس: أكمله و استكمله و كمله أتمه و جمله" و من خان فى شىء منها" أى من الجوارح بفعل المنهيات أو تعدى ما أمر الله عز و جل فى الجوارح، و يحتمل أن يكون الخيانة أعم من ترک المأمورات و فعل المنهيات، و التعدى بإيقاع الفرائض على وجه البدعة و مخالفا لما أمر الله، و فى النعمانى: و من كان مضيعا لشىء مما فرضه الله تعالى فى هذه الجوارح و تعدى ما أمر الله به و ارتكب ما نهاه عنه لقى الله ناقص الإيمان.

و أقول: حكم عليه السلام فى الأول بدخول الجنة أى من غير عقاب، و فى الثانى لم يحكم بدخول النار و لا بعدم دخول الجنة لأنه يدخل الجنة و لو بعد حين، و ليس دخوله النار مجزوما به لاحتمال عفو الله تعالى و غفرانه. قوله: فمن أين جاءت زيادته، يفهم منه أن السائل فهم من الزيادة كون ما يشترط فى الإيمان متحققا و زاد عليه، لا أنه يكون الزائد بالنسبة إلى الناقص، و إلا فلم يحتج إلى السؤال لأن كل نقص إذا سلب كان زائدا بالنسبة إليه، فالأفراد ثلاثة: تام الإيمان و هو الذى اعتقد العقائد الحقة كلها، و عمل بالفرائض و اجتنب الكبائر و إن أتى بشىء منها تاب بعده و لم يصر على الصغائر، و ناقص الإيمان و هو الذى أتى مع العقائد الحقة بشىء من الكبائر و لم يتب منها أو ترک شيئا من الفرائض و لم يتداركها أو أصر على الصغائر، و زائد الإيمان و هو الذى زاد فى العقائد على ما يجب كما و كيفا كما سيأتى، و فى الأعمال بإيتاء سائر الواجبات و المستحبات و ترک الصغائر و المكروهات، و كلما زادت العقائد و الأعمال كما و كيفا زاد الإيمان

عَزَّ وَ جَلَّ- وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً- وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ وَ قَالَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

فإذا عرفت هذا فلم يحتج إلى ما تكلفه بعضهم أنه لما ذكر عليه السلام أن الإيمان مفروض على الجوارح و أنه يزيد و ينقص و علم السائل الأول صريحا من الآيات المذكورة، و الثانى ضمنا أو التزاما منها للعلم الضرورى بأن العلم يزيد و ينقص سأل عن الآيات الدالة على الثانى صريحا، أو قصده من السؤال أنى قد فهمت مما ذكر نقصان الإيمان العملى و تمامه باعتبار أن العمل يزيد و ينقص فمن أين جاءت زيادة الإيمان التصديقى و أية آية تدل عليها؟ و فيه حينئذ استخدام إذ أراد بلفظ الإيمان الإيمان العملى، و بضميره الإيمان التصديقى، و على التقديرين لا يرد أنه إذا علم نقصان الإيمان و تمامه فقد علم زيادته، لأن فى التام زيادة ليست فى الناقص، انتهى.

" فَمِنْهُمْ" قال البيضاوى: فمن المنافقين" مَنْ يَقُولُ" إنكارا و استهزاء" أَيُّكُمْ زادَتْهُ"" هذِهِ" السورة" إِيماناً" و قرأ أيكم بالنصب على إضمار فعل يفسره زادته" فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً" بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة و انضمام الإيمان بها و بما فيها إلى أيمانهم" وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" بنزولها لأنها سبب لزيادة كما لهم و ارتفاع درجاتهم" وَ أَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" كفر" فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَی رِجْسِهِمْ" كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها" وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ" و استحكم ذلک فيهم حتى ماتوا عليه" وَ زِدْناهُمْ هُدیً" أى هداية إلى الإيمان أو زدناهم بسبب الإيمان ثباتا و شدة يقين و صبر على المكاره فى الدين كما قال" وَ رَبَطْنا عَلی قُلُوبِهِمْ" فهذه الهداية الخاصة الربانية زيادة على الإيمان الذى كانوا به متصفين حيث قال تعالى

وَ زِدْناهُمْ هُدیً وَ لَوْ کَانَ کُلُّهُ وَاحِداً لَا زِیَادَةَ فِیهِ وَ لَا نُقْصَانَ لَمْ یَکُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَی الْآخَرِ وَ لَاسْتَوَتِ النِّعَمُ فِیهِ وَ لَاسْتَوَی النَّاسُ وَ بَطَلَ التَّفْضِیلُ وَ لَکِنْ بِتَمَامِ الْإِیمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ وَ بِالزِّیَادَةِ فِی الْإِیمَانِ تَفَاضَلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَ بِالنُّقْصَانِ دَخَلَ الْمُفَرِّطُونَ النَّارَ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِیهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی جَمِیعاً عَنِ الْبَرْقِیِّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَیْدٍ عَنْ یَحْیَی بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِیِّ عَنْ عُبَیْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ قَالَ قَالَ لِی أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

أولا إِنَّهُمْ فِتْیَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ" و لو کان کله واحدا" أی کل الإیمان واحدا لا زیادة فیه و لا نقصان لم یکن لأحد من المؤمنین فضل علی الآخر، لأن الفضل إنما هو بالإیمان فلا فضل مع مساواتهم فیه" و لاستوت النعم" أی نعم الله بالهدایات الخاصة فی الإیمان" و لاستوی الناس" فی دخول الجنة أو فی الخیر و الشر، و بطل تفضیل بعضهم علی بعض بالدرجات و الکمالات، و اللوازم کلها باطلة بالکتاب و السنة.
" و لکن بتمام الإیمان" باعتبار أصل التصدیق و العمل بالفرائض أو بالواجبات و ترک الکبائر أو المنهیات" دخل المؤمنون" المتصفون به" الجنة و بالزیادة فی الإیمان" بضم سائر الواجبات مع المندوبات أو المندوبات و ترک الصغائر مع المکروهات، أو المکروهات و تحصیل الآداب المرغوبة و الأخلاق المطلوبة" تفاضل المؤمنون" المتصفون بها بدرجات الجنة العالیة، و المنازل الرفیعة فی قربه تعالی" و بالنقصان" فی التصدیق أو التقصیر فی الأعمال الواجبة و ارتکاب المحرمات" دخل المفرطون" فی النار إن لم ینجوا بفضله و عفوه سبحانه.

الحديث الثانى

: مجهول، و الظاهر زيادة عن أبيه عن النساخ لأن محمد بن يحيى عطف على العدة، و البرقى هو محمد بن خالد كما هو المصرح به فى بعض النسخ،

ص: 243
ع إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا قَالَ یُسْأَلُ السَّمْعُ عَمَّا سَمِعَ وَ الْبَصَرُ عَمَّا نَظَرَ إِلَیْهِ وَ الْفُؤَادُ عَمَّا عَقَدَ عَلَیْهِ
3 أَبُو عَلِیٍّ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ أَوْ غَیْرِهِ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِیمَانِ فَقَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا اسْتَقَرَّ فِی الْقُلُوبِ مِنَ التَّصْدِیقِ بِذَلِکَ قَالَ قُلْتُ الشَّهَادَةُ أَ لَیْسَتْ عَمَلًا قَالَ بَلَی قُلْتُ الْعَمَلُ مِنَ الْإِیمَانِ قَالَ نَعَمْ الْإِیمَانُ لَا یَکُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ وَ الْعَمَلُ مِنْهُ وَ لَا یَثْبُتُ الْإِیمَانُ إِلَّا بِعَمَلٍ

و أحمد البرقی و ابن عیسی یرویان عن محمد البرقی.

الحديث الثالث

: مرسل قوله: شهادة أن لا إله إلا الله أى التكلم بكلمة التوحيد و الإقرار به ظاهرا و إنما اكتفى بها عن الإقرار بالرسالة لتلازمهما أو هو داخل فى قوله: و الإقرار بما جاء من عند الله، و الضمير فى" جاء" راجع إلى الموصول أى الإقرار بكل ما أرسله الله من نبى أو كتاب أو حكم ما علم تفصيلا و ما لم يعلم إجمالا، و كل ذلک الإقرار الظاهرى.
و قوله: ما استقر فى القلوب، الإقرار القلبى بجميع ذلک، و هذا أحد معانى الإيمان كما عرفت، و لا يدخل فيه أعمال الجوارح سوى الإقرار الظاهرى بما صدق به قلبا، و لما كان عند السائل أن الإيمان محض العلوم و العقائد و لا يدخل فيه الأعمال استبعد كون الشهادة التى هى من عمل الجوارح من الإيمان، فأجاب عليه السلام بأن العمل جزء الإيمان.
" و لا يثبت الإيمان" أى لا يتحقق واقعا أو لا يثبت الإيمان عند الناس إلا بالإقرار و الشهادة التى هى عمل الجوارح أو لا يستقر الإيمان إلا بأعمال الجوارح، فإن التصديق الذى لم يكن معه عمل يزول و لا يبقى.

4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا الْإِسْلَامُ فَقَالَ دِينُ اللَّهِ اسْمُهُ الْإِسْلَامُ- وَ هُوَ دِينُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونُوا حَيْثُ كُنْتُمْ وَ بَعْدَ أَنْ تَكُونُوا فَمَنْ أَقَرَّ بِدِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ وَ مَنْ عَمِلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ
5 عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِی جَعْفَرٍ ع فَقَالَ لَهُ سَلَّامٌ إِنَّ خَيْثَمَةَ ابْنَ أَبِی خَيْثَمَةَ يُحَدِّثُنَا عَنْكَ أَنَّهُ سَأَلَكَ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقُلْتَ لَهُ إِنَ

الحديث الرابع

: مرسل قوله عليه السلام: دين الله اسمه الإسلام، لقوله تعالى:" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ" و قوله:" وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً".
" و هو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم" أى قبل أن تكونوا فى عالم من العوالم أى حين لم تكونوا فى عالم الأجساد، و لا فى عالم الأرواح و بعد أن تكونوا فى أحد العوالم، أو قبل أن تكونوا و توجدوا على هذا الهيكل المخصوص حيث كنتم فى الأظلة أو فى العلم الأزلى" و بعد أن تكونوا" فى عالم الأبدان، و الأول أظهر، و على التقديرين المراد عدم التغير فى الأديان و الأزمان" فمن أقر بدين الله" أى العقائد التى أمر الله بالإقرار بها فى كل دين قلبا و ظاهرا" فهو مسلم و من عمل" أى مع ذلک الإقرار" بما أمر الله عز و جل به" من الفرائض و ترک الكبائر أو الأعم" فهو مؤمن" و هذا أحد المعانى التى ذكرنا من الإسلام و الإيمان.

: صحيح.
و سلام يحتمل ابن المستنير الجعفى، و ابن أبى عمرة الخراسانى و كلاهما مجهولان من أصحاب الباقر عليه السلام و خيثمة بفتح الخاء ثم الياء المثناة الساكنة ثم المثلثة المفتوحة غير مذكور فى الرجال.

الْإِسْلَامَ مَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَ شَهِدَ شَهَادَتَنَا وَ نَسَكَ نُسُكَنَا وَ وَالَى وَلِيَّنَا وَ عَادَى عَدُوَّنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ فَقَالَ صَدَقَ خَيْثَمَةُ قُلْتُ وَ سَأَلَكَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقُلْتَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَ التَّصْدِيقُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا يُعْصَى اللَّهُ فَقَالَ صَدَقَ خَيْثَمَةُ

قوله: من استقبل قبلتنا، أى دين من استقبل فقوله: فهو مسلم، تفريع و تأكيد، أو قوله: فهو مسلم قائم مقام العائد لأنه بمنزلة فهو صاحبه، أو فهو المتصف به" و شهد شهادتنا" أى شهادة جميع المسلمين.

" و نسک نسکنا" أى عبد كعبادة المسلمين فيأتى بالصلاة و الزكاة و الصوم و الحج، أو المراد بالنسک أفعال الحج أو الذبح، قال الراغب: النسک العبادة و الناسک العابد، و اختص بأعمال الحج، و المناسک مواقف النسک و أعمالها، و النسيكة مختصة بالذبيحة، قال:" فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ" و قال تعالى:" فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ" و قال:" مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ".

" و والى ولينا" أى ولى جميع المسلمين" و عادى عدونا" أى عدو جميع المسلمين و هم المشركون و سائر الكفار فهذا يشمل جميع فرق المسلمين.

" و التصديق بكتاب الله" يدخل فيه الإقرار بالرسالة و الإمامة و العدل و المعاد" و أن لا يعصى الله" بالعمل بالفرائض و ترک الكبائر أو العمل بجميع الواجبات و ترک جميع المحرمات، و الحاصل أنه يحتمل أن يكون المراد بالإسلام الإسلام الظاهرى و إن لم يكن مع التصديق القلبى، و بالإيمان العقائد القلبية مع الإقرار بالولاية و الإتيان بالأعمال، و يحتمل أن يكون المراد بقوله: والى ولينا و عادى عدونا، موالاة أولياء الأئمة عليهم السلام و معاداة أعدائهم، فالإسلام عبارة عن الإذعان بجميع العقائد الحقة ظاهرا و باطنا و الإيمان عبارة عن انضمام العقائد القلبية و الأعمال معه أو الأعمال فقط، و على كل تقدير يرجع إلى أحد المعانى المتقدمة لهما.

6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ قَالَ قُلْتُ أَ لَيْسَ هَذَا عَمَلٌ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَالْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ لَا يَثْبُتُ لَهُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَ الْعَمَلُ مِنْهُ

7 بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُيَسِّرٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَمْرٍو النَّصِيبِيِّ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ الْعَالِمَ ع فَقَالَ أَيُّهَا الْعَالِمُ أَخْبِرْنِی أَیُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ مَا لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِهِ فَقَالَ وَ مَا ذَلِکَ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الَّذِی هُوَ أَعْلَی الْأَعْمَالِ دَرَجَةً وَ أَسْنَاهَا حَظّاً وَ أَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً قُلْتُ أَخْبِرْنِی عَنِ الْإِيمَانِ أَ قَوْلٌ وَ عَمَلٌ أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ قَالَ الْإِيمَانُ عَمَلٌ كُلُّهُ وَ الْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِکَ الْعَمَلِ بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ بَيَّنَهُ فِی كِتَابِهِ وَاضِحٍ نُورُهُ ثَابِتَةٍ حُجَّتُهُ يَشْهَدُ بِهِ الْكِتَابُ وَ يَدْعُو إِلَيْهِ قُلْتُ صِفْ لِی ذَلِکَ حَتَّی أَفْهَمَهُ فَقَالَ إِنَّ الْإِيمَانَ حَالاتٌ وَ دَرَجَاتٌ وَ طَبَقَاتٌ وَ مَنَازِلُ فَمِنْهُ التَّامُّ الْمُنْتَهَی تَمَامُهُ وَ مِنْهُ النَّاقِصُ الْمُنْتَهَی نُقْصَانُهُ وَ مِنْهُ الزَّائِدُ الرَّاجِحُ زِيَادَتُهُ قُلْتُ وَ إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَتِمُّ وَ يَزِيدُ وَ يَنْقُصُ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَ

الحديث السادس

: صحيح و مضمونه قريب من الحديث الثالث.
" أ ليس هذا عمل" كذا فى النسخ بالرفع و لعله من تصحيف النساخ و يحتمل أن يكون اسم ليس ضمير الشأن و يكون مبنيا على لغة بنى تميم حيث ذهبوا إلى أن ليس إذا انتقض نفيه يحمل على ما فى الإهمال، و النفى هنا منتقض بالاستفهام الإنكارى.
قوله عليه السلام: لا يثبت له الإيمان، الضمير راجع إلى المؤمن المدلول عليه بالإيمان.

: ضعيف على المشهور.
و هو جزء من الحديث الأول بتغييرات مخلة.
منها، قوله: بالله الذى هو، فإن الصحيح بالله الذى لا إله إلا هو و قوله

كَيْفَ ذَلِکَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ بَنِي آدَمَ وَ قَسَّمَهُ عَلَيْهَا وَ فَرَّقَهُ عَلَيْهَا فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِمْ جَارِحَةٌ إِلَّا وَ هِيَ مُوَكَّلَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا فَمِنْهَا قَلْبُهُ الَّذِي بِهِ يَعْقِلُ وَ يَفْقَهُ وَ يَفْهَمُ وَ هُوَ أَمِيرُ بَدَنِهِ الَّذِي لَا تُورَدُ الْجَوَارِحُ وَ لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَ أَمْرِهِ وَ مِنْهَا يَدَاهُ اللَّتَانِ يَبْطِشُ بِهِمَا وَ رِجْلَاهُ اللَّتَانِ يَمْشِي بِهِمَا وَ فَرْجُهُ الَّذِي الْبَاهُ مِنْ قِبَلِهِ وَ لِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ الْكِتَابُ

بينه، الأصح بين، و قوله: المنتهى نقصانه، كان البين نقصانه أصح، و قوله: لا تورد على بناء المجهول و الأصح لا ترد كما فى بعض النسخ هنا أيضا.
قوله: ينطق به الكتاب يظهر مما مر أنه سقط هنا نحو من سطرين، من ينطق به إلى ينطق به، و يمكن أن يتكلف فى تصحيح ما فى النسخ بأن يقال من عمل اللسان أن ما يكتب فى الكتب يصير متلفظا به، فكان الكتاب ينطق بسبب اللسان كما قال تعالى:" هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ" و" يشهد" على بناء المفعول" به" أى بالكتاب" عليها" أى على اللسان بتأويل الجارحة، و فى المصباح قال الفراء:
لم أسمع اللسان من العرب إلا مذكرا، و قال أبو عمرو بن العلاء: اللسان يذكر و يؤنث، انتهى.
و قد صرح فى المغرب أيضا بأنه يذكر و يؤنث، أو المراد باللسان عند إرجاع الضمير الكلمات الصادرة عنه، فلذا أنت قال الجوهرى: اللسان جارحة الكلام و قد يكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ، انتهى.
ففيه استخدام، و يحتمل أن يكون المراد بالكتاب أولا كتاب الأعمال، و يمكن إرجاع ضمير به إلى اللسان و ضمير عليها إلى الجوارح، أى تؤاخذ الجوارح بما يشهد اللسان عليها.
كل ذلک خطر بالبال و إن كان كل منها لا يخلو من بعد، و قيل: الظاهر

وَ يَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهَا وَ عَيْنَاهُ اللَّتَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَ أُذُنَاهُ اللَّتَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَ فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ وَ فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ وَ فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ وَ فَرَضَ عَلَى الرِّجْلَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ وَ فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْوَجْهِ فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ وَ الْمَعْرِفَةُ وَ التَّصْدِيقُ وَ التَّسْلِيمُ وَ الْعَقْدُ وَ الرِّضَا بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَحَداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً وَ أَنَّ مُحَمَّداً ص عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ

8 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصِ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ وَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ

أن المراد بالكتاب القرآن و الضمير فى" يشهد" راجع إليه و فى" به" إلى النطق أو إلى اللسان بحذف مضاف أى بأقواله، و فى" عليها" إلى اللسان و نطق القرآن بأقوال اللسان خيرا و شرا و شهادته عليها كثير، و يحتمل أن يراد بالكتاب كتاب الإيمان و صحيفتها و شهادته عليها يوم القيامة ظاهرة، و ربما يقرأ الكتاب بضم الكاف و تشديد التاء بأن يراد به الحفظة للأعمال.

: مجهول.
و مفعول يقول قوله: سبحان الله إلى آخر الكلام، و إعادة" فقال" للتأكيد لطول الفصل، و قد مر أن المرجئة قوم يقولون أنه لا يضر مع الأيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، و يظهر من هذا الخبر أنهم كانوا يقولون بأن الإيمان هو الإقرار الظاهرى و لا يشترط فيه الاعتقاد القلبى، و كذا الكفر لكنه غير مشهور عنهم، قال فى المواقف و شرحه: من كبار الفرق الإسلامية المرجئة لقبوا به لأنهم يرجئون العمل عن النية أى يؤخرونه، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الأيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يعطون الرجاء و على هذا ينبغى أن لا يهمز لفظ المرجئة و فرقهم خمس: اليونسية أصحاب يونس النميرى،

الْمُرْجِئَةِ فِی الْکُفْرِ وَ الْإِیمَانِ وَ قَالَ إِنَّهُمْ یَحْتَجُّونَ عَلَیْنَا وَ یَقُولُونَ کَمَا أَنَّ الْکَافِرَ

قالوا: الإیمان هو المعرفة بالله و الخضوع له و المحبة بالقلب، فمن اجتمعت فیه هذه الصفات فهو مؤمن و لا یضر معها ترک الطاعات و ارتکاب المعاصی، و لا یعاقب علیها، و العبیدیة أصحاب عبید المکذب زادوا علی الیونسیة أن علم الله لم یزل شیئا غیره، و أنه تعالی علی صورة الإنسان، و الغسانیة أصحاب غسان الکوفی قالوا: الإیمان هو المعرفة بالله و رسوله و بما جاء من عندهما إجمالا لا تفصیلا و هو یزید و لا ینقص، و غسان کان یحکیه عن أبی حنیفة و هو افتراء علیه، فإنه لما قال الإیمان هو التصدیق و لا یزید و لا ینقص ظن به الإرجاء بتأخیر العمل عن الإیمان، و الثوبانیة أصحاب الثوبان المرجئی قالوا: الإیمان هو المعرفة و الإقرار بالله و رسوله و بکل ما لا یجوز فی العقل أن یعقله، و أما ما جاز فی العقل أن یعقله فلیس الاعتقاد به من الإیمان و أخروا العمل کله من الإیمان، و الثومنیة أصحاب أبی معاذ الثومنی قالوا: الإیمان هو المعرفة و التصدیق و المحبة و الإخلاص و الإقرار بما جاء به الرسول و ترک کله أو بعضه کفر، و لیس بعضه إیمانا و لا بعض إیمان، و کل معصیة لم یجمع علی أنه کفر فصاحبه یقال: إنه فسق و عصی و إنه فاسق، و من ترک الصلاة مستحلا کفر لتکذیبه لما جاء به النبی صلی الله علیه و آله و سلم و من ترکها بنیة القضاء لم یکفر، و قالوا السجود للصنم لیس کفرا بل هو علامة الکفر، فهذه هی المرجئة الخالصة، و منهم من جمع إلی الإرجاء القدر، انتهی.

قوله: کما أن الکافر، کأنه قاس الإیمان بالکفر فإن من أنکر ضروریا من ضروریات الدین ظاهرا من غیر تقیة فهو کافر و إن لم یعتقد ذلک، فإذا أقر بما جاء به النبی صلی الله علیه و آله و سلم یجب أن یکون مؤمنا غیر معذب و إن لم یعتقد بقلبه شیئا من ذلک، و لم یضم إلیه أفعال الجوارح من الطاعات و ترک المعاصی فأجاب علیه السلام بأنه مع بطلان القیاس لا سیما فی المسائل الأصولیة فهو قیاس مع الفارق، ثم شبه علیه السلام الأمرین بالإقرار و الإنکار لیظهر الفرق، فإن إنکار الضروری مستلزم لترک جزء من أجزاء الإیمان و هو الإقرار الظاهری فهو بمنزلة إقرار الإنسان علی نفسه، فإنه لا یکلف

عِنْدَنَا هُوَ الْكَافِرُ عِنْدَ اللَّهِ فَكَذَلِکَ نَجِدُ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَقَرَّ بِإِيمَانِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ فَقَالَ- سُبْحَانَ اللَّهِ وَ كَيْفَ يَسْتَوِي هَذَانِ وَ الْكُفْرُ إِقْرَارٌ مِنَ الْعَبْدِ فَلَا يُكَلَّفُ بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِبَيِّنَةٍ وَ الْإِيمَانُ دَعْوَى لَا تَجُوزُ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ وَ بَيِّنَتُهُ عَمَلُهُ وَ نِيَّتُهُ فَإِذَا اتَّفَقَا فَالْعَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ وَ الْكُفْرُ مَوْجُودٌ بِكُلِّ جِهَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ نِيَّةٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَ الْأَحْكَامُ تَجْرِي عَلَى الْقَوْلِ وَ الْعَمَلِ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَشْهَدُ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْإِيمَانِ وَ يَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُؤْمِنِينَ وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ كَافِرٌ وَ قَدْ أَصَابَ مَنْ أَجْرَى عَلَيْهِ أَحْكَامَ

بينة على إقراره بل يحكم بمحض الإقرار عليه و إن شهدت البينة على خلافه، بخلاف إظهار الإيمان و التكلم به، فإنه و إن أتى بجزء من الإيمان و هو الإقرار الظاهرى لكن عمدة أجزائه التصديق القلبى و هو مع ذلک مدع لا بد له من شاهد من عمل الجوارح عند الناس و من النية و التصديق عند الله، فإذا اتفق الشاهدان و هما التصديق و العمل ثبت إيمانه عند الله، و لما كان التصديق القلبى أمرا لا يطلع عليه غير الله لم يكلف الناس فى الحكم بإيمانه إلا بالإقرار الظاهرى و العمل فإنهما شاهدان عدلان يحكم بهما ظاهرا و إن كانا كاذبين عند الله. و الحاصل أنه عليه السلام شبه الإقرار الظاهرى بالدعوى فى سائر الدعاوى، و كما أن الدعوى فى سائر الدعاوى لا تقبل إلا ببينة فكذا جعل الله تعالى هذه الدعوى غير مقبولة إلا بشاهدين من قلبه و جوارحه فلا يثبت عنده إلا بهما، و أما عند الناس فيكفيهم فى الحكم الإقرار و العمل الظاهرى كما يكتفى عند الضرورة بالشاهد و اليمين، فالإيمان مركب من ثلاثة أجزاء و لا يثبت الإيمان الواقعى إلا بتحقق الجميع فهو من هذه الجهة يشبه سائر الدعاوى للزوم ثلاثة أشياء فى تحققها الدعوى و الشاهدين.

و يمكن أن يكون الأصل فى الإيمان الأمر القلبى و لما لم يكن ظهوره للناس إلا بالإقرار و العمل، فجعلهما الله من أجزاء الإيمان أو من شرائطه و لوازمه.

" و قد أصاب" أى حكم بالحق و الصواب.

الْمُؤْمِنِينَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ وَ عَمَلِهِ

ثم اعلم أن أكثر المتكلمين من الخاصة و العامة اختلفوا فى أن الإيمان هل يقبل الزيادة و النقصان كما يدل عليه بعض أخبار هذا الباب أم لا و منهم من جعل هذا الخلاف فرع الخلاف فى أن الأعمال داخلة فيه أم لا، قال إمامهم الرازى فى المحصل: الإيمان عندنا لا يزيد و لا ينقص لأنه لما كان اسما لتصديق الرسول فى كل ما علم بالضرورة مجيئه به، و هذا لا يقبل التفاوت فسمى الإيمان لا يقبل الزيادة و النقصان، و عند المعتزلة لما كان اسما لأداء العبادات كان قابلا لهما، و عند السلف لما كان اسما للإقرار و الاعتقاد و العمل فكذلک، و البحث لغوى و لكل واحد من الفرق نصوص، و التوفيق أن يقال: الأعمال من ثمرات التصديق، فما دل على أن الإيمان لا يقبل الزيادة و النقصان كان مصروفا إلى أصل الإيمان، و ما دل على كونه قابلا لهما فهو مصروف إلى الإيمان الكامل، انتهى.

و قال الشهيد الثانى قدس سره فى رسالة العقائد: حقيقة الإيمان بعد الاتصاف بها بحيث يكون المتصف بها مؤمنا عند الله تعالى هل تقبل الزيادة أم لا، فقيل بالثانى لما تقدم من أنه التصديق القلبى الذى بلغ الجزم و الثبات، فلا تتصور فيه الزيادة عن ذلک، سواء أتى بالطاعات و ترک المعاصى أم لا، و كذا لا تعرض له النقيصة و إلا لما كان ثابتا و قد فرضناه كذلک هذا خلف و أيضا حقيقة الشىء لو قبلت الزيادة و النقصان لكانت حقائق متعددة، و قد فرضناها واحدة، هذا خلف، و إن قلت: حقيقة الإيمان من الأمور الاعتبارية للشارع و حينئذ فيجوز أن يعتبر الشارع للإيمان حقائق متعددة متفاوتة زيادة و نقصانا بحسب مراتب المكلفين فى قوة الإدراک و ضعفه، فإنا نقطع بتفاوت المكلفين فى العلم و الإدراک؟ قلت: لو جاز ذلک و كان واقعا لوجب على الشارع بيان حقيقة إيمان كل فرقة يتفاوتون فى قوة الإدراک، مع أنه لم يبين ما ورد من جهة الشارع فيما به يتحقق الإيمان من حديث جبرئيل للنبى صلى الله عليه و آله و سلم و غيره من الأحاديث قد مر ذكره، و ليس فيه شىء يدل على تعدد الحقائق بحسب

تفاوت قوى المكلفين.
و أما ما ورد فى الكتاب العزيز و السنة المطهرة مما يشعر بقبوله الزيادة و النقصان كقوله تعالى:" وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً" و قوله تعالى: " لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ" و قوله تعالى:" لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" و كذا ما ورد من أمثال ذلک فى القرآن العزيز فمحمول على زيادة الكمال و هو أمر خارج عن أصل الحقيقة الذى هو محل النزاع، و الآية الثانية صريحة فى ذلک فإن قوله تعالى:" مَعَ إِيمانِهِمْ" يدل على أن أصل الإيمان ثابت، أو على من كان فى عصر النبى حيث كانوا يسمعون فرضا بعد فرض منه عليه السلام فيزداد إيمانهم به لأنهم لم يكونوا مصدقين به قبل أن يسمعوه.
و حاصله أن الحقيقة الشرعية للإيمان لم تكن حصلت بتمامها فى ذلک الوقت، فكان كلما حصل منها شىء صدقوا به، و اعترض بأن من كان بعد عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم يمكن فى حقه تجدد الاطلاع على تفاصيل الفرائض المتوقف عليها الإيمان فإنه يجب الاعتقاد إجمالا فيما عليم إجمالا و تفصيلا فيما علم تفصيلا، و لا ريب أن اعتقاد الأمور المتعددة تفصيلا أزيد و أظهر عند النفس من اعتقادها إجمالا فعلم من ذلک قبول حقيقة الإيمان الزيادة.
أقول: فيه بحث فإن الجازم بحقيقة الجملة جازم بحقيقة كل جزء منها و إن لم يعلمه بعينه، أ لا ترى أنا بعد علمنا بصدق النبى صلى الله عليه و آله و سلم جازمون بصدق كل ما يخبر به و إن لم نعلم تفصيل ذلک جزءا جزءا، حتى لو فصل ذلک علينا واحدا واحدا لما ازداد

ذلک الجزم، نعم الزائد فی التفصیل إنما هو إدراک الصور المتعددة من حیث التعدد و التشخص و هو لا یوجب زیادة فی التصدیق الإجمالی الجازم، فإن هذه الصور قد کانت مجزوما بها علی تقدیر دخولها فی الهیئة الإجمالیة، و إنما الشاذ عن النفس إدراک خصوصیاتها و هو أمر خارج عن تحقق الحقیقة المجزوم بها، نعم لا ریب فی حصول الأکملیة به و لیس الکلام فیها.

و قد أجاب بعض المفسرین عن الآیة الثالثة بأن تکرار الإیمان فیها لیس فیه دلالة علی الزیادة، بل إما أن یکون باعتبار الأزمنة الثلاثة أو باعتبار الأحوال الثلاث، حال المؤمن مع نفسه، و حاله مع الناس، و حاله مع الله تعالی، و لذا بدل الإیمان بالإحسان کما یرشد إلیه قوله صلی الله علیه و آله و سلم فی تفسیر الإحسان: أن تعبد الله کأنک تراه فإن لم تکن تراه فإنه یراک، أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ و الوسط و المنتهی، أو باعتبار ما ینبغی فإنه ینبغی ترک المحرمات حذرا عن العقاب، و ترک الشبهات تباعدا عن الوقوع فی المحرمات و هو مرتبة الورع، و ترک بعض المباحات المؤذنة بالنقص حفظا للنفس عن الخسة، و تهذیبا لها عن دنس الطبیعة، أو یکون هذا التکرار کنایة عن أنه ینبغی للمؤمن أن یجدد الإیمان فی کل وقت بقلبه و لسانه و أعماله الصالحة، و عبر عنه علی بقائه و الثبات علیه عند الذهول لیصیر الإیمان ملکة للنفس فلا یزلزله عروض شبهة، انتهی.

قیل: فی بیان قبول الإیمان الزیادة أن الثبات و الدوام علی الإیمان أمر زائد علیه فی کل وقت و زمان، و حاصل ذلک یرجع إلی أن الإیمان عرض لأنه من الکیفیات النفسانیة و العرض لا یبقی زمانین بل بقاؤه إنما یکون بتجدد الأمثال.

أقول: و هذا مع بنائه علی ما لم یثبت حقیته بل نفیه فلیس من الزیادة فی شیء، إذ لا یقال للمماثل الحاصل بعد انعدام مثله أنه زائد و هذا ظاهر، و قیل فی

توجيه قبوله الزيادة: أنه بمعنى زيادة ثمرته من الطاعات و إشراق نوره و ضيائه فى القلب و أنه يزيد بالطاعات و ينقص بالمعاصى.
أقول: هذا التوجيه وجيه لو كان النزاع فى مطلق الزيادة لكنه ليس كذلک بل النزاع إنما هو فى أصل حقيقته لا فى كمالها.
و استدل بعض المحققين على أن حقيقة التصديق الجازم الثابت تقبل الزيادة و النقصان بأنا نقطع أن تصديقنا ليس كتصديق النبى صلى الله عليه و آله و سلم.
أقول: لا ريب فى أنا قاطعون بأن تصديق النبى صلى الله عليه و آله و سلم أقوى من تصديقنا و أكمل، لكن هذا لا يدل على اختلاف أصل حقيقة الإيمان التى قدرها الشارع باعتقاد أمور مخصوصة على وجه الجزم و الثبات، فإن تلک الحقيقة إنما هى من اعتبارات الشارع، و لم يعهد من الشارع اختلاف حقيقة الإيمان باختلاف المكلفين فى قوة الإدراک، بحيث يحكم بكفر قوى الإدراک لو كان جزمه بالمعارف الإلهية كجزم من هو أضعف إدراكا منه، نعم الذى تفاوت فيه المكلفون إنما هو مراتب كماله بعد تحقق أصل حقيقته التى يخاطب بتحصيلها كل مكلف و يعتبر بها مؤمنا عند الله تعالى و تستحق الثواب الدائم و بدونها العقاب الدائم، و أما تلک الكمالات الزائدة فإنما تكون باعتبار قرب المكلف إلى الله تعالى بسبب استشعاره لعظمة الله و كبريائه و شمول قدرته و علمه، و ذلک لإشراق نفسه و اطلاعها على ما فى مصنوعات الله تعالى من الأحكام و الإتقان و الحكم و المصالح، فإن النفس إذا لاحظت هذه البدائع الغريبة العظيمة التى تحار فى تعقلها مع علمها بأنها تشترک فى الإمكان و الافتقار إلى صانع يبدعها و يبديها متوحد فى ذاته بذاته انكشف عليها كبرياء ذلک الصانع و عظمته و جلاله و إحاطته بكل شىء، فيكثر خوفها و خشيتها و احترامها لذلک الصانع حتى كأنها لا تشاهد سواه و لا تخشى غيره، فتنقطع عن غيره إليه و تسلم أزمة أمورها إليه حيث علمت أن لا رب غيره و أن المبدأ منه و المعاد إليه، فلا تزال شاخصة منتظرة

لأمره حتى تأتيها فتفر إليه من ضيق الجهالة إلى سعة معرفته و رحمته و لطفه، و فى ذلک فليتنافس المتنافسون.
و كذا ما ورد من السنة المطهرة مما يشعر بقبوله الزيادة و النقصان يمكن حمله على ما ذكرناه كحديث الجوارح، ذكره فى الكافى بإسناده عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت: صفه لى يعنى الإيمان جعلت فداک حتى أفهمه، فقال: الإيمان حالات و درجات، إلى قوله: و بالنقصان دخل المفرطون النار، انتهى.
ثم قال (ره): اعلم أن سند هذا الحديث ضعيف لأن فى طريقه بكر بن صالح الرازى و هو ضعيف جدا كثير التفرد بالغرائب، و أبو عمرو الزبيرى و هو مجهول فسقط الاستدلال به، و لو سلم سنده فلا دلالة فيه على اختلاف نفس حقيقة الإيمان التى يترتب عليها النجاة، و جعل الناقص عنها يترتب عليه دخول النار، فلم يكن إيمانا و إلا لم يدخل صاحبه النار بقوله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ.
و جعل الزيادة فى الإيمان مما يوجب التفاضل فى الدرجات، و لا ريب أن هذه الزيادة لو ترک و اقتصر المكلف على ما يحصل به التمام لم يعاقب على ترک هذه الزيادة، و لأنه عليه السلام جعل التمام موجبا للجنة فكيف يوجب العقاب ترک الزيادة مع أن ما دونه و هو التمام يوجب الجنة، و على هذا فتكون الزيادة غير مكلف بها فلم تكن داخلة فى أصل حقيقة الإيمان لأنه مكلف به بالنص و الإجماع، فيكون من الكمال، فظهر بذلک كون الحديث دليلا على عدم قبول حقيقة الإيمان للزيادة و النقصان، لا دليلا على قبولهما، و هذا استخراج لم نسبق إليه، و بيان لم يعثره غيرنا عليه.
على أن هذا الحديث لو قطعنا النظر عما ذكرنا و حملناه على ظاهره لكان

معارضا بما سبق من حديث جبرئيل للنبى صلى الله عليه و آله و سلم حيث سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله و رسله و اليوم الآخر، أى تصدق بذلک، و لو بقى من حقيقته شىء سوى ما ذكره له لبينه له، فدل على أن حقيقته تتم بما أجابه بالقياس إلى كل مكلف أما للنبى صلى الله عليه و آله و سلم فلأنه المجاب به حين سأله، و أما لغيره فللتأسى به و طريق الجمع بينهما حينئذ حمل ما فى حديث الجوارح من الزيادة عن ذلک على مرتبة الكمال بيناه سابقا.

و هيهنا بحث و هو أن حقيقة الإيمان لما كانت من الأمور الاعتبارية للشارع كان تحديدها إنما هو بجعل الشارع و تقريره لها، فلا يعلم حينئذ مقداره و حقيقته إلا منه، و حيث رأينا ما وصل إلينا من خطاباته تعالى غير قاطع فى الدلالة على تعيين قدر مخصوص من أنواع الاعتقاد و الأعمال بحيث تشترک الكل فى التكليف به من غير تفاوت بين قوى الإدراک و ضعيفة، بل رأيناها متفاوتة فى الدلالة على ذلک يعلم ذلک من تتبع آيات الكتاب العزيز و السنة المطهرة و قد سبق نبذة من ذلک و لا يجوز الاختلاف فى خطاباته، و لا أن يكلف عباده بأمر لا يبين لهم مراده تعالى منه، لاستحالة تكليف ما لا يطاق و إخلاله باللطف و رأينا الأكثر ورودا فى كتابه بذلک الأمر بالاعتقاد القلبى من غير تعيين مقدار مخصوص منه بقاطع يوقفنا على اعتباره أمكن حينئذ أن يكون مراده منه مطلق الاعتقاد العلمى سواء كان علم الطمأنينة أو علم اليقين أو حق اليقين أو عين اليقين فتكون حقيقة واحدة و هو الإذعان القلبى و الاعتقاد العلمى، و التفاوت بالزيادة و النقصان إنما هو فى أفراد تلک الحقيقة و من مشخصاتها فلا يكون داخلا فى الحقيقة المذكورة، و ما ورد مما ظاهره الاختلاف فى الدلالة على مراد الشارع منه يمكن تنزيله على تفاوت الأفراد المذكورة كعلم الطمأنينة و علم اليقين و غيرهما فيكون كل واحد منها مرادا و كافيا فى امتثال أمر الشارع.

و هذا هو المناسب لسهولة التكليف و اختلاف طبقات المكلفين فى الإدراک كما

لا يخفى، و بذلک يسهل الخطب فى الحكم بإيمان أكثر العوالم الذين لا يتيسر لأنفسهم الاتصاف بالعلم الذى لا يقبل تشكيک المشكک، فإن علم الطمأنينة متيسر لكل واحد، و على هذا فيكون ما تشعر النفس به من الازدياد فى التصديق و الاطمئنان عند ما تشاهده من برهان أو عيان، إنما هو انتقال فى أفراد تلک الحقيقة و تبدل واحد بآخر، و الحقيقة واحدة.

لا يقال: أفراد الحقيقة الواحدة لا تنافى الاجتماع فى القوة العاقلة فإن أفراد الحيوان و الإنسان يصلح اجتماعها فى القوة العاقلة و ما نحن فيه ليس كذلک، إذ لا يمكن اتصاف الحصول بنفس علم الطمأنينة و علم اليقين فى حالة واحدة لتضادهما و بهذا يزول الأول بحصول الثانى فلا يكون ما ذكرت أفراد حقيقة واحدة بل حقائق.

قلت: لا نسلم أن أفراد كل حقيقة يصح اجتماعها فى الحصول عند القوة العاقلة، بل قد لا يصح ذلک لما بينها من التضاد كما فى البياض و السواد فإنها فردان لحقيقة واحدة هى اللون مع عدم صحة اجتماعهما فى محل واحد لا خارجا و لا ذهنا. بقى هيهنا شىء و هو أنه لا ريب فى تحقق الإيمان الشرعى بالتصديق الجازم الثابت و إن أخل المتصف به ببعض الطاعات، و قارف بعض المنهيات عند من يكتفى فى حصول الإيمان بإذعان الجنان، و إذا كان الأمر كذلک فلا معنى للنزاع عند هؤلاء فى أن حقيقة الإيمان هل تقبل الزيادة و النقصان، إذ لو قبلت شيئا منهما لم تكن واحدة بل متعددة، لأن القابل غير المقبول، و العارض غير المعروض فإن دخل الزائد فى مفهوم الحقيقة بحيث صار ذاتيا لها تعددت و تبدلت، و كذا الناقص إذا خرج عنها فلا تكون واحدة، و قد فرضناها كذلک، هذا خلف، و إن لم يدخل و لم يخرج شىء منهما كانت واحدة من غير نقصان و زيادة فيها بل هما راجعان إلى الكمال و عدمه

و حينئذ فيبقى محل النزاع هل يقبل كما لها الزيادة و النقصان، و أنت خبير بأن هذا مما لا يختلف فى صحته اثنان، و قد ذكر بعض العلماء أن هذا النزاع إنما يتمشى على قول من جعل الطاعات من الإيمان.
و أقول: الذى يقتضيه النظر أنه لا يتمشى على قولهم أيضا، و ذلک أن ما اعتبروه فى الإيمان من الطاعات إما أن يريدوا به توقف حصول الإيمان على جميع ما اعتبروه أو عليه فى الجملة، و على الأول يلزم كون حقيقته واحدة، فإذا ترک فرضا من تلک الطاعات يخرج من الإيمان و على الثانى يلزم كون ما يتحقق به الإيمان من تلک الطاعات داخلا فى حقيقته و ما زاد عليه خارجا فتكون واحدة على التقديرين، فليس الزيادة و النقصان إلا فى الكمال على جميع الأقوال، انتهى كلامه رفع الله مقامه.
و قال شارح المقاصد: ظاهر الكتاب و السنة و هو مذهب الأشاعرة و المعتزلة و المحكى عن الشافعى و كثير من العلماء أن الإيمان يزيد و ينقص، و عند أبى حنيفة و أصحابه و كثير من العلماء و هو اختيار إمام الحرمين أنه لا يزيد و لا ينقص لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم و الإذعان و لا يتصور فيه الزيادة و النقصان، و المصدق إذا ضم الطاعات إليه أو ارتكب المعاصى فتصديقه بحاله لم يتغير أصلا و إنما يتفاوت إذا كان اسما للطاعات المتفاوتة قلة و كثرة، و لهذا قال الإمام الرازى و غيره: إن هذا الخلاف فرع تفسير الأيمان، فإن قلنا: هو التصديق فلا يتفاوت، و إن قلنا هو الأعمال فمتفاوت.
و قال إمام الحرمين: إذا حملنا الإيمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقا كما لا يفضل علم علما و من حمله على الطاعة سرا و علنا و قد مال إليه القلانسى فلا يبعد إطلاق القول بأنه يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية و نحن لا نؤثر هذا، ثم قال: و لقائل أن يقول: لا نسلم أن التصديق لا يتفاوت بل يتفاوت قوة و ضعفا كما فى التصديق

بطلوع الشمس و التصديق بحدوث العالم لأنه إما نفس الاعتقاد القابل للتفاوت أو مبنى عليه قلة و كثرة كما فى التصديق الإجمالى و التفصيلى الملاحظ لبعض التفاصيل و أكثر، فإن ذلک من الإيمان لكونه تصديقا بما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم إجمالا فيما علم إجمالا، و تفصيلا فيما علم تفصيلا.

لا يقال: الواجب تصديق يبلغ حد اليقين و هو لا يتفاوت، لأن التفاوت لا يتصور إلا باحتمال النقيض.

لأنا نقول: اليقين من باب العلم و المعرفة، و قد سبق أنه غير التصديق، و لو سلم أنه التصديق و أن المراد به ما يبلغ حد الإذعان و القبول و يصدق عليه المعنى المسمى بگرويدن ليكون تصديقا قطعا فلا نسلم أنه لا يقبل التفاوت، بل لليقين مراتب من أجلى البديهيات إلى أخفى النظريات، و كون التفاوت راجعا إلى مجرد الجلاء و الخفاء غير مسلم بل عند الحصول و زوال التردد التفاوت بحاله، و كفاک قول الخليل:" وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى" و عن على عليه السلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

على أن القول بأن المعتبر فى حق الكل هو اليقين و أن ليس للظن الغالب الذى لا يخطر معه النقيض بالبال حكم اليقين محل نظر.

احتج القائلون بالزيادة و النقصان بالعقل و النقل أما العقل فلأنه لو لم يتفاوت لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمک فى الفسق مساويا لتصديق الأنبياء و اللازم باطل قطعا و أما النقل فلكثرة النصوص الواردة فى هذا المعنى، قال الله:" وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً"" لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ"" وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً"" وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً"" فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً" و عن

ابن عمر قلنا: يا رسول الله إن الإيمان يزيد و ينقص؟ قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة و ينقص حتى يدخل صاحبه النار.
و أجيب بوجوه: الأول: أن المراد الزيادة بحسب الدوام و الثبات و كثرة الأزمان و الساعات و هذا ما قال إمام الحرمين: النبى صلى الله عليه و آله و سلم يفضل من عداه باستمرار تصديقه و عصمة الله إياه من مخامرة الشكوک، و التصديق عرض لا يبقى، فيقع للنبى متواليا و لغيره على الفترات، فثبت للنبى صلى الله عليه و آله و سلم أعداد من الإيمان لا يثبت لغيره إلا بعضها، فيكون إيمانه أكثر، و الزيادة بهذا المعنى مما لا نزاع فيه.
و ما يقال: من أن حصول المثل بعد انعدام الشىء لا يكون زيادة، مدفوع بأن المراد زيادة إعداد حصلت و عدم البقاء لا ينافى ذلک.
الثانى: أن المراد الزيادة بحسب زيادة المؤمن به، و الصحابة كانوا آمنوا فى الجملة و كان يأتى فرض بعد فرض، و كانوا يؤمنون بكل فرض خاص، و حاصله أن الإيمان واجب إجمالا فيما علم إجمالا و تفصيلا فيما علم تفصيلا، و الناس متفاوتون فى ملاحظة التفاصيل كثرة و قلة، فيتفاوت إيمانهم زيادة و نقصانا و لا يختص ذلک بعصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم على ما يتوهم.
الثالث: أن المراد زيادة ثمرته و إشراق نوره فى القلب فإنه يزيد بالطاعات و ينقص بالمعاصى، و هذا مما لا خفاء فيه، و هذه الوجوه جيدة فى التأويل لو ثبت لهم أن التصديق فى نفسه لا يقبل التفاوت و الكلام فيه، انتهى.
و الحق أن الإيمان يقبل الزيادة و النقصان، سواء كانت الأعمال أجزاءه أو شرائطه أو آثاره الدالة عليه، فإن التصديق القلبى بأى معنى فسر لا ريب أنه يزيد، و كلما ازدادت آثاره على الأعضاء و الجوارح فهى كثرة و قلة تدل على مراتب الإيمان زيادة و نقصانا، و كل منهما يتفرع على الآخر، فإن كل مرتبة من مراتب الإيمان يصير سببا لقدر من الأعمال يناسبها، فإذا أتى بها قوى الإيمان

بَابُ السَّبْقِ إِلَى الْإِيمَانِ

1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ بُرَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الزُّبَيْرِيُّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنَّ لِلْإِيمَانِ دَرَجَاتٍ وَ مَنَازِلَ يَتَفَاضَلُ الْمُؤْمِنُونَ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ صِفْهُ لِی رَحِمَکَ اللَّهُ حَتَّى أَفْهَمَهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ سَبَّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا يُسَبَّقُ بَيْنَ الْخَيْلِ يَوْمَ الرِّهَانِ ثُمَّ فَضَّلَهُمْ

القلبی، و حصلت مرتبة أعلی تقتضی عملا أکثر، و هکذا و سیأتی مزید تأیید لذلک فی الأخبار إنشاء الله تعالی.

باب السبق إلى الإيمان

الحديث الأول

: ضعيف، و تتمة من الحديث الكبير المذكور فى الباب السابق.
" درجات" أى ذو درجات أو نفسه باعتبار إضافة الدرجات و قيل: الدرجات مراتب الترقيات، و المنازل مراتب التنزلات، و يحتمل أن يكون المقصود منهما واحدا أطلق عليهما اللفظان باعتبارين" إن الله سبق" على بناء التفعيل المعلوم، و يسبق على بناء التفعيل المجهول، أى قرر السبق و قدره بينهم فى الإيمان، و ندبهم إليه كما يسابق بين الخيل يوم الرهان، و الخيل جماعة الأفراس لا واحد له، و قيل:
واحده خائل لأنه يختال و جمعه أخيال و خيول، و يطلق الخيل على الفرسان، أيضا و المراهنة و الرهان بالكسر المسابقة على الخيل، و كأنه عليه السلام سبه مدة الحياة بالمضمار و الأرواح بالفرسان، و الأبدان بالخيول، و العلم الذى يسبق إليه منتهى مراتب الإيمان، و السبق الذى يراهن عليه الجنة، فمنهم من سبق الكل و بلغ الغاية و هو رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و منهم من تأخر عن الكل، و منهم من

عَلَى دَرَجَاتِهِمْ فِی السَّبْقِ إِلَیْهِ فَجَعَلَ کُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى دَرَجَةِ سَبْقِهِ لَا یَنْقُصُهُ فِیهَا مِنْ حَقِّهِ وَ لَا یَتَقَدَّمُ مَسْبُوقٌ سَابِقاً- وَ لَا مَفْضُولٌ فَاضِلًا تَفَاضَلَ بِذَلِکَ أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ أَوَاخِرُهَا وَ لَوْ لَمْ یَکُنْ لِلسَّابِقِ إِلَى الْإِیمَانِ فَضْلٌ عَلَى الْمَسْبُوقِ إِذاً لَلَحِقَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا نَعَمْ وَ لَتَقَدَّمُوهُمْ إِذَا لَمْ یَکُنْ لِمَنْ سَبَقَ إِلَى الْإِیمَانِ الْفَضْلُ عَلَى مَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ

بقی فی وسط المیدان و منازلهم بحسب العقائد و الأعمال کما و کیفا لا یتناهی.

قوله علیه السلام: فجعل کل امرئ منهم، أی أعطاه ما یستحقه من الکرامة و الأجر و الذکر الجمیل، قیل فی الاقتصار بنفی النقص دون الزیادة إیماء إلی جوازها من باب التفضل و إن لم یستحق.

" و لا یتقدم" أی فی الفضل و الثواب" مسبوق" فی الإیمان" سابقا" فیه و لا مفضول فی الکمالات و الأعمال الصالحة سابقا فیهما" تفاضل" استئناف بیانی" بذلک" أی بالسبق" أوائل هذه الأمة" أی من تقدم إیمانه من الصحابة" أواخرها" منهم أو الأعم من الصحابة و غیرهم أو الصحابة علی التابعین، و التابعین علی غیرهم، و ظاهره السبق الزمانی إشعارا بأن الغاصبین للخلافة و إن فرض منهم تحقق إسلام و عمل صالح فلا یجوز تقدیمهم علی أمیر المؤمنین علیه السلام، و قد کان أولهم إیمانا و أسبقهم مع قطع النظر عن سائر الکمالات و الفضائل التی استحق بها التقدیم.

و یحتمل أن یکون المراد أعم من السبق الزمانی و السبق بحسب الرتبة و کمال الیقین، فالأکثریة بحسب الکمیة لا الکیفیة فإنها تابعة للکمالات النفسانیة و الحقائق الإیمانیة التی هی من الأعمال القلبیة لکنه بعید عن السیاق، و قوله: نعم تأکید لقوله: للحق، و قوله و لتقدموهم عطف علی قوله: نعم، أو علی قوله: للحق، و قوله: إذا لم یکن إعادة للشرط السابق تأکیدا.

أو المعنی أنه لو لم یکن للسبق الزمانی مدخل فی الفضل، للزم أن یجوز لحوق المتأخرین السابقین أو تقدمهم علیهم مع عدم تحقق فضل فی أصل الإیمان و شرائطه

وَ لَكِنْ بِدَرَجَاتِ الْإِيمَانِ قَدَّمَ اللَّهُ السَّابِقِينَ وَ بِالْإِبْطَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ أَخَّرَ اللَّهُ الْمُقَصِّرِينَ لِأَنَّا نَجِدُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْآخِرِينَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ عَمَلًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ أَكْثَرُهُمْ صَلَاةً وَ صَوْماً وَ حَجّاً وَ زَكَاةً وَ جِهَاداً وَ إِنْفَاقاً وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ سَوَابِقُ يَفْضُلُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ

و مكملاته للسابقين على اللاحقين، فاللحوق فى صورة المساواة، و التقدم فى صورة زيادة إيمان اللاحقين على إيمان السابقين، و الحال أنه ليس كذلک فإن لهم بالتقدم الزمانى فضلا عليهم، فالمراد بالفضل ما هو غير السبق الزمانى، و قوله: و لكن إضراب عن قوله: نعم و لتقدموهم" إلخ".
أو المراد بالدرجات ما هو باعتبار السبق الزمانى من الأولين أو من بعضهم مقدمين على الأولين أى مطلقا، لكن ليس كذلک بل ربما كان بعض الأولين باعتبار السبق أفضل من كثير من الآخرين و إن كانوا أقل منهم عملا باعتبار تقدمهم و سبقهم و صعوبة الإيمان فى ذلک الزمان، و بسبب أن لهم مدخلا عظيما فى أيمان الآخرين.
و الحاصل أن المسابقة تكون بحسب الرتبة و الزمان، فمن اجتمعا فيه كأمير المؤمنين صلوات الله عليه فهو الكامل حق الكمال، و السابق على كل حال، و من انتفى عنه الأمران فهو الناقص المستحق للخذلان و الوبال، و أما إذا تعارض الأمران فظاهر الخبر أن السابق زمانا أفضل و أعلى درجة من الآخر، و قال بعض المحققين:
الغرض من هذا الحديث أن يبين أن تفاضل درجات الإيمان بقدر السبق و المبادرة إلى إجابة الدعوة إلى الإيمان.
و هذا يحتمل عدة معان: أحدها: أن يكون المراد بالسبق السبق فى الذر و عند الميثاق كما مر أنه سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأى شىء سبقت ولد آدم؟ قال: إننى أول من أقر بربى إن الله أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم قالوا بلى، فكنت أول من أجاب، و على هذا يكون المراد بأوائل هذه الأمة و أواخرها أوائلها و أواخرها فى الإقرار و الإجابة هناک فالفضل للمتقدم فى قوله بلى، و المبادرة إلى

بَعْضاً عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ الْآخِرُونَ بِكَثْرَةِ الْعَمَلِ مُقَدَّمِينَ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَ لَكِنْ أَبَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يُدْرِكَ آخِرُ دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ أَوَّلَهَا وَ يُقَدَّمَ فِيهَا مَنْ أَخَّرَ اللَّهُ أَوْ يُؤَخَّرَ فِيهَا

ذلک، ثم المتقدم و المبادرة.
و المعنى الثانى أن يكون المراد بالسبق السبق فى الشرف و الرتبة و العلم و الحكمة و زيادة العقل و البصيرة فى الدين، و وفور سهام الإيمان الآتى ذكرها، و لا سيما اليقين كما يستفاد من الأخبار الآتية، و على هذا يكون المراد بأوائل هذه الأمة و أواخرها أوائلها و أواخرها فى مراتب الشرف و العقل و العلم، فالفضل للأعقل و الأعلم و الأجمع للكمالات، و هذا المعنى يرجع إلى المعنى الأول لتلازمهما و وحدة ما لهما و اتحاد محصلهما، و الوجه فى أن الفضل للسابق على هذين المعنيين ظاهر لا مرية فيه، و مما يدل على إرادة هذين المعنيين الذين مرجعهما إلى واحد، قوله عليه السلام: و لو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون إلى قوله: من قدم الله، و لا سيما قوله: أبى الله أن يدرک آخر درجات الإيمان أولها.
و من تأمل فى تتمة الحديث أيضا حق التأمل يظهر له أنه المراد إنشاء الله تعالى.
و المعنى الثالث أن يكون المراد بالسبق الزمانى فى الدنيا عند دعوة النبى صلى الله عليه و آله و سلم إياهم إلى الإيمان، و على هذا يكون المراد بأوائل هذه الأمة و أواخرها فى الإجابة للنبى صلى الله عليه و آله و سلم و قبول الإسلام و التسليم بالقلب و الانقياد للتكاليف الشرعية طوعا، و يعرف الحكم فى سائر الأزمنة بالمقايسة.
و سبب فضل السابق على هذا المعنى أن السبق فى الإجابة للحق دليل على زيادة البصيرة و العقل و الشرف التى هى الفضيلة و الكمال.
و المعنى الرابع أن يراد بالسبق السبق الزمانى عند بلوغ الدعوة فيعم الأزمنة المتأخرة عن زمن النبى صلى الله عليه و آله و سلم.
و هذا المعنى يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون المراد بالأوائل و الأواخر ما ذكرناه أخيرا، و كذا السبب فى الفضل، و الآخر: أن يكون المراد بالأوائل من

ص: 265
مَنْ قَدَّمَ اللَّهُ قُلْتُ أَخْبِرْنِی عَمَّا نَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُؤْمِنِینَ إِلَیْهِ مِنَ الِاسْتِبَاقِ إِلَی الْإِیمَانِ فَقَالَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- سابِقُوا إِلی مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُها کَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ قَالَ السَّابِقُونَ

کان زمن النبی صلی الله علیه و آله و سلم، و بالأواخر من کان بعد ذلک، و یکون سبب فضل الأوائل صعوبة قبول الإسلام و ترک ما نشأوا علیه فی تلک الزمن، و سهولته فیما بعد استقرار الأمر و ظهور الإسلام و انتشاره فی البلاد، مع أن الأوائل سبب لاهتداء الأواخر إذ بهم و بنصرتهم استقر ما استقر و قوی ما قوی و بأن ما استبان و الله المستعان، انتهی.

قوله: أخبرنی عما ندب الله، لما دل کلامه علیه السلام سابقا علی أنه تعالی طلب منهم الاستباق إلی الإیمان سأله الراوی عن الآیات الدالة علیه." سابِقُوا إِلی مَغْفِرَةٍ" کذا فی سورة الحدید، و فی سورة آل عمران:" وَ سارِعُوا إِلی مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ" و کان مقتضی الجمع بین الآیتین أن المراد بالمسارعة المسابقة، أی سارعوا مسابقین إلی سبب مغفرة من ربکم من الإیمان و الأعمال الصالحة" وَ جَنَّةٍ" أی إلی جنة" عَرْضُها کَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ" و فی آل عمران" عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ".

قال المحقق الأردبیلی قدس سره: کنی بالعرض عن مطلق المقدار و هو متعارف، و نقل علی ذلک الإشعار فی مجمع البیان، أو لأنه لما علم أن عرضه الذی هو أقل من الطول عرفا فی غیر المساوی علم أن طوله أیضا یکون إما أکثر أو مثله.

و قال القاضی: ذکر العرض للمبالغة فی وصفها بالسعة علی طریق التمثیل لأنه دون الطول، و عن ابن عباس کسبع سماوات و سبع أرضین لو وصل بعضها ببعض، و ظاهر الآیة وجوب المسارعة أو رجحانها إلی الطاعة الموجبة للدخول فی الجنة و أعظمها الإیمان بالله و کتبه و رسله و الیوم الآخر و الترقی إلی مقاماتها العالیة.

" أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ" ظاهر هذه الآیة و غیرها من الآیات

السَّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ وَ قَالَ وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ

و الروايات أن الجنة مخلوقة الآن و كذا النار و قال به الأصحاب، و صرح به الشيخ المفيد فى بعض رسائله و قال: إن الجنة مخلوقة مسكونة سكنتها الملائكة و ظاهر الآية أنها فى السماء، و الظاهر أن المراد به أنه يكون بعضها فى المساء و يكون البعض الآخر فوقها، أو يكون أبوابها فيها أو فوق الكل، و ما ذكره الحكماء غير مسموع شرعا و هو ظاهر كما قيل أن النار تحت الأرض فتكون الآية دليلا على بطلان ما قالوه، انتهى.

و قال البيضاوى: فيه دلالة على أن الجنة مخلوقة و أنها خارجة عن هذا العالم، و ذهب جماعة من المعتزلة إلى أنهما غير مخلوقتين و أنهما تخلقان يوم القيامة.

" و قال: أى فى الواقعة" وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ" قال البيضاوى: أى الذين سبقوا إلى الإيمان و الطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم و توان، أو سبقوا إلى حيازة الفضائل و الكمالات أو الأنبياء فإنهم مقدموا أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم و عرفت ما لهم كقول أبى النجم:" و شعرى شعرى" أو الذين سبقوا إلى الجنة.

" أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ"" فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ" أى الذين قربت درجاتهم فى الجنة و أعليت مراتبهم.

" و قال" أى فى التوبة" وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ" فى المجمع أى السابقون إلى الإيمان و إلى الطاعات، و إنما مدحهم بالسبق لأن السابق إلى الشىء يتبعه غيره فيكون متبوعا و غيره تابع له، فهو إمام فيه وداع له إلى الخير بسبقه إليه، و كذلک من سبق إلى الشر يكون أسوأ حالا لهذه العلة" مِنَ الْمُهاجِرِينَ" الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، و إلى الحبشة" وَ الْأَنْصارِ" أى و من الأنصار الذين سبقوا

وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ فَبَدَأَ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عَلَى دَرَجَةِ سَبْقِهِمْ ثُمَّ ثَنَّى بِالْأَنْصَارِ ثُمَّ ثَلَّثَ بِالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فَوَضَعَ كُلَّ قَوْمٍ عَلَى قَدْرِ دَرَجَاتِهِمْ وَ مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ ثُمَّ ذَكَرَ مَا فَضَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ- تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ

نظراءهم من أهل المدينة إلى الإسلام، و قرأ يعقوب و الأنصار بالرفع فلم يجعلهم من السابقين، و جعل السبق للمهاجرين خاصة" وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ" أى بأفعال الخير و الدخول فى الإسلام بعدهم و سلوک منهاجهم، و يدخل فى ذلک من بعدهم إلى يوم القيامة" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" قال: و فى هذه الآية دلالة على فضل السابقين و مزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة فى نصرة الدين، فمنها مفارقة العشائر و الأقربين و منها مباينة المألوف من الدين و منها نصرة الإسلام مع قلة العدد و كثرة العدو، و منها السبق إلى الإيمان و الدعاء إليه، انتهى.
و قال بعضهم: السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين و شهدوا بدرا و أسلموا قبل الهجرة، و من الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، و كانوا سبعة نفر، و أهل بيعة العقبة الثانية و كانوا سبعين، و قال بعض المخالفين: كلمة" من" للتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة.
قوله عليه السلام:" ثم ذكر" كلمة ثم للتراخى بحسب المرتبة، إذ سورة البقرة نزلت قبل سورتى التوبة و الحديد" فقال الله عز و جل" أى فى سورة البقرة" تِلْکَ الرُّسُلُ" قيل: إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة أو المعلومة للرسول أو جماعة الرسل و اللام للاستغراق.
" فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ" بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره" مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ" تفصيل له و هو موسى، و قيل موسى و محمد صلى الله عليهما و آله، كلم موسى ليلة

وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَ قَالَ وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ

الحيرة و فى الطور، و محمدا ليلة المعراج، حين كان قاب قوسين أو أدنى و بينهما بون بعيد، و فى المصاحف: و رفع بعضهم درجات، و ليس فيهما فوق بعض، فالزيادة إما من الرواة أو النساخ أو منه عليه السلام زاده للبيان و التفسير، و هذه الزيادة مذكورة فى سورة الزخرف حيث قال:" نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ" فيحتمل أن يكون الزيادة للإشارة إلى الآيتين، قيل: و رفع بعضهم درجات بأن فضله على غيره من وجوه متعددة و بمراتب متباعدة و هو محمد صلى الله عليه و آله و سلم فإنه خص بالدعوة العامة و الحجج المتكاثرة و المعجزات المستمرة و الآيات المترتبة المتعاقبة بتعاقب الدهر و الفضائل العلمية و العملية الفائتة للحصر و الإبهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف، المستغنى عن التعيين، و قيل: إبراهيم خصصه بالخلة التى هى أعلى المراتب، و قيل: إدريس لقوله تعالى:" وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا" و قيل: أولوا العزم من الرسل، و بعد ذلک" وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ".

" و قال" أى فى سورة الأسرى:" وَ لَقَدْ فَضَّلْنا" إلخ.

قال البيضاوى: أى بالفضائل النفسانية و التبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال و الأتباع حتى داود فإن شرفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أوتى من الملک، و قيل: هو إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لقوله:" آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً*" تنبيه على وجه تفضيله و هو أنه خاتم الأنبياء و أمته خير الأمم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من أن الأرض يرثها عبادى الصالحون.

" و قال" أى فى الأسرى أيضا قيل: هو عطف على ثم ذكر، لا على قوله: فقال،

النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَ قَالَ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا وَ قَالَ هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ قَالَ وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ

لعدم اختصاص ما يذكر بعده بالأولياء بل هو فى مطلق المؤمنين" كيف فضلنا" قيل:
أى فى الرزق، و فى المجمع بأن جعلنا بعضهم أغنياء و بعضهم فقراء و بعضهم عبيدا و بعضهم أصحاء و بعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح" وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ" أى درجاتها و مراتبها أعلى و أفضل، فينبغى أن يكون رغبتهم فيها و سعيهم لها أكثر.
" و قال" أى فى آل عمران" هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ" قيل: شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب و العقاب، أو هم ذوو درجات فقال:" وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ".
" و قال" أى فى هود" وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ" أى فى دينه" فَضْلَهُ" أى جزاء فضله فى الدنيا و الآخرة، و يدل على عدم تفضيل المفضول.
" و قال" أى فى التوبة" وَ هاجَرُوا" أى إلى الرسول و فارقوا الأوطان و تركوا الأقارب و الجيران، و طلبوا مرضات الرحمن" وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ" بصرفها" وَ أَنْفُسِهِمْ" ببذلها" أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ" أى أعلى رتبة و أكثر كرامة، ممن لم يستجمع هذه الصفات أو من أهل السقاية و العمارة عندكم، إذ قبلها" أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".
" و قال" أى فى سورة النساء، و قبل الآية:" لا يَسْتَوِى الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلًّا

دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ قَالَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ قَالَ لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ- مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ أُولئِکَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا وَ قَالَ- يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ قَالَ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ

وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً" قال البيضاوى:
نصب على المصدر لأن فضل بمعنى آجر، أو المفعول الثانى له لتضمنه معنى الإعطاء كأنه قال: و أعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما درجات منه و مغفرة و رحمة، كل واحد منها بدل من أجرا، و يجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولک ضربته أسواطا و أجرا على الحال عنها، تقدمت عليها لأنها نكرة" وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً" على المصدر بإضمار فعلهما، و تتمة الآية" وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً".
" و قال" أى فى سورة الحديد:" لا يَسْتَوِى مِنْكُمْ" قال البيضاوى: بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق و قوة اليقين و تحرى الحاجات حثا على تحرى الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق، و ذكر القتال للاستطراد، و قسم من أنفق محذوف لوضوحه و دلالة ما بعده عليه، و الفتح فتح مكة إذ أعز الإسلام به و كثر أهله و قلت الحاجة إلى المقاتلة و الإنفاق.
" مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قاتَلُوا" أى من بعد الفتح، و التتمة" وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ".
" و قال: أى فى سورة المجادلة و الآية هكذا:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَ إِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ" و التفسح التوسع" وَ إِذا قِيلَ انْشُزُوا" أى أنهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو

اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ وَ قَالَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ وَ قَالَ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ فَهَذَا ذِكْرُ دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ

جهاد أو ارتفعوا فى المجلس" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ" بالنصر و حسن الذكر فى الدنيا و إيوائهم غرف الجنان فى الآخرة" وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" و يرفع العلماء منهم خاصة" دَرَجاتٍ" بما جمعوا من العلم، و قد مر تفسيرهم بالأئمة عليهم السلام.

" و قال" أى فى سورة التوبة حيث قال:" ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ" ذلک، قيل: إشارة إلى ما دل عليه قوله: ما كان، من النهى عن التخلف أو وجوب المتابعة لأنهم بسبب أنهم" لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ" أى شىء من العطش" وَ لا نَصَبٌ" أى تعب" وَ لا مَخْمَصَةٌ" أى مجاعة" فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ" أى لا يدرسون" مَوْطِئاً" أى مكانا" يَغِيظُ الْكُفَّارَ" أى يغضبهم وطيه" وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا" كالقتل و الأسر و النهب" إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ" أى إلا استوجبوا الثواب و ذلک مما يوجب المسابقة" إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ".

" و قال" أى فى المزمل:" وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ" يمكن أن يكون عدم ذكر تتمة الكلام للاختصار، فإن التتمة" هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً" أى من الذى تؤخرونه إلى الوصية عند الموت، و خيرا ثانى مفعولى" تجدوه" و هو تأكيد أو فصل أو هو مبنى على قراءة هو خير بالرفع كما قرأ فى الشواذ، فالكلام إلى قوله:

عند الله، تمام و قوله: هو، مبتدأ و خير خبره و هى جملة أخرى مؤكدة للأولى.

" وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ" الذرة هى النملة الصغيرة، أو الهباء المنبث فى الجو

وَ مَنَازِلِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ
بَابُ دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِی الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَضَعَ الْإِيمَانَ عَلَی سَبْعَةِ أَسْهُمٍ عَلَی الْبِرِّ وَ الصِّدْقِ وَ الْيَقِينِ وَ الرِّضَا وَ الْوَفَاءِ وَ الْعِلْمِ وَ الْحِلْمِ ثُمَّ قَسَمَ ذَلِکَ بَيْنَ

و بالجملة هذه الآيات كلها تدل على اختلاف مراتب المؤمنين فى الثواب و الدرجات عند الله تعالى و المنازل فى الجنة كما لا يخفى.

باب درجات الإيمان

الحديث الأول

: مجهول بمعاد و البر الإحسان إلى نفسه و إلى غيره و يطلق غالبا على الإحسان بالوالدين و الأقربين و الإخوان من المؤمنين كما ورد من خالص الإيمان البر بالإخوان.
و الصدق هو القول المطابق للواقع و يطلق أيضا على مطابقة العمل للقول و الاعتقاد، و على فعل القلب و الجوارح المطابقين للقوانين الشرعية و الموازين العقلية و منه الصديق و هو من حصل له ملكة الصدق فى جميع هذه الأمور، و لا يصدر منه خلاف المطلوب عقلا و نقلا كما صرح به المحقق الطوسى (ره) فى أوصاف الأشراف.
و اليقين الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، و فى عرف الأخبار هو مرتبة من اليقين يصير سببا لظهور آثاره على الجوارح و يطلق غالبا على ما يتعلق بأمور الآخرة، و بالقضاء و القدر كما ستعرف، و له مراتب أشير إليها فى القرآن العزيز و هى علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين كما قال تعالى:" لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ" و قال سبحانه:" وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ".

و قالوا: الأول مرتبة أرباب الاستدلال كمن لم ير النار و استدل بالدخان، و الثانى مرتبة أصحاب المشاهدة و العيان كمن رأى النار بعينها بعينه، و الثالث مرتبة أرباب اليقين كمن كان فى وسط النار و اتصف بصفاتها و إن لم يصر عينها كالحديدة المحماة فى النار فإنک تظنها نارا و ليست بنار، و هذا هى التى زلت فيها الأقدام و ضلت العقول و الأحلام و ليس محل تحقيقها هذا المقام.

و الرضا هو اطمئنان النفس بقضاء الله تعالى عند البلاء و الرخاء و عدم الاعتراض عليه سبحانه قولا و فعلا فى شىء من الأشياء.

و الوفاء هو العمل بعهود الله تعالى من التكاليف الشرعية و ما عاهد الله تعالى عليه و ألزم على نفسه من الطاعات و الوفاء ببيعة النبى و الأئمة صلوات الله عليهم، و الوفاء بعهود الخلق ما لم تكن فى معصية، و العلم هو معرفة الله و رسوله و حججه و ما أمر به و نهى عنه، و علم الشرائع و الأحكام و الحلال و الحرام، و الأخلاق و مقدماتها.

و الحلم هو ملكة حاصلة للنفس مانعة لها عن المبادرة إلى الانتقام و طلب التسلط و الترفع و الغلبة.

" فهو كامل" أى فى الإيمان محتمل لشرائطه و أركانه، قابل لها كما ينبغى" و لا تحملوا على صاحب السهم سهمين" أى لما كانت القابليات و الاستعدادات متفاوتة و لم يكلف الله كل امرئ إلا على قدر قابليته فلا تحملوا فى العلوم و الأعمال و الأخلاق على كل امرئ إلا بحسب طاقته و وسعه كما مر: إنما يداق الله العباد فى الحساب على قدر ما أتاهم من العقول فى الدنيا.

نعم للأعلى أن ينقل الأدنى إلى درجته بالتعليم و التدريج و الرفق حتى يصل إلى درجته إن كان قابلا لذلک كما سيأتى إن شاء الله، و على الأدنى أن يسعى و يتضرع

كَذَلِکَ حَتَّی یَنْتَهِیَ إِلَی السَّبْعَةِ
2 أَبُو عَلِیٍّ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی جَمِیعاً عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ أَبِی الْیَقْظَانِ عَنْ یَعْقُوبَ بْنِ الضَّحَّاکِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا سَرَّاجٍ وَ کَانَ خَادِماً لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ بَعَثَنِی أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع فِی حَاجَةٍ وَ هُوَ بِالْحِیرَةِ أَنَا وَ جَمَاعَةً مِنْ مَوَالِیهِ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فِیهَا ثُمَّ رَجَعْنَا مُغْتَمِّینَ قَالَ وَ کَانَ فِرَاشِی فِی الْحَائِرِ الَّذِی کُنَّا فِیهِ نُزُولًا فَجِئْتُ وَ أَنَا بِحَالٍ فَرَمَیْتُ بِنَفْسِی فَبَیْنَا أَنَا کَذَلِکَ إِذَا أَنَا بِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَدْ أَقْبَلَ قَالَ فَقَالَ قَدْ

إلی الله تعالی لأن یوفقه للصعود إلی درجة العلیا" فتبهضوهم" فی بعض النسخ بالضاد و فی بعضها بالظاء و هما معجمتان متقاربان معنی، قال فی القاموس: بهضنی الأمر کمنع و أبهضنی أی فدحنی و بالظاء أکثر، و قال: بهظه الأمر کمنع غلبه و ثقل علیه و بلغ به مشقة، و الراحلة أوقرها فأتعبها.

: مجهول.
و الحيرة بالكسر بلد كان قرب الكوفة، و أنا تأكيد للضمير المنصوب فى بعثنى، و تأكيد المنصوب و المجرور بالمرفوع جائز و" جماعة" عطف على الضمير أو الواو بمعنى مع" معتمين" الظاهر أنه بالعين المهملة على بناء الأفعال أو التفعيل، فى القاموس: العتمة- محركة- ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة، و اعتم و عتم سار فيها أو أورد و أصدر فيها، و ظلمة الليل و رجوع الإبل من المرعى بعد ما تمسى، انتهى.
أى رجعنا داخلين فى وقت العتمة، و فى أكثر النسخ بالغين المعجمة من الغم و كأنه تصحيف، و ربما يقرأ مغتنمين من الغنيمة و هو تحريف، و الحائر المكان المطمئن

أَتَيْنَاکَ أَوْ قَالَ جِئْنَاکَ فَاسْتَوَيْتُ جَالِساً وَ جَلَسَ عَلَى صَدْرِ فِرَاشِی فَسَأَلَنِی عَمَّا بَعَثَنِی لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ قَوْمٍ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ إِنَّا نَبْرَأُ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ مَا نَقُولُ قَالَ فَقَالَ يَتَوَلَّوْنَا وَ لَا يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ تَبْرَءُونَ مِنْهُمْ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَهُوَ ذَا عِنْدَنَا مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ فَيَنْبَغِی لَنَا أَنْ نَبْرَأَ مِنْكُمْ قَالَ قُلْتُ لَا جُعِلْتُ فِدَاکَ قَالَ وَ هُوَ ذَا عِنْدَ اللَّهِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا أَ فَتَرَاهُ اطَّرَحَنَا قَالَ قُلْتُ لَا وَ اللَّهِ جُعِلْتُ فِدَاکَ مَا نَفْعَلُ قَالَ فَتَوَلَّوْهُمْ وَ لَا تَبَرَّءُوا مِنْهُمْ إِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ سَهْمٌ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمَانِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ سِتَّةُ أَسْهُمٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَبْعَةُ أَسْهُمٍ فَلَيْسَ يَنْبَغِی أَنْ يُحْمَلَ صَاحِبُ السَّهْمِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّهْمَيْنِ وَ لَا صَاحِبُ السَّهْمَيْنِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ وَ لَا صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الْأَرْبَعَةِ وَ لَا صَاحِبُ الْأَرْبَعَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الْخَمْسَةِ وَ لَا صَاحِبُ الْخَمْسَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السِّتَّةِ وَ لَا صَاحِبُ السِّتَّةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّبْعَةِ وَ سَأَضْرِبُ لَکَ مَثَلًا إِنَّ رَجُلًا كَانَ لَهُ جَارٌ

و البستان" و أنا بحال" أی بحال سوء من الضعف و الكلام" أنهم لا يقولون ما نقول" أی من مراتب فضائل الأئمة عليهم السلام و كمالاتهم و مراتب معرفة الله و دقائق مسائل القضاء و القدر و أمثال ذلک مما تختلف تكاليف العباد فيها بحسب إفهامهم و استعداداتهم لا فی أصل المسائل الأصولية، أو المراد اختلافهم فی المسائل الفروعية و الأول أظهر، و أما حمله على أدعية الصلاة و غيرها من المستحبات كما قيل فهو فی غاية البعد و إن كان يوافقه التمثيل المذكور فی آخر الخبر" يتولونا و لا يقولون" إلخ، استفهام على الإنكار.
" فهو ذا عندنا" أی من المعارف و العلوم و الأخلاق و الأعمال" ما ليس عندكم فينبغی لنا" على الاستفهام" أطرحنا" أی عن الإيمان و الثواب أو عن درجة الاعتبار.
قوله: ما نفعل؟ لما فهم من كلامه عليه السلام نفی التبری تردد فی أنه هل يلزمه التولی أو عدم ارتكاب شیء من الأمرين فإن نفی أحدهما لا يستلزم ثبوت الآخر" أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين" أی يقاس حاله بحاله و يتوقع

وَ كَانَ نَصْرَانِيّاً فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَ زَيَّنَهُ لَهُ فَأَجَابَهُ فَأَتَاهُ سُحَيْراً فَقَرَعَ عَلَيْهِ الْبَابَ فَقَالَ لَهُ مَنْ هَذَا قَالَ أَنَا فُلَانٌ قَالَ وَ مَا حَاجَتُکَ فَقَالَ تَوَضَّأْ وَ الْبَسْ ثَوْبَيْکَ وَ مُرَّ بِنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ فَتَوَضَّأَ وَ لَبِسَ ثَوْبَيْهِ وَ خَرَجَ مَعَهُ قَالَ فَصَلَّيَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ صَلَّيَا الْفَجْرَ ثُمَّ مَكَثَا حَتَّى أَصْبَحَا- فَقَامَ الَّذِی كَانَ نَصْرَانِيّاً يُرِيدُ مَنْزِلَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَيْنَ تَذْهَبُ النَّهَارُ قَصِيرٌ وَ الَّذِی بَيْنَکَ وَ بَيْنَ الظُّهْرِ قَلِيلٌ قَالَ فَجَلَسَ مَعَهُ إِلَى أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ قَالَ وَ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَ الْعَصْرِ قَلِيلٌ فَاحْتَبَسَهُ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ قَالَ ثُمَّ قَامَ وَ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذَا آخِرُ النَّهَارِ وَ أَقَلُّ مِنْ أَوَّلِهِ فَاحْتَبَسَهُ حَتَّى صَلَّى الْمَغْرِبَ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّمَا بَقِيَتْ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ فَمَكَثَ حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمَّ تَفَرَّقَا فَلَمَّا كَانَ سُحَيْرٌ غَدَا عَلَيْهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِ الْبَابَ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالَ أَنَا فُلَانٌ قَالَ وَ مَا حَاجَتُکَ قَالَ تَوَضَّأْ وَ الْبَسْ ثَوْبَيْکَ وَ اخْرُجْ بِنَا فَصَلِّ قَالَ اطْلُبْ لِهَذَا الدِّينِ مَنْ هُوَ أَفْرَغُ مِنِّی وَ أَنَا إِنْسَانٌ مِسْكِينٌ وَ عَلَيَّ عِيَالٌ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع أَدْخَلَهُ فِی شَیْءٍ أَخْرَجَهُ مِنْهُ أَوْ قَالَ أَدْخَلَهُ مِنْ مِثْلِ ذِهْ وَ أَخْرَجَهُ مِنْ مِثْلِ هَذَا

منه ما يتوقع من الثانی من الفهم و المعرفة و العمل" و زينه له" أی حسن الإسلام فی نظره" فأتاه سحيرا" هو تصغير السحر و هو سدس آخر الليل أو ساعة آخر الليل و قيل: قبيل الصبح، و التصغير لبيان أنه كان قريبا من الصبح أو بعيدا منه" و مر بنا" أی معنا" و خرج معه" أی إلى المسجد" ما شاء الله" أی كثيرا" حتى أصبحا" أی دخلا فی الصباح، و المراد الإسفار و انتشار ضوء النهار و ظهور الحمرة فی الأفق.
قال فی المفردات: الصبح و الصباح أول النهار و هو وقت ما أحمر الأفق بحاجب الشمس.
قوله: و أقل من أوله، أی مما انتظرت بعد الفجر لصلاة الظهر" أدخله فی شیء" أی من الإسلام صار سببا لخروجه من الإسلام رأسا أو المراد بالشیء الكفر أی أدخله بجهله فی الكفر الذی أخرجه منه" أو قال أدخله فی مثل هذا" أی العمل الشديد" و أخرجه من مثل هذا" أی هذا الدين القويم.

بَابٌ آخَرُ مِنْهُ

1 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبَانٍ عَنْ شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى هَذَا الْخَلْقَ لَمْ يَلُمْ أَحَدٌ أَحَداً- فَقُلْتُ أَصْلَحَکَ اللَّهُ فَكَيْفَ ذَاکَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى خَلَقَ أَجْزَاءً بَلَغَ بِهَا تِسْعَةً وَ أَرْبَعِينَ جُزْءاً ثُمَّ جَعَلَ الْأَجْزَاءَ

باب آخر منه

اشارة

أي هذا باب آخر يمكن عده من الباب الأول و إنما جعله بابا آخر لأن الباب الأول كان مبنيا على قسمة الإيمان بسبعة أسهم، و أخبار هذا الباب مبنية على أكثر أو أقل أو عبر فى أخبار الباب السابق بالسهام، و فى أخبار هذا الباب بالأجزاء و الدرجات و المنازل، و على التقديرين لا تنافى بينهما لأنه لما كان تعدد درجات الإيمان و منازله متفاوتة تارة بحسب الأخلاق الحسنة كثرة و قلة و شدة و ضعفا، و تارة بحسب الاعتقادات الحقة قوة و ضعفا كلا و بعضا، و تارة بحسب الأعمال الصالحة كثرة و قلة، خالصة و مشوبة، و لا يدخل شىء من ذلک تحت الحصر و العد يمكن اعتبار تقسيمها بوجوه مختلفة، بإدخال بعضها تحت بعض و عدمه، و قسمتها إلى الأجناس و إلى الأنواع و إلى الأصناف.

الحديث الأول

: مجهول.
" لم يلم أحد أحدا" أى فى عدم فهم الدقائق و القصور عن بعض المعارف أو فى عدم اكتساب الفضائل و الأخلاق الحسنة، و ترک الإتيان بالنوافل و المستحبات و إلا فكيف يستقيم عدم الملامة على ترک الفرائض و الواجبات و فعل الكبائر و المحرمات و قد مر أن الله تعالى لا يكلف الناس إلا بقدر وسعهم و ليسوا بمجبورين فى فعل المعاصى و لا فى ترک الواجبات لكن يمكن أن لا يكون فى وسع بعضهم معرفة دقائق الأمور

أَعْشَاراً فَجَعَلَ الْجُزْءَ عَشْرَةَ أَعْشَارٍ ثُمَّ قَسَمَهُ بَيْنَ الْخَلْقِ فَجَعَلَ فِی رَجُلٍ عُشْرَ جُزْءٍ وَ فِی آخَرَ عُشْرَیْ جُزْءٍ حَتَّی بَلَغَ بِهِ جُزْءاً تَامّاً وَ فِی آخَرَ جُزْءاً وَ عُشْرَ جُزْءٍ وَ آخَرَ جُزْءاً وَ عُشْرَیْ جُزْءٍ وَ آخَرَ جُزْءاً وَ ثَلَاثَةَ أَعْشَارِ جُزْءٍ حَتَّی بَلَغَ بِهِ جُزْءَیْنِ تَامَّیْنِ ثُمَّ بِحِسَابِ ذَلِکَ حَتَّی بَلَغَ بِأَرْفَعِهِمْ تِسْعَةً وَ أَرْبَعِینَ جُزْءاً فَمَنْ لَمْ یَجْعَلْ فِیهِ إِلَّا عُشْرَ جُزْءٍ- لَمْ یَقْدِرْ عَلَی أَنْ یَکُونَ مِثْلَ صَاحِبِ الْعُشْرَیْنِ وَ کَذَلِکَ صَاحِبُ الْعُشْرَیْنِ لَا یَکُونُ مِثْلَ صَاحِبِ الثَّلَاثَةِ الْأَعْشَارِ وَ کَذَلِکَ مَنْ تَمَّ لَهُ جُزْءٌ لَا یَقْدِرُ عَلَی أَنْ یَکُونَ مِثْلَ صَاحِبِ الْجُزْءَیْنِ وَ لَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ عَلَی هَذَا لَمْ یَلُمْ أَحَدٌ أَحَداً
2 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیٍ

و غوامض الأسرار فلم یکلفوا بها، و کذا عن تحصیل بعض مراتب الإخلاص و الیقین و غیرها من المکارم، فلیسوا بملومین بترکها، فالتکالیف بالنسبة إلی العباد مختلفة بحسب اختلاف قابلیاتهم و استعداداتهم، و لا یستحق من لم یکن قابلا لمرتبة من المراتب المذکورة أن یلام لم لا تفهم هذا المعنی و لم تفعل الصلاة کما کان أمیر المؤمنین علیه السلام یفعله مثلا، و هکذا قوله علیه السلام: بلغ بها، کأنه جعل کل جزء من السهام السبعة المتقدمة سبعة. قوله علیه السلام: فجعل الجزء عشرة أعشار، کان هذا للتأکید و التوضیح، و رفع توهم أن المراد جعل کل جزء عشرا من مرتبة فوقه، فیصیر المجموع أربعمائة و تسعین عشرا" حتی بلغ به" الباء للتعدیة و الضمیر راجع إلی الإیمان، أو إلی الرجل المطلق المفهوم من رجل لا إلی الرجل المذکور و لا إلی آخر لاختلال المعنی و هذا أظهر لقوله: حتی بلغ بأرفعهم إلا عشر جزء، أی من القابلیة أو قابلیة عشر جزء من الإیمان و هکذا فی البواقی.

الحديث الثانى

: ضعيف.
و القراطيسى بايع القراطيس" عشر درجات" كأنه عليه السلام عد كل تسعة

ص: 279
بْنِ أَبِی عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ الْخَزَّازِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِیزِ الْقَرَاطِیسِیِّ قَالَ قَالَ لِی أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع یَا عَبْدَ الْعَزِیزِ إِنَّ الْإِیمَانَ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ یُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْدَ مِرْقَاةٍ فَلَا یَقُولَنَّ صَاحِبُ الِاثْنَیْنِ لِصَاحِبِ الْوَاحِدِ لَسْتَ عَلَی شَیْءٍ حَتَّی یَنْتَهِیَ إِلَی الْعَاشِرِ فَلَا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَکَ فَیُسْقِطَکَ مَنْ هُوَ

و أربعین جزءا من السابق درجة، أو هذه الدرجات لبعض مراتب الإیمان لا لکلها، و قیل: یجوز أن یراد بالإیمان هنا التصدیق أو الکامل المرکب منه و من العمل" لیصعد" علی بناء المجهول" و منه" نائب مناب الفاعل، و قیل" من" بمعنی فی، و الضمیر راجع إلی السلم، و المرقاة بالفتح و الکسر اسم مکان، أو آلة و هی الدرجة، و فی المصباح المرقی و المرتقی موضع الرقی، و المرقاة مثله، و یجوز فیها فتح المیم علی أنه موضع الارتقاء، و یجوز الکسر تشبیها باسم الآلة کالمطهرة، و أنکر أبو عبید الکسر، انتهی" هو" منصوبة علی الظرفیة للمکان" لست علی شیء" أی من الإیمان أو الکمال" فلا تسقط" أی من الإیمان أو من درجة الاعتبار" من هو دونک" أی أسفل منک بدرجة أو أکثر فارفعه إلیک.

فإن قلت: کیف یرفعه إلیه مع أنه لا یطیقه کما مر فی الخبر السابق؟ قلت: یمکن أن تکون الدرجات المذکورة فی الخبر السابق درجات القابلیات و الاستعدادات و لذا نسبها إلی أصل الخلق، و الدرجات المذکورة فی هذا الخبر درجات الفعلیة و التحقق فیمکن أن یکون رجلان فی درجة واحدة من القابلیة فسعی أحدهما و حصل ما کان قابلا له و الآخر لم یسع، و بقی فی درجة أسفل منه فلو کلفه أن یفهم دفعة ما فهمه فی أزمنة متطاولة یعسر الأمر علیه بل یصیر سببا لضلالته و حیرته، بل ینبغی أن یرفق به و یکلمه تدریجا حتی یبلغ إلی تلک الدرجة، کما أن الکاتب الجید الخط إذا کلف أمیا لم یکتب قط أن یکتب مثله فی یوم أو شهر أو سنة لکان تکلیفا لما لا یطاق، بل یجب أن یرقیه تدریجا حتی یصل إلی مرتبته، و کذا فی المراتب العقلیة من

ص: 280
فَوْقَکَ وَ إِذَا رَأَیْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْکَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَعْهُ إِلَیْکَ بِرِفْقٍ وَ لَا تَحْمِلَنَّ عَلَیْهِ مَا لَا یُطِیقُ فَتَکْسِرَهُ- فَإِنَّ مَنْ کَسَرَ مُؤْمِناً فَعَلَیْهِ جَبْرُهُ
3 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ ابْنِ مُسْکَانَ عَنْ سَدِیرٍ قَالَ قَالَ لِی أَبُو جَعْفَرٍ ع إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی مَنَازِلَ مِنْهُمْ عَلَی وَاحِدَةٍ وَ مِنْهُمْ عَلَی اثْنَتَیْنِ وَ مِنْهُمْ عَلَی ثَلَاثٍ وَ مِنْهُمْ عَلَی أَرْبَعٍ وَ مِنْهُمْ عَلَی خَمْسٍ وَ مِنْهُمْ عَلَی سِتٍّ وَ مِنْهُمْ عَلَی سَبْعٍ فَلَوْ ذَهَبْتَ تَحْمِلُ عَلَی صَاحِبِ الْوَاحِدَةِ ثِنْتَیْنِ لَمْ یَقْوَ وَ عَلَی صَاحِبِ الثِّنْتَیْنِ ثَلَاثاً لَمْ یَقْوَ وَ عَلَی صَاحِبِ الثَّلَاثِ أَرْبَعاً لَمْ یَقْوَ وَ عَلَی صَاحِبِ

لم یحصل شیئا منها لا یمکن إفهامه دفعة جمیع المسائل الغامضة، و لو ألقیت إلیه لتحیر، بل لم یطق فهمها و ضل عن السبیل و المعلم الأدیب الکامل یرقیه أولا من البدیهیات إلی أوائل النظریات و منها إلی أواسطها، و منها إلی غوامضها فلا ینکسر و لا یتحیر.
و یمکن أن تحمل القدرة المذکورة فی الخبر السابق علی الوسع أی الإمکان بسهولة فلا ینافی المذکور فی هذا الخبر و لکن الأول أظهر.
و ربما یجاب بأنه لما لم یکن معلوما لصاحب الدرجة العلیا عدم قابلیة صاحب الدرجة السفلی بل ربما یظن أنه قابل للترقی فهو مأمور بهذا رجاء لتحقق مظنونه و لا یخفی ما فیه" فتکسره" أی تکسر إیمانه و تضله لأنه یرفع یده عما هو فیه، و لا یصل إلی الدرجة الأخری فیتحیر فی دینه أو یکلفه من الطاعات ما لا یطیقها فیسوء ظنه بما کان یعمله فیترکهما جمیعا کما مر فی الباب السابق.
" فعلیه جبره" أی یجب علیه جبره و ربما لا ینجبر و یلزمه إصلاح ما أفسد من إیمانه و ربما لم ینصلح.

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور و المراد بالمنازل الدرجات.

الْأَرْبَعِ خَمْساً لَمْ يَقْوَ وَ عَلَى صَاحِبِ الْخَمْسِ سِتّاً لَمْ يَقْوَ وَ عَلَى صَاحِبِ السِّتِّ سَبْعاً لَمْ يَقْوَ وَ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَاتُ

4 عَنْهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ سَيَابَةَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا أَنْتُمْ وَ الْبَرَاءَةَ يَبْرَأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُهُمْ أَكْثَرُ صَلَاةً مِنْ بَعْضٍ وَ بَعْضُهُمْ أَنْفَذُ بَصَراً مِنْ بَعْضٍ وَ هِیَ الدَّرَجَاتُ

قوله عليه السلام: و على هذه الدرجات، كان المعنى و على هذا القياس الدرجات التى تنقسم هذه المنازل إليها فإن كلا منها ينقسم إلى سبعين درجة كما مر فى الخبر الأول، و قيل: أى بقية الدرجات إلى العشر المذكور فى الخبر الثانى، أو المراد بالدرجات المنازل أى على هذا الوجه الذى ذكرنا تنقسم الدرجات فيكون تأكيدا و الأول أظهر.

الحديث الرابع

: كالسابق.
" أنفذ بصرا" أى بصيرة كما فى بعض النسخ يعنى فهما و فطانة" و هى الدرجات" أى درجات الإيمان فكل منهم على درجة منه فلا تبرءوا منهم و لا تخرجوهم عن الإيمان، أو هى الدرجات التى ذكرها الله فى قوله:" هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ" و غيره.

ص: 282
بَابُ نِسْبَةِ الْإِسْلَامِ
عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً- لَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ قَبْلِی وَ لَا يَنْسُبُهُ أَحَدٌ بَعْدِی إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِکَ إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ التَّسْلِيمُ وَ التَّسْلِيمَ هُوَ الْيَقِينُ وَ الْيَقِينَ هُوَ التَّصْدِيقُ وَ التَّصْدِيقَ هُوَ الْإِقْرَارُ وَ الْإِقْرَارَ هُوَ الْعَمَلُ وَ الْعَمَلَ هُوَ الْأَدَاءُ- إِنَ

باب نسبة الإسلام

الحديث الأول

: مرفوع.
" لأنسبن الإسلام نسبة" يقال نسبت الرجل كنصرت، و قيل: و كضربت أى ذكرت نسبته، و المراد بيان الإسلام و الكشف التام عن معناه قيل: لما كان نسبة شىء إلى شىء يوضح أمره و حاله و ما يؤول هو إليه أطلق هنا على الإيضاح من باب ذكر الملزوم و إرادة اللازم.
و أقول: كان المراد بالإسلام هنا المعنى الإخلاص منه المرادف للإيمان كما يومئ إليه قوله: إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، و قوله: إن المؤمن يرى يقينه فى عمله، و حاصل الخبر أن الإسلام هو التسليم و الانقياد، و الانقياد التام لا يكون إلا باليقين، و اليقين هو التصديق الجازم و الإذعان الكامل بالأصول الخمسة أو تصديق الله و رسوله و الأئمة الهداة، و التصديق لا يظهر أو لا يفيد إلا بالإقرار الظاهرى، و الإقرار التام لا يكون أو لا يظهر إلا بالعمل بالجوارح فإن الأعمال شهود الإيمان كما مر، و العمل الذى هو شاهد الإيمان هو أداء ما كلف الله تعالى به لا اختراع الأعمال و إبداعها كما تفعله المبتدعة.
و الأداء اسم المصدر الذى هو التأدية و يحتمل أن يكون المراد بالأداء تأديته

الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَ لَكِنْ أَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ فَأَخَذَهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُرَى يَقِينُهُ فِی عَمَلِهِ وَ الْكَافِرَ يُرَى إِنْكَارُهُ فِی عَمَلِهِ فَوَ الَّذِی نَفْسِی بِيَدِهِ مَا عَرَفُوا أَمْرَهُمْ فَاعْتَبِرُوا إِنْكَارَ

و إيصاله إلى غيره، فيدل على أن التعليم ينبغى أن يكون بعد العمل و أنه من لوازم الإيمان، فظهر أن الحمل فى بعضها حقيقى و فى بعضها مجازى.
و قيل: أشار عليه السلام إلى أن الإسلام و هو دين الله الذى أشار إليه جل شأنه بقوله:" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ" يتوقف حصوله على ستة أمور، و العبارة لا تخلو من لطف و هو أنه جعل التصديق الذى هو الإيمان الخالص الحقيقى بين ثلاثة و ثلاثة، و اشتراک الثلاثة التى قبله فى أنها من مقتضياته و أسباب حصوله، و اشتراک الثلاثة التى بعده فى أنها من لوازمه و آثاره و ثمراته، و بالجملة جعل التصديق الذى هو الإيمان وسطا و جعل أول مراتبه الإسلام ثم التسليم ثم اليقين، و جعل أول مراتبه من جهة المسببات الإقرار بما يجب الإقرار به، ثم العمل بالجوارح، ثم أداء ما افترض الله به، انتهى.
" إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه" كأنه بيان لما بين سابقا و قرره من أن الإسلام لا يكون إلا بالتسليم لأئمة الهدى و الانقياد لهم فيما أمروا به و نهوا عنه و أنه لا يكون ذلک إلا بتصديق النبى و الأئمة عليهم السلام و الإقرار بما صدر عنهم و أداء الأعمال على نهج ما بينوه لأن الإيمان ليس أمرا يمكن اختراعه بالرأى و النظر، بل لا بد من الأخذ عمن يؤدى عن الله.
" فالمؤمن يرى" على بناء المجهول أو المعلوم من باب الأفعال" يقينه" بالرفع أو بالنصب" فى عمله" بأن يكون موافقا لما صدر عنهم و لم يكن مأخوذا من الآراء و المقاييس الباطلة، و الكافر بعكس ذلک" ما عرفوا" أى المخالفون أو المنافقون" أمرهم" أى أمور دينهم فروعا و أصولا فضلوا و أضلوا لعدم اتباعهم أئمة

الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ

الهدى و أخذهم العلم منهم" فاعتبروا إنكار الكافرين و المنافقين بأعمالهم الخبيثة" المخالفة لمحكمات الكتاب و السنة المبتنية على آرائهم الفاسدة، و المخالفون داخلون فى الأول أو فى الثانى بل فيهما حقيقة.
و أقول: روى السيد الرضى رضى الله عنه فى نهج البلاغة جزءا من هذا الخبر هكذا، و قال عليه السلام: لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلى، الإسلام هو التسليم، و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق، و التصديق هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء و الأداء هو العمل.
و قال ابن أبى الحديد: خلاصة هذا الفصل يقتضى صحة مذهب أصحابنا المعتزلة فى أن الإسلام و الإيمان عبارتان عن معنى واحد، و أن العمل داخل فى مفهوم هذه اللفظة، أ لا ترى جعل كل واحدة من اللفظات قائمة مقام الأخرى فى إفادة المفهوم، كما يقال: الليث هو الأسد و الأسد هو السبع، و السبع هو أبو الحارث فلا شبهة أن الليث يكون أبا الحارث أى أن الأسماء مترادفة، فإذا كان أول.
اللفظات الإسلام، و آخرها العمل دل على أن العمل هو الإسلام، و هكذا يقول أصحابنا أن تارک العمل أى تارک الواجب لا يسمى مسلما، فإن قلت: كيف يدل على أن الإسلام هو الإيمان؟ قلت: لأن كل من قال أن العمل داخل فى مسمى الإسلام قال إن الإسلام هو الإيمان، فإن قلت: لم يقل عليه السلام كما تقوله المعتزلة لأنهم يقولون الإسلام اسم واقع على العمل و غيره من الاعتقاد و النطق باللسان و هو عليه السلام جعل الإسلام هو العمل؟ قلت: لا يجوز أن يريد غيره لأن لفظ العمل يشمل الاعتقاد و النطق باللسان و حركات الأركان بالعبادات إذ كل ذلک عمل و فعل و إن كان بعضه من أفعال القلوب و بعضه من أفعال الجوارح، و القول بأن الإسلام هو العمل بالأركان خاصة لم يقل به أحد، انتهى.
و قال ابن ميثم: هذا قياس مفصول مركب من قياسات طويت نتائجها و ينتج

القياس الأول أن الإسلام هو اليقين، و الثانى أنه التصديق، و الثالث أنه الإقرار، و الرابع أنه الأداء، و الخامس أنه العمل.
أما المقدمة الأولى فلأن الإسلام هو الدخول فى الطاعة و يلزمه التسليم لله و صدق اللازم على ملزومه ظاهر، و أما الثانية فلان التسليم الحق إنما يكون ممن تيقن استحقاق المطاع للتسليم له فاليقين من لوازم التسليم لله، و أما الثالثة فلأن اليقين بذلک مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسوله من وجوب طاعته، فصدق على اليقين به أنه تصديق له، و أما الرابعة فلان التصديق لله فى وجوب طاعته إقرار بصدق الله، و أما الخامسة فلأن الإقرار و الاعتراف بوجوب أمر يستلزم أداء المقر المعترف لما أقر به، و كان إقراره أداء لازما، و السادسة أن أداء ما اعترف به لله من الطاعة الواجبة لا يكون إلا عملا، و يؤول حاصل هذا الترتيب إلى إنتاج أن الإسلام هو العمل لله بمقتضى أو أمره، و هو تفسير الخاصة كما سبق بيانه، انتهى.
و كان ما ذكرنا أنسب و أوفق. و قال الكيدرى (ره): الإسلام هو التسليم يعنى الدين هو الانقياد للحق و الإذعان له، و التسليم هو اليقين أى صادر عنه و لازم له فكأنه هو من فرط تعلقه به، و التصديق هو الإقرار أى إقرار الذهن و حكمه، و الإقرار هو الأداء أى مستلزم للأداء و شديد الشبه بالعلة له، لأن من تيقن حقية الشىء و أن مصالحة منوط بفعله و مفاسده مترتبة على تركه، كان ذلک داعيا مقويا لداعيه على فعله غاية التقوية، يعنى من حق المسلم الكامل فى إسلامه أن يجمع بين علم اليقين و العمل الخالص ليحط رحله فى المحل الأرفع، و يجاور الرفيق الأعلى.
و قال الشهيد الثانى رفع الله درجته فى رسالة حقائق الإيمان بعد إيراد هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا لفظه: البحث عن هذا الكلام يتعلق بأمرين:
الأول: ما المراد من هذه النسبة؟ الثانى: ما المراد من هذا المنسوب.

أما الأول فقد ذكر بعض الشارحين أن هذه النسبة بالتعريف أشبه منها بالقياس فعرف الإسلام بأنه التسليم لله و الدخول فى طاعته، و هو تفسير لفظ بلفظ أعرف منه، و التسليم بأنه اليقين و هو تعريف بلازم مساو إذا لتسليم الحق إنما يكون ممن تيقن صدق من سلم له و استحقاقه التسليم و اليقين بأنه التصديق أى التصديق الجازم المطابق البرهانى، فذكر جنسه و نبه بذلک على حده أو رسمه، و التصديق بأنه الإقرار بالله و رسله و ما جاء من البينات و هو تعريف بخاصة له، و الأداء بأنه العمل و هو تعريف له ببعض خواصه، انتهى.

أقول: هذا بناء على أن المراد من الإسلام المعرف فى كلامه عليه السلام ما هو الإسلام حقيقة عند الله تعالى فى نفس الأمر، أو الإسلام الكامل عند الله تعالى أيضا، و إلا فلا يخفى أن الإسلام يكفى فى تحققه فى ظاهر الشرع الإقرار بالشهادتين، سواء علم من المقر التصديق بالله تعالى و الدخول فى طاعته أم لا، كما صرحوا به فى تعريف الإسلام فى كتب الفروع و غيرها، فعلم أن الحكم بكون تعريف الإسلام بالتسليم لله" إلخ" تعريفا لفظيا إنما يتم على المعنى الأول و هو الإسلام فى نفس الأمر أو الكامل، و يمكن أن يقال أن التعريف حقيقى و ذلک لأن الإسلام لغة هو مطلق الانقياد و التسليم، فإذا قيد التسليم بكونه لله تعالى و الدخول فى طاعته كان بيانا للماهية التى اعتبرها الشارع إسلاما، فهو من قبيل ما ذكر جنسه و نبه على حده أو رسمه.

و أقول أيضا: فى جعله الإقرار بالله تعالى" إلخ" تعريف لفظ بلفظ أعرف للتصديق بحث لا يخفى، لأن المراد من التصديق المذكور هنا القلبى لا اللسانى حيث فسره بأنه الجازم المطابق" إلخ" و الإقرار المراد منه الاعتراف باللسان إذ هو المتبادر منه، و لذا جعله بعضهم قسيما للتصديق فى تعريف الإيمان حيث قال: هو

التصديق مع الإقرار و حينئذ فيكون بين معنى اللفظين غاية المباينة، فكيف يكون تعريف لفظ بلفظ، اللهم إلا أن يراد من الإقرار بالله و رسله مطلق الانقياد و التسليم بالقلب و اللسان على طريق عموم المجاز، و لا يخفى ما فيه.

و الذى يظهر لى أنه تعريف بلازم عرفى و ذلک لأن من أذعن بالله و رسله و بيناتهم لا يكاد ينفک عن إظهار ذلک بلسانه فإن الطبيعة جبلت على إظهار مضمرات القلوب كما دل عليه قوله عليه السلام: ما أضمر أحدكم شيئا إلا و أظهره الله على صفحات وجهه و فلتأت لسانه، و لما كان هذا الإقرار هنا مطلوبا للشارع مع كونه فى حكم ما هو من مقتضيات الطبيعة، نبه عليه السلام على أن التصديق هو الإقرار مع تأكيد طلبه حتى كان التصديق غير مقبول إلا به أو غير معلوم للناس إلا به.

و كذا أقول فى جعله الأداء خاصة للإقرار فإن خاصة الشىء لا ينفک عنه، و الأداء قد ينفک عن الإقرار فإن المراد من الأداء هنا عمل الطاعات و الإقرار لا يستلزمه.

و يمكن الجواب بأنه عليه السلام أراد من الإقرار الكامل فكأنه لا يصير كاملا حتى يردفه بالأداء الذى هو العمل، و أما الثانى فقد علم من هذه النسبة الشارحة المنسوب أى المشروح هو الإسلام الكامل أو ما هو إسلام عند الله تعالى، بحيث لا يتحقق بدون الإسلام فى الظاهر، و علم أيضا أن هذا الإسلام هو الإيمان، إما الكامل أو ما لا يتحقق حقيقة المطلوبة للشارع فى نفس الأمر إلا به، لكن الثانى لا ينطبق إلا على مذهب من قال بأن حقيقة الإيمان هو تصديق بالجنان و إقرار باللسان و عمل بالأركان، و قد عرفت تزييف ذلک فيما تقدم و أن الحق عدم اعتبار جميع ذلک فى أصل حقيقة الإيمان، نعم هو معتبر فى كماله.

و على هذا فالمنسوب إن كان هو الإسلام الكامل كان الإيمان و الإسلام الكاملان واحدا و أما الأصليان فالظاهر اتحادهما أيضا، مع احتمال التفاوت بينهما، و إن كان

ص: 288

2 عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُدْرِكِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْإِسْلَامُ عُرْيَانٌ فَلِبَاسُهُ الْحَيَاءُ وَ زِينَتُهُ

هذا المنسوب ما اعتبره الشارع فی نفس الأمر إسلاما لا غيره لزم كون الأيمان أعم من الإسلام، و لزم ما تقدم من الاستهجان فيحصل من ذلک أن الإسلام إما مساو للإيمان أو أخص، و أما عمومه فلم يظهر له من ذلک احتمال إلا علی وجه بعيد، فليتأمل.

الحديث الثانى

: ضعيف بسنديه.
" الإسلام عريان" شبه عليه السلام الإسلام برجل، و الحياء بلباسه، فكما أن اللباس يستر العورات و القبائح الظاهرة، فكذلک الحياء يستر القبائح و المساوى الباطنة، و لا يبعد أن يكون المراد بالإسلام المسلم من حيث أنه مسلم أو يكون إسناد العرى و اللباس إليه على المجاز، أى لباس صاحبه، و كذا الفقرات الآتية تحتملها فتفطن.
" و زينته الوفاء" أى بعهود الله و رسوله و حججه و عهود الخلق و عودهم، و قيل إيفاء كل ذى حق حقه وافيا،" و مروءته العمل الصالح" المروءة بالضم مهموزا و قد يخفف الهمزة فليشد الواو الإنسانية، أى العمل بمقتضاها، قال فى القاموس:
مرؤ ككرم مروءة فهو مرىء أى ذو مروءة و إنسانية، و فى المصباح المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق و جميل العادات يقال: مرؤ الإنسان فهو مرىء مثل قرب فهو قريب، أى صار ذا مروءة، و قال الجوهرى:
و قد يشدد فيقال: مروة، انتهى.
و الحاصل أن العمل الصالح من لوازم الإسلام و مما يجعل الإسلام حقيقا بأن يسمى إسلاما كما أن المروة من لوازم الإنسان و مما يصير به الإنسان حقيقا بأن يسمى إنسانا أو المسلم من حيث أنه مسلم مروته العمل الصالح فلا يسمى مرأى حقيقة أو مسلما إلا به.

الْوَقَارُ وَ مُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَ عِمَادُهُ الْوَرَعُ وَ لِكُلِّ شَیْءٍ أَسَاسٌ وَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَیْتِ

عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنْ عَلِیِّ بْنِ مَعْبَدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُدْرِکِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع مِثْلَهُ

3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَظِیمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِیِّ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ الثَّانِی ع عَنْ أَبِیهِ عَنْ جَدِّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَیْهِمْ قَالَ قَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ ع قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِسْلَامَ فَجَعَلَ لَهُ عَرْصَةً وَ جَعَلَ لَهُ نُوراً وَ جَعَلَ لَهُ حِصْناً وَ جَعَلَ لَهُ نَاصِراً فَأَمَّا عَرْصَتُهُ فَالْقُرْآنُ وَ أَمَّا نُورُهُ فَالْحِکْمَةُ

" و عماده الورع" العماد بالکسر ما یسند به و عماد الخیمة و السقف ما یقام به و الحاصل أن ثبات الإسلام و بقاؤه و استقراره بالورع أی ترک المحرمات بل الشبهات أیضا کما أن بالمعاصی یتزلزل بل یزول، و الأس بالضم و الأساس بالفتح: أصل البناء و أصل کل شیء، و الأساس بالکسر جمع أس، و الحاصل أنه کما یستقر البناء و لا یستقیم بغیر أساس فکذا الإسلام لا یتحقق و لا یستقر إلا بحبهم الملزوم للقول بولایتهم و إمامتهم، فإن من أنکر حقهم فهو أعدی عدوهم.

و قوله صلی الله علیه و آله و سلم: حبنا أی حبی و حب أهل بیتی، و یحتمل کون الفقرة الأخیرة کلام الصادق علیه السلام، لکنه بعید.

الحديث الثالث

: حسن كالصحيح بل صحيح عندى، فإن عبد العظيم رضى الله عنه أجل من أن يحتاج إلى توثيق.
" فجعل له عرصة" العرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، و الظاهر أنه عليه السلام شبه الإسلام برجل لا بدار كما زعم، و شبه القرآن بعرصة يجول الإسلام فيه، و شبه الحكمة و العلوم الحقة بسراج و نور يستنير به الإسلام أو يبصر به صاحبه فإن بالعلم يظهر حقائق الإسلام و أوامره و نواهيه و أحكامه.

وَ أَمَّا حِصْنُهُ فَالْمَعْرُوفُ وَ أَمَّا أَنْصَارُهُ فَأَنَا وَ أَهْلُ بَيْتِی وَ شِيعَتُنَا فَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِی وَ شِيعَتَهُمْ وَ أَنْصَارَهُمْ فَإِنَّهُ لَمَّا أُسْرِیَ بِی إِلَی السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَنَسَبَنِی جَبْرَئِيلُ ع لِأَهْلِ السَّمَاءِ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ حُبِّی وَ حُبَّ أَهْلِ بَيْتِی وَ شِيعَتِهِمْ فِی قُلُوبِ الْمَلَائِكَةِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ وَدِيعَةٌ إِلَی يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ هَبَطَ بِی إِلَی أَهْلِ الْأَرْضِ فَنَسَبَنِی إِلَی أَهْلِ الْأَرْضِ فَاسْتَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ حُبِّی وَ حُبَّ أَهْلِ بَيْتِی وَ شِيعَتِهِمْ فِی قُلُوبِ مُؤْمِنِی أُمَّتِی فَمُؤْمِنُو أُمَّتِی يَحْفَظُونَ وَدِيعَتِی فِی أَهْلِ بَيْتِی إِلَی يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَا فَلَوْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِی عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عُمُرَهُ أَيَّامَ الدُّنْيَا ثُمَّ لَقِیَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مُبْغِضاً لِأَهْلِ بَيْتِی وَ شِيعَتِی مَا فَرَّجَ اللَّهُ صَدْرَهُ إِلَّا عَنِ النِّفَاقِ

" و أما حصنه فالمعروف" أی الإحسان أو ما عرف بالعقل و الشرع حسنه، كما هو المراد فی الأمر بالمعروف، فإنه بكل من المعنيين يكون سببا لحفظ الإسلام و بقائه و عدم تطرق شياطين الإنس و الجن للخلل فيه، أو المراد به الأمر بالمعروف فالتشبيه أظهر، و أما كونهم عليهم السلام و شيعتهم أنصار الإسلام فهو ظاهر و غيرهم يخربون الإسلام و يضيعونه.

" فنسبنی" أی ذكر نسبی أو وصفنی و ذكر نبوتی و مناقبی، و أما ذكر نسبه لأهل الأرض فبالآيات التی أنزلها فيه و فی أهل بيته و يقرأها الناس إلی يوم القيامة أو ذكر فضله و نادی به بحيث سمع من فی أصلاب الرجال و أرحام النساء كنداء إبراهيم عليه السلام بالحج، و قيل: لما وجبت الصلوات الخمس فی المعراج، فلما هبط عليه السلام علمها الناس و كان من أفعالها و الصلاة علی محمد و آله فی التشهد فدلهم بذلک علی أنهم أفضل الخلق لأنه لو كان غيرهم أفضل لكانت الصلاة عليه أوجب، و الأول أظهر.

" ثم لقی الله" أی عند الموت أو فی القيامة، و تفريج الصدر كناية عن إظهار ما كان كامنا فيه علی الناس فی القيامة أو عن علمه تعالی به، و الأول أظهر.

ص: 291

بَابُ خِصَالِ الْمُؤْمِنِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَمَانِي خِصَالٍ وَقُوراً عِنْدَ الْهَزَاهِزِ صَبُوراً عِنْدَ الْبَلَاءِ شَكُوراً عِنْدَ الرَّخَاءِ

باب

اشارة

لما كانت أخبار هذا الباب متقاربة المضمون مع الباب السابق لم يعنونه، و الفرق بينهما أن المذكور فى الباب السابق نسبة الإسلام، و فى هذا الباب نسبة الإيمان.

الحديث الأول

: مجهول لكن سيأتى هذا الخبر بعينه فى باب المؤمن و علاماته و صفاته عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن جميل بن صالح عن عبد الله ابن غالب و هو أظهر، لأن عبد الملک غير مذكور فى كتب الرجال، و عبد الله بن غالب الأسدى الشاعر ثقة معروف، فالخبر صحيح هيهنا و فيما سيأتى حسن كالصحيح.

و الوقور فعول من الوقار بالفتح و هو الحلم و الرزانة، و الهز التحريک، و الهزاهز الفتن التى يفتتن الناس بها، أى لا يعرض له شک عند الفتن التى تصير سببا لشک الناس و كفرهم.

" صبور عند البلاء" البلاء اسم ما يمتحن به من خير أو شر، و كثر استعماله فى الشر و هو المراد هنا، و الصبر حبس النفس على الأمور الشاقة عليها، و ترک الاعتراض على المقدر لها و عدم الشكاية و الجزع، و هو من أعظم خصال الإيمان" شكورا عند الرخاء" الرخاء النعمة و الخصب و سعة العيش، و الشكر الاعتراف

قَانِعاً بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ- لَا يَظْلِمُ الْأَعْدَاءَ وَ لَا يَتَحَامَلُ لِلْأَصْدِقَاءِ بَدَنُهُ مِنْهُ فِی تَعَبٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِی رَاحَةٍ إِنَّ الْعِلْمَ خَلِیلُ الْمُؤْمِنِ وَ الْحِلْمَ وَزِیرُهُ وَ الْعَقْلَ أَمِیرُ جُنُودِهِ وَ الرِّفْقَ

بالنعمة ظاهرا و باطنا، و معرفة المنعم و صرفها فيما أمر به، و الشكر مبالغة فيه" قانعا بما رزقه الله" أی لا يبعثه الحرص على طلب الحرام و الشبهة، و تضييع العمر فی جمع ما لا يحتاج إليه" لا يظلم الأعداء" الغرض نفی الظلم مطلقا، و إنما خص الأعداء بالذكر لأنهم مورد الظلم غالبا، و لأنه يستلزم ترک ظلم غيرهم بالطريق الأولى.

" و لا يتحامل للأصدقاء" فی القاموس: تحامل فی الأمر و به تكلفه على مشقة و عليه كلفه ما لا يطيق، فالكلام يحتمل وجوها:

الأول: أنه لا يظلم الناس لأجل الأصدقاء.

الثانی: أنه لا يتحمل الوزر لأجلهم كان يشهد لهم بالزور أو يكتم الشهادة لرعايتهم أو يسعى لهم فی حرام.

الثالث: أن يراد به أنه لا يحمل على نفسه للأصدقاء ما لا يمكنه الخروج عنه.

" بدنه منه فی تعب" لاشتغاله و إعراضه عن الرسوم و العادات، و سعيه فی إعانة المؤمنين" و الناس منه فی راحة" لعدم تعرضه و إعانته إياهم" إن العلم خليل المؤمن" الخلقة الصداقة و المحبة التی تخللت القلب، فصارت خلاله أی فی باطنه، و الخليل الصديق، فعيل بمعنى فاعل، و إنما كان العلم خليل المؤمن لأنه لا ينتفع بخليل انتفاعه بالعلم فی الدنيا و الآخرة.

" و الحلم وزيره" فإنه يعاونه فی أمور دنياه و آخرته، كمعاونة الوزير الناصح الملک" و العقل أمير جنوده" إذ جنوده فی دفع وساوس الشياطين و صولاتهم الأعمال الصالحة، و الأخلاق الحسنة، و كلها تابعة للعقل كما مر بيانه فی باب جنود العقل" و الرفق أخوه" أی اللين و اللطف و المداراة مع الصديق و العدو، و تمشية الأمور

أَخُوهُ وَ الْبِرَّ وَالِدُهُ
2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ النَّوْفَلِیِّ عَنِ السَّکُونِیِّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِیهِ ع قَالَ قَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَیْهِ الْإِیمَانُ لَهُ أَرْکَانٌ أَرْبَعَةٌ التَّوَکُّلُ عَلَی اللَّهِ وَ تَفْوِیضُ الْأَمْرِ إِلَی اللَّهِ وَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ التَّسْلِیمُ لِأَمْرِ اللَّهِ

بتدبیر و تأمل بمنزلة الأخ له فی أنه یصاحبه و لا یفارقه، أو فی إعانته و إیصال النفع إلیه" و البر" أی الإحسان إلی الوالدین أو إلی جمیع من یستحق البر" والده" أی بمنزلة والده فی رعایته و اختیاره علی جمیع الأمور أو فی الانتفاع منه، و کونه سببا لحیاته المعنویة.

: ضعيف على المشهور.
" له أركان أربعة" إنما جعلها بمنزلة الأركان لعدم استقرار الإيمان و ثباته إلا بها" التوكل على الله" أى الاعتماد عليه فى جميع الأمور و المهمات، و قطع النظر عن الأسباب الظاهرة و إن كان يجب التوسل بها ظاهرا، لكن من كمل يقينه بالله و أنه القادر على كل شىء و أنه المسبب للأسباب لا يعتمد عليها بل على مسببها" و تفويض الأمر إلى الله" أى فى دفع الأعادى الظاهرة و الباطنة، كما فوض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا.
و لا ريب أن هذا و ما قبله متفرعان على قوة الإيمان بالله، و يصيران سببا لشدة اليقين أيضا" و الرضا بقضاء الله" فى الشدة و الرخاء و العافية و البلاء، و هذا أيضا يحصل من الإيمان بكونه سبحانه مالكا لنفع العباد و ضرهم، و لا يفعل بهم إلا ما هو الأصلح لهم و يصير أيضا سببا لكمال اليقين.
" و التسليم لأمر الله" أى الانقياد له فى كل ما أمر به و نهى عنه و لنبيه و أوصيائه فيما صدر عنهم من الأقوال و الأفعال كما قال سبحانه:" فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوکَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ

عَزَّ وَ جَلَ
3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِی لَيْلَی عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ صَالِحِينَ حَتَّی تَعْرِفُوا وَ لَا تَعْرِفُونَ حَتَّی تُصَدِّقُوا وَ لَا تُصَدِّقُونَ حَتَّی تُسَلِّمُوا أَبْوَاباً أَرْبَعَةً لَا يَصْلُحُ أَوَّلُهَا إِلَّا بِآخِرِهَا ضَلَّ أَصْحَابُ الثَّلَاثَةِ وَ تَاهُوا تِيْهاً بَعِيداً إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَی لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَ لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِالشُّرُوطِ وَ الْعُهُودِ وَ مَنْ وَفَی اللَّهَ بِشُرُوطِهِ

وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً" و مدخلية هذه الخصلة فی الإيمان و كما له أظهر من أن يحتاج إلی البيان و الله المستعان.

الحديث الثالث

: ضعيف و قد مضى بهذا السند بتغيير يسير فى باب معرفة الإمام و الرد إليه من كتاب الحجة و شرحناه هناک و نوضح هنا بعض التوضيح." حتى تعرفوا" قيل: أى إمام الزمان" حتى تصدقوا" أى الإمام، و تعده صادقا فيما يقول" حتى تسلموا أبوابا أربعة" قد مضى الكلام فى الأبواب مفصلا.
و قال المحدث الأسترآبادى (ره): إشارة إلى الإقرار بالله و الإقرار برسوله و الإقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و الإقرار بتراجمة ما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و التيه: التحير و الذهاب عن الطريق المقصد، يقال: تاه فى الأرض إذا ذهب متحيرا كما فى القاموس." إن الله أخبر العباد" تفصيل لما أجمل عليه السلام سابقا، و بيان للأبواب و الشروط و العهود المذكورة، و المنار جمع منارة على غير قياس، يعنى موضع النور و محله، و قيل: كنى بالمنار عن الأئمة فإنها صيغة جمع على ما صرح به ابن الأثير فى نهايته، و بتقوى الله فيما أمره عن الاهتداء إلى الإمام و الاقتداء به و بإتيان أبوابها عن الدخول فى المعرفة من جهة الإمام عليه السلام، انتهى.

وَ اسْتَكْمَلَ مَا وَصَفَ فِی عَهْدِهِ نَالَ مَا عِنْدَهُ وَ اسْتَكْمَلَ وَعْدَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَخْبَرَ الْعِبَادَ بِطَرِيقِ الْهُدَى وَ شَرَعَ لَهُمْ فِيهَا الْمَنَارَ وَ أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ فَقَالَ وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی وَ قَالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِيمَا أَمَرَهُ لَقِیَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ مُؤْمِناً بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ص هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ فَاتَ قَوْمٌ وَ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَهْتَدُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ أَشْرَكُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُ مَنْ أَتَی الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها اهْتَدَى وَ مَنْ أَخَذَ فِی غَيْرِهَا سَلَكَ طَرِيقَ الرَّدَى وَصَلَ اللَّهُ طَاعَةَ وَلِیِّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ص وَ طَاعَةَ رَسُولِهِ بِطَاعَتِهِ فَمَنْ تَرَكَ طَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ وَ لَا رَسُولَهُ وَ هُوَ الْإِقْرَارُ بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ- خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ الْتَمِسُوا الْبُيُوتَ الَّتِی

" و استكمل وعده" أی استحق وعده كاملا كما قال تعالى:" أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِكُمْ".
" مات قوم" فيما مضى: فات قوم، و هو أظهر أی فأتوا عنا و لم يبايعونا أو ماتوا، فالثانی تأكيد" من أتى البيوت" أی بيوت الإيمان و العلم و الحكمة" من أبوابها" و هم الأئمة عليه السلام، إشارة إلى تأويل قوله تعالى:" وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها" وصل الله إشارة إلى قوله تعالى:" أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْكُمْ" و قوله:" أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ*" و قوله:" مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ".
" خُذُوا زِينَتَكُمْ" إما بيان لما نزل أو استيناف، و أول عليه السلام الزينة بمعرفة الإمام، و المسجد بمطلق العبادة، و البيوت ببيوت أهل العصمة سلام الله عليهم، و الرجال بهم عليهم السلام، و المراد بعدم إلهائهم التجارة و البيع عن ذكر الله أنهم يجمعون بين ذين

أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ فَإِنَّهُ قَدْ خَبَّرَكُمْ أَنَّهُمْ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ إِنَّ اللَّهَ قَدِ اسْتَخْلَصَ الرُّسُلَ لِأَمْرِهِ ثُمَّ اسْتَخْلَصَهُمْ مُصَدِّقِينَ لِذَلِکَ فِی نُذُرِهِ فَقَالَ وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ تَاهَ مَنْ جَهِلَ وَ اهْتَدَى مَنْ أَبْصَرَ وَ عَقَلَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ وَ كَيْفَ يَهْتَدِی مَنْ لَمْ يُبْصِرْ وَ كَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ لَمْ يُنْذَرْ اتَّبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ص وَ أَقِرُّوا بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اتَّبِعُوا آثَارَ الْهُدَى فَإِنَّهُمْ عَلَامَاتُ الْأَمَانَةِ

و ذا، لا أنهم يتركونهما رأسا كما ورد النص عليه و فی خبر آخر.
قوله عليه السلام: ثم استخلصهم الضمير راجع إلى ولاة الأمر، و ذلک إشارة إلى الأمر، أی استخلص و اصطفى الأوصياء حال كونهم مصدقين لأمر الرسالة فی النذر و هم الرسل فقوله: فی نذره متعلق بقوله: مصدقين، و يحتمل أن يكون فی نذره أيضا حالا أی حالكونهم مندرجين فی النذر، و يمكن أن يكون ضمير استخلصهم راجعا إلى الرسل أی ثم بعد إرسال الرسل استخلصهم و أمرهم بأن يصدقوا أمر الخلافة فی النذر بعدهم و هم الأوصياء عليهم السلام، و قيل: ثم للتراخی فی الرتبة دون الزمان، يعنى وقع ذلک الاستخلاص لهم حالكونهم مصدقين لذلک الاستخلاص فی سائر نذره أيضا بمعنى تصديق كل منهم لذلک فی الباقين.
و استشهد على استمرارهم فی الإنذار بقوله تعالى:" وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ" ثم بين وجوب النذير و وجوب معرفته بتوقف الاهتداء على الإبصار، و توقف الإبصار على الإنذار، و توقف الإنذار على وجود النذير و معرفته، و أشار بآثار الهدى إلى الأئمة عليهم السلام، و فی بعض النسخ ابتغوا آثار الهدى بتقديم الموحدة

وَ التُّقَى وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ رَجُلٌ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ع وَ أَقَرَّ بِمَنْ سِوَاهُ مِنَ الرُّسُلِ لَمْ يُؤْمِنْ اقْتَصُّوا الطَّرِيقَ بِالْتِمَاسِ الْمَنَارِ وَ الْتَمِسُوا مِنْ وَرَاءِ الْحُجُبِ الْآثَارَ تَسْتَكْمِلُوا أَمْرَ دِينِكُمْ وَ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ

4 عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سُلَيْمَانَ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَنْ أَبِيهِ ع قَالَ رَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَوْمٌ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَقَالَ مَنِ الْقَوْمُ فَقَالُوا مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَ مَا بَلَغَ مِنْ إِيمَانِكُمْ قَالُوا الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَ الشُّكْرُ

على المثناة و الغين المعجمة.

و نبه بقوله: لو أنكر رجل عيسى عليه السلام، على وجوب الإيمان بهم جميعا من غير تخلف عن أحد منهم، ثم كرر الوصية بالاقتداء بهم معللا بأنهم منار طريق الله و أمر بالتماس آثارهم إن لم يتيسر الوصول إليهم.

: صحيح.
" رفع إلى رسول الله" كمنع على البناء المعلوم أى أسرعوا إليه أو على بناء المجهول أى ظهروا، فإن الرفع ملزوم للظهور، و قال فى المصباح: رفعته أذعته، و منه رفعت على العامل رفيعة، و رفع البعير فى سيره أسرع، و رفعته أسرعت به يتعدى و لا يتعدى، انتهى.
و قال الكرمانى فى شرح البخارى: فيه فرفعت لنا صخرة، أى ظهرت لأبصارنا، و فيه: فرفع لى البيت المعمور، أى قرب و كشف، انتهى.
و يمكن أن يقرأ بالدال، و لكن قد عرفت أنه لا حاجة إليه، قال فى المصباح:
دفعت إلى كذا بالبناء للمفعول: انتهيت إليه.
" من القوم" أى من أى صنف من الناس أنتم؟" فقالوا مؤمنون" أى نحن مؤمنون" و ما بلغ من إيمانكم"؟ من تبعيضية أى بأى حد بلغ، أو زائدة أو سببية أى ما بلغكم و وصل إليكم بسبب أيمانكم، أو البلوغ بمعنى الكمال و من للتبعيض أى ما كمل من صفات إيمانكم" حلماء" أى هم حلماء من الحلم بالكسر بمعنى العقل،

عِنْدَ الرَّخَاءِ وَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص حُلَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنَ الْفِقْهِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَصِفُونَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ وَ لَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

بَابٌ

1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى وَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ جَمِيعاً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع وَ بِأَسَانِيدَ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ خَطَبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فِی دَارِهِ أَوْ قَالَ فِی الْقَصْرِ وَ نَحْنُ مُجْتَمِعُونَ ثُمَّ أَمَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُتِبَ فِی كِتَابٍ وَ قُرِئَ عَلَى النَّاسِ وَ رَوَى غَيْرُهُ أَنَّ ابْنَ

أو عدم المبادرة عند الغضب" ما لا تسكنون" أی ما يزيد على ما اضطررتم إليه من المسكن، و كذا" لا تجمعوا" ما لم تدعكم الضرورة للأكل إليه و يمكن تعميم الأكل بحيث يشمل سائر ما يحتاجون إليه كقوله تعالى:" وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ" أو خصهما بالذكر لأنهما عمدة مطالب الراغبين فی الدنيا.

" وَ اتَّقُوا اللَّهَ" إلخ، لما كانت تلك الصفات يقتضی الزهد فی الدنيا و التقوى حثهم فی تلك الفقرات عليهما.

باب

اشارة

إنما لم يعنون لأنه من تتمة البابين السابقين، و إنما أفرده لأن فيه نسبة الإيمان و الإسلام معا أو لأن فيه مدح الإسلام و فضله لا صفاته.

الحديث الأول

: صحيح بل ثلاثة أحاديث حسن و صحيحان، بل ادعى استفاضته بل تواتره لقوله بأسانيد مختلفة عن الأصبغ.
و قوله: و روى غيره أى غير الأصبغ، و عبد الله بن الكواء كان من الخوارج" فكتب" فى كتاب" و قرئ" فى المجالس كلا الفعلين مجهول، و إنما أمر للتشهير

الْكَوَّاءِ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع عَنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ وَ النِّفَاقِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- شَرَعَ الْإِسْلَامَ وَ سَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ لِمَنْ حَارَبَهُ وَ جَعَلَهُ عِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ وَ زِينَةً لِمَنْ

و المبالغة على الضبط، لكثرة فوائده و الاهتمام بأخذه.
" أما بعد" أى بعد الحمد و الصلاة" فإن الله تبارک و تعالى" و فى نهج البلاغة و من خطبة له عليه السلام:" الحمد لله الذى شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن و رده" الشرع و الشريعة بفتحهما ما شرع الله لعباده من الدين، أى سنة و افترضه عليهم، و شرع الله لنا كذا أى أظهره و أوضحه، و الشريعة مورد الإبل على الماء الجارى، و كذلک المشرعة، قال الأزهرى: و تسميها العرب مشرعة إلا إذا كان الماء غير منقطع كماء الأنهار، و يكون ظاهرا معينا و لا يستقى منه برشاء فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع بفتحتين، و وردت الماء كوعدت إذا أحضرته لتشرب، و قيل: الشريعة مورد الشاربة، و يقال: لما شرع الله تعالى لعباده إذ به حياة الأبدان.
" و أعز أركانه لمن حاربه" و ركن الشىء جانبه أو الجانب الأقوى منه، و العز و المنعة، و ما يتقوى به من ملک و جند و غيره كما يستند إلى الركن من الحائط عند الضعف، و العز القوة و الشدة و الغلبة، و أعزه أى جعله عزيزا أى جعل أصوله و قواعده أو دلائله و براهينه قاهرة غالبة منيعة قوية لمن أراد محاربته أى هدمه و تضييعه، و قيل: محاربته كناية عن محاربة أهله، و فى بعض النسخ جاربه كسأل بالجيم و الهمز أى استغاث به و لجأ إليه، و فى النهج على من غالبة، أى حاول أن يغلبه و لعله أظهر، و فى تحف العقول: على من جانبه.
" و جعله عزا لمن تولاه" أى جعله سببا للعزة و الرفعة و الغلبة لمن أحبه و جعله وليه فى الدنيا من القتل و الأسر و النهب و الذل، و فى الآخرة من العذاب و الخزى، و فى المجالس الشيخ: لمن والاه، و فى النهج مكانه: فجعله أمنا لمن علقه أى نشب و استمسک به" و سلما لمن دخله" و السلم بالكسر كما فى النهج و بالفتح أيضا

تَجَلُّلَهُ وَ عُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ وَ عُرْوَةً لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ وَ حَبْلًا لِمَنِ اسْتَمْسَکَ بِهِ وَ بُرْهَاناً لِمَنْ

الصلح، و يطلق على المسالم أيضا و بالتحريک الاستسلام إذ من دخله يؤمن من المحاربة و القتل و الأسر" لمن تجلله" كأنه على الحذف و الإيصال أى تجلل به أو علاه الإسلام و ظهر عليه، أو أخذ جلاله و عمدته، قال الجوهرى: تجليل الفرس أن تلبسه الجلل و تجلله أى علاه و تجلله أى أخذ جلاله، انتهى.
و ربما يقرأ بالحاء المهملة و يفسر بأن جعله حلة على نفسه، و لا يخفى ما فيه، و فى المجالس و التحف لمن تحلى به و هو أظهر.
" و عذرا لمن انتحله" الانتحال أخذه نحلة و دينا و يطلق غالبا على ادعاء أمر لم يتصف به، فعلى الثانى المراد أنه عذر ظاهرا فى الدنيا و يجرى عليه أحكام المسلمين و إن لم ينفعه فى الآخرة، و فى التحف: و دينا لمن انتحله، و العروة من الدلو و الكوز المقبض، و كل ما يتمسک به شبه الإسلام تارة بالعروة التى فى الحبل يتمسک بها فى الارتقاء إلى مدارج الكمال و النجاة من مهاوى الحيرة و الضلال كما قال تعالى:
" فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها" و تارة بالحبل المتين يصعد بالتمسک به إلى درجات المقربين و الحبل يطلق على الرسن و على العهد و على الذمة و على الأمان و الكل مناسب، و قيل: شبهه بالعروة لأن من أخذ بعروة الشىء كالكوز مثلا ملک كله، و كذلک من تمسک بالإسلام استولى على جمع الخيرات، و فى المجالس و التحف" و عصمة لمن اعتصم به و برهان لمن تكلم به" البرهان الحجة و الدليل أى الإسلام إذا أحاط الإنسان بأصوله و فروعه يحصل معه براهين ساطعة على من أنكرها إذ لا تحصل الإحاطة التامة إلا بالعلم بالكتاب و السنة و فيهما برهان كل شىء، و فى النهج قبل هذه الفقرة قوله: و سلما لمن دخله، و ليست فيه الفقرات المتوسطة و قوله: شاهدا" إلخ" قبل قوله: و نورا لمن استضاء به، شبهه بالنور للاهتداء به إلى طريق النجاة، و رشحه بذكر الاستضائة.

تَكَلُّمَ بِهِ وَ نُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ عَوْناً لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَ عِلْماً لِمَنْ وَعَاهُ وَ حَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وَ حُكْماً لِمَنْ قَضَى وَ حِلْماً لِمَنْ جَرَّبَ وَ لِبَاساً

" و شاهدا لمن خاصم به" إذ باشتماله على البراهين الحقة يشهد بحقية من خاصم به" و فلجا لمن حاج به" الفلج بالفتح الظفر و الفوز كالأفلاج، و الاسم بالضم و المحاجة المغالبة بالحجة" و علما لمن وعاه" أى سببا لحصول العلم و إن كان مسببا عنه أيضا فى الجملة، إذ العلم به يزداد و يتكامل" و حديثا لمن روى" أى يتضمن الإحاطة بالإسلام أحاديث و أخبارا لمن أراد روايتها، ففى الفقرة السابقة حث على الدراية، و فى هذه الفقرة حث على الرواية" و حكما لمن قضى" أى يتضمن ما به يحكم بين المتخاصمين لمن قضى بينهما" و حلما لمن جرب" الحلم بمعنى العقل أو بمعنى الأناة و ترک السفه و كلاهما يحصلان باختيار الإسلام و تجربة ما ورد فيه من المواعظ و الأحكام، و اختصاص التجربة بالإسلام لأن من سفه و بادر بسبب غضب عرض له يلزمه فى دين الإسلام أحكام من الحد و التعزير و القصاص من جربها و اعتبر بها تحمله التجربة على العفو و الصفح و عدم الانتقام لا سيما مع تذكر العقوبات الأخروية على فعلها، و المثوبات الجليلة على تركها و كل ذلک يظهر من دين الإسلام.

" و لباسا لمن تدبر" أى لباس عافية لمن تدبر فى العواقب أو فى أوامره و نواهيه بتقريب ما مر أو لباس زينة، و الأول أظهر و قد يقرأ تدثر بالثاء المثلثة أى لبسه و جعله مشتملا على نفسه كالدثار و هو تصحيف لطيف، و فى النهج و الكتابين و لبا لمن تدبر و اللب بالضم العقل و هو أصوب" و فهما لمن تفطن" الفهم العلم و جودة تهيؤ الذهن بقبول ما يرد عليه، و الفطنة الحذق و التفطن طلب الفطانة أو إعماله، و ظاهر أن الإسلام و الانقياد للرسول و الأئمة عليهم السلام يصير سببا للعلم و جودة الذهن لمن أعمل الفطنة فيما يصدر عنهم من المعارف و الحكم، و فى المجالس لمن فطن.

" و يقينا لمن عقل" أى يصير سببا لحصول اليقين لمن تفكر و تدبر يقال

لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ فَهْماً لِمَنْ تَفَطَّنَ وَ يَقِيناً لِمَنْ عَقَلَ وَ بَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ عِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ تُؤَدَةً لِمَنْ أَصْلَحَ وَ زُلْفَى لِمَنِ اقْتَرَبَ وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَ رَخَاءً لِمَنْ

عقلت الشىء عقلا كضربت أى تدبرته، و عقل كعلم لغة فيه و يمكن أن يراد بمن عقل من كان من أهل العقل و هو قوة بها يكون التميز بين الحسن و القبيح، و قيل:
غريزة يتهيأ بها الإنسان لفهم الخطاب، و فى النهج مكان الفقرتين: و فهما لمن عقل.
" و بصيرة لمن عزم" و قال الراغب: يقال: لقوة القلب المدركة بصيرة و بصر، و منه:
" أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ" أى على معرفة و تحقق، و قوله: تبصرة، أى تبصيرا و تبيينا يقال: بصرته تبصيرا و تبصرة، كما يقال: ذكرته تذكيرا و تذكرة، و قال: العزم و العزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر يقال: عزمت الأمر و عزمت عليه و اعتزمت، انتهى.
أى تبصرة لمن عزم على الطاعة كيف يؤديها أو فى جميع الأمور، فإن فى الدين كيفية المخرج فى جميع أمور الدين و الدنيا، و أيضا من كان ذا دين لا يعزم على أمر إلا على وجه البصيرة.
" و آية لمن توسم" أى الإسلام مشتمل على علامات لمن تفرس و نظر بنور العلم و اليقين إشارة إلى قوله تعالى:" إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ" قال الراغب:
الوسم التأثير و السمة الأثر، قال تعالى:" سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" و قال:" تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ" و قوله تعالى:" إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ" أى للمعتبرين العارفين المتفطنين و هذا التوسم هو الذى سماه قوم الذكاء، و قوم الفطنة و قوم الفراسة، و قال صلى الله عليه و آله و سلم: اتقوا فراسة المؤمن، و قال: المؤمن ينظر بنور الله، و توسمت تعرفت السمة." و عبرة لمن اتعظ" العبرة بالكسر ما يتعظ به الإنسان و يعتبره ليستدل به على غيره، و الاتعاظ قبول الوعظ" و نجاة لمن صدق" بالتشديد و يحتمل التخفيف كما ورد فى الخبر من صدق نجا، و الأول هو المضبوط فى نسخ النهج" و تؤدة"

كهمزة بالهمز" لمن أصلح" فى القاموس: التؤدة بفتح الهمزة و سكونها الرزانة و التأنى و قد اتأد و تؤاد، و فى المصباح: اتئد فى مشيه على افتعل اتئادا ترفق و لم يعجل، و هو يمشى على تؤدة وزان رطبة و فيه تؤدة أى تثبت، و أصل التاء فيها واو، انتهى.
أى يصير الإسلام سبب وقار و رزانة لمن أصلح نفسه بشرائعه و قوانينه، أو أصلح أموره بالتأنى أو يتأنى فى الإصلاح بين الناس أو بينه و بين الناس، و فى بعض النسخ و مودة و هو بالأخير أنسب، و فى المجالس و مودة من الله لمن أصلح، و فى التحف و مودة من الله لمن صلح، أى يؤده الله أو يلقى حبه فى قلوب العباد كما قال سبحانه:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا".
" و زلفى لمن اقترب" الزلفى كحلبى القرب و المنزلة و الخطوة، و الاقتراب الدنو و طلب القرب، و كان المعنى: الإسلام سبب قرب من الله تعالى لمن طلب ذلک بالأعمال الصالحة التى دل عليها دين الإسلام و شرائعه، و فى بعض النسخ لمن اقترن أى معه و لم يفارقه و كأنه تصحيف، و فى المجالس و التحف: لمن ارتقب أى انتظر الموت أو رحمة الله أو حفظ شرائع الدين، و ترصد مواقيتها، فى القاموس:
الرقيب: الحافظ و المنتظر و الحارس، و رقبة انتظره كترقبه و ارتقبه، و الشىء حرسه كراقبه مراقبة و ارتقب أشرف و علا.
" و ثقة لمن توكل" الثقة من يؤتمن و يعتمد عليه، يقال: وثقت به أثق بكسرهما ثقة و وثوقا أى ائتمنته و وثق الشىء بالضم وثاقة فهو وثيق، أى ثابت محكم و توكل عليه أى الإسلام ثقة مأمون لمن وكل أموره إليه أى راعى فى جميع الأمور قوانينه فلا يخدعه أو يصير الإسلام سببا لوثوق المرء على الله إذا توكل عليه و يعلم به أن الله حسبه و نعم الوكيل.
" و رجاء لمن فوض" أى الإسلام سبب رجاء لمن فوض أموره إليه أو إلى الله

فَوَّضَ وَ سُبْقَةً لِمَنْ أَحْسَنَ- وَ خَيْراً لِمَنْ سَارَعَ وَ جُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ وَ لِبَاساً لِمَنِ اتَّقَى وَ ظَهِيراً

على الوجهين السابقين، و فى بعض النسخ بالخاء المعجمة أى سعة عيش، و فى النهج و الكتابين و راحة و هو أظهر" و سبقة لمن أحسن" فى القاموس سبقه يسبقه تقدم، و الفرس فى الحلبة جلى و السبق محركة و السبقة بالضم الخطر يوضع بين أهل السباق، و هما سبقان بالكسر أى يستبقان، انتهى.

و الظاهر هنا سبقة بالضم أى الإسلام متضمن بسبقة لمن أحسن المسابقة أو لمن أحسن إلى الناس فإنه من الأمور التى تحسن المسابقة فيه أو لمن أحسن صحبته أو لمن أتى بأمر حسن، فيشمل جميع الطاعات، و لا يبعد أن يكون إشارة إلى قوله تعالى:" وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ" بأن يكون المعنى اتبعوهم فى الإحسان" و خيراً لمن سارع" على الوجوه المتقدمة إشارة إلى قوله سبحانه فى مواضع:" يُسارِعُونَ فِى الْخَيْراتِ*".

" و جنة لمن صبر" الجنة بالضم الترس و كل ما وقى من سلاح و غيره فالإسلام يحث على الصبر و هو جنة لمخاوف الدنيا و الآخرة، و قيل: استعار لفظ الجنة للإسلام لأنه يحفظ من صبر على العمل بقواعده و أركانه من العقوبة الدنيوية و الأخروية، و قيل: جنة لمن صبر فى المناظرة مع أعادى الدين.

" و لباسا لمن اتقى" كأنه إشارة إلى قوله تعالى:" وَ لِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ" بناء على أن المراد بلباس التقوى خشية الله أو الإيمان أو العمل الصالح، أو الحياء الذى يكسب التقوى، أو السمت الحسن، و قد قيل كل ذلك، أو اللباس الذى هو التقوى فإنه يستر الفضائح و القبائح و يذهبها، لا لباس الحرب كالدرع و المغفر و الآلات التى يتقى بها عن العدو كما قيل، فالإسلام سبب للبس لباس الإيمان و التقوى و الأعمال الصالحة و الحياء و هيئة أهل الخير لمن اتقى و عمل بشرائعه.

لِمَنْ رَشَدَ وَ كَهْفاً لِمَنْ آمَنَ وَ أَمَنَةً لِمَنْ أَسْلَمَ وَ رَجَاءً لِمَنْ صَدَقَ وَ غِنًى لِمَنْ قَنِعَ فَذَلِکَ

" و ظهيرا لمن رشد" أى معينا لمن اختار الرشد و الصلاح، فى القاموس: رشد كنصر و فرح رشدا و رشدا و رشادا اهتدى، و الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، و فى التحف: و تطهيرا لمن رشد،" و كهفا لمن آمن" الكهف:
كالغار فى الجبل و الملجإ أى محل أمن من مخاوف الدنيا و العقبى لمن آمن بقلبه، لا لمن أظهر بلسانه و نافق بقلبه،" و أمنه لمن أسلم" الأمنة بالتحريک الأمن، و قيل فى الآية جمع كالكتبة، و الظاهر أن المراد بالإسلام هنا الانقياد التام لله و لرسوله و لأئمة المؤمنين، فإن من كان كذلک فهو آمن فى الدنيا و الآخرة من مضارهما" و رجاء لمن صدق" أى الإسلام باعتبار اشتماله على الوعد بالمثوبات الأخروية و الدرجات العالية سبب لرجاء من صدق به، و يمكن أن يقرأ بالتخفيف و يؤيده أن فى التحف و روحا للصادقين، و فى بعض نسخ الكتاب أيضا روحا، و منهم من فسر الفقرتين بأن الإسلام أمنه فى الدنيا لمن أسلم ظاهرا، و روح فى الآخرة لمن صدق باطنا.
أقول: و كأنه يؤيده قوله تعالى:" فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ".
" و غنى لمن قنع" أى الإسلام لاشتماله على مدح القناعة و فوائدها فهو يصير سببا لرضا من قنع بالقليل و غناه عن الناس، و قيل: لأن التمسک بقواعده يوجب وصول ذلک القدر إليه كما قال عز شأنه:" وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ" و يحتمل أن يراد به أن الإسلام باعتبار اشتماله على ما لا بد للإنسان منه من العلوم الحقة و المعارف الإلهية و الأحكام الدينية يغنى من قنع به عن الرجوع إلى العلوم الحكمية و القوانين الكلامية و الاستحسانات

الْحَقُّ سَبِيلُهُ الْهُدَى وَ مَأْثُرَتُهُ الْمَجْدُ وَ صِفَتُهُ الْحُسْنَى فَهُوَ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ مُشْرِقُ الْمَنَارِ

العقلية و القياسات الفقهية، و إن كان بعيدا.
" فذلک الحق" أى ما وصفت لک من صفة الإسلام حق، أو ذلک إشارة إلى الإسلام، أى فلما كان الإسلام متصفا بتلک الصفات فهو الحق الثابت الذى لا يتغير أو لا يشوبه باطل، أو ذلک هو الحق الذى قال الله تعالى:" أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ" و قوله: سبيله الهدى، استيناف بيانى أو الحق صفة لاسم الإشارة، و سبيله الهدى خبره أى هذا الدين الحق الذى عرفت فوائده و صفاته سبيله الهدى كما قيل فى قوله سبحانه:
" أُولئِکَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ*" و كأنه إشارة إليه أيضا، و المراد بالهدى الهداية الربانية الموصلة إلى المطلوب.
" و مأثرته المجد" المأثرة بفتح الميم و سكون الهمزة و ضم الثاء و فتحها واحدة المآثر، و هى المكارم من الأثر و هو النقل و الرواية لأنها تؤثر و تروى، و فى القاموس: المكرمة المتوارثة، و المجد نيل الكرم و الشرف، و رجل ماجد أى كريم شريف، و يطلق غالبا على ما يكون بالآباء فكان المعنى أنه يصير سببا لمجد صاحبه حتى يسرى فى أعقابه أيضا" و صفته الحسنى" أى موصوف بأنه أحسن الأخلاق و الأحوال و الأعمال، و فى المجالس بعد قوله: و جنة لمن صبر:
الحق سبيله و الهدى صفته، و الحسنى مأثرته، و فى التحف فالإيمان أصل الحق و سبيله الهدى.
" فهو أبلج المنهاج" و فى المنهج: المناهج، فى القاموس: بلج الصبح أضاء و أشرق كابتلج و تبلج و أبلج، و كل متضح أبلج، و النهج و المنهج و المنهاج: الطريق الواضح، و أنهج وضح و أوضح، و فى النهج بعده: واضح الولائج، أى

ذَاكِی الْمِصْبَاحِ رَفِیعُ الْغَایَةِ یَسِیرُ الْمِضْمَارِ جَامِعُ الْحَلْبَةِ سَرِیعُ السَّبْقَةِ أَلِیمُ

المداخل.
" مشرق المنار" المنار جمع منارة و هی العلامة توضع فی الطریق و کأنها سمیت بذلک لأنهم کانوا یضعون علیها النار لاهتداء الضال فی اللیل، و فی القاموس: المنارة و الأصل المنورة موضع النور کالمنار، و المسرجة و المأذنة و الجمع مناور و منائر، و المنار العلم، انتهی.
و فی النهج مشرف بالفاء، أی العالی و بعده مشرق الجواد جمع الجادة" ذاکی المصباح" و فی النهج و الکتابین مضیء المصابیح، و فی القاموس: ذکت النار و استذکت اشتد لهبها، و هی ذکیة و أذکاها و ذکاها أوقدها" رفیع الغایة" الغایة منتهی السباق أو الرایة المنصوبة فی آخر المسافة، و هی خرقة تجعل علی قصبة و تنصب فی آخر المدی یأخذ بها السابق من الفرسان، و کان الرفعة کنایة عن الظهور کما ستعرف، و قیل: هو من قولهم رفع البعیر فی سیره: بالغ أی یرفع إلیها.
" یسیر المضمار" فی النهایة تضمیر الخیل هو أن تضامر علیها بالعلف حتی تسمن ثم لا تعلف إلا قوتا لتخف، و قیل: تشد علیها سروجها و تجلل بالأجلة حتی تعرق فیذهب رهلها و یشتد لحمها، و فی حدیث حذیفة: الیوم مضمار و غدا السباق أی الیوم العمل فی الدنیا للاستباق فی الجنة، و المضمار الموضع الذی تضمر فیه الخیل و یکون وقتا للأیام التی تضمر فیها و فی القاموس: المضمار الموضع الذی یضمر فیه الخیل، و غایة الفرس فی السباق، انتهی.
و الحاصل أن المضمار یطلق علی موضع تضمیر الفرس للسباق و زمانه، و علی المیدان الذی یسابق فیه، و شبه علیه السلام أهل الإسلام بالخیل التی تجمع للسباق و مدة عمر الدنیا بالمیدان الذی یسابق فیه، و الموت بالعلم المنصوب فی نهایة المیدان،

فإن ما يتسابق فيه من الأعمال الصالحة إنما هو قبل الموت و القيامة بوضع تجمع فيه الخيل بعد السباق ليأخذ السبقة من سبق بقدر سبقه و يظهر خسران من تأخر، و الجنة بالسبقة، و النار بما يلحق المتأخر من الحرمان و الخسران.

أو شبه عليه السلام الدنيا بزمان تضمير الخيل أو مكانه و القيامة بميدان المسابقة فمن كان تضميره فى الدنيا أحسن كانت سبقته فى الآخرة أكثر كما ورد التشبيه كذلک فى قوله عليه السلام فى خطبة أخرى: ألا و إن اليوم المضمار وعدا السباق، و السبقة الجنة و الغاية النار، لكن ينافيه ظاهرا قوله: و الموت غايته، إلا أن يقال: المراد بالموت ما يلزمه من دخول الجنة أو النار إشارة إلى أن آثار السعادة و الشقاوة الأخروية تظهر عند الموت، كما ورد ليس بين أحدكم و بين الجنة و النار إلا الموت.

و على التقديرين المراد بقوله: يسير المضمار، قلة مدته و سرعة ظهور السبق و عدمه، أو سهولة قطعه و عدم وعورته، أو سهولة التضمير فيه و عدم صعوبته لقصر المدة و تهيئ الأسباب من الله تعالى، و فى النهج كريم المضمار، فكان كرمه لكونه جامعا لجهات المصلحة التى خلق لأجله و هى اختبار العباد بالطاعات و فوز الفائزين بأرفع الدرجات، و لا ينافى ذلک ما ورد فى ذم الدنيا لأنه يرجع إلى ذم من ركن إليها و قصر النظر عليها، كما بين عليه السلام ذلک فى خطبة أوردناها فى كتاب الروضة.

" جامع الحلبة" الحلبة بالفتح خيل تجمع للسباق من كل أوب أى ناحية لا تخرج من إصطبل واحد، و يقال: للقوم إذا جاءوا من كل أوب للنصرة قد أحلبوا، و كون الحلبة جامعة عدم خروج أحد منها، أو المراد بالحلبة محلها و هو القيامة كما سيأتى، فالمراد أنه يجمع الجميع للحساب كما قال تعالى:" ذلِکَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ".

النَّقِمَةِ كَامِلُ الْعُدَّةِ كَرِيمُ الْفُرْسَانِ فَالْإِيمَانُ مِنْهَاجُهُ وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ الْفِقْهُ

" سريع السبقة" السبقة بالفتح كما فى النهج أى يحصل السبق سريعا فى الدنيا للعاملين أو فى القيامة إلى الجنة، أو بالضم أى يصل إلى السابقين عوض السباق و هو الجنة سريعا لأن مدة الدنيا قليلة و هو أظهر.
و فى النهج و المجالس و التحف: متنافس السبقة فالضم أصوب و إن كان المضبوط فى نسخ النهج بالفتح، و التنافس الرغبة فى الشىء النفيس الجيد فى نوعه.
" أليم النقمة" أى مؤلم انتقام من تأخر فى المضمار لأنه النار" كامل العدة" بالضم و الشد ما أعددته و هيئاته من مال أو سلاح أو غير ذلک مما ينفعک يوما ما، و المراد هنا التقوى و كماله ظاهر" كريم الفرسان" و فى النهج شريف الفرسان، و الفرسان بالضم جمع فارس كالفوارس.
ثم فسر صلوات الله عليه ما أبهم من الأمور المذكورة فقال: فالإيمان منهاجه، هذا ناظر إلى قوله: و أبلج المنهاج، أى المنهاج الواضح للإسلام هو التصديق القلبى بالله و برسوله و بما جاء به و البراهين القاطعة الدالة عليه، و فى النهج و غيره: فالتصديق منهاجه و هو أظهر" و الصالحات منارة" ناظر إلى قوله: مشرق المنار، شبه الأعمال الصالحة و العبادات الموظفة بالإعلام و المنائر التى تنصب على طريق السالكين لئلا يضلوا، فمن اتبع الشريعة النبوية و أتى بالفرائض و النوافل يهديه الله للسلوک إليه، و بالعمل يقوى إيمانه و بقوة الإيمان يزداد عمله، و كلما وصل إلى علم يظهر له علم آخر، و يزداد يقينه بحقية الطريق إلى أن يقطع عمره، و يصل إلى أعلى درجات كماله بحسب قابليته التى جعلها الله له، أو شبه الإيمان بالطريق و الأعمال بالإعلام، فكما أن بسلوک الطريق تظهر الأعلام فكذلک بالتصديق بالله و رسله و حججه عليهم السلام تعرف الأعمال الصالحة، و قيل: الأعمال الصالحة علامات لإسلام المسلم، و بها يستدل على إيمانه و لا يتم حينئذ التشبيه.

مَصَابِيحُهُ وَ الدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ وَ النَّارُ نَقِمَتُهُ

" و الفقه مصابيحه" الفقه العلم بالمسائل الشرعية أو الأعم، و به يرى طريق السلوک إلى الله و أعلامه، و هو ناظر إلى قوله: ذاکی المصباح، إذ علوم الدين و شرائعه ظاهرة واضحة للناس بالأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، و بما أفاضوا عليهم من العلوم الربانية.
" و الدنيا مضماره" قال ابن أبى الحديد: كان الإنسان يجرى فى الدنيا إلى غاية الموت و إنما جعلها مضمار الإسلام لأن المسلم يقطع دنياه لا لدنياه بل لآخرته، فالدنيا له كالمضمار للفرس إلى الغاية المعينة" و الموت غايته" قد عرفت وجه تشبيه الموت بالغاية، و قال ابن أبى الحديد: أى إن الدنيا سجن المؤمن و بالموت يخلص من ذلک السجن.
و قال ابن ميثم: إنما جعل الموت غاية أى الغاية القريبة التى هى باب الوصول إلى الله تعالى، و يحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فإنها غاية قريبة للإسلام أيضا، و هذا ناظر إلى قوله: رفيع الغاية، و فى سائر الكتب هذه الفقرة مقدمة على السابقة، فالنشر على ترتيب اللف، و على ما فى الكتاب يمكن أن يقال: لعل التأخير هنا لأجل أن ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع و التقديم سابقا باعتبار الرفعة و الشرف، و إنما الفائدة المقصودة فأشير إلى الجهتين الواقعيتين بتغيير الترتيب" و القيامة حلبته" أى محل اجتماع الحلبة إما للسباق أو لحيازة السبقة كما مر، و إطلاق الحلبة عليها من قبيل تسمية المحل باسم الحال و قال ابن أبى الحديد: حلبته أى ذات حلبته، فحذف المضاف كقوله تعالى:" هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ" أى ذوو درجات." و الجنة سبقته" فى أكثر نسخ النهج سبقته بالفتح فلذا قال الشراح: أى جزاء سبقته فحذف المضاف و الظاهر سبقته بالضم فلا حاجة إلى تقدير كما عرفت

ص: 311
وَ التَّقْوَى عُدَّتُهُ وَ الْمُحْسِنُونَ فُرْسَانُهُ فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ وَ بِالصَّالِحَاتِ يُعْمَرُ الْفِقْهُ وَ بِالْفِقْهِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا وَ بِالدُّنْيَا تَجُوزُ الْقِيَامَةَ وَ بِالْقِيَامَةِ

" و النار نقمته" أى نصيب من تأخر و لم يحصل له استحقاق للسبقة أصلا النار، زائدا عن الحسرة و الحرمان" و التقوى عدته" ناظر إلى قوله: كامل العدة، لأن التقوى تنفع فى أشد الأحوال و أعظمها و هو القيامة كما أن العدة من المال و غيره تنفع صاحبها عند الحاجة إليها.
" و المحسنون فرسانه" لأنهم بالإحسان و الطاعات يتسابقون فى هذا المضمار، فبالإيمان" يستدل على الصالحات" إذ تصديق الله و رسوله و حججه يوجب العلم بحسن الأعمال الصالحة و كيفيتها من واجبها و ندبها، و قيل: لأن الإيمان منهج الإسلام و طريقه و لا بد للطريق من زاد يناسبه، و زاد طريق الإسلام هو الأخلاق و الأعمال الصالحة، فيدل الإيمان عليها كدلالة السبب على المسبب و قيل: أى يستدل بوجوده فى قلب العبد على ملازمته لها، انتهى.
و كأنه حمل الكلام على القلب و إلا فلا معنى للاستدلال بالأمر المخفى فى القلب على الأمر الظاهر، نعم يمكن أن يكون المعنى أن بالإيمان يستدل على صحة الأعمال و قبولها فإنه لا تقبل أعمال غير المؤمن، و هذا معنى حسن لكن الأول أحسن" و بالصالحات يعمر الفقه" لأن العمل يصير سببا لزيادة العلم كما أن من بيده سراجا إذا وقف لا يرى إلا ما حوله و كلما مشى ينتفع بالضوء و يرى ما لم يره كما ورد: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، و قد مر أن العلم يهتف بالعمل فإن أجاب و إلا ارتحل عنه، و قيل: الفقرتان مبنيتان على أن المراد بالعمل الصالح ولاية أهل البيت عليهم السلام كما ورد فى تأويل كثير من الآيات، و ظاهر أن بالإيمان يستدل على الولاية ربها يعمر الفقه لأخذه عنهم.
" و بالفقه يرهب الموت" أى كثرة العلم و اليقين سبب لزيادة الخشية كما قال

تُزْلَفُ الْجَنَّةُ وَ الْجَنَّةُ حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ وَ النَّارُ مَوْعِظَةُ الْمُتَّقِينَ وَ التَّقْوَى سِنْخُ الْإِيمَانِ

تعالى:" إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ" فالمراد بخشية الموت خشية ما بعد الموت أو يخشى نزول الموت قبل الاستعداد له و لما بعده، فقوله: و بالموت تختم الدنيا كالتعليل لذلک لأن الدنيا التى هى مضمار العمل تختم بالموت فلذا يرهبه لحيلولته بينه و بين العمل و الاستعداد للقاء الله لا لحب الحياة و اللذات الدنيوية و المألوفات الفانية" و بالدنيا تجوز القيامة" هذه الفقرة أيضا كالتعليل لما سبق أى إنما ترهب الموت لأن بالدنيا و الأعمال الصالحة المكتسبة فيها تجوز من أهوال القيامة و تخرج عنها إلى نعيم الأبد بأن يكون على صيغة الخطاب من الجواز، و فى بعض النسخ بصيغة الغيبة أى يجوز المؤمن أو الإنسان، و فى بعضها يجاز على بناء المجهول و هو أظهر، و فى بعضها يحاز بالحاء المهملة من الحيازة أى تحاز مثوبات القيامة و على التقادير فالوجه فيه أن كل ما يلقاه العبد فى القيامة فإنما هو نتائج عقائده و أعماله و أخلاقه المكتسبة فى الدنيا، فبالدنيا تجاز القيامة أو تحاز.
و منهم من قرأ تحوز بالحاء المهملة أى بسبب الدنيا و أعمالها تجمع القيامة الناس للحساب و الجزاء فإن القيامة جامع الحلبة كما مر، و فى التحف تحذر القيامة و كأنه أظهر.
" و بالقيامة تزلف الجنة" أى تقرب للمتقين كما قال تعالى:" وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ" و فى المجالس: و تزلف الجنة للمتقين و تبرز الجحيم للغاوين، و قال البيضاوى وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها" وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ" فيرونها مكشوفة و يتحسرون على أنهم المسوقون إليها، و فى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد، انتهى.

بَابُ صِفَةِ الْإِيمَانِ

1 بِالْإِسْنَادِ الْأَوَّلِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَ

" و الجنة حسرة أهل النار" فی القيامة حيث لا تنفع الحسرة و الندامة، و تلک علاوة لعذابهم العظيم" و النار موعظة للمتقين" فی الدنيا حيث ينفعهم فيتركون ما يوجبها و يأتون بما يوجب البعد عنها" و التقوی سنخ الإيمان" أی أصله و أساسه، فی القاموس: السنخ بالكسر الأصل.

باب صفة الإيمان

الحديث الأول

: صحيح و هو من تتمة الخبر السابق، و هو مروى فى الكتب الثلاثة بتغيير نشير إلى بعضه.
قال فى النهج: سئل عليه السلام عن الإيمان؟ فقال: الإيمان على أربع دعائم، الدعامة بالكسر عماد البيت، و دعائم الإيمان ما يستقر عليه و يوجب ثباته و استمراره و قوته" على الصبر و اليقين و العدل و الجهاد" قال ابن ميثم: فاعلم أنه عليه السلام أراد الإيمان الكامل، و ذلک له أصل و له كمالات بها يتم أصله، فأصله هو التصديق بوجود الصانع، و ما له من صفات الكمال و نعوت الجلال، و بما تنزلت به كتبه و بلغته رسله، و كمالاته المتممة هى الأقوال المطابقة و مكارم الأخلاق و العبادات.
ثم إن هذا الأصل و متمماته هو كمال النفس الإنسانية لأنها ذات قوتين علمية و عملية، و كمالها بكمال هاتين القوتين، فأصل الإيمان هو كمال القوة العلمية منها، و متمماته و هى مكارم الأخلاق و العبادات هى كمال القوة العملية.
إذا عرفت هذا فنقول: لما كانت أصول الفضائل الخلقية التى هى كمال الإيمان

ص: 314
جَعَلَ الْإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ وَ الْيَقِينِ وَ الْعَدْلِ وَ الْجِهَادِ فَالصَّبْرُ مِنْ ذَلِکَ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الشَّوْقِ وَ الْإِشْفَاقِ وَ الزُّهْدِ وَ التَّرَقُّبِ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا

أربعا هى الحكمة و العفة و الشجاعة و العدل أشار إليها و استعار لها لفظ الدعائم باعتبار أن الإيمان الكامل لا يقوم فى الوجود إلا بها، كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين، و الحكمة منها علمية و هى استكمال القوة النظرية بتصور الأمور و التصديق بالحقائق النظرية و العملية بقدر الطاقة البشرية، و لا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين و البرهان، و منها عملية و هى استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسانية الخلقية، و كيفية اكتسابها و وجوه الرذائل النفسانية و كيفية الاحتراز عنها و اجتنابها، و ظاهر أن العلم الذى صار ملكة هو اليقين و عبر عن العفة بالصبر.
و العفة هى الإمساک عن الشره فى فنون الشهوات المحسوسة و عدم الانقياد للشهوة و قهرها و تصريفها بحسب الرأى الصحيح، و مقتضى الحكمة المذكورة، و إنما عبر عنها بالصبر لأنها لازم من لوازمه، إذ رسمه أنه ضبط النفس و قهرها عن الانقياد لقبائح اللذات.
و قيل: هو ضبط النفس عن أن يقهرها ألم مكروه ينزل بها، و يلزم فى العقل احتماله أو يلزمها حب مشتهى يتشوق الإنسان إليه، و يلزمه فى حكم العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه، و ظاهر أن ذلک يلازم العفة و كذلک عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه إياها إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه.
و الشجاعة هى ملكة الإقدام الواجب على الأمور التى يحتاج الإنسان أن يعرض نفسه لاحتمال المكروه و الآلام الواصلة إليه منها، و أما العدل فهو ملكة فاضلة ينشأ عن الفضائل الثلاث المشهورة و تلزمها، إذ كل واحدة من هذه الفضائل محتوشة برذيلتين هما طرفا الإفراط و التفريط منها، و مقابلة برذيلة هى ضدها، انتهى.
" فالصبر من ذلک" و فى النهج منها" على أربع شعب" الشعبة من الشجرة

عَنِ الشَّهَوَاتِ وَ مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَ مَنْ زَهِدَ فِی الدُّنْیَا هَانَتْ عَلَیْهِ

بالضم الغصن المتفرع منها، و قیل: الشعبة ما بین الغصنین و القرنین، و الطائفة من الشیء و طرف الغصن، و المراد هنا فروع الصبر و أنواعه أو أسباب حصوله" علی الشوق و الإشفاق" و فی سائر الکتب و الشفق و الزهد، و فی المجالس و الزهادة و الترقب، الشوق إلی الشیء نزوع النفس إلیه و حرکة الهوی، و الشفق بالتحریک: الحذر و الخوف کالأشفاق، و الزهد ضد الرغبة" و الترقب" الانتظار أی انتظار الموت و مداومة ذکره و عدم الغفلة عنه، و لما کان الصبر أنواع ثلاثة کما سیأتی فی بابه الصبر عند البلیة و الصبر علی مشقة الطاعة، و الصبر علی ترک الشهوات المحرمة، و کان ترک الشهوات قد یکون للشوق إلی اللذات الأخرویة، و قد یکون للخوف من عقوباتها جعل بناء الصبر علی أربع، علی الشوق إلی الجنة، ثم بین ذلک بقوله:

فمن اشتاق إلی الجنة سلا عن الشهوات أی نسیها و صبر علی ترکها، یقال: سلا عن الشیء أی نسیه، و سلوت عنه سلوا کقعدت قعودا أی صبرت، و علی الإشفاق عن النار، و بینها بقوله: و من أشفق من النار رجع عن المحرمات، و فی المجالس و التحف عن الحرمات، و فی النهج اجتنب المحرمات، و یمکن أن تکون الشهوات المذکورة سابقا شاملة للمکروهات أیضا.

و علی الزهد و عدم الرغبة فی الدنیا و ما فیها من الأموال و الأزواج و الأولاد و غیرها من ملاذها و مألوفاتها، و بینها بقوله: و من زهد فی الدنیا هانت علیه المصائب، و فی بعض النسخ و الکتابین: المصیبات. و فی النهج: استهان بالمصیبات أی عدها سهلا هینا و استخف بها، لأن المصیبة حینئذ بفقد شیء من الأمور التی زهد عنها و لم یستقر فی قلبه حبها و علی ارتقاب الموت و کثرة تذکره و بینها بقوله: و من راقب الموت سارع إلی الخیرات، و فی الکتابین و من ارتقب، و فی النهج: فی الخیرات.

ثم إن تخصیص الشوق إلی الجنة و الإشفاق من النار بترک المشتهیات و المحرمات مع أنهما یصیران سببین لفعل الطاعات أیضا إما لشدة الاهتمام بترک المحرمات

الْمُصِيبَاتُ وَ مَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَ الْيَقِينُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ- تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ وَ تَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ وَ مَعْرِفَةِ الْعِبْرَةِ وَ سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ فَمَنْ أَبْصَرَ الْفِطْنَةَ عَرَفَ الْحِكْمَةَ

و كون الصبر عليها أشق و أفضل كما سيأتى فى الخبر، أو لأن فعل الطاعات أيضا داخلة فيهما فإن المانع عن الطاعات غالبا الاشتغال بالشهوات النفسانية، فالسلو عنها يستلزم فعلها، بل لا يبعد أن يكون الغرض الأصلى من الفقرة الأولى ذلک بل يمكن إدخال فعل الواجبات فى الفقرة الثانية، لأن ترک كل واجب محرم و يدخل ترک المكروهات و فعل المندوبات فى الفقرة الأولى.

" و اليقين على أربع شعب تبصرة الفطنة" و فى النهج و التحف على تبصرة، و التبصرة مصدر باب التفعيل، و الفطنة الحذق و جودة الفهم، و قال ابن ميثم: هى سرعة هجوم النفس على حقائق ما تورده الحواس عليها و قال: تبصرة الفطنة أعمالها.

أقول: يمكن أن تكون الإضافة إلى الفاعل، أى جعل الفطنة الإنسان بصيرا أو إلى المفعول أى جعل الإنسان الفطنة بصيرة، و يحتمل أن تكون التبصرة بمعنى الإبصار و الرؤية فرؤيتها كناية عن التوجه و التأمل فيها و فى مقتضاها، فالإضافة إلى المفعول و حمله على الإضافة إلى الفاعل محوج إلى تكلف فى قوله: فمن أبصر الفطنة.

" و تأول الحكمة" التأول و التأويل تفسير ما يؤول إليه الشىء، و قيل: أول الكلام و تأوله أى دبره و قدره و فسره، و الحكمة العلم بالأشياء على ما هى عليه، فتأول الحكمة التأول الناشئ من العلم و المعرفة، و هو الاستدلال على الأشياء بالبراهين الحقة و قال ابن ميثم: هو تفسير الحكمة و اكتساب الحقائق ببراهينها، و استخراج وجوه الفضائل و مكارم الأخلاق من مظانها ككلام يؤثر أو غيره يعتبر، و قال الكيدرى: تأول الحكمة هو العلم بمراد الحكماء فيما قالوا، و أولى الحكمة بأن يعلم قول الله و رسوله قال تعالى:" وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ*".

" و معرفة العبرة" و فى سائر الكتب: و موعظة العبرة، و العبرة ما يتعظ به

وَ مَنْ تَأَوَّلَ الْحِكْمَةَ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَ مَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ عَرَفَ السُّنَّةَ وَ مَنْ عَرَفَ السُّنَّةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ مَعَ الْأَوَّلِينَ وَ اهْتَدَى إِلَى الَّتِی هِیَ أَقْوَمُ وَ نَظَرَ إِلَى مَنْ نَجَا بِمَا نَجَا وَ مَنْ

الإنسان و يعتبره ليستدل به على غيره، و الموعظة تذكير ما يلين القلب، و موعظة العبرة أن تعظ العبرة الإنسان فيتعظ بها" و سنة الأولين" السنة السيرة محمودة كانت أو مذمومة، أى معرفة سنة الماضين و ما آل أمرهم إليه من سعادة أو شقاوة فيتبع أعمال السعداء و يجتنب قبائح الأشقياء.
ثم بين عليه السلام فوائد هذه الشعب و كيفية ترتب اليقين عليها فقال: فمن أبصر الفطنة أى جعلها بصيرة أو نظر إليها و أعملها، كان من لم يعملها و لم يعمل بمقتضاها لم يبصرها، و فى سائر الكتب تبصر فى الفطنة و هو أظهر" عرف الحكمة" و فى النهج تبينت له الحكمة، و فى التحف تأول الحكمة، و فى المجالس تبين الحكمة و الكل حسن، و قال الكيدرى: تبصر أى نظر و تفكر، و صار ذا بصيرة و قال: الحكمة العلم الذى يدفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعار من حكمة اللجام، و من تأول الحكمة و عرفها كما هى، عرف العبرة بأحوال السماء و الأرض و الدنيا و أهلها، فتحصل له الحكمة النظرية و العملية، و فى النهج: و من تبينت له الحكمة، و فى المجالس: و من تبين الحكمة.
" و من عرف العبرة عرف السنة" أى سنة الأولين و سنة الله فيهم، فإنها من أعظم العبر" و من عرف السنة فكأنما كان مع الأولين" فى حياتهم أو بعد موتهم أيضا فإن المعرفة الكاملة تفيد فائدة المعاينة لأهلها، و فى التحف فكأنما عاش فى الأولين و فى النهج: و من عرف العبرة فكأنما كان فى الأولين" و اهتدى" أى بذلک" إلى التى هِیَ أَقْوَمُ" أى الطريقة التى هى أقوم الطرائق.
ثم بين عليه السلام كيفية العبرة فقال:" و نظر إلى من نجا" أى من الأولين" بما نجا" من متابعة الأنبياء و المرسلين و الأوصياء المرضيين و الاقتداء بهم علما

هَلَکَ بِمَا هَلَکَ وَ إِنَّمَا أَهْلَکَ اللَّهُ مَنْ أَهْلَکَ بِمَعْصِیَتِهِ وَ أَنْجَی مَنْ أَنْجَی بِطَاعَتِهِ وَ الْعَدْلُ عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ غَامِضِ الْفَهْمِ وَ غَمْرِ الْعِلْمِ وَ زَهْرَةِ الْحُکْمِ وَ رَوْضَةِ الْحِلْمِ فَمَنْ فَهِمَ فَسَّرَ

و عملا" و من هلک بما هلک" من مخالفة أئمة الدین و متابعة الأهواء المضلة و الشهوات المزلة، و لیست هذه الفقرات من قوله: و اهتدی إلی قوله: بطاعته، فی سائر الکتب.
" و العدل علی أربع شعب" و فی النهج و العدل منها، و کان المراد بالعدل هنا ترک الظلم و الحکم بالحق بین الناس و إنصاف الناس من نفسه، لا ما هو مصطلح الحکماء من التوسط فی الأمور فإنه یرجع إلی سائر الأخلاق الحسنة" غامض الفهم" الغامض خلاف الواضح من الکلام، و نسبته إلی الفهم مجاز، و کان المعنی فهم الغوامض، أو هو من قولهم أغمض حد السیف أی رققه، و فی النهج و التحف:
غائص من الغوص و هو الدخول تحت الماء لإخراج اللؤلؤ و غیره، و قال الکیدری:
هو من إضافة الصفة إلی الموصوف للتأکید و الفهم الغائص ما یهجم علی الشیء فیطلع علی ما هو علیه کمن یغوص علی الدر و اللؤلؤ." و غمر العلم" أی کثرته فی القاموس: الغمر الماء الکثیر و غمر الماء غمارة و غمورة کثر، و غمرة الماء غمرا و اغتمره غطاه، و فی التحف و الخصال: و غمرة العلم، و فی النهج و غور العلم و غور کل شیء قعره، و الغور الدخول فی الشیء و تدقیق النظر فی الأمر.
" و زهرة الحکم" الزهرة بالفتح البهجة و النضارة و الحسن و البیاض، و نور النبات، و الحکم بالضم القضاء و العلم و الفقه" و روضة الحلم" الإضافة فیها و فی الفقرة السابقة من قبیل لجین الماء، و فیهما مکنیة و تخییلیة حیث شبه الحکم الواقعی بالزهرة لکونه معجبا، و مثمر الأنواع الثمرات الدنیویة و الأخرویة، و الحلم بالروضة لکونه رائقا و نافعا فی الدارین، و فی النهج و رساخة الحلم یقال: رسخ کمنع رسوخا بالضم و رساخة بالفتح أی ثبت، و الحلم الأناة و التثبت، و قیل: هو الإمساک عن

جَمِيعَ الْعِلْمِ وَ مَنْ عَلِمَ عَرَفَ شَرَائِعَ الْحُكْمِ وَ مَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِی أَمْرِهِ وَ عَاشَ فِی النَّاسِ حَمِيداً وَ الْجِهَادُ عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَی الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الصِّدْقِ

المبادرة إلى قضاء وطر الغضب و رساخة الحلم قوته و كماله" فمن فهم فسر جميع العلم و من علم عرف شرائع الحكم" أى من فهم غوامض العلوم فسر ما اشتبه على الناس منها، و من كان كذلک عرف شرائع الحكم بين الناس فلا يشتبه عليه الأمر و لا يظلم و لا يجور، و بعده فى المجالس: و من عرف شرائع الحكم لم يضل" و من حلم لم يفرط فى أمره" و لم يغضب على الناس و تثبت فى الأمر، و فى النهج فمن فهم علم غور العلم و من علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم و من حلم" إلخ".

و الصدور الرجوع عن الماء، و الشريعة مورد الناس للاستسقاء، و الصدور عن شرائع الحكم كناية عن الإصابة فيه و عدم الوقوع فى الخطإ، و لم يفرط على بناء التفعيل أى لم يقصر فيما يتعلق به من أمور القضاء و الحكم، أو مطلقا، و فى بعض نسخ النهج على بناء الأفعال، أى لم يجاوز الحد.

" و عاش فى الناس حميدا" و فى التحف و عاش به و العيش الحياة و الحميد المحمود المرضى.

" و الجهاد على أربع شعب" تلک الشعب إما أسباب الجهاد أو أنواعه الخفية ذكرها لئلا يتوهم أنه منحصر فى الجهاد بالسيف مع أنه أحد أفراد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، بل الجهاد استفراغ الوسع فى إعلاء كلمة الله و اتباع مرضاته، و ترويج شرائعه باليد و اللسان و القلب، قال الراغب: الجهاد و المجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو، و الجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر و مجاهدة الشيطان و مجاهدة النفس، و تدخل ثلاثتها فى قوله:" وَ جاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ"" وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ"" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا

فِی الْمَوَاطِنِ وَ شَنَآنِ الْفَاسِقِینَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهْرَ الْمُؤْمِنِ وَ مَنْ نَهَی عَنِ الْمُنْکَرِ

بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ" و قال صلی الله علیه و آله و سلم: جاهدوا أهواءکم کما تجاهدون أعداءکم، و المجاهدة تکون بالید و اللسان قال علیه السلام: جاهدوا الکفار بأیدیکم و ألسنتکم.

" علی الأمر بالمعروف" و هو الذی عرفه الشارع و عده حسنا، فإن کان واجبا فالأمر واجب، و إن کان مندوبا فالأمر مندوب" و النهی عن المنکر" أی ما أنکره الشارع و عده قبیحا و هما مشروطان بالعلم بکونه معروفا أو منکرا و تجویز التأثیر و عدم المفسدة و هما یجبان بالید و اللسان و القلب.

" و الصدق فی المواطن" أی ترک الکذب علی کل حال إلا مع خوف الضرر فیوری فلا یکون کذبا، و المواطن مواضع جهاد النفس، و جهاد العدو، و جهاد الفاسق بالأمر و النهی، و مواطن الرضا و السخط و الضر و النفع ما لم یصل إلی حد تجویز التقیة، و أصل الصدق و الکذب أن یکونا فی القول ثم فی الخبر من أصناف الکلام کما قال تعالی:" وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِیلًا"" وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِیثاً" و قد یکونان بالعرض فی غیره من أنواع الکلام کقول القائل: أ زید فی الدار؟ لتضمنه کونه جاهلا بحال زید، و کما إذا قال: واسنی لتضمنه أنه محتاج إلی المواساة و یستعملان فی أفعال الجوارح فیقال: صدق فی القتال إذا و فی حقه، و صدق فی الإیمان إذا فعل ما یقتضیه من الطاعة، فالصادق الکامل من یکون لسانه موافقا لضمیره، و فعله مطابقا لقوله، و منه الصدیق حیث یطلق علی المعصوم، فیحتمل أن یکون الصدق هنا شاملا لجمیع ذلک.

" و شنآن الفاسقین" الشنآن بالتحریک و السکون و قد صح بهما فی النهج

أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ وَ أَمِنَ كَيْدَهُ وَ مَنْ صَدَقَ فِی الْمَوَاطِنِ قَضَی الَّذِی عَلَیْهِ وَ مَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِینَ

البغض، یقال: شنئه کسمعه و منعه شنأ مثلثة و شناءة و شنآنا و هذا أولی مراتب النهی عن المنکر، و قیل: هو مقتضی الإیمان و یجب علی کل حال، و لیس داخلا فی النهی عن المنکر.
" شد ظهر المؤمن" و فی النهج ظهور المؤمنین و شد الظهر کنایة عن التقویة کما أن قصم الظهر کنایة عن ضدها، و الأمر بالمعروف یقوی المؤمن لأنه یرید ترویج شرائع الإیمان و عسی أن لا یتمکن منه" أرغم أنف المنافقین" و فی النهج أنوف المنافقین و إرغام الأنف کنایة عن الإذلال، و أصله إلصاق الأنف بالرغام و هو التراب، و یطلق علی الإکراه علی الأمر و یقال: فعلته علی رغم أنفه أی علی کره منه، و الرغم مثلثة الکره، و المنکر مطلوب للمنافقین و الفساق الذین هم صنف منهم حقیقة، و النهی عن المنکر یرغم أنوفهم" و من صدق فی المواطن قضی الذی علیه" و فی سائر الکتب سوی الخصال: قضی ما علیه أی من الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر إذا لم یقدر علی أکثر من ذلک أو من جمیع التکالیف فإن الصدق فی الإیمان و العقائد یقتضی العمل بجمیع التکالیف فعلا و ترکا أو لأنه یأتی بها لئلا یکون کاذبا إذا سئل عنها" و من شنئ الفاسقین" المضبوط فی النهج بکسر النون، و فیه بعده: و غضب لله غضب الله له و أرضاه یوم القیامة، ثم ذکر دعائم الکفر کما سیأتی فی أبواب الکفر، و الکلینی فرق الخبر علی الأبواب.
و لنتمم کلام المحقق البحرانی و إن لم یکن فیه کثیر فائدة بعد ما ذکرنا، قال بعد ما مر: و أما شعب هذه الدعائم فاعلم أنه جعل لکل دعامة منها أربع شعب من الفضائل بل تتشعب منها، و تتفرع علیها فهی کالفروع لها و الأغصان.
إما شعب الصبر الذی هو عبارة عن ملکة العفة فأحدها: الشوق إلی الجنة و محبة الخیرات الباقیة، الثانی: الشفق و هو الخوف من النار و ما یؤدی إلیها، الثالث: الزهد فی الدنیا و هو الإعراض بالقلب عن متاعها و طیباتها، الرابع

غَضِبَ لِلَّهِ وَ مَنْ غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ فَذَلِکَ الْإِیمَانُ وَ دَعَائِمُهُ وَ شُعَبُهُ

ترقب الموت، و هذه الأربع فضائل منبعثة عن ملكة العفة لأن كلا منها يستلزمها.
و أما شعب اليقين فأحدها تبصرة الفطنة و أعمالها، الثانى: تأول الحكمة و هو تفسيرها، الثالث: موعظة العبرة، الرابع: أن يلحظ سنة الأولين حتى يصير كأنه فيهم، و هذه الأربع هى فضائل تحت الحكمة كالفروع لها و بعضها كالفروع للبعض.
و أما شعب العدل فأحدها غوص الفهم أى الفهم الغائص، فأضاف الصفة إلى الموصوف و قدمها للاهتمام بها و رسم هذه الفضيلة أنها قوة إدراک المعنى المشار إليه بلفظ أو كتابة أو إشارة و نحوها، الثانى: غور العلم و أقصاه و هو العلم بالشىء كما هو بحقيقته و كنهه، الثالث: نور الحكم أى تكون الأحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها و لا شبهة، الرابع: ملكة الحلم و عبر عنها بالرسوخ لأن شأن الملكة ذلک، و الحلم هو الإمساک عن المبادرة إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجنى عليه جناية يصل مكروهها إليه.
و اعلم أن فضيلتى جودة الفهم و غور العلم و إن كانتا داخلتين تحت الحكمة و كذلک فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة إلا أن العدل لما كان فضيلة موجودة فى الأصول الثلاثة كانت فى الحقيقة هى و فروعها شعبا للعدل، بيانه أن الفضائل كلها ملكات متوسطة بين طرف إفراط و تفريط، و توسطها ذلک هو معنى كونها عدلا فهى بأسرها شعب له و جزئيات تحته.
و أما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فأحدها الأمر بالمعروف، و الثانى: النهى عن المنكر، و الثالث: الصدق فى المواطن المكروهة، و وجود الشجاعة فى هذه الشعب الثلاث ظاهر، و الرابع: شنآن الفاسقين، و ظاهر أن بغضهم مستلزم لعداوتهم فى الله، و ثوران القوة الغضبية فى سبيله لجهادهم و هو مستلزم للشجاعة.
و أما ثمرات هذه الفضائل فأشار إليها للترغيب فى مثمراتها، فثمرات شعب

العفة أربع: أحدها: ثمرة الشوق إلى الجنة و هو السلو عن الشهوات، و ظاهر كونه ثمرة له إذ السالک إلى الله ما لم يشتق إلى ما وعد المتقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعى إليها، فلم يسل عنها، الثانية: ثمرة الخوف من النار و هو اجتناب المحرمات، الثالثة: ثمرة الزهد و هى الاستهانة بالمصيبات لأن غالبها و عامها إنما يلحق بسبب فقد المحبوب من الأمور الدنيوية فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هينة عنده، الرابعة: ثمرة ترقب الموت و هى المسارعة فى الخيرات و العمل له و لما بعده.

و أما ثمرات اليقين فإن بعض شعبة ثمرة لبعض فإن تبين الحكمة و تعلمها ثمرات لإعمال الفطنة و الفكرة و معرفة العبر و مواقع الاعتبار بالماضين، و الاستدلال بذلک على صانع حكيم ثمرة لتبيين وجوه الحكمة و كيفية الاعتبار.

و أما ثمرات العدل فبعضها كذلک أيضا و ذلک أن جودة الفهم و غوصة مستلزم للوقوف على غور العلم و غامضة، و الوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرائع الحكم العادل، و الصدور عنها بين الخلق من القضاء الحق.

و أما ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم فى طرف التفريط و التقصير عن هذه الفضيلة و هى رذيلة الجبن، و أن يعيش فى الناس محمودا بفضيلته.

و أما ثمرات الجهاد فأحدها ثمرة الأمر بالمعروف و هو شد ظهور المؤمنين و معاونتهم على إقامة الفضيلة، الثانية: ثمرة النهى عن المنكر و هى إرغام أنوف المنافقين و إذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات، و إظهار الرذيلة، الثالثة: ثمرة الصدق فى المواطن المكروهة و هى قضاء الواجب من أمر الله تعالى فى دفع أعدائه و الذب عن الحريم، و الرابعة: ثمرة بغض الفاسقين و الغضب لله و هى غضب الله لمن أبغضهم و إرضاؤه يوم القيامة فى دار كرامته.

بَابُ فَضْلِ الْإِيمَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ الْيَقِينِ عَلَى الْإِيمَانِ

1 أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع يَا أَخَا جُعْفٍ إِنَّ الْإِيمَانَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ وَ إِنَّ الْيَقِينَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيمَانِ وَ مَا مِنْ شَيْءٍ أَعَزَّ مِنَ الْيَقِينِ

باب فضل الإيمان على الإسلام و اليقين على الإيمان

الحديث الأول

: ضعيف.
" يا أخا جعف" أى يا جعفى و هم قبيلة من اليمن، و فى المصباح هو أخو تميم أى واحد منهم، و فضل الإيمان على الإسلام إما باعتبار الولاية فى الأول أو الإذعان القلبى فيه مع الأعمال أو بدونها كما مر جميع ذلک، و على أى معنى أخذت يعتبر فى الإيمان ما لا يعتبر فى الإسلام فهو أخص و أفضل، و كذا اليقين يعتبر فيه أعلى مراتب الجزم بحيث يترتب عليه الآثار، و يوجب فعل الطاعات و ترک المناهى، و لا يعتبر ذلک فى الإيمان أى فى حقيقته حتى يكون فى جميع أفراده فهو أخص و أفضل أفراد الإيمان، أو يعتبر فى اليقين عدم احتمال النقيض، و لا يعتبر ذلک فى الإيمان مطلقا كما مر، و الأظهر أن التصديق الذى لا يحتمل النقيض تختلف مراتبه حتى يصل إلى مرتبة اليقين كما أومأنا إليه سابقا.
" و ما شىء أعز من اليقين" أى أقل وجودا فى الناس منه أو أشرف منه، و الأول أظهر، إذ اليقين لا يجتمع مع المعصية لا سيما مع الإصرار عليها، و تارک ذلک نادر قليل، بل يمكن أن يدعى أن أيمان أكثر الخلق ليس إلا تقليدا و ظنا يزول بأدنى وسوسة من النفس و الشيطان، أ لا ترى أن الطبيب إذا أخبر أحدهم بأن الطعام الفلانى يضره أو يوجب زيادة مرضه أو بطوء برئه يحتمى الطعام بمحض

ص: 325

2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ الْإِيمَانُ فَوْقَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ وَ التَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ وَ الْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ وَ مَا قُسِمَ فِی النَّاسِ

قول هذا الطبيب حفظا لنفسه من الضرر الضعيف المتوهم، و لا يترک المعصية الكبيرة مع إخبار الله و رسوله و أئمة الهدى عليهم السلام بأنها مهلكة و موجبة للعذاب الشديد و ليس ذلک إلا لضعف الإيمان و عدم اليقين.

: ضعيف على المشهور معتبر.
و يدل على أن التقوى أفضل من الإيمان، و التقوى من الوقاية و هى فى اللغة فرط الصيانة، و فى العرف صيانة النفس عما يضرها فى الآخرة و قصرها على ما ينفعها فيها، و لها ثلاث مراتب الأولى: وقاية النفس عن العذاب المخلد، بتصحيح العقائد الإيمانية، و الثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترک و هو المعروف عند أهل الشرع، و الثالثة: التوقى عن كل ما يشغل القلب عن الحق، و هذه درجة الخواص، من خاص الخاص.
و المراد هنا أحد المعنيين الأخيرين، و كونه فوق الإيمان بالمعنى الثالث ظاهر على أكثر معانى الإيمان التى سبق ذكرها، و إن أريد المعنى الثانى فالمراد بالإيمان إما محض العقائد الحقة أو مع فعل الفرائض و ترک الكبائر بأن يعتبر ترک الصغائر أيضا فى المعنى الثانى، و قيل: باعتبار أن الملكة معتبرة فيها لا فيه، و لا يخفى ما فيه.
و كون اليقين فوق التقوى كأنه يعين حملها على المعنى الثانى و إلا فيشكل الفرق، لكن درجات المرتبة الأخيرة أيضا كثيرة فيمكن حمل اليقين على أعالى درجاتها، و ما قيل فى الفرق: أن التقوى قد يوجد بدون اليقين كما فى بعض المقلدين فهو ظاهر الفساد، إذ لا توجد هذه الدرجة الكاملة من التقوى لمن كان بناء إيمانه على الظن و التخمين.
و قوله عليه السلام: و ما قسم للناس، يدل على أن للاستعدادات الذاتية و العنايات

شَیْءٌ أَقَلُّ مِنَ الْیَقِینِ
3 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ رِئَابٍ عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْیَنَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع یَقُولُ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ الْإِیمَانَ عَلَی الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ کَمَا فَضَّلَ الْکَعْبَةَ عَلَی الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِیهِ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْجَهْمِ أَوْ غَیْرِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ الْکَلْبِیِّ عَنْ عَبْدِ الْحَمِیدِ الْوَاسِطِیِّ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قَالَ لِی أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع یَا أَبَا مُحَمَّدٍ الْإِسْلَامُ دَرَجَةٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَ الْإِیمَانُ عَلَی الْإِسْلَامِ دَرَجَةٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَ التَّقْوَی عَلَی الْإِیمَانِ دَرَجَةٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَ الْیَقِینُ عَلَی التَّقْوَی دَرَجَةٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَمَا أُوتِیَ النَّاسُ أَقَلَ

الإلهیة مدخلا فی مراتب الإیمان و الیقین کما مرت الإشارة إلیه.

: حسن.
و قد مر وجه هذا التشبيه فى الفرق بين الإسلام و الإيمان.

الحديث الرابع

: مجهول.
" الإسلام درجة" أى درجة من الدرجات أو أول درجة و هو استفهام أو خبر" و نعم" يقع فى جوابهما" على الإسلام" أى مشرفا أو زائدا عليه" ما أوتى الناس أقل من اليقين" أى الإيمان أقل من سائر ما أعطى الناس من الكمالات أو هو عزيز نادر فيهم كما مر، و قيل: المعنى ما أعطى الناس شيئا قليلا من اليقين و لا يخفى بعده، و كأنه حمله على ذلک ما سيأتى.
قوله عليه السلام: بأدنى الإسلام، كان المراد بالإسلام هنا مجموع العقائد الحقة بل مع قدر من الأعمال كما مر من اختلاف معانى الإسلام، و يحتمل أن يكون المراد بالخطاب غير المخاطب من ضعفاء الشيعة، و قيل: المراد بأدنى الإسلام أدنى الدرجات إلى الإسلام و هو الإيمان من قبيل يوسف أحسن إخوته.

ص: 327
مِنَ الْيَقِينِ وَ إِنَّمَا تَمَسَّكْتُمْ بِأَدْنَى الْإِسْلَامِ فَإِيَّاكُمْ أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْ أَيْدِيكُمْ
5 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع عَنِ الْإِيمَانِ وَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع إِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ وَ الْإِيمَانُ فَوْقَهُ بِدَرَجَةٍ وَ التَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ وَ الْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ وَ لَمْ يُقْسَمْ بَيْنَ النَّاسِ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنَ الْيَقِينِ قَالَ قُلْتُ فَأَيُّ شَيْءٍ الْيَقِينُ قَالَ التَّوَكُّلُ

" أن ينفلت من أيديكم" أى يخرج من قلوبكم فجأة فيدل على أن من لم يكن فى درجة كاملة من الإيمان فهو على خطر من زواله فلا يغتر من لم يتق المعاصى بحصول العقائد له، فإنه يمكن زواله عنه بحيث لم يعلم، فإن الأعمال الصالحة و الأخلاق الحسنة حصون للإيمان تحفظه من سراق شياطين الإنس و الجان، قال الجوهرى: يقال كان ذلک الأمر فلتة أى فجأة إذا لم يكن عن تدبر و لا تردد، و أفلت الشىء و تفلت بمعنى، و أفلته غيره.

: صحيح.
" إنما هو الإسلام" كان الضمير راجع إلى الدين لقوله تعالى:" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ" أو ليس أول الدخول فى الدين إلا درجة الإسلام.
قوله عليه السلام: التوكل على الله، تفسير اليقين بما ذكر من باب تعريف الشىء بلوازمه و آثاره، فإنه إذا حصل اليقين فى النفس بالله سبحانه و وحدانيته و علمه و قدرته و حكمته و تقديره للأشياء و تدبيره فيها و رأفته بالعباد و رحمته، يلزم التوكل عليه فى أموره و الاعتماد عليه و الوثوق به، و إن توسل بالأسباب تعبدا و التسليم له فى جميع أحكامه، و لخلفائه فيما يصدر عنهم، و الرضا بكل ما يقضى عليه على حسب المصالح من النعمة و البلاء و الفقر و الغناء، و العز و الذل و غيرها، و تفويض الأمر إليه فى دفع شر الأعادى الظاهرة و الباطنة، أورد الأمر بالكلية إليه فى جميع الأمور بحيث يرى قدرته مضمحلة فى جنب قدرته، و إرادته معدومة

ص: 328
عَلَى اللَّهِ وَ التَّسْلِيمُ لِلَّهِ وَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ التَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ قُلْتُ فَمَا تَفْسِيرُ ذَلِکَ قَالَ هَکَذَا قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنِ الرِّضَا ع قَالَ الْإِيمَانُ فَوْقَ الْإِسْلَامِ بِدَرَجَةٍ وَ التَّقْوَى فَوْقَ الْإِيمَانِ بِدَرَجَةٍ وَ الْيَقِينُ فَوْقَ التَّقْوَى بِدَرَجَةٍ وَ لَمْ يُقْسَمْ بَيْنَ الْعِبَادِ شَیْءٌ أَقَلَّ مِنَ الْيَقِينِ

عند إرادته كما قال الله تعالى:" وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ*" و يعبر عن هذه المرتبة بالفناء فی الله.
قوله عليه السلام: هكذا" إلخ" لما كان السائل قاصرا عن فهم حقائق هذه الصفات لم يجبه عليه السلام بالتفسير بل أكد حقيته بالرواية عن والده عليهما السلام، و قيل: استبعد الراوی كون هذه الأمور تفسيرا لليقين، فأجاب عليه السلام بأن الباقر عليه السلام كذا فسره

الحديث السادس

: صحيح و مطابق لحديث الوشاء.
قال بعض المحققين: اعلم أن العلم و العبادة جوهران لأجلهما كان كلما ترى و تسمع من تصنيف المصنفين و تعليم المعلمين و وعظ الواعظين و نظر الناظرين، بل لأجلهما أنزلت الكتب و أرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت السماوات و الأرض و ما فيهما من الخلق، و ناهيک لشرف العلم قول الله عز و جل:" اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً" و لشرف العبادة قوله سبحانه:
" وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" فحق للعبد أن لا يشتغل إلا بهما، و لا يتعب إلا لهما، و أشرف الجوهرين العلم كما ورد: فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم.

و المراد بالعلم الدين أعنى معرفة الله سبحانه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر قال الله عز و جل:" آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ" و قال تعالى:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً" و مرجع الإيمان إلى العلم، و ذلک لأن الإيمان هو التصديق بالشىء على ما هو عليه، و لا محالة هو مستلزم لتصور ذلک الشىء كذلک بحسب الطاقة، و هما معنى العلم، و الكفر ما يقابله و هو بمعنى الستر و الغطاء، و مرجعه إلى الجهل، و قد خص الإيمان فى الشرع بالتصديق بهذه الخمسة و لو إجمالا، فالعلم بها لا بد منه، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة، و لكن لكل إنسان بحسب طاقته و وسعه، لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها، فإن العلم و الإيمان درجات مترتبة فى القوة و الضعف و الزيادة و النقصان، بعضها فوق بعض، كما دلت عليه الأخبار الكثيرة.
و ذلک لأن الإيمان إنما يكون بقدر العلم الذى به حياة القلب و هو نور يحصل فى القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه و بين الله جل جلاله." اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ"" أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها" و ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يقذفه الله فى قلب من يريد أن يهديه، و هذا النور قابل للقوة و الضعف و الاشتداد و النقص كسائر الأنوار." وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً"" وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً" كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوى الإيمان

و يتكامل إلى أن ينبسط نور فينشرح صدره و يطلع على خلق الأشياء و تجلى له الغيوب و يعرف كل شىء فى موضعه، فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام فى جميع ما أخبروا عنه إجمالا و تفصيلا على حسب نوره، و بمقدار انشراح صدره، و ينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور، و الاجتناب عن كل محظور فيضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة و الملكات الحميدة" نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ"" نُورٌ عَلى نُورٍ" و كل عبادة تقع على وجهها تورث فى القلب صفاء يجعله مستعدا لحصول نور فيه و انشراح و معرفة و يقين، ثم ذلک النور و المعرفة و اليقين تحمله على عبادة أخرى و إخلاص آخر فيها يوجب نورا آخر و انشراحا أتم و معرفة أخرى و يقينا أقوى، و هكذا إلى ما شاء الله جل جلاله، و على كل من ذلک شواهد من الكتاب و السنة.

ثم اعلم أن أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشكوک و الشبه على اختلاف مراتبها، و يمكن معها الشرک" وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ" و عنها يعبر بالإسلام فى الأكثر" قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ" و أواسطها تصديقات لا يشوبها شک و لا شبهة" الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا" و أكثر إطلاق الإيمان عليها خاصة" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" و أواخرها تصديقات كذلک مع كشف و شهود و ذوق و عيان، و محبة كاملة لله سبحانه، و شوق تام إلى حضرته المقدسة يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ.، لا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ، ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ، و عنها العبارة تارة بالإحسان، الإحسان أن تعبد الله كأنک تراه، و أخرى بالإيقان" وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" و إلى المراتب الثلاث الإشارة بقوله عز و جل:" لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا

بَابُ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَ الْيَقِينِ
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُذَافِرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ص

مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" و إلى مقابلاته التى هى مراتب الكفر الإشارة بقوله جل و عز:
" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا" فنسبة الإحسان و اليقين إلى الإيمان كنسبة الإيمان إلى الإسلام، و لليقين ثلاث مراتب علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين" كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ" أن هذا لهو حق اليقين.
و الفرق بينها إنما ينكشف بمثال فعلم اليقين بالنار مثلا هو مشاهدة المرئيات بتوسط نورها، و عين اليقين بها هو معاينة جرمها، و حق اليقين بها الاحتراق فيها، و انمحاء الهوية بها و الصيرورة نارا صرفا و ليس وراء هذا غاية، و لا هو قابل للزيادة، لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

باب حقيقة الإيمان و اليقين

الحديث الأول

: مجهول و قد مر مضمونه بسند صحيح قبل ذلک بورقة.
" بينا رسول الله" بينا هى بين الظرفية أشبعت فتحتها فصارت ألفا و يقع بعدها حينئذ إذ الفجائية غالبا، و عاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعد إذ عند بعض،

ص: 332
فِی بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِذْ لَقِیَهُ رَکْبٌ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَیْکَ یَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ مَا أَنْتُمْ فَقَالُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ یَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَمَا حَقِیقَةُ إِیمَانِکُمْ قَالُوا الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ التَّفْوِیضُ إِلَی اللَّهِ وَ التَّسْلِیمُ لِأَمْرِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص عُلَمَاءُ حُکَمَاءُ کَادُوا أَنْ یَکُونُوا مِنَ الْحِکْمَةِ أَنْبِیَاءَ فَإِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْکُنُونَ وَ لَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْکُلُونَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ

2 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی وَ عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ جَمِیعاً عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی مُحَمَّدٍ الْوَابِشِیِّ وَ إِبْرَاهِیمَ بْنِ مِهْزَمٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ

و بعضهم یجعلها خبرا عن مصدر مسبوک من الفعل، أی بین أوقات سفره لقاء الرکب، و الرکب جمع راکب کصحب و صاحب.

" فقال ما أنتم" أی أی صنف أنتم من الناس؟ قیل: کما أن ما تکون سؤالا عن حقیقة الشیء یکون سؤالا عن خواصه و آثاره المترتبة علیه، و هو المراد هنا فلذلک أجابوا بها" فقالوا نحن مؤمنون" انتهی.

و قال الراغب فی معانی" ما" الثالث: الاستفهام، و یسأل به عن جنس ذات الشیء و نوعه، و عن جنس صفات الشیء و نوعها، و قد یسأل به عن الأشخاص و الأعیان فی غیر الناطقین، انتهی.

" فما حقیقة إیمانکم" لما کانت للإیمان حقائق مختلفة و درجات متفاوتة سألهم صلی الله علیه و آله و سلم عن حقیقة الإیمان الذی یدعونه فأجابوا بلوازمه و آثاره لیظهر حقیقة ما ادعوه، أو المراد بالحقیقة ما یحقه و یثبته أی الإیمان أمر قلبی إنما یثبت بآثاره، فما ظهر من آثار إیمانکم لیدل علی ثبوته فی قلوبکم، و المعنی الأول أنسب بما مر من مضمون هذا الخبر، حیث قال: و ما بلغ من إیمانکم، فإن الظاهر اتحاد الواقعة، و التفویض إلی الله هنا التوکل علیه فی جمیع الأمور.

الحديث الثانى

: موثق.

ص: 333
قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص صَلَّى بِالنَّاسِ الصُّبْحَ فَنَظَرَ إِلَى شَابٍّ فِی الْمَسْجِدِ وَ هُوَ يَخْفِقُ وَ يَهْوِی بِرَأْسِهِ مُصْفَرّاً لَوْنُهُ قَدْ نَحِفَ جِسْمُهُ وَ غَارَتْ عَيْنَاهُ فِی رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا فُلَانُ قَالَ أَصْبَحْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُوقِناً فَعَجِبَ رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ قَوْلِهِ وَ قَالَ إِنَّ لِكُلِّ يَقِينٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ يَقِينِكَ فَقَالَ إِنَّ يَقِينِی يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الَّذِی أَحْزَنَنِی وَ أَسْهَرَ لَيْلِی وَ أَظْمَأَ

" فنظر إلى شاب" كأنه الحارثة الآتى فى الخبر الثانى" و هو يخفق و يهوى برأسه" للنعاس بكثرة العبادة فى الليل فى القاموس: خفقت الراية ينخفق و تخفق و خفقا و خفقانا محركة اضطربت و تحركت، و فلان حرک رأسه إذا نعس كأخفق و قال: هوى هويا سقط من علو إلى سفل، انتهى.
فقوله: و يهوى برأسه كالتفسير لقوله: يخفق، أو مبالغة فى الخفق إذ يكفى فيه الحركة القليلة و نحف كتعب و قرب نحافة: هزل" كيف أصبحت" أى على أى حال دخلت فى الصباح، أو كيف صرت" فعجب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم" كتعب أى تعجب منه لندرة مثل ذلک، أو أعجبه و سر به قال الراغب: العجب و التعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشىء و لهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يعرف سببه و لهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب، و يقال: لما لا يعهد مثله عجب، قال تعالى:" أَ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا"" كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً"" إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً" أى لم نعهد مثله و لم نعرف سببه، و يستعار تارة للمؤنق فيقال أعجبنى كذا أى راقنى، و قال تعالى:" وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ".
" إن لكل يقين" أى فرد من أفراده أو صنف من أصنافه" حقيقة فما حقيقة يقينک" من أى نوع أو صنف، أو لكل يقين علامة تدل عليه فما علامة يقينک كما مر" هو الذى أحزننى" أى فى أمر الآخرة" و أسهر ليلى" لحزن الآخرة أو

ص: 334
هَوَاجِرِی فَعَزَفَتْ نَفْسِی عَنِ الدُّنْیَا وَ مَا فِیهَا حَتَّی کَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی عَرْشِ رَبِّی وَ قَدْ نُصِبَ لِلْحِسَابِ وَ حُشِرَ الْخَلَائِقُ لِذَلِکَ وَ أَنَا فِیهِمْ وَ کَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی أَهْلِ الْجَنَّةِ یَتَنَعَّمُونَ فِی الْجَنَّةِ وَ یَتَعَارَفُونَ وَ عَلَی الْأَرَائِکِ مُتَّکِئُونَ وَ کَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی أَهْلِ النَّارِ وَ هُمْ فِیهَا مُعَذَّبُونَ مُصْطَرِخُونَ وَ کَأَنِّی الْآنَ أَسْمَعُ زَفِیرَ النَّارِ یَدُورُ فِی مَسَامِعِی فَقَالَ رَسُولُ

للاستعداد لها، أو لحب عبادة الله و مناجاته: عجبا للمحب کیف ینام، و الإسناد مجازی أی أسهرنی فی لیلی و کذا فی قوله:" و أظمأ هواجری" مجاز عقلی أی أظمأنی عند الهاجرة و شدة الحر للصوم فی الصیف، و إنما خصه لأنه أشق و أفضل، فی القاموس: الهاجرة نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلی العصر لأن الناس یستکنون فی بیوتهم کأنهم قد تهاجروا، و شدة الحر.
و قال: عزفت نفسی عنه تعزف عزوفا زهدت فیه و انصرفت عنه، أو ملته.
" حتی کأنی أنظر" أی شدة الیقین بأحوال الآخرة صیرنی إلی حالة المشاهدة، و الاصطراخ الاستغاثة و زفیر النار صوت توقدها، فی القاموس: زفر یزفر زفرا و زفیرا أخرج نفسه بعد مده إیاه، و النار سمع لتوقدها صوت.
و قال: المسمع کمنبر الأذن کالسامعة و الجمع مسامع، انتهی.
و قیل: المسامع جمع علی غیر قیاس کمشابه و ملامح جمع شبه و لمحة، و قال بعض المحققین: هذا التنویر الذی أشیر به فی الحدیث إنما یحصل بزیادة الإیمان و شدة الیقین فإنهما ینتهیان بصاحبهما إلی أن یطلع علی حقائق الأشیاء، محسوساتها و معقولاتها فتنکشف له حجبها و أستارها، فیعرفها بعین الیقین علی ما هی علیه من غیر وصمة ریب أو شائبة شک فیطمئن لها قلبه و یستریح بها روحه، و هذه هی الحکمة الحقیقة التی من أوتیها فقد أوتی خیرا کثیرا.
و إلیه أشار أمیر المؤمنین بقوله: هجم بهم العلم علی حقائق الأمور، و باشروا رواح الیقین، و استلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون،

اللَّهِ ص لِأَصْحَابِهِ هَذَا عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ لَهُ الْزَمْ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ الشَّابُّ ادْعُ اللَّهَ لِی یَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أُرْزَقَ الشَّهَادَةَ مَعَکَ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ فِی بَعْضِ غَزَوَاتِ النَّبِیِّ ص فَاسْتُشْهِدَ بَعْدَ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَ كَانَ هُوَ الْعَاشِرَ

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَارِثَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَنْصَارِیَّ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَارِثَةَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُؤْمِنٌ حَقّاً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص لِكُلِّ شَیْءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِکَ فَقَالَ

و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى.

أراد عليه السلام بما استوعره المترفون يعنى المتنعمون رفض الشهوات البدنية و قطع التعلقات الدنيوية و ملازمة الصمت و السهر و الجوع و المراقبة، و الاحتراز عما لا يعنى و نحو ذلک، و إنما يتيسر ذلک بالتجافى عن دار الغرور، و الترقى إلى عالم النور، و الأنس بالله و الوحشة عما سواه، و صيرورة الهموم جميعا هما واحدا، و ذلک لأن القلب مستعد لأن يتجلى فيه حقيقة الحق فى الأشياء كلها من اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة و إنما حيل بينه و بينها حجب كنقصان فى جوهرة أو كدورة تراكمت عليه من كثرة الشهوات أو عدول به عن جهة الحقيقة المطلوبة، أو اعتقاد سبق إليه و رسخ فيه على سبيل التقليد و القبول بحسن الظن، أو جهل بالجهة التى منها يقع العثور على المطلوب، و إلى بعض هذه الحجب أشير فى الحديث النبوى: لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء.

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور لا يقصر عن الصحيح عندى.
" مؤمن حقا" قوله: حقا مؤكد كقولهم: هذا عبد الله حقا، و الحاصل أنى مؤمن حق الإيمان، و كما ينبغى أن يكون المؤمن" فأسهرت ليلى" على صيغة

ص: 336
يَا رَسُولَ اللَّهِ عَزَفَتْ نَفْسِی عَنِ الدُّنْيَا فَأَسْهَرَتْ لَيْلِی وَ أَظْمَأَتْ هَوَاجِرِی وَ كَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی عَرْشِ رَبِّیِّ قَدْ وُضِعَ لِلْحِسَابِ وَ كَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَی أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِی الْجَنَّةِ وَ كَأَنِّی أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِی النَّارِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ص عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَبْصَرْتَ فَاثْبُتْ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِی أَنْ يَرْزُقَنِی الشَّهَادَةَ مَعَكَ فَقَالَ- اللَّهُمَّ ارْزُقْ حَارِثَةَ الشَّهَادَةَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّاماً حَتَّی بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ص سَرِيَّةً- فَبَعَثَهُ فِيهَا فَقَاتَلَ فَقَتَلَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً ثُمَّ قُتِلَ

الغيبة بإرجاع الضمير إلى النفس أو على صيغة التكلم، و كذا الفقرة التالية تحتمل الوجهين، و يقال: تزاوروا أی زار بعضهم بعضا، و قال فی النهاية فی حديث حارثة: كأنی أسمع عواء أهل النار، أی صياحهم و العواء صوت السباع و كأنه بالذئب و الكلب أخص، و فی القاموس: عوی يعوی عيا و عواءا بالضم لوی خطمه ثم صوت أو مد صوته و لم يفصح.

و قال: السرية من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة، و فی الصحاح: السرية قطعة من الجيش.

قوله: و فی رواية القاسم بن يزيد، يحتمل الإرسال أو يكون الراوی عنه ابن سنان، فيكون بحكم السند السابق.

ثم اعلم أن هاتين الروايتين تدلان على أن حارثة استشهد فی زمن الرسول صلی الله عليه و آله و سلم و قال بعضهم: و ينافيه ما ذكر الشيخ فی رجاله حيث قال: حارثة بن نعمان الأنصاری كنيته أبو عبد الله شهد بدرا و أحدا و ما بعدهما من المشاهد، و ذكر هو أنه رأی جبرئيل عليه السلام دفعتين على صورة دحية الكلبی أو لهما حين خرج رسول الله صلی الله عليه و آله و سلم إلى بنی قريظة، و الثانی حين رجع من حنين، و شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام القتال، و توفی فی زمن معاوية، انتهی.

و هو خطاء لأن المذكور فی الخبر حارثة بن مالک و جده النعمان، و ما ذكره الشيخ حارثة بن النعمان و هو غيره، و العجب أن هذا الحديث مذكور فی

ص: 337
وَ فِی رِوَایَةِ الْقَاسِمِ بْنِ بُرَیْدٍ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ اسْتُشْهِدَ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِی طَالِبٍ بَعْدَ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَ کَانَ هُوَ الْعَاشِرَ
4 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ النَّوْفَلِیِّ عَنِ السَّکُونِیِّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَیْهِ إِنَّ عَلَی کُلِّ حَقٍّ حَقِیقَةً وَ عَلَی کُلِّ صَوَابٍ

کتب العامة أیضا کما یظهر من النهایة، و هذا الرجل غیر مذکور فی رجالهم و کأنه لعدم الروایة عنه کما أن أصحابنا أیضا لم یذکروه لذلک.

: ضعيف على المشهور.
و يمكن أن يكون المراد بالحقيقة الدليل العقلى و بالنور الدليل النقلى من الكتاب و السنة، أو يكون المراد بالحقيقة العلامة الدالة على وجوده كما مر، و بالنور الدلائل الدالة على المسائل الأصولية و الفروعية، عقلية كانت أو نقلية، و يحتمل أن يكون المراد بالنور الآيات القرآنية فالمراد بالحقيقة السنة أو الأعم منها و من الدلائل العقلية لأنه قد مضى هذا الخبر بهذا السند فى باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب، و له تتمة و هى قوله: فما وافق كتاب الله فخذوه و ما خالف كتاب الله فدعوه.
و قيل: المراد بالحق ظاهر الشريعة و بالحقيقة باطنه و غايته و ماله و ما به كماله، كما قيل: ينقسم ما جاء به الشارع إلى شريعة و حقيقة فالشريعة ظاهر ما ورد به النقل، و الحقيقة باطنه و هو بين العبد و بين الله، فحكم الشريعة على الظاهر و حكم الحقيقة على الباطن كما روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم نحن نحكم بالظاهر، و الله يتولى السرائر، فكل عبادة ظاهرة إن لم تصدر عن حقيقة باطنة كأعمال المنافقين و المرائين فهى باطلة، و كالتقوى فإن أوله حق يشمل عوام المؤمنين، و له حقيقة و غاية يبلغها خواص الأولياء و كذلک الأيمان فإن أوله حق و به يخرج عن الكفر و له حقيقة و غاية هى كماله يبلغها خواص المؤمنين.

نُوراً

بَابُ التَّفَكُّرِ

1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقُولُ نَبِّهْ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَکَ وَ جَافِ عَنِ اللَّيْلِ

و بالجملة الحق فى كل شىء بمنزلة القشر و الحقيقة بمنزلة اللب، و إنما قال: على كل حق، و لم يقل لكل حق للتنبيه بالاستعلاء على أن حقيقة كل شىء مرتفع على حقه و مستول عليه إذ هو المقصود منه و لمجانسة قوله: و على كل صواب نورا، و الصواب ضد الخطإ أى على كل صواب من قول أو فعل أو عقد برهان يحققه، و دليل يصدقه، و إنما سمى نورا لأنه سبب ظهوره.

باب التفكر

: ضعيف على المشهور.
و التنبيه الإيقاظ عن النوم و عن الغفلة، و فى القاموس النبه بالضم الفطنة و القيام من النوم، و أنبهه و نبهه فتنبه و انتبه و هذا منبهة على كذا يشعر به، و لفلان مشعر بقدره و معل له، و ما نبه له كفرح: ما فطن و الاسم النبه بالضم، و نبه باسمه تنبيها نوه، انتهى.
و التفكر إعمال الفكر فيما يفيد العلم به قوة الإيمان و اليقين، و الزهد فى الدنيا و الرغبة فى الآخرة، قال الغزالى: حقيقة التفكر طلب علم غير بديهى من مقدمات موصلة إليه كما إذا تفكر إن الآخرة باقية و الدنيا فانية، فإنه يحصل له العلم بأن الآخرة خير من الدنيا، و هو يبعثه على العمل للآخرة فالتفكر سبب لهذا العلم، و هذا العلم حالة نفسانية و هو التوجه إلى الآخرة و هذه الحالة تقتضى العمل لها، و قس على هذا فالتفكر موجب لتنور القلب و خروجه من الغفلة،

جَنْبَکَ وَ اتَّقِ اللَّهَ رَبَّکَ

و أصل لجميع الخيرات.
و قال المحقق الطوسى قدس سره: التفكر سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد و هو قريب من النظر و لا يرتقى أحد من النقص إلى الكمال إلا بهذا السير و مباديه الآفاق و الأنفس بأن يتفكر فى أجزاء العالم و ذراته و فى الأجرام العلوية من الأفلاک و الكواكب و حركاتها و أوضاعها و مقاديرها و اختلافاتها و مقارناتها و مفارقاتها و تأثيراتها و تغييراتها و فى الأجرام السفلية و ترتيبها و تفاعلها و كيفياتها و مركباتها و معدنياتها و حيواناتها، و فى أجزاء الإنسان و أعضائه من العظام و العضلات و العصبات و العروق و غيرها مما لا يحصى كثرة، و يستدل بها و بما فيها من المصالح و المنافع و الحكم و التغيير على كمال الصانع و عظمته و علمه و قدرته، و عدم ثبات ما سواه.
و بالجملة التفكر فيما ذكر و نحوه من حيث الخلق و الحكمة و المصالح أثره العلم بوجود الصانع و قدرته و حكمته، و من حيث تغييره و انقلابه و فنائه بعد وجوده أثره الانقطاع منه و التوجه بالكلية إلى الخالق الحق، و من هذا القبيل التفكر فى أحوال الماضين و انقطاع أيديهم عن الدنيا و ما فيها، و رجوعهم إلى دار الآخرة فإنه يوجب قطع المحبة عن غير الله و الانقطاع إليه بالتقوى و الطاعة، و لذا أمر بهما بعد الأمر بالتفكر، و يمكن تعميم التفكر بحيث يشمل التفكر فى معانى الآيات القرآنية و الأخبار النبوية و الآثار المروية عن الأئمة عليهم السلام، و المسائل الدينية و الأحكام الشرعية، و بالجملة كلما أمر الشارع الصادق بالخوض فيه و العلم به.
قوله عليه السلام: و جاف عن الليل جنبک، الجفاء البعد، و جاف عنه كذا أى باعده عنه، فى الصحاح: جفا السرج عن ظهر الفرس و أجفيته أنا إذا رفعته عنه، و جافاه عنه فتجافى جنبه عن الفراش أى نبأ، انتهى.
و قال سبحانه:" تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ" و إسناد المجافاة إلى الليل مجاز فى الإسناد، أى جاف عن الفراش بالليل أو فيه تقدير مضاف أى جاف عن فراش

ص: 340

2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبَانٍ عَنِ الْحَسَنِ الصَّيْقَلِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَمَّا يَرْوِي اَلنَّاسُ أَنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ قُلْتُ كَيْفَ يَتَفَكَّرُ قَالَ يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ أَوْ بِالدَّارِ فَيَقُولُ أَيْنَ سَاكِنُوكِ أَيْنَ بَانُوكِ مَا بَالُكِ لَا تَتَكَلَّمِينَ

الليل جنبک، و على التقادير كناية عن القيام بالليل للعبادة، و قد مر معنى التقوى و التوصيف بالرب للتعليل.

الحديث الثانى

: مرسل.
" خير من قيام ليلة" أى للعبادة لأن التفكر من أعمال القلب و هو أفضل من أعمال الجوارح، و أيضا أثره أعظم و أدوم، إذ ربما صار تفكر ساعة سببا للتوبة عن المعاصى، و لزوم الطاعة تمام العمر.
" يمر بخربة" كأنه عليه السلام ذكر ذلک على سبيل المثال لتفهيم السائل أو قال ذلک على قدر فهم السائل و رتبته فإنه كان قابلا لهذا النوع من التفكر، و المراد بالدار ما لم تخرب لكن مات من بناها و سكنها غيره، و بالخربة ما خرب و لم يسكنه.
أحد، و كون الترديد من الراوى كما زعم بعيد، و يحتمل أن يكون: أين ساكنوک؟
للخربة و أين بانوک؟ للدار على اللف و النشر المرتب، لكن كونهما لكل منهما أظهر، و الظاهر أن القول بلسان الحال، و يحتمل المقال، و قوله: ما لک لا تتكلمين؟ بيان لغاية ظهور الحال أى العبرة فيک بينة بحيث كان ينبغى أن تتكلم بذلک، و قيل:
هو من قبيل ذكر اللازم و إرادة الملزوم، فنفى التكلم كناية عن نفى الاستماع أى لم لا يسمع الغافلون ما تتكلم به بلسان الحال جهرا أو قيل: استفهام إنكارى أى أنت تتكلمين لكن الغافلون لا يستمعون و هو بعيد، و يمكن أن يكون كلامها كناية عن تنبيه الغافلين أى لم تنتبه المغرورين بالدنيا مع هذه الحالة الواضحة، و يؤول إلى تعبير الجاهلين بعدم الاتعاظ به كما أنه يقول رجل لوالد رجل فاسق بحضرته:
لم لا تعظ ابنک؟ مع أنه يعلم أنه يعظه و إنما يقول ذلک تعييرا للابن.

ص: 341
3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِدْمَانُ التَّفَكُّرِ فِی اللَّهِ وَ فِی قُدْرَتِهِ
4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ سَمِعْتُ

: مرسل كالصحيح فإنه يقال مراسيل البزنطى فى حكم المسانيد.
و الإدمان الإدامة و قوله عليه السلام: و فى قدرته، كأنه عطف تفسير لقوله: فى الله، فإن التفكر فى ذات الله و كنه صفاته ممنوع كما مر فى الأخبار فى كتاب التوحيد، لأنه يورث الحيرة و الدهش و اضطراب العقل، فالمراد بالتفكر فى الله النظر إلى أفعاله و عجائب صنعه و بدائع أمره فى خلقه، فإنها تدل على جلاله و كبريائه و تقدسه و تعاليه، و تدل على كمال علمه و حكمته، و على نفاذ مشيته و قدرته و إحاطته بالأشياء، و أنه سبحانه لكمال علمه و حكمته لم يخلق هذا الخلق عبثا من غير تكليف و معرفة و ثواب و عقاب فإنه لو لم تكن نشأة أخرى باقية غير هذه النشأة الفانية المحفوفة بأنواع المكاره و الآلام لكان خلقها عبثا كما قال تعالى:" أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ".
و هذا تفكر أولى الألباب كما قال تعالى:" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ" و قال سبحانه وَ مِنْ آياتِهِ، وَ مِنْ آياتِهِ*، فى مواضع كثيرة فتلك الآيات هى مجارى التفكر فى الله و فى قدرته لأولى النهى لا ذاته تعالى، فقد روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم إنما قال: تفكروا فى آلاء الله فإنكم لن تقدروا قدره.

الحديث الرابع

: صحيح.

أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع يَقُولُ لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصَّلَاةِ وَ الصَّوْمِ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِی أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ
5 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَهْلٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ رِبْعِیٍّ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ص إِنَّ التَّفَكُّرَ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَ الْعَمَلِ بِهِ

" ليس العبادة كثرة الصلاة" أی ليست منحصرة فيها" إنما العبادة" أی الكاملة" التفكر فی أمر الله" بالمعانی المتقدمة، و قد يقال: المراد بالتفكر فی أمر الله طلب العلم بكيفية العمل و آدابه و شرائطه، و العبادة بدونه باطلة، فالحاصل أن كثرة الصلاة و الصوم بدون العلم بشرائطهما و كيفياتهما و أحكامهما ليست عبادة.
و أقول: يحتمل أن يكون المعنى أن كثرة الصلاة و الصوم بدون التفكر فی معرفة الله و معرفة رسوله و معرفة أئمة الهدى كما يصنعه المخالفون غير مقبولة و موجبة للبعد عن الحق.

الحديث الخامس

: ضعيف.
" التفكر يدعو إلى البر" كان التفكر الوارد فى هذا الخبر شامل لجميع التفكرات الصحيحة التى أشرنا إليها كالتفكر فى عظمة الله فإنه يدعو إلى خشيته و طاعته، و التفكر فى فناء الدنيا و لذاتها فإنها يدعو إلى تركها، و التفكر فى عواقب من مضى من الصالحين فيدعو إلى اقتفاء آثارهم، و فى ما آل إليه أمر المجرمين فيدعو إلى اجتناب أطوارهم، و فى عيوب النفس و آفاتها فيدعو إلى الإقبال على إصلاحها، و فى أسرار العبادة و غاياتها فيدعو إلى السعى فى تكميلها و رفع النقص عنها، و فى رفعة درجات الآخرة فيدعو إلى تحصيلها، و فى مسائل الشريعة فيدعو إلى العمل بها فى مواضعها، و فى حسن الأخلاق الحسنة فيدعو إلى تحصيلها، و فى قبح الأخلاق السيئة و سوء آثارها فيدعو إلى تجنبها، و فى نقص أعماله و معائبها فيدعو إلى السعى فى إصلاحها، و فى سيئاته و ما يترتب عليها من العقوبات و البعد عن الله

بَابُ الْمَكَارِمِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ أَبِي مَسْرُوقٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِسْحَاقَ شَعِرٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ الْمَكَارِمُ عَشْرٌ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ فِيكَ فَلْتَكُنْ فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَ لَا تَكُونُ فِي وَلَدِهِ

و الحرمان عن السعادات فيدعوه إلى الانتهاء عنها و تدارک ما أتى به بالتوبة و الندم، و فى صفات الله و أفعاله من لطفه بعباده و إحسانه إليه بسوابغ النعماء و بسط الآلاء و التكليف دون الطاقة و الوعد لعمل قليل بثواب جزيل، و تسخيره له ما فى السماوات و الأرض و ما بينهما. إلى غير ذلک فيدعوه إلى البر و العمل به، و الرغبة فى الطاعات و الانتهاء عن السيئات، و بالمقايسة إلى ما ذكرنا يظهر آثار سائر التفكرات، و الله الموفق للخيرات.

باب المكارم

الحديث الأول

: مجهول.
و فى الخصال و مجالس الشيخ و المفيد عن الحسن بن عطية، فالحديث حسن كالصحيح و هو الظاهر.
و فى القاموس: الكرم محركة ضد اللؤم، كرم بضم الراء كرامة فهو كريم و مكرمة و أكرمه و كرمه عظمه و نزهة، و الكريم الصفوح و المكرم و المكرمة بضم رأيهما فعل الكرم، و أرض مكرمة كريمة طيبة، انتهى.
و المكارم جمع المكرمة أى الأخلاق و الأعمال الكريمة الشريفة التى توجب كرم المرء و شرافته.
" فإن استطعت" يدل على أن تحصيل تلك الصفات أو كمالها لا يتيسر لكل أحد فإنها من العنايات الربانية و المواهب السبحانية التابعة للطينات الحسنة الطيبة، و بين عليه السلام ذلک بقوله. فإنها تكون فى الرجل و لا تكون فى ولده مع

وَ تَكُونُ فِی الْوَلَدِ وَ لَا تَكُونُ فِی أَبِيهِ وَ تَكُونُ فِی الْعَبْدِ وَ لَا تَكُونُ فِی الْحُرِّ قِيلَ وَ مَا

شدة المناسبة و الخلطة و المعاشرة بينهما، و كذا العكس، و لا مدخل للشرافة النسبية فی ذلک و لا الكرامة الدنيوية و بين عليه السلام ذلک بقوله: و تكون فی العبد،" إلخ".

فإن قيل: إذا كانت هذه الصفات من المواهب الربانية فلا اختيار للعباد فيها، فلا يتصور التكليف بها و المذمة على تركها؟ قلت: يمكن أن يجاب عنه بوجهين: الأول: أن يكون المراد بالاستطاعة بسهولة التحصيل، لا القدرة و الاختيار، و تكون العناية الإلهية سببا لسهولة الأمر لا التمكن منه، الثانی: أن تكون الاستطاعة فی المستحبات كإقراء الضيف و إطعام السائل و التذمم و الحياء لا فی الواجبات كصدق اللسان و أداء الأمانة.

قوله عليه السلام: صدق البأس، فی بعض نسخ الكتاب و مجالس الشيخ و غيره بالياء المثناة التحتانية، و فی بعضها بالباء الموحدة.

فعلى الأول المراد به اليأس عما فی أيدی الناس و قصر النظر على فضله تعالى و لطفه، و المراد بصدقه عدم كونه بمحض الدعوى من غير ظهور آثاره، إذ قد يطلق الصدق فی غير الكلام من أفعال الجوارح، فيقال: صدق فی القتال إذا و فی حقه و فعل على ما يجب و كما يجب، و كذب فی القتال إذا كان بخلاف ذلک، و قد يطلق على مطلق الحسن نحو قوله تعالى:" مَقْعَدِ صِدْقٍ" و" قَدَمَ صِدْقٍ".

و على الثانی المراد بالبأس أما الشجاعة و الشدة فی الحرب و غيره، أی الشجاعة الحسنة الصادقة فی الجهاد فی سبيل الله، و إظهار الحق و النهی عن المنكر، أو من البؤس و الفقر كما قيل: أريد بصدق البأس موافقة خشوع ظاهره و إخباته لخشوع باطنه و إخباته لا يرى التخشع فی الظاهر أكثر مما فی باطنه، انتهى.

و هو بعيد عن اللفظ إذ الظاهر حينئذ البؤس بالضم و هو خلاف المضبوط من

هُنَّ قَالَ صِدْقُ الْبَأْسِ وَ صِدْقُ اللِّسَانِ وَ أَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَ صِلَةُ الرَّحِمِ وَ إِقْرَاءُ الضَّيْفِ

الرسم، قال فى القاموس: البأس العذاب و الشدة فى الحرب، بؤس ككرم بأسا فهو بئيس شجاع، و بئس كسمع بؤسا اشتدت حاجته، و التباؤس التفاقر و أن يرى تخشع الفقراء إخباتا و تضرعا، انتهى.
و كأنه أخذه من المعنى الأخير و لا يخفى ما فيه، و قال بعضهم: صدق البأس أى الخوف أو الخضوع أو الشدة و الفقر و منه" الْبائِسَ الْفَقِيرَ" أو القوة و صدق الخوف من المعصية بأن يتركها، و من التقصير فى العمل بأن يسعى فى كماله، و من عدم الوصول إلى درجة الأبرار بأن يسعى فى اكتساب الخيرات، و صدق الخضوع بأن يخضع لله لا لغيره، و صدق الفقر بأن يترک عن نفسه هواها و متمنياتها، و صدق القوة بأن يصرفها فى الطاعات، انتهى.
و فى أكثرها تكلف مستغنى عنه.
" و أداء الأمانة" الأمانة ضد الخيانة و ما يؤتمن عليه و كأنها تعم المال و العرض و السر و غيرها من حقوق الله و حقوق النبى و الأئمة عليهم السلام و سائر الخلق، كما قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها" و قد فسرت الأمانة فى هذه الآية و غيرها بالودائع و التكاليف، و الإمامة و الخلافة فى أخبار كثيرة مر بعضها.
و فى النهاية قد تكرر فى الحديث ذكر صلة الرحم و هى كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب و الأصهار و التعطف عليهم و الرفق بهم و الرعاية لأحوالهم، و كذلک إن بعدوا و أساءوا، و قطع الرحم ضد ذلک كله، يقال: وصل رحمه يصلها وصلا و صلة، و الهاء فيها عوض من الواو المحذوفة، فكأنه بالإحسان إليهم وصل ما بينه و بينهم من علاقة القرابة و الصهر، انتهى.
و شمولها للأصهار لا يخلو من نظر و إن كان حسنا.
" و إقراء الضيف" كذا فى نسخ الكتاب و غيره إلا فى رواية أخرى رواها الشيخ

وَ إِطْعَامُ السَّائِلِ وَ الْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنَائِعِ وَ التَّذَمُّمُ لِلْجَارِ وَ التَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ وَ رَأْسُهُنَ

فى المجالس موافقة المضامين لهذه الرواية فإن فيها قرى الضيف و هو أظهر و أوفق لما فى كتب اللغة، فى القاموس: قرى الضيف قرى بالكسر و القصر، و الفتح و المد أضافه و استقرى و اقترى و أقرئ طلب ضيافة، انتهى.
لكن قد نرى كثيرا من الأبنية مستعملة فى الأخبار و العرف العام و الخاص لم يتعرض لها اللغويون، و قد يقال: الأفعال هنا للتعريض نحو أباع البعير، و قيل:
إقراء الضيف طلبه للضيافة و لم أدر من أين أخذه، و كأنه أخذه من آخر كلام الفيروزآبادى، و لا يخفى ما فيه.
و القرى و الإطعام إما مختصان بالمؤمن أو بالمسلم مطلقا كما يدل عليه بعض الأخبار و إن كان يأباه بعضها أو الأعم منه و من الكفار كما اشتهر على الألسن:
أكرم الضيف و لو كان كافرا، و أما الحربى فالظاهر العدم، ثم هما يتفاوتان فى الفضل بحسب تفاوت نية القارى أو المطعم و احتياجهما و استحقاق الضيف أو السائل و صلاحهما، و الغالب استحبابهما و قد يجبان عند خوف هلاك الضيف و السائل.
و المكافاة على الصنائع أى المجازات على الإحسان، فى القاموس: كافأه مكافأة و كفاء جازاه، و فى النهاية: الاصطناع افتعال من الصنيعة و هى العطية و الكرامة و الإحسان، و لعلها من المستحبات و الآداب لجواز الأخذ من غير عوض لما رواه إسحاق بن عمار قال: قلت له: الرجل يهدى إلى الهدية يتعرض لما عندى فآخذها و لا أعطيه شيئا؟ قال: نعم هى لک حلال و لكن لا تدع أن تعطيه، و هذا هو الأشهر الأقوى.
و عن الشيخ أن مطلق الهبة يقتضى الثواب و مقتضاه لزوم بذله و إن لم يطلبه الواهب و هو بعيد، و عن أبى الصلاح أن هبة الأدنى للأعلى يقتضى الثواب فيعوض عنها بمثلها و لا يجوز التصرف فيها ما لم يعوض، و الأظهر خلافه.
نعم إن اشترط الواهب على المتهب العوض و عينه لزم و إن أطلق و لم يتفقا على

الْحَيَاءُ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَصَّ رُسُلَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ ذَلِکَ مِنْ خَيْرٍ

شیء فالظاهر أنه یلزم المتهب مثل الموهوب أو قیمته إن أراد اللزوم، و هل یهب علی المتهب الوفاء بالشرط أو له التخییر فیه و فی رد العین؟ فیه قولان.
و فی النهایة التذمم للصاحب هو أن یحفظ ذمامه و یطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم یحفظه، و فی القاموس تذمم استنکف یقال: لو لم أترک الکذب تأثما لترکته تذمما، و الحاصل أن یدفع الضرر عمن یصاحبه سفرا أو حضرا و عمن یجاوره فی البیت أو فی المجلس أیضا، أو من أجاره و آمنه خوفا من اللوم و الذم لکنه مقید بما إذا لم ینته إلی الحمیة و العصبیة بأن یرتکب المعاصی لإعانته.
فی القاموس: الجار المجاور، و الذی أجرته من أن یظلم، و المجیر و المستجیر و الحلیف" و رأسهن الحیاء" لأن جمیع ما ذکر إنما یحصل و یتم بالحیاء من الله أو من الخلق، فهی بالنسبة إلیها کالرأس من البدن، و الحیاء انقباض النفس عن القبائح و ترکها لذلک.

: موثق و آخره مرسل.
و الخلق بالضم ملكة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة، و منها ما تكون خلقية و منها ما تكون كسبية بالتفكر و المجاهدة و الممارسة و تمرين النفس عليها، فلا ينافى وقوع التكليف بها كما أن البخيل يعطى أولا بمشقة و مجادلة للنفس ثم يكرر ذلک حتى يصير خلقا و عادة له، و المراد بتخصيص الرسل بها أن الفرد الكامل منها مقصورة عليهم أو هم مقصورون عليها دون أضدادها، فإن الباء قد تدخل على المقصور كما هو المشهور و قد تدخل على المقصور عليه، أو المعنى خص الرسل بإنزال المكارم عليهم و أمرهم بتبليغها كما روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" و اعلموا أن

وَ إِنْ لَا تَكُنْ فِيكُمْ فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَ ارْغَبُوا إِلَيْهِ فِيهَا قَالَ فَذَكَرَهَا عَشَرَةً الْيَقِينَ وَ الْقَنَاعَةَ وَ الصَّبْرَ وَ الشُّكْرَ وَ الْحِلْمَ وَ حُسْنَ الْخُلُقِ وَ السَّخَاءَ وَ الْغَيْرَةَ وَ الشَّجَاعَةَ وَ الْمُرُوءَةَ

ذلک من خير" أى من خير عظيم أراد الله بكم أو علم الله فيكم من صفاء طينتكم أو من عمل خير أو نية خير صدر عنكم فاستحققتم أن يتفضل عليكم بذلک. أو اعلموا أن ذلک من توفيق الله سبحانه، و لا يمكن تحصيل ذلک إلا به، أو عدوه من الخيرات العظيمة أو خص رسله من بين سائر الخلق بالنبوة و الرسالة و الكرامة بسبب مكارم الأخلاق التى علمها فيهم.

و اليقين أعلى مراتب الإيمان بحيث يبعث على العمل بمقتضاه كما مر.

و القناعة الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها يقال: قنع يقنع قناعة إذا رضى، و الأظهر عندى أنها الاكتفاء بما أعطاه الله تعالى و عدم طلب الزيادة منه قليلا كان أم كثيرا.

و الصبر هو حبس النفس عن الجزع عند المصيبة و عن ترک الطاعة لمشقتها و عن ارتكاب المعصية لغلبة شهوتها.

و الشكر مكافأة نعم الله فى جميع الأحوال باللسان و الجنان و الأركان.

و الحلم ضبط النفس عن المبادرة إلى الانتقام فيما يحسن لا مطلقا.

و حسن الخلق هو المعاشرة الجميلة مع الناس بالبشاشة و التودد و التلطف و الإشفاق و احتمال الأذى عنهم.

و السخاء هو بذل المال بسهولة على قدر لا يؤدى إلى الإسراف فى موضعه، و أفضله ما كان بغير سؤال.

و الغيرة الحمية فى الدين و ترک المسامحة فيما يرى فى نسائه و حرمه من القبائح، لا تغير الطبع بالباطل و الحمية فيه، و القتل و الضرب بالظن من غير ثبوت شىء عليه شرعا و أمثال بذلک.

و الشجاعة الجرأة فى الجهاد مع أعادى الدين مع تحقق شرائطه، و الأمر

قَالَ وَ رَوَى بَعْضُهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْخِصَالِ الْعَشَرَةِ وَ زَادَ فِيهَا الصِّدْقَ وَ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ
3 عَنْهُ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ

بالمعروف و النهى عن المنكر، و مجاهدة النفس و الشيطان.
و المروءة بالهمز و قد يشدد الواو بتخفيف الهمزة هى الإنسانية، و هى صفات إذا كانت فى الإنسان يحق أن يسمى إنسانا أو يحق الإنسان من حيث أنه إنسان أن يأتى بها فهو مشتق من المرء فهى من أمهات الصفات الكمالية، قال فى المصباح:
المروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق و جميل العادات، انتهى.
و قريب منه معنى الفتوة و يعبر عنهما بالفارسية (بمردى و جوانمردى) و يرجع أكثر ما يندرج فيه إلى البذل و السخاء و حسن المعاشرة و كثرة النفع للعباد و الإتيان بما يعظم عند الناس من ذلک.
و روى الصدوق (ره) فى معانى الأخبار بسند مرفوع إلى أبى عبد الله عليه السلام قال: تذاكرنا أمر الفتوة عنده فقال: أ تظنون أن الفتوة بالفسق و الفجور! إنما الفتوة طعام موضوع و نائل مبذول، و بشر معروف و أذى مكفوف، و أما تلک فشطارة و فسق، ثم قال: ما المروة؟ قلنا: لا نعلم قال: المروة و الله أن يضع الرجل خوانه فى فناء داره.
قوله: قال: و روى بعضهم، الظاهر أن فاعل قال البرقى حيث روى من كتابه، و يحتمل ابن مسكان أيضا، و على التقديرين قوله: روى، و" زاد فيها" تنازعا فى الصدق، فقوله: و زاد فيها تأكيد للكلام السابق لئلا يتوهم أنه أتى بها بدلا من خصلتين من العشر تركهما، فلا بد من سقوط عشرة من الرواية الأخيرة كما فى الرواية الآتية، أو إبدالها باثنتى عشرة، و يحتمل أن يكون المراد بقوله: و زاد فيها أنه زاد فى أصل العدد أيضا بما ذكرنا من الإبدال و الله أعلم بحقيقة الحال.

الحديث الثالث

: ضعيف.

ص: 350
عَبَّادٍ قَالَ بَكْرٌ وَ أَظُنُّنِی قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ إِسْمَاعِیلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَیْرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّا لَنُحِبُّ مَنْ كَانَ عَاقِلًا فَهِماً فَقِیهاً حَلِیماً مُدَارِیاً صَبُوراً صَدُوقاً وَفِیّاً إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَصَّ الْأَنْبِیَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَمَنْ كَانَتْ فِیهِ فَلْیَحْمَدِ اللَّهَ عَلَی ذَلِكَ وَ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِیهِ فَلْیَتَضَرَّعْ إِلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لْیَسْأَلْهُ إِیَّاهَا

و قد مر تفسیر العقل فی أول الكتاب و الأظهر هنا أنه ملكة للنفس یدعو إلی اختیار الخیر و النافع و اجتناب الشرور و المضار، و بها تقوی النفس علی زجر الدواعی الشهویة و الغضبیة و الوساوس الشیطانیة.
و الفهم هو جودة تهیؤ الذهن لقبول ما یرد علیه من الحق و ینتقل من المبادئ إلی المطالب بسرعة، و الفقه العلم بالأحكام من الحلال و الحرام و بالأخلاق و آفات النفوس و موانع القرب من الحق، و قیل: بصیرة قلبیة فی أمر الدین تابعة للعلم و العمل، مستلزم للخوف و الخشیة، و قال الراغب: الفقه هو التوصل إلی علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم، قال تعالی:" فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا یَكادُونَ یَفْقَهُونَ حَدِیثاً"" بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ*" إلی غیر ذلك من الآیات.
و الفقه العلم بأحكام الشریعة یقال: فقه الرجل إذا صار فقیها و تفقه إذا طلبه، فتخصص به، قال تعالی:" لِیَتَفَقَّهُوا فِی الدِّینِ" و المداراة الملاطفة و الملاینة مع الناس و ترك مجادلتهم و مناقشتهم و قد یهمز قال فی القاموس: درأه كجعله دفعه و درأته و درایته دافعته و لا ینته ضد، و فی النهایة فیه: كان لا یداری و لا یماری، أی لا یشاغب و لا یخالف، و هو مهموز فأما المداراة فی حسن الخلق و الصحبة فغیر مهموز و قد یهمز، انتهی.
و الوفی الكثیر الوفاء بعهود الله و عهود الخلق، و هو قریب من الصدق ملازم له كما قال أمیر المؤمنین علیه السلام: الوفاء توأم الصدق و یومئ الحدیث إلی التحریص

ص: 351
قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ وَ مَا هُنَّ قَالَ هُنَّ الْوَرَعُ وَ الْقَنَاعَةُ وَ الصَّبْرُ وَ الشُّکْرُ وَ الْحِلْمُ وَ الْحَیَاءُ وَ السَّخَاءُ وَ الشَّجَاعَةُ وَ الْغَیْرَةُ وَ الْبِرُّ وَ صِدْقُ الْحَدِیثِ وَ أَدَاءُ الْأَمَانَةِ
4 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ ارْتَضَی لَکُمُ الْإِسْلَامَ دِیناً فَأَحْسِنُوا صُحْبَتَهُ بِالسَّخَاءِ وَ حُسْنِ الْخُلُقِ
5 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ النَّوْفَلِیِّ عَنِ السَّکُونِیِّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ

على محبة الموصوف بالصفات المذكورة، و اختيار مصاحبته.
و الورع قريب من التقوى بل أخص منها ببعض معانيها، فإنه يعتبر فيه الكف عن الشبهات بل المكروهات و بعض المباحات، قال فى النهاية فيه: ملاک الدين الورع، الورع فى الأصل الكف عن المحارم و التحرج منه، ثم أستعير للكف عن المباح و الحلال.
و البر هو الإحسان بالوالدين و الأقربين بل بالناس أجمعين، و قد يطلق على جميع الأعمال الصالحة و الخيرات.

الحديث الرابع

: مرسل.
" ارتضى لكم الإسلام" إشارة إلى قوله تعالى:" وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً" و لما ورد فى الأخبار المتواترة أن الآية نزلت بعد نصب أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة فالخطاب فى الرواية متوجه إلى الشيعة لأنهم الذين قبلوا الولاية" فأحسنوا صحبته" شبه الإسلام برجل صالح يصاحبه المؤمن فإن أحسن صحبته لازمه و إلا فارقه ففيه إشعار بأنه إذا ترک هاتين الخصلتين لا يؤمن أن يفارقه الإسلام فيدل على أن للأعمال الحسنة و الأخلاق الجميلة مدخلا فى رسوخ الإسلام و الإيمان و ثباتهما و كمالهما.

الحديث الخامس

: ضعيف على المشهور.

ص: 352
ع قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ص الْإِيمَانُ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ وَ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ وَ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ
6 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ قَالَ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلَ إِسْلَامُهُ وَ لَوْ كَانَ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ خَطَايَا لَمْ تَنْقُصْهُ الصِّدْقُ وَ الْحَيَاءُ وَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَ الشُّكْرُ
7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ ابْنِ رِئَابٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَ لَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ رِجَالِكُمْ قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ مِنْ خَيْرِ

" الإيمان أربعة أركان" أى مركب منها أو له هذه الأربعة عليها بناؤه و استقراره فكأنه عينها و قد مر تفسير تلك الدعائم و سيأتى أيضا إنشاء الله.

الحديث السادس

: ضعيف على المشهور.
و كان المراد برجل من بنى هاشم الصادق عليه السلام عبر هكذا لشدة التقية، أو الرجل راو و ضمير قال راجع إليه عليه السلام، فالحديث مضمر، و الخبر مروى بسند آخر عن أبى ولاد عن الصادق عليه السلام، و سيأتى فى باب حسن الخلق.
" أربع" أى أربع خصال" لم تنقصه" ضمير المفعول راجع إلى الإسلام أو إلى الموصول أى لم ينقصه شيئا من الإسلام، قيل: أى يوفقه الله للتوبة بسبب تلك الخصال فلا ينقصه شيئا من ثواب الآخرة، مع أن حصول هذه الصفات يوجب ترک أكثر المعاصى و يستلزمه.

: حسن كالصحيح.
" بخير رجالكم" ربما يتوهم التنافى بين هذا و بين قوله: من خير رجالكم، و أجيب بأن المراد بالأول الصنف، و بالثانى كل فرد من هذا الصنف أو الحصر فى الأول إضافى بالنسبة إلى من لم يوجد فيه الصفات المذكورة، دون الخير على الإطلاق.
و أقول: يحتمل أن يكون عليه السلام أراد ذكر الكل ثم اكتفى بذكر البعض،

رِجَالِكُمُ التَّقِيَّ النَّقِيَّ السَّمْحَ الْكَفَّيْنِ النَّقِيَّ الطَّرَفَيْنِ الْبَرَّ بِوَالِدَيْهِ وَ لَا يُلْجِئُ

أو المراد أن المتصف بكل من الصفات المذكورة من جملة الخير، أو المراد بقوله بخير رجالكم ببعضهم بقرينة الأخير، و مرجعه إلى بعض الوجوه المتقدمة" النقي" أى من الشرک و ما يوجب الخروج من الإيمان أو من سائر المعاصى أيضا، فقوله:
النقى الطرفين، تخصيص بعد التعميم أو المراد به الاحتراز عن الشبهات، و النقى النظيف الطاهر من الأوساخ الجسمانية و الأدناس النفسانية من رذائل العقائد و الأخلاق.
" السمح الكفين" قال فى النهاية: سمح و أسمح إذا جاد و أعطى عن كرم و سخاء، انتهى.
و الإسناد إلى الكفين لظهور العطاء منهما، و التثنية للمبالغة أو إشارة إلى عطاء الواجبات و المندوبات.
" النقى الطرفين" أى الفرج عن الحرام و الشبهة، و اللسان عن الكذب و الخنى و الافتراء و الفحش و الغيبة و سائر المعاصى، و ما لا يفيد من الكلام، أو الفرجين أو الفرج و الفم عن أكل الحرام و الشبهة، أو المراد كريم الأبوين و الأول أظهر، قال فى النهاية: طرفا الإنسان لسانه و ذكره، و منه قولهم: لا يدرى أى طرفيه أطول، و فيه: و ما أدرى أى طرفيه أسرع، أراد حلقه و دبره أى أصابه القىء و الإسهال، فلم أدر أيهما أسرع خروجا من كثرته، انتهى.
و المعنى الثالث أيضا حسن لما روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن أكثر ما يدخل النار الأجوفان، قالوا: يا رسول الله و ما الأجوفان؟ قال: الفرج و الفم و أيضا قرنوا فى أخبار كثيرة فى بيان المهلكات بين شهوة البطن و الفرج، و روى فى معانى الأخبار عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: من ضمن لى ما بين لحييه و ما بين رجليه ضمنت له الجنة، و حمله الأكثر على المعنى الأول، قال الصدوق (ره): يعنى من ضمن لى لسانه و فرجه

عِيَالَهُ إِلَى غَيْرِهِ
بَابُ فَضْلِ الْيَقِينِ
1 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنِ الْمُثَنَّى بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ لَيْسَ شَیْءٌ إِلَّا وَ لَهُ حَدٌّ

و أسباب البلايا تنفتح من هذين العضوين، انتهى.
" البر بوالديه" أى المحسن إليهما و المطيع لهما و المتحرى لمحابهما" و لا يلجئ عياله إلى غيره" أى لم يضطرهم لعدم الإنفاق عليهم مع القدرة عليه إلى السؤال عن غيره، يقال: ألجأته إليه و لجأته بالهمزة و التضعيف أى اضطررته و أكرهته.

باب فضل اليقين

: ضعيف على المشهور معتبر.
و قال المحقق الطوسى (ره) فى أوصاف الأشراف: اليقين اعتقاد جازم مطابق ثابت لا يمكن زواله، و هو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بالمعلوم، و العلم بأن خلاف ذلک العلم محال، و له مراتب، علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين.
و قال قدس سره فى بعض مصنفاته إن مراتب المعرفة مثل مراتب معرفة النار مثلا فإن أدناها من سمع أن فى الوجود شيئا يعدم كل شىء يلاقيه و يظهر أثره فى كل شىء يحاذيه، و أى شىء أخذ منه لم ينقص منه شىء، و يسمى ذلک الموجود نارا و نظير هذه المرتبة فى معرفة الله تعالى معرفة المقلدين الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجة، و أعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار و علم أنه لا بد من مؤثر فحكم بذات لها أثر هو الدخان، و نظير هذه المرتبة فى معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر و الاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع، و أعلى منها مرتبة من أحس بحرارة النار بسبب مجاورتها و شاهد الموجودات

ص: 355
قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ فَمَا حَدُّ التَّوَکُّلِ قَالَ الْیَقِینُ قُلْتُ فَمَا حَدُّ الْیَقِینِ قَالَ أَلَّا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ شَیْئاً
2 عَنْهُ عَنْ مُعَلَّی عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی وَلَّادٍ الْحَنَّاطِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مِنْ صِحَّةِ یَقِینِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ

بنورها و انتفع بذلک الأثر.
و نظیر هذه المرتبة فی معرفة الله سبحانه معرفة المؤمنین الخلص الذین اطمأنت قلوبهم بالله و تیقنوا أن الله نور السماوات و الأرض کما وصف به نفسه، و أعلی منها مرتبة من احترق بالنار بکلیته و تلاشی فیها بجملته، و نظیر هذه المرتبة فی معرفة الله تعالی معرفة أهل الشهود و الفناء فی الله و هو الدرجة العلیا و المرتبة القصوی رزقنا الله الوصول إلیها و الوقوف علیها بمنه و کرمه، انتهی.
و المراد بالحد هنا إما علامته أو تعریفه أو نهایته، فعلی الأول المعنی أن علامة التوکل الیقین، و علی الثانی تعریف له بلازمه، و علی الثالث المعنی أن التوکل ینتهی إلی الیقین فإنه إذا تمرن علی التوکل و عرف آثاره حصل له الیقین بأن الله مدبر أمره و أنه الضار النافع، و کذا الفقرة الثانیة تحتمل الوجوه المذکورة و عدم الخوف من غیره سبحانه لا ینافی التقیة و عدم إلقاء النفس إلی التهلکة إطاعة لأمره تعالی فإن صاحب الیقین یفعلهما خوفا منه تعالی کما أن التوکل لا ینافی التوسل بالوسائل و الأسباب تعبدوا مع کون الاعتماد علی الله تعالی فی جمیع الأمور.

الحديث الثانى

: له سندان أولهما ضعيف على المشهور كالصحيح عندى، و ثانيهما صحيح، فهما فى غاية الصحة و القوة.
" من صحة يقين المرء المسلم" أى من علامات كون يقينه بالله و بكونه مالكا لنفعه و ضره و قاسما لرزقه على ما علم صلاح دنياه و آخرته فيه، و أن الله مقلب

أَنْ لَا يُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَ لَا يَلُومَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَسُوقُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ وَ لَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ وَ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ

القلوب و هى بيده يصرفها كيف يشاء و أن الآخرة الباقية خير من الدنيا الفانية صحيحا غير معلول و لا مشوب بشک و شبهة و أنه واقع ليس محض الدعوى.

" أن لا يرضى الناس بسخط الله" بأن يوافقهم فى معاصيه تعالى طلبا لما عندهم من الزخارف الدنيوية أو المناصب الباطلة، و يفتيهم بما يوافق رضاهم من غير خوف أو تقية، و لا يأمرهم بالمعروف و لا ينهاهم عن المنكر من غير خوف ضرر أو عدم تجويز تأثير، بل لمحض رعاية رضاهم و طلب التقرب عندهم، أو يأتى أبواب الظالمين و يتذلل عندهم لا لتقية تجوزه و لا لمصلحة جلب نفع لمؤمن أو لدفع ضرر عنه، بل لطلب ما فى أيديهم لسوء يقينه بالله و برازقيته، مع أنه يترتب عليه خلاف ما أمله، كما روى: من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس.

قوله عليه السلام: و لا يلومهم على ما لم يؤته الله، أى لا يذمهم و لا يشكرهم على ترک صلتهم إياه بالمال و غيره فإنه يعلم صاحب اليقين أن ذلک شىء لم يقدره الله له و لا يرزقه إياه لعدم كون صلاحه فيه مطلقا أو فى كونه بيد هذا الرجل و بتوسطه بل يوصله إليه من حيث لا يحتسب فلا يلوم أحدا بذلک لأنه ينظر إلى مسبب الأسباب و لا ينظر إليها و لا يعترض على الله فيما فعل به.

و هذا اللوم يتضمن نوعا من الشرک حيث جعلهم الرازق و المعطى مع الله و سخطا لقضاء الله و الموقن برىء منهما، فضمير يؤته راجع إلى المرء المسلم، و عائد" ما" محذوف بتقدير إياه.

و قيل: يحتمل أن يكون المراد أنه لا يلومهم على ما لم يؤته الله إياهم فإن الله خلق كل أحد على ما هو عليه و كل ميسر لما خلق له فيكون كقوله عليه السلام لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم أحد أحدا.

الْمَوْتِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ بِعَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ جَعَلَ

و لا يخفى بعده لا سيما بالنظر إلى التعليل بقوله فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص أي الرزق الذى قدره الله للإنسان لا يحتاج فى وصوله إلى حرص بل يأتيه بأدنى سعى أمر الله به" و لا يرده" هذا الرزق" كراهة كاره" لرزق نفسه لقلته أو للزهد، أو كاره لرزق غيره حسدا، و يؤكد الأول: و لو أن أحدكم" إلخ" و هذا يدل على أن الرزق مقدر من الله تعالى و يصل إلى العبد البتة.

و فيه مقامان: الأول: أن الرزق هل يشمل الحرام أم لا؟ فالمشهور بين الإمامية و المعتزلة الثانى، و بين الأشاعرة الأول قال الرازى فى تفسير قوله تعالى:

" وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ*" الرزق فى كلام العرب الحظ و قال بعضهم: كل شىء يؤكل أو يستعمل، و قال آخرون: الرزق هو ما يملك، و أما فى عرف الشرع فقد اختلفوا فيه فقال أبو الحسن البصرى: الرزق هو تمكين الحيوان من الانتفاع بالشىء و الحظر غير أن يمنعه من الانتفاع به فإذا قلنا رزقنا الله الأموال فمعنى ذلک أنه مكننا من الانتفاع بها و المعتزلة لما فسروا الرزق بذلک لا جرم قالوا: الحرام لا يكون رزقا و قال أصحابنا: الحرام قد يكون رزقا.

حجة الأصحاب من وجهين: الأول: أن الرزق فى أصل اللغة هو الحظ و النصيب على ما بيناه فمن انتفع بالحرام فذلک الحرام صار حظا و نصيبا له، فوجب أن يكون رزقا له، الثانى: أنه تعالى قال:" وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها" و قد يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة فوجب أن يقال:

أنه طول عمره لم يأكل من رزقه شيئا.

و أما المعتزلة فقد احتجوا بالكتاب و السنة، و المعنى، أما الكتاب فوجوه

الرَّوْحَ وَ الرَّاحَةَ فِی الْیَقِینِ وَ الرِّضَا وَ جَعَلَ الْهَمَّ وَ الْحَزَنَ فِی الشَّکِّ وَ السَّخَطِ

أحدها: قوله تعالى:" وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ*" مدحهم على الإنفاق مما رزقهم الله تعالى فلو كان الحرام رزقا لوجب أن يستحقوا المدح إذا أنفقوا من الحرام و ذلک باطل بالاتفاق، و ثانيها. لو كان الحرام رزقا لجاز أن ينفق الغاصب منه لقوله تعالى:
" وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناکُمْ" و أجمع المسلمون على أنه لا يجوز للغاصب أن ينفق منه بل يجب عليه رده، فدل على أن الحرام لا يكون رزقا، و ثالثها: قوله تعالى:
" قُلْ أَ رَأَیْتُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ لَکُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَکُمْ" فبين أن من حرم رزق الله فهو مفتر على الله، فثبت أن الحرام لا يكون رزقا.
و أما السنة فما رواه أبو الحسين فى كتاب الغرر بإسناده عن صفوان بن أمية قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذ جاء عمرو بن مرة فقال: يا رسول الله إن الله كتب على الشقوة فلا أرانى أرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة؟
فقال عليه السلام: لا آذن لک و لا كرامة و لا نعمة، كذبت أى عدو الله لقد رزقک الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليک من رزقه مكان ما أحل الله لک من حلاله، أما إنک لو قلت بعد هذه النوبة شيئا ضربتک ضربا وجيعا.
و أما المعنى فهو أن الله تعالى منع المكلف من الانتفاع به و أمر غيره بمنعه من الانتفاع به، و من منع من أخذ شىء و الانتفاع به لا يقال أنه رزقه إياه، أ لا ترى أنه لا يقال: أن السلطان رزق جنده مالا و قد منعهم من أخذه.
الثانى: أن الرزق هل يجب على الله إيصاله من غير سعى و كسب، أم لا بد من الكسب و السعى فيه؟ ظاهر هذا الخبر و غيره الأول، و قد روى فى النهج عن أمير المؤمنين

ص: 359
3 ابْنُ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ إِنَّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ الْقَلِيلَ عَلَى الْيَقِينِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ

علیه السلام أنه قیل له علیه السلام: لو سد علی رجل باب بیت و ترک فیه من أین کان یأتیه رزقه؟ فقال علیه السلام: من حیث یأتیه أجله، و ظاهر کثیر من الأخبار الثانی، و سیأتی تمام الکلام فیه فی کتاب المکاسب إنشاء الله تعالی.

قوله علیه السلام: و قسطه، العطف للتفسیر و التأکید، و کذا الراحة، و الروح راحة القلب و سکونه عن الاضطراب، و الراحة فراغ البدن و عدم المبالغة فی الاکتساب" فی الیقین" برازقیته سبحانه و لطفه و سعة کرمه، و أنه لا یفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم، و أنه لا یصل إلی العباد إلا ما قدر لهم" و الرضا" بما یصل من الله إلیه و هو ثمرة الیقین، و الحزن بالضم و التحریک أیضا إما عطف تفسیر للهم أو الهم اضطراب النفس عند تحصیله و الحزن جزعها و اغتمامها بعد فواته" فی الشک" أی عدم اطمئنان النفس بما ذکر فی الیقین" و السخط" و عدم الرضا بقضاء الله المترتب علی الشک.

و نعم ما قیل:

ما العیش إلا فی الرضا و الصبر فی حکم القضاء
ما بات من عدم الرضا إلا علی جمر الغضا

الحديث الثالث

: صحيح.
و ابن محبوب معلق على ثانى سندى الخبر السابق، و يدل على أن لكمال اليقين و قوة العقائد مدخلا عظيما فى قبول الأعمال و فضلها بل لا يحصل الإخلاص الذى هو روح العبادة و ملاكها إلا بها، و كان قيد الدوام معتبر فى الثانى أيضا ليظهر مزيد فضل اليقين، و يحتمل أن يكون حذف قيد الدوام فى الثانى للإشعار بأن إحدى

ص: 360

4 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبَانٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ص عَلَى الْمِنْبَرِ لَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ

ثمرات اليقين دوام العمل فإن اليقين الذى هو سببه لا يزول بخلاف العمل الكثير على غير يقين فإنه غالبا يكون متفرعا على غرض من الأغراض تتبدل سريعا، أو إيمان ناقص هو بمعرض الضعف و الزوال على نهج قول أمير المؤمنين عليه السلام: قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه.

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: طعم الإيمان، قيل: إن فيه مكنية و تخييلية حيث شبه الإيمان بالطعام فى أنه غذاء للروح به ينمو و يبلغ حد الكمال كما أن الطعام غذاء للبدن.
قوله عليه السلام: لم يكن ليخطئه يحتمل أن يكون من المعتل أى يتجاوزه، أو من المهموز أى لا يصيبه كما يخطئ السهم الرمية.
قال الراغب: الخطأ العدول عن الجهة و ذلک أضرب: أحدها: أن يريد غير ما يحسن إرادته فيفعله، و الثانى: أن يريد ما يحسن فعله و لكن يقع منه خلاف ما يريد، و هذا قد أصاب فى الإرادة و أخطأ فى الفعل، و الثالث: أن يريد ما لا يحسن فعله و يتفق منه خلافه فهذا مخطئ فى الإرادة و مصيب فى الفعل، فهو مذموم بقصده و غير محمود على فعله، و جملة الأمر أن من أراد شيئا و اتفق منه غيره يقال: أخطأ، و إن وقع منه كما أراده يقال: أصاب، و قد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل أنه أخطأ.
و قال الجوهرى فى المعتل قولهم فى الدعاء: إذا دعوا للإنسان خطىء عنه السوء أى دفع عنه السوء و تخطئته تجاوزته، و تخطيت رقاب الناس و تخطيت إلى كذا، و لا تقل تخاطئت.

ص: 361
5 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ زَیْدٍ الشَّحَّامِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّ أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ ص جَلَسَ إِلَی حَائِطٍ مَائِلٍ یَقْضِی بَیْنَ النَّاسِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا تَقْعُدْ تَحْتَ هَذَا الْحَائِطِ فَإِنَّهُ مُعْوِرٌ فَقَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ

و فی المصباح: الخطأ مهموزا ضد الصواب یقصر و یمد، و هو اسم من أخطأ فهو مخطئ، قال أبو عبیدة: خطىء خطاء من باب علم و أخطأ بمعنی واحد لمن یذنب علی غیر عمد، و قال غیره: خطىء فی الدین و أخطأ فی کل شیء عامدا أو کان غیر عامد، و أخطأ الحق بعد عنه، و أخطأه السهم تجاوزه و لم یصبه، و تخفیف الرباعی جائز.
و قال الزمخشری فی الأساس فی المهموز: و من المجاز لن یخطأک ما کتب لک، و ما أخطئک لم یکن لیصیبک و ما أصابک لم یکن لیخطئک، و قال فی المعتل:
و من المجاز تخطأه المکروه، انتهی.
و أقول: فظهر أن الهمزة أظهر، و حاصل المعنی أن ما أصابه فی الدنیا کان یجب أن یصیبه و لم یکن بحیث یتجاوزه إذا لم یبالغ السعی فیه، و ما لم یصبه فی الدنیا لم یکن یصیبه إذا بالغ فی السعی، أو المعنی أن ما أصابه فی التقدیر الأزلی لا یتجاوزه و إن قصر فی السعی و کذا العکس، و هذا الخبر بظاهره مما یوهم الجبر، و لذا أول و خص بما لم یکلف العبد به فعلا و ترکا، أو بما یصل إلیه بغیر اختیاره من النعم و البلایا، و الصحة و المرض و أشباهها، و قد أوردنا الکلام فی أمثاله فی کتاب العدل [من البحار].

: حسن كالصحيح.
" فإنه معور" على بناء الفاعل من باب الأفعال أى ذو شق و خلل يخاف منه، أو على بناء المفعول من التفعيل أو الأفعال أى ذو عيب، قال فى النهاية: العوار بالفتح العيب و قد يضم، و العورة كل ما يستحيى منه إذا ظهر، و فيه رأيته و قد طلع فى طريق معورة، أى ذات عورة يخاف فيها الضلال و الانقطاع، و كل عيب و خلل فى

ص حَرَسَ امْرَأً أَجَلُهُ فَلَمَّا قَامَ سَقَطَ الْحَائِطُ قَالَ وَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

شىء فهو عورة، و فى الأساس مكان معورة ذو عورة.
قوله عليه السلام: حرس امرءا أجله، امرءا مفعول حرس، و أجله فاعله، و هذا مما استعمل فيه النكرة فى سياق الإثبات للعموم، أى حرس كل امرئ أجله كقولهم: أنجز حر ما وعد، و يؤيده ما فى النهج أنه قال عليه السلام: كفى بالأجل حارسا، و من العجب ما ذكره بعض الشارحين أن امرءا مرفوع على الفاعلية و أجله منصوب على المفعولية و العكس محتمل، و المقصود الإنكار لأن أجل المرء ليس بيده حتى يحرسه، انتهى.
و يشكل هذا بأنه يدل على جواز إلقاء النفس إلى التهلكة و عدم وجوب الفرار عما يظن عنده الهلاک، و المشهور عند الأصحاب خلافه.
و يمكن أن يجاب عنه بوجوه: الأول: أنه يمكن أن يكون هذا الجدار مما يظن عدم انهدامه فى ذلک الوقت و لكن الناس كانوا يحترزون عن ذلک بالاحتمال البعيد لشدة تعلقهم بالحياة، فأجاب عليه السلام: بأن الأجل حارس و لا يحسن الحذر عند الاحتمالات البعيدة لذلک، و إنما تحترز عند الظن بالهلاک تعبدا و هذا ليس من ذلک، لكن قوله عليه السلام: فلما قام" إلخ" مما يبعد هذا الوجه و يقعده و إن أمكن توجيهه.
الثانى: أن يقال: هذا كان من خصائصه عليه السلام و أضرابه، حيث كان يعلم وقت أجله بإخبار النبى صلى الله عليه و آله و سلم و غيره، فكان يعلم أن هذا الحائط لا يسقط فى ذلک الوقت و إن كان مشرفا على الانهدام لعدم الكذب فى إخباره، و أما من لم يعلم ذلک فهو مكلف بالاحتراز، و كون هذا من اليقين لكونه متفرعا على اليقين بخبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم الثالث: أن يقال أنه من خصائصه عليه السلام على وجه آخر، و هو أنه عليه السلام كان يعلم أن هذا الحائط لا ينهدم فى هذا الوقت، فلما علم أنه حان وقت سقوطه قام

ع مِمَّا يَفْعَلُ هَذَا وَ أَشْبَاهَهُ وَ هَذَا الْيَقِينُ

فسقط، و يؤيده ما رواه الصدوق فى التوحيد بإسناده عن الأصبغ بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له: يا أمير المؤمنين! تفر من قضاء الله؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله.
و لعل المعنى أنى لما علمت أنه ينهدم و أعلم أن الله قدر لى أجلا متأخرا عن هذا الوقت فأفر من هذا إلى أن يحصل لى القدر الذى قدره الله لى، أو المراد بقدر الله أمره و حكمه، أى إنما أفر من هذا القضاء بأمره تعالى، أو المعنى أن الفرار أيضا من تقديره تعالى، فلا ينافى كون الأشياء بقضاء الله تعالى، الفرار من البلايا، و السعى لتحصيل ما يجب السعى له فإن كل ذلک داخل فى علمه و قضائه، و لا ينافى شىء من ذلک اختيار العبد كما حققناه فى محله.
و يؤيد الوجوه كلها ما روى فى الخصال بإسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال:
قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: خمسة لا يستجاب لهم، أحدهم رجل مر بحائط مائل و هو يقبل إليه و لم يسرع المشى حتى سقط عليه." الخبر".
الرابع: ما قال بعضهم: التكليف بالفرار مختص بغير الموقن لأن الموقن يتوكل على الله و يفوض أمره إليه فيقيه عن كل مكروه كما قال عز و جل:" أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ" و كما قال مؤمن آل فرعون:" وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا" و سر ذلک أن المؤمن الموقن المنتهى إلى حد الكمال لا ينظر إلى الأسباب و الوسائط فى النفع و الضرر، و إنما نظره إلى مسببها، و أما من لم يبلغ ذلک الحد من اليقين فإنه يخاطب بالفرار قضاء لحق الوسائط.
" و هذا اليقين" أى من ثمرات اليقين بقضاء الله و قدره و قدرته و حكمته و لطفه

ص: 364
6 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِی الْمَدِینَةِ وَ کانَ تَحْتَهُ کَنْزٌ لَهُما فَقَالَ أَمَا إِنَّهُ مَا کَانَ ذَهَباً وَ لَا

و رأفته و صدق أنبيائه و رسله.

: صحيح.
" وَ أَمَّا الْجِدارُ" إلخ، هذا فى قصة موسى و الخضر عليهما السلام حيث قال تعالى:
" فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ" هى أنطاكية و قيل: إيلة بصرة، و قيل: باجروان أرمنية، و قيل: هى قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة، و هو المروى عن أبى عبد الله عليه السلام" اسْتَطْعَما أَهْلَها" أى سألاهم الطعام" فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما" أى لم يضيفهما أحد من أهلها، و قال أبو عبد الله عليه السلام: لم يضيفوهما و لا يضيفون بعدهما أحدا إلى يوم القيامة" فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ" أى أشرف على أن ينهدم استعيرت الإرادة للمشارفة" فَأَقامَهُ" بعمارته أو بعمود عمد به، و قيل: مسحه بيده فقام، و قيل: نقضه و بناه" قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً" قيل: هو تحريص على أخذ الجعل ليسدا به جوعتهما، و قيل: تعريض بأنه فضول.
فلما أراد الخضر فراق موسى عليهما السلام بين له علل ما فعله حتى قال:" وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ" أى فى القرية المذكورة" وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما" قال الطبرسى رحمه الله الكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة و غير ذلک، و اختلف فى هذا الكنز فقيل: كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس و ابن جبير و مجاهد، قال ابن عباس: ما كان ذلک الكنز إلا علما، و قيل: كان كنزا من الذهب و الفضة رواه أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و قيل: كان لوحا من الذهب و فيه مكتوب:
عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبا لمن رأى الدنيا

فِضَّةً وَ إِنَّمَا كَانَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ لَمْ يَضْحَكْ سِنُّهُ وَ مَنْ

و تقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن ابن عباس و الحسن، و روى ذلک عن أبى عبد الله عليه السلام، و فى بعض الروايات زيادة و نقصان، و هذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن أن الكنز كان مالا كتب فيه علم فهو مال و علم.
" وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً" بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما، و لم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس، و روى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كان بينهما و بين ذلک الأب الصالح سبعة آباء، و قال عليه السلام: إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله، فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله.
" فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما" قال البيضاوى: أى الحلم و كمال الرأى" وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ" أى مرحومين من ربک، و يجوز أن يكون علة أو مصدرا لأراد، فإن إرادة الخير رحمة، و قيل: يتعلق بمحذوف تقديره: فعلت ما فعلت رحمة من ربک، انتهى.
قوله عليه السلام: ما كان ذهبا و لا فضة، أقول: يدل على أن الأخبار الواردة بأنه كان من ذهب محمول على التقية، و يمكن أن يحمل هذا الخبر على أنه لم يكن كونه كنزا و ادخاره و حفظ الخضر عليه السلام له لكونه ذهبا بل للعلم الذى كان فيه.
و إنما اقتصر على هذه الأربع لأن الأولى مشتملة على توحيد الله و تنزيهه عن كل ما يليق به سبحانه، و الثانية على تذكر الموت و الاستعداد لما بعده، و الثالثة على تذكر أحوال القيامة، و أهوالها الموجب لعدم الفرح بالذات الدنيا و الرغبة فى زخارفها، و الرابعة على اليقين بالقضاء و القدر المتضمن لعدم الخشية من غير الله و هى من أعظم أركان الإيمان و من أمهات الصفات الكمالية.
" لم يضحک سنة" إنما نسب الضحک إلى السن لإخراج التبسم فإنه ممدوح،

أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ لَمْ يَفْرَحْ قَلْبُهُ وَ مَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ
7 عَنْهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقُولُ لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَ أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ وَ أَنَّ الضَّارَّ النَّافِعَ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَ
8 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ نَظَرْتُ يَوْماً فِی الْحَرْبِ إِلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ فَحَرَّكْتُ فَرَسِی فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِی مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ نَعَمْ يَا سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَ لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ

و كان ضحک رسول الله تبسما، و قراءته بالنصب بأن يكون المراد بالسن العمر بعيد، و ظاهر أن تذكر الموت و الأهوال التى بعده يصير الإنسان مغموما مهموما متهيئا لرفع تلک الأهوال، فلا يدع فى قلبه فرحا من اللذات يصير سببا لضحكه، و كذا اليقين بالحساب لا يدع فرحا فى قلب أولى الألباب، و كذا من أيقن بأن جميع الأمور بقضاء الله و قدره علم أنه الضار النافع فى الدنيا و الآخرة فلا يخشى و لا يرجو غيره سبحانه.

الحديث السابع

: صحيح.
" و الله هو الضار النافع" لأن كل نفع و ضرر بتقديره تعالى و إن كان بتوسط الغير و أن النفع و الضرر الحقيقيان منه تعالى، و أما الضرر اليسير من الغير مع الجزاء الكثير فى الآخرة فليس بضرر حقيقة، و كذا المنافع الفانية الدنيوية إذا كانت مع العقوبات الأخروية فهو عين الضرر، و بالجملة كل نفع و ضرر يعتد بهما فهو من عنده تعالى، و أيضا كل نفع أو ضرر من غيره فهو بتوفيقه أو خذلانه سبحانه.

: حسن.
" فى مثل هذا الموضع" فيه تقدير أى تكتفى بلبس القميص و الإزار من غير

وَ وَاقِيَةٌ مَعَهُ مَلَكَانِ يَحْفَظَانِهِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ يَقَعَ فِی بِئْرٍ فَإِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ كُلِّ شَیْءٍ

درع و جنة فی مثل هذا الموضع" حافظ" أی ملک حافظ لأعماله و ملائکة واقیة له من البلایا دافعة لها عنه کما قال تعالی:" لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" و روی علی بن إبراهیم فی تفسیرها عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السلام" مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" یقول: بأمر الله من أن یقع فی رکی أو یقع علیه حائط أو یصیبه شیء حتی إذا جاء القدر خلوا بینه و بینه یدفعونه إلی المقادیر، و هما ملکان یحفظانه باللیل و ملکان یحفظانه بالنهار یتعاقبانه، و روی عن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال: إنما نزلت" له معقبات من خلفه و رقیب من بین یدیه یحفظونه بأمر الله".
و قال الطبرسی (ره) فی سیاق الوجوه المذکورة فی تفسیرها: و الثانی أنهم ملائکة یحفظونه من المهالک حتی ینتهوا به إلی المقادیر فیحولون بینه و بین المقادیر عن علی علیه السلام، و قیل: هم عشرة أملاک علی کل آدمی یحفظونه من بین یدیه و من خلفه یحفظونه من أمر الله أی یطوفون به کما یطوف الموکل بالحفظ، و قیل یحفظون ما تقدم من عمله و ما تأخر إلی أن یموت فیکتبونه، و قیل: یحفظونه من وجوه المهالک و المعاطب، و من الجن و الإنس و الهوام، و قال ابن عباس:
یحفظونه مما لم یقدر نزوله، فإذا جاء المقدر بطل الحفظ، و قیل: من أمر الله أی بأمر الله، و قیل: یحفظونه عن خلق الله فمن بمعنی عن، قال کعب: لو لا أن الله و کل بکم ملائکة یذبون عنکم فی مطعمکم و مشربکم و عوراتکم لتخطفنکم الجن، انتهی.
و روی الصدوق (ره) فی التوحید بإسناده عن أبی حیان التمیمی عن أبیه و کان مع علی علیه السلام یوم صفین و معاویة مستقبلة علی فرس له یتأکل تحته تأکلا

9 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع يَقُولُ كَانَ فِي الْكَنْزِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما كَانَ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ كَيْفَ يَحْزَنُ

و على عليه السلام على فرس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المرتجز و بيده حربة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو متقلد سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه: احترس يا أمير المؤمنين فإنا نخشى أن يغتالک هذا الملعون؟ فقال على عليه السلام: لئن قلت ذلک إنه غير مأمون على دينه و أنه لأشقى القاسطين و ألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، و لكن كفى بالأجل حارسا، ليس أحد من الناس إلا و معه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى فى بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلوا بينه و بين ما يصيبه، و كذلک أنا إذا حان أجلى انبعث أشقاها مخضب هذه من هذا- و أشار إلى لحيته و رأسه- عهدا معهودا و وعدا غير مكذوب.

و قيل: التاء فى قوله واقية للنقل إلى الاسمية إذ المراد الواقية من خصوص الموت و قيل: واقية أى جنة واقعية كأنها من الصفات الغالبة أو التاء فيها للمبالغة عطف تفسيرى للحافظ، انتهى.

و قد مضى الكلام فيه فى الحديث الخامس.

: ضعيف على المشهور معتبر عندى.
و قوله: كان فيه، تأكيد لقوله كان فى الكنز، و اختلاف الأخبار فى المكتوب فى اللوح لا ضير فيه لأن الجميع كان فيه و اختلاف العبارات للنقل بالمعنى مع أن الظاهر أنها لم تكن عربية و فى النقل من لغة إلى لغة كثيرا ما تقع تلك الاختلافات.
فإن قلت: الحصر فى الحديث السادس بإنما ينافى تجويز الزيادة على الأربع؟
قلت: الظاهر أن الحصر بالإضافة إلى الذهب و الفضة مع أن المضامين قريبة، و إنما التفاوت بالإجمال و التفصيل، و نسبة التعجب إلى الله تعالى مجاز، و الغرض الإخبار

وَ عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَ تَقَلُّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَرْكَنُ إِلَيْهَا وَ يَنْبَغِی لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنْ لَا يَتَّهِمَ اللَّهَ فِی قَضَائِهِ وَ لَا يَسْتَبْطِئَهُ فِی رِزْقِهِ

عن ندرة الوقوع أو عدمه.
و قال بعض المحققين: إنما اختلفت ألفاظ الروايتين مع أنهما إخبار عن أمر واحد لأنهما إنما تخبران عن المعنى دون اللفظ فلعل اللفظ كان غير عربى، أما ما يتراءى فيهما من الاختلاف فى المعنى فيمكن إرجاع إحداهما إلى الأخرى و ذلک لأن التوحيد و التسمية مشتركان فى الثناء و لعلهما كانا مجتمعين فاكتفى فى كل من الروايتين بذكر أحدهما، و من أيقن بالقدر علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلم يحزن على ما فاته و لم يخش إلا الله، و من أيقن بالحساب نظر إلى الدنيا بعين العبرة و رأى تقلبها بأهلها فلم يركن إليها فلم يفرح بما آتاه، فهذه خصال متلازمة اكتفى فى إحدى الروايتين ببعضها، و فى الأخرى بآخر، و أما قوله: ينبغى. إلى آخره، فلعله من كلام الرضا عليه السلام دون أن يكون من جملة ما فى الكنز و على تقدير أن يكون من جملة ذلک فذكره فى إحدى الروايتين لا ينافى السكوت عنه فى الأخرى، انتهى.
" لمن عقل عن الله" أى حصل له معرفة ذاته و صفاته المقدسة من علمه و حكمته و لطفه و رحمته، أو أعطاه الله عقلا كاملا أو علم الأمور بعلم ينتهى إلى الله بأن أخذه عن أنبيائه و حججه عليهما السلام إما بلا واسطة أو بواسطة، أو بلغ عقله إلى درجة يفيض الله علومه عليه بغير تعليم بشر، أو تفكر فيما أجرى الله على لسان الأنبياء و الأوصياء و فيما أراه من آياته فى الآفاق و الأنفس و تقلب أحوال الدنيا و أمثالها، و الثانى أظهر لقول الكاظم عليه السلام لهشام: يا هشام ما بعث الله أنبياءه و رسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، و قال أيضا: أنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، و من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها فى قلبه.
" أن لا يتهم الله فى قضائه" بأن يظن أن ما لم يقدره الله له خير مما قدر له،

فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ أُرِیدُ أَنْ أَکْتُبَهُ قَالَ فَضَرَبَ وَ اللَّهِ یَدَهُ إِلَی الدَّوَاةِ لِیَضَعَهَا بَیْنَ یَدَیَّ فَتَنَاوَلْتُ یَدَهُ فَقَبَّلْتُهَا وَ أَخَذْتُ الدَّوَاةَ فَکَتَبْتُهُ
10 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرْزَمِیِّ عَنْ أَبِیهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ کَانَ قَنْبَرٌ غُلَامُ عَلِیٍّ یُحِبُّ عَلِیّاً ع حُبّاً شَدِیداً فَإِذَا خَرَجَ عَلِیٌّ ص خَرَجَ عَلَی أَثَرِهِ بِالسَّیْفِ فَرَآهُ ذَاتَ لَیْلَةٍ فَقَالَ یَا قَنْبَرُ مَا لَکَ فَقَالَ جِئْتُ لِأَمْشِیَ خَلْفَکَ یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ قَالَ وَیْحَکَ أَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ تَحْرُسُنِی أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَقَالَ لَا بَلْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَقَالَ

أو یفعل من السعی و الجزع ما یوهم ذلک" و لا یستبطئه" أی لا یعده بطیئا" فی رزقه" إن تأخر بأن یعترض علیه فی الإبطاء بلسان الحال أو المقال، و یدل علی رجحان کتابة الحدیث و عدم الاتکال علی الحفظ.

: مجهول.
و قنبر كان مولى أمير المؤمنين عليه السلام و من خواصه و قتله الحجاج لعنه الله على حبه عليه السلام، روى الكشى بإسناده عن أبى الحسن العسكرى عليه السلام أن قنبرا مولى أمير المؤمنين عليه السلام أدخل على الحجاج بن يوسف فقال: ما الذى كنت تلى من على بن أبى طالب عليه السلام قال: كنت أوضيه فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ فقال: كان يتلو هذه الآية:" فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" فقال الحجاج: أظنه كان يتأولها علينا؟
قال: نعم، فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتک؟ قال: إذا أسعد و تشقى، فأمر به.
قوله عليه السلام: فإذا خرج، روى أنه عليه السلام كان يخرج فى أكثر الليالى إلى ظهر الكوفة فيعبد الله هناک.

إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِی شَیْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ فَارْجِعْ فَرَجَعَ
11 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ عَمَّنْ ذَکَرَهُ قَالَ قِیلَ لِلرِّضَا ع إِنَّکَ تَتَکَلَّمُ بِهَذَا الْکَلَامِ وَ السَّیْفُ یَقْطُرُ دَماً فَقَالَ إِنَّ لِلَّهِ وَادِیاً مِنْ ذَهَبٍ حَمَاهُ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ النَّمْلِ فَلَوْ رَامَهُ الْبَخَاتِیُّ لَمْ تَصِلْ إِلَیْهِ

" إلا بإذن الله من السماء" إنما نسب إلى السماء لأن التقديرات فيها، و الإذن بالتخلية كما مر.

الحديث الحادى عشر

: مرسل.
" بهذا الكلام" أى بدعوى الإمامة" و السيف" أى سيف هارون" يقطر" على بناء المعلوم من باب نصر و" دما" تميز، و كونه من باب الأفعال و دما مفعولا بعيد، و فى القاموس: البخت بالضم الإبل الخراسانية كالبختية و الجمع بخاتى و بخاتى و بخات، انتهى.
و ذكر بعض المؤرخين أن عسكر بعض الخلفاء وصلوا إلى موضع فنظروا عن جانب الطريق إلى واد يلوح منها ذهب كثير، فلما توجهوا إليها خرج إليهم نمل كثير كالبغال فقتلت أكثرهم.

إلى هنا تم الجزء السابع- حسب تجزئتنا- و يليه الجزء الثامن- إنشاء الله تعالى- و أوله" باب الرضا بالقضاء" و كان الفراغ منه في الثامن و العشرين من شهر شوال المكرم سنة 1396. و الحمد لله أولا و آخرا.
و أنا العبد المذنب الفانى السيد هاشم الرسولى المحلاتى

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علـَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص 159؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـَّيخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثـَّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِـذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِـساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنـَةِ 1340 الهجريّة الشمسيّة (=1380 الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسة ً و طريقة ً لم يَنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قدً ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتـَّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثـَقافة الثـَّقـَلـَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلى التـَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثـّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة ً، على أنـّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالـَم - مِن جِـهةٍ أُخرَى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة
ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا

فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّـقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّـمكّـن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

